Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

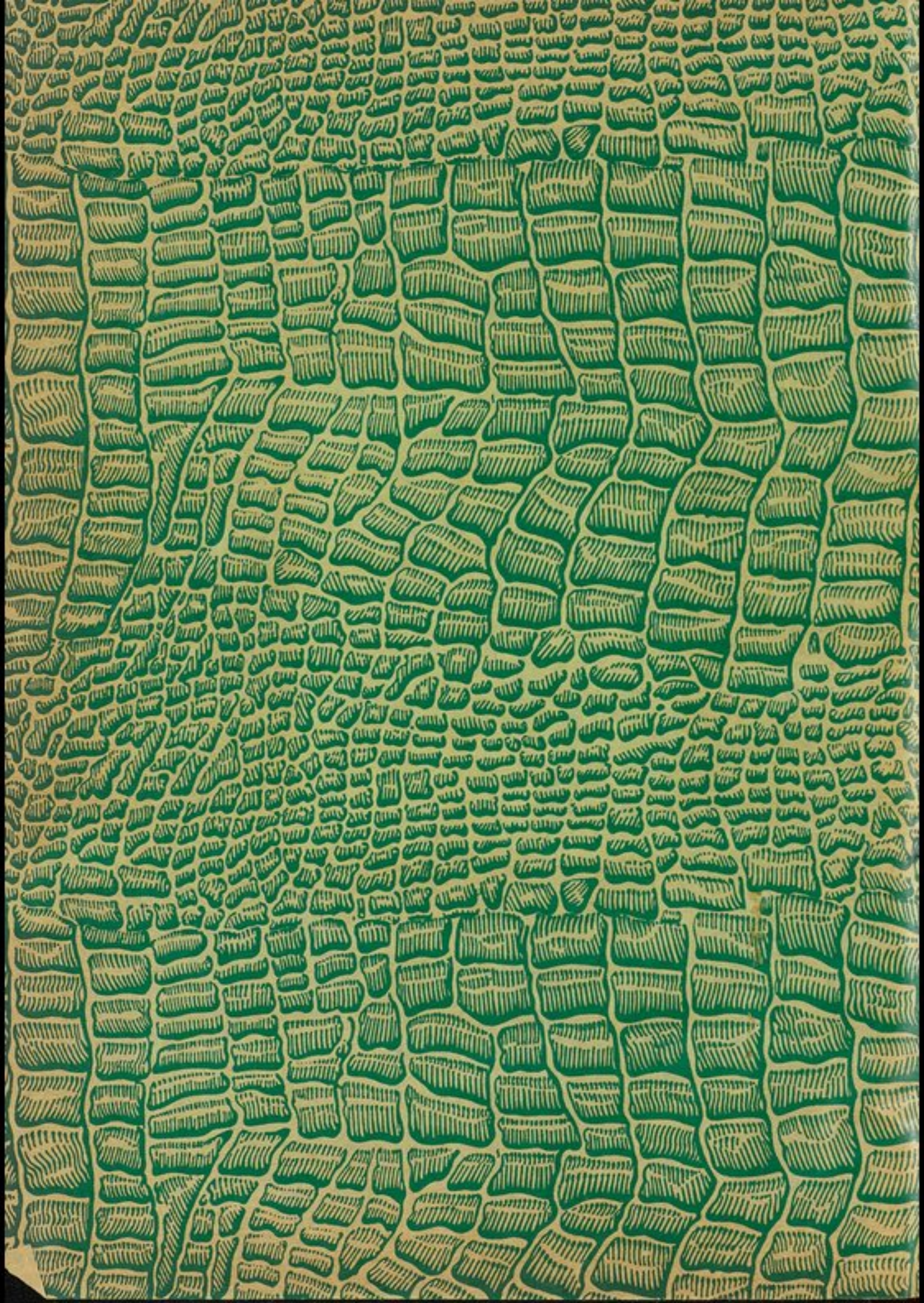

تفسير الخازن

وبهامشه البغوي

المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الأمام العلامة قدوة الأمة وعلم الأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان سنة ٧٢٥ هجرية تغمده الله برحمته آمين

{ وقد حلي هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل }
{ تأليف الأمام الجليل محيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوى }
{ عليه سحائب الرحمة والرضوان }

{ قال فى كشف الظنون }

(معالم التنزيل فى التفسير) للأمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

الجزء الثالث

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

893.1K84
DA7
V.3

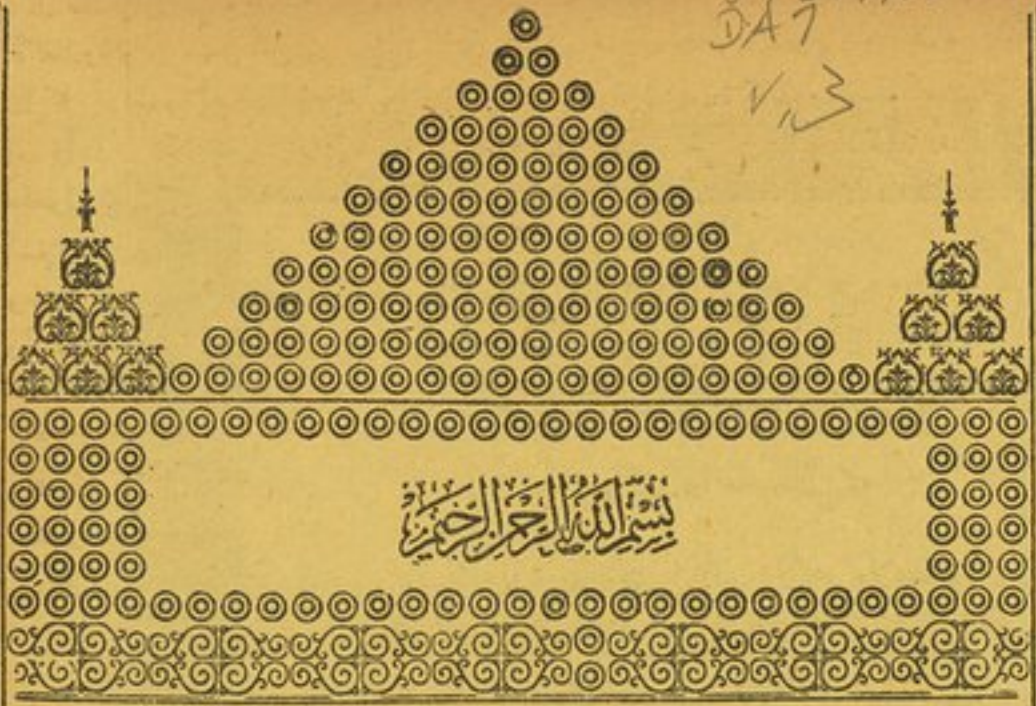

تفسير سورة الأنفال

مدنية كلها إلا سبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا إلى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة بمكة وهي خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون كلمة وخمسة الاف وثمانون حرفا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله سبحانه وتعالى (يسألونك عن الأنفال) (ق) عن سعيد بن جبير قالت سألت ابن عباس عن سورة الأنفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستأثروا به علينا فانا كنا ردأ لكم ولو انهزمتم انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الاية قال أهل التفسير قام أبو اليسر بن عمرو الانصاري أخو بني سلمة فقال يا رسول الله إنك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وكذا وإنا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاخرة ولا جبن عن العدو لكن كرهنا أن تعرى مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شيء فنزلت هذه الاية يسئلونك من الانفال وقال محمد بن اسحق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولا نحن ما أصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم كنا نقدر أن نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا دونه فما أنتم بأحق منا فنزلت هذه الاية وروى مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال سألت عبادة بن

(سورة الانفال) مدنية وهي خمس وسبعون آية قيل إلا سبع آيات من قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات فانها نزلت بمكة والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة بمكة (بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال) الاية قال أهل التفسير سبب نزول هذه الآية هو ان النبي ﷺ قال يوم بدر من اتى مكان كذا فله من النفل كذا ومن قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا فلما التقوا تسارع اليه الشبان واقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات فلما فتح الله على المسلمين جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال الاشياخ كنا ردأ لكم ولو انهزمتم لانحزتم الينا فلا تذهبوا بالغنائم دوننا وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وانا قد قتلنا منهم سبعين واسرنا منهم سبعين فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال والله يا رسول الله ما منعنا ان نطلب ما يطلب هؤلاء لازهادة في الاخرة ولا جبن عن العدو لكن كرهنا ان تعرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فيصيبوك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال سعيد يارسول الله إن الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعطهؤلاء الذى ذكرت لايبق لأصحابك كثير شىء فنزلت يسألونك عن الأنفال وقال ابن اسحق أمر النبى ﷺ بما فى العسكر لجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا قد كان النبى ﷺ نفل كل امرىء ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما أصبتموه وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ لقد رأينا أن نقتل العدو وأن نأخذ المتاع ولكنا خفنا على النبى ﷺ كرة العدو وقنا دونه فما أنتم بأحق به منا وروى مكحول عن أبى إمامة الباهلى قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال قال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى النبى ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بيننا عن بواء يقول على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين وقال سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتلت سعيد بن العاص بن أمية وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكثيفة فاجئنى فجئت به إلى النبى ﷺ (٣) فقلت يارسول الله أن الله قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولالك اذهب فاطرحه فى القبض فطرحته ورجعت وبى مالا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلاحى وقلت عسى أن يعطى هذا السيف من لم يبل بلائى فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءنى رسول الله ﷺ وقد أنزل الله عز وجل يسألونك عن الأنفال الآية فخففت أن يكون قد نزل فى شىء فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قال ياسعد انك سألتنى السيف وليس لى وأنه قد صار لى الان فاذهب فخذه فهو لك وقال على بن ابى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت المغانم لرسول

الصامت عن الأنفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بيننا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة النبى ﷺ واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابى وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يارسول الله إن الله قد شفى صدرى من المشركين او نحو هذا هب لى هذا السيف فقال هذا ليس لى ولا لك فقلت عسى أن يعطى هذا من لا يبلى بلائى فجاءنى الرسول فقال انك سألتنى وليس لى وأنه قد صار لى وهو لك فنزلت يسئلونك عن الانفال الاية اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم فى جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب رسول الله ﷺ غنيمة عظيمة وإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به رسول الله ﷺ فقلت نفلنى هذا السيف فأنا من قد علمت حاله فقال رده من حيث اخذته فانطلقت به حتى اردت أن القيه فى القبض لامتنى نفسى فرجعت اليه فقلت اعطنيه قال فشد على صوته رده من حيث اخذته فأنزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغانم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لاحد فيها شىء وما اصاب سرايا المسلمين من سبى اتوه فان حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الانفال استفتاء يعنى يسألك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال اى من الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة اى يسألونك الانفال والانفال هى الغنائم فى قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصله الزيادة سميت الغنائم انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على انها نزلت فى غنائم بدر وقال عطاء هى ماشذ عن المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد او امراة او متاع فهو للنبى ﷺ يصنع فيه ما يشاء (قل الانفال لله والرسول) اى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شاآ واختلف العلماء فى حكم هذه الاية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الاية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس فى قوله واعلموا ان ما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول الاية وقيل كانت الغنائم لرسول الله ﷺ يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه

الله ﷺ خاصة ليس لاحد فيها شىء وما اصاب سرايا المسلمين من شىء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول قوله يسألونك من الانفال اى عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب وقيل هو سؤال طلب قاله الضحاك وعكرمة وقوله عن الانفال اى من الانفال عن بمعنى من وقيل عن صلة اى يسألونك الانفال وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن والانفال الغنائم واحدها نفل واصله الزيادة يقال نفلتك ونفلتك اى زدتك سميت الغنائم انفالا لانها زيادة من الله لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على ان الاية فى غنائم بدر وقال عطاء هى ماشذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبى ﷺ يصنع به ما شاء (قل الانفال لله والرسول) يقسمانها كما شاآ واختلفوا فيه فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الاية منسوخة بقوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول الاية كانت الغنائم يومئذ للنبى ﷺ فنسخها الله عز وجل بالخمس وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هى ثابتة غير منسوخة ومعنى الاية قل الانفال مع الدنيا والاخرة وللرسول يضعها حيث امره الله تعالى اى الحكم فيها لله ولرسوله وقد بين الله مصارفها فى قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه الاية

الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك أن الغنائم كانت حراما على الأمم الذين من قبلنا في شرائع أنبيائهم فأباحها الله لهذه الأمة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بآياته الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي إحدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول الأنفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله وأعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فغنمنا إبلا فأصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعير بعيرا أخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللإمام أن ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس (فاتقوا الله) يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم) أي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة بتسليم أمر الغنائم إلى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمركم به وينهاكم عنه (إن كنتم مؤمنين) يعني إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده * قوله سبحانه وتعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال بعد ذلك إن كنتم مؤمنين لأن الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى إنما المؤمنون ولفظة إنما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل إذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق والخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لأنهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن إذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله * فان قلت إنه سبحانه وتعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما * قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمئنان إنما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا في آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمنين ثم قال تعالى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) يعني وإذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك إيمانا وتصديقا لان زيادة الإيمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني هو أنهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله لما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله ﷺ فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وإيمانا ومن المعلوم أن من صدق إنسانا في شيئين كان أكبر ممن يصدقه في شيء واحد فقوله تعالى وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا معناه أنهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في إيمانهم واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا أن الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الايمان هو التصديق والإعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة من مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين احدهما أن قوله زادتهم إيمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة وإذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الآية أوصافا متعددة من احوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك اولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف

(فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) اي اتقوا الله بطاعته واصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسليم امر الغنيمة إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم (واطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) يقول ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت وفرقت قلوبهم وقيل إذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) تصديقا ويقينا وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل فما زيادته قال إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه فذلك زيادته وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر ابن عبد العزيز إلى عدي بن عدي ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان

(وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) يعنى يقينا قال ابن عباس برؤوا من الكفر قال مقاتل حقا لا شك فى ايمانهم وفيه دليل على انه ليس لكل احد ان يصف نفسه بكونه مؤمنا حقا لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوما مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وقال ابن أبى نجيح سأل رجل الحسن فقال أمؤمن انت فقال إن كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مؤمن وإن كنت تسألنى عن قوله إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا أدرى أمنهم أنا أم لا وقال علقمة كنا فى سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم قالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله ابن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال أفلا قلتم امن أهل الجنة انتم المؤمنون أهل الجنة وقال سفيان الثورى من زعم أنه مؤمن حقا أو عند الله ثم لم يشهد أنه فى الجنة فقد آمن بنصف الاية دون النصف

داخلة فى مسمى الايمان وروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا إله إلا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجاه فى الصحيحين فى هذا الحديث دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى وإذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته قال إذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته وإذا سهونا ولغفنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ان للايمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكمل لم يستكمل الايمان * وقوله سبحانه وتعالى (وعلى ربهم يتوكلون) معناه يفوضون جميع أمورهم إليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم أن المؤمن إذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهى درجة عالية ومرتبة شريفة لأن الانسان يصير بحيث لا يثق له اعتماد فى شىء من اموره إلا على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعنى الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) يعنى يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها واركانها فى اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة فى الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق فى انواع البر والقربات ثم قال تعالى (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم المؤمنون حقا) يعنى يقينا لا شك فى إيمانهم قال ابن عباس برؤوا من الكفر وقال قتادة استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مؤمنا حقا لأن الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعلق بمسألة اصولية وهى ان العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مؤمن واختلفوا فى انه هل يجوز له ان يقول انا مؤمن حقا ام لا فقال اصحاب الامام ابى حنيفة الأولى ان يقول انا مؤمن حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن إن شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول وجهين الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك إن شاء الله وكذا القول فى القائم والقاعد فكذلك هذه المسألة يجب فيها ان يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن إن شاء الله الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال اولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا وفى قوله انا مؤمن إن شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الاولى ان يقول الرجل انا مؤمن إن شاء الله واحتجوا لصحة القول بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك فيه والشك فى احد اجزاء الماهية يوجب الشك فى الماهية فيجب ان يقول انا مؤمن إن شاء الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند اصحاب ابى حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الايمان فلا يلزم حصول الشك الوجه الثانى ان قولنا انا مؤمن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار روى ان ابا حنيفة قال لقتادة لم استثنيت فى ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام فى قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به فى قوله اولم تؤمن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة أن يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبى فطلب مزيد الطمأنينة الوجه الثالث ان الله سبحانه وتعالى ذكر بعد فى اول الاية انما المؤمنون ولفظه انما تفيد الحصر يعنى انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهى الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال اولئك هم المؤمنون حقا يعنى ان من اتى بجميع هذه الاوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مؤمن ان شاء الله

(لهم درجات عند ربهم) قال عطاء يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم وقال الربيع بن أنس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين خريفا (ومغفرة) (٦) لذنوبهم (ورزق كريم) حسن يعني لما أعد لهم في الجنة قوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله كما اخرجك ربك قال المبرد تقديره الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل تقديره امض لامر الله في الانفال وان كرهوا كما امضيت لامر الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقال عكرمة معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقال مجاهد معناه كما اخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلون فيه وقيل هو راجع الى قوله لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الدرجات لهم حق حتى ينجزه الله عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل الكاف بمعنى على تقديره امض على الذي اخرجك ربك وقال ابو عبيدة هي بمعنى القسم مجازها والذي اخرجك لان ما في موضع الذي وجوابه يجادلونك وعليه يقع القسم تقديره يجادلونك والله الذي اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر اذ اخرجك ربك وقيل المراد بهذا الاخراج هو اخراجه من مكة الى المدينة والاكثرون على أن المراد منه اخراجه من المدينة الى بدر اى كما امرك ربك بالخروج من بيتك الى المدينة بالحق قيل بالوحي لطلب المشركين

وقال ابن أبي نجيح سأل رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن إن كنت سألتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مؤمن وان كنت سألتني عن قوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا أدري انا منهم أم لا وقال علقمة كنا في سفر فلقينا قوم فقلنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبدالله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلت لهم أمن أهل الجنة ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قولنا انا مؤمن إن شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله ﷺ وإنا إن شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا إلا إذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل إلا عند الموت فهذا السبب حسن ان يقول انا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء إلى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم أصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز أن يقول انا متحرك إن شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف على حالة الخاتمة والحركة تعلم بقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مؤمنين حقا إذا أتوا بتلك الأوصاف الخمسة ولا يقدر مؤمنا احد ان يأتي بتلك الأوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضا من اتى بتلك الأوصاف على الحقيقة كان حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله اعلم بمراده واسرار كتابه ﴿قوله تعالى (لهم درجات عند ربهم) يعني لهم مراتب بعضها اعلى من بعض لأن المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الأخذ بتلك الأوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها بأعمالهم وقال الربيع بن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد ان النبي ﷺ قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم (ومغفرة) يعني ولهم مغفرة لذنوبهم (ورزق كريم) يعني ان ما أعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه خاصة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم ﴿قوله سبحانه وتعالى (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق) اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد ﷺ من بيته بالحق وهو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع لقوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي معلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أي امض على الذي اخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى إذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك

(وإن فريقا من المؤمنين) منهم (لكارهون يجادلونك في الحق) أي في القتال (بعدما تبين) وذلك ان المؤمنين ألما يقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا إنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وإنما خرجنا للعير فذلك جدالهم بعدما تبين لهم انك لا تصنع إلا ما امرك الله وتبين صدقك في الوعد (كأنما يساقون إلى الموت) لشدة كراهيتهم القتال (وهم ينظرون) فيه تقديم وتاخير تقديره وإن فريقا من المؤمنين لكارهون كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعدما تبين قال ابن زيد هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهيتهم إياه وهم ينظرون قوله تعالى (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم قال ابن عباس وابن الزبير ومحمد بن إسحق والسدى اقبل ابو سفيان من الشام في عير لقريش في اربعين راكبا من كبار قريش فيهم عمرو بن (٧) العاص ومخرمة بن نوفل الزهري وفيها تجارة كثيرة وهي اللطيمة حتى إذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبي ﷺ ذلك ندب اصحابه اليه واخبرهم بكثرة المال وقلة العدد وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله تعالى ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله ﷺ يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي صلى الله عليه وسلم استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وامره ان ياتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم في اصحابه فخرج ضمضم سريعا إلى مكة وقدرات عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فبعثت إلى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا اخي والله لقد رايت الليلة رؤيا افزعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة وقال لها ما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث فاري الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ مثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلها منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فظيعة فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فعمدت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فغدوت أطوف فلما رآني أبو جهل قال يا ابا الفضل إذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي اقبلت

بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين (وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) يعني للقتال وإنما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عددهم وسلاحهم (يجادلونك في الحق) وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وإنما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم (بعدما تبين) يعني تبين لهم انك لا تصنع شيئا إلا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد (كأنما يساقون إلى الموت) يعني لشدة كراهتهم القتال (وهم ينظرون) يعني إلى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر إلى القتل ويساق إلى الموت وهو ينظر إليه ويعلم انه اتيه ه قوله عز وجل (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) يعني الفرقتين فرقة ابي سفيان مع العير وفرقة ابي جهل مع النفير (انها لكم) يعني إحدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن إسحق والسدي اقبل ابو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة وهي اللطيمة يريد باللطيمة الجمال التي تحمل العطر والبز غير الميرة حتى إذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه هي عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله ﷺ يلقى حربا فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وامره ان ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا في اصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رات رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة ايام افزعتها فبعث إلى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة رؤيا افزعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة وقال لها ما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث فاري الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا رأيت فاكتميها ولا تذكريها لأحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني ابو جهل قال يا ابا الفضل إذا فرغت من طوافك فاقبل إلينا قال فلما فرغت اقبلت حتى جلست

مهم فقال لى أبو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وماذاك قال الرؤيا التى رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بنى عبد المطلب اما رضيتم ان تتنار جالكم حتى تتنبا نساؤكم قد زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيئا نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب فقال العباس والله ما كان منى اليه كبير إلا انى جحدت ذلك وانكرت ان تكون رأت شيئا ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا اتتنى فقالت اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم تكن عندك غيرة لشىء مما سمعت قال قلت والله قد فعلت ما كان منى اليه من كبير وأيم الله لأتعرضن له فان عاد لأكفيكنه قال (٨) فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب اری ان قد فاتنى منه امر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لأمشى نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فادفع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت فى نفسى ماله لعنه الله اكل هذا فرقا منى ان أشاتمه قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره جدع اتف بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء به من الأمر فتجهز الناس سراعا فلم يتخلف من أشراف قريش أحد إلا أن أبا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى أن يأتونا من خلفنا فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بنى بكر فقال انا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه فخرجت قريش وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذا قرد فاتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء أخذ عيونا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا لهمن جهينة حليفا للانصار يدعى اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين انها لكم اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمر وقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن

اليهم حتى جلست معهم فقال ابو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وماذاك قال الرؤيا التى رات عاتكة قلت وما رات قال يا بنى عبد المطلب اما رضيتم ان تتنار جالكم حتى تتنبا نساؤكم لقد زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابا بانكم اكذب اهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه من كبير شىء إلا انى جحدت ذلك وانكرت أن تكون عاتكة رأت شيئا ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا اتتنى فقلن اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم حتى تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشىء مما سمعت قال قلت قد فعلت ما كان منى اليه من شىء وايم الله لاتعرضن له فان عادلا كفيكنه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب اى انى قد فاتنى شىء احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرايته فوالله انى لامر نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت فى نفسى ماله لعنه الله اكل هذا فرقا منى ان اشاتمه قال فاذا هو قد سمع مالم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه اموالكم مع أبى سفيان وقد عرض لها محمد فى اصحابه ولا ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد إلا ان ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بنى بكر فقال انا جار لكم من أن تاتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه فخرجت قريش وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذا قرد فاتاه الخبر عن مسيرة قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء أخذ عيونا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا لهمن جهينة حليفا للانصار يدعى اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين انها لكم اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمر وقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن

مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مناف بن كنانة بن الحارث نقول فقالوا نخشى أن يأتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بنى بكر وقال انا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه فى ليال مضت من شهر رمضان حتى إذا بلغ واديا يقال له ذا قرد فاتاه الخبر عن مسيرة قريش ليمنعوا عن عيرهم فخرج رسول الله عليه وسلم حتى إذا كان بالرحاء أخذ عينا للقوم فأخبره بهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى عبد الله بن اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله عليه وسلم فنزل جبريل وقال ان الله وعدكم إحدى الطائفتين اما العير واما قريشا وكانت العير احب اليهم فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال فاحسن

ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أراك الله فنحن معك فوالله مانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله ﷺ أشيروا على أيها الناس وإنما يريد الأنصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع به أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم (٩) إلى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله ﷺ

نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال رسول الله ﷺ له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله ﷺ أشيروا على أيها الناس وإنما يريد الانصار وذلك لأنهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا فنمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم أن يسير وا معه إلى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا أحد وما نكره أن نلقى بنا عدونا وعدوك انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى انظر إلى مصارع القوم (م) عن انس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال أن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى قال عمر فوالذى بعثه بالحق ما اخطؤا الحدود التى حدها رسول الله ﷺ قال فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى اليهم فقال يافلان ابن فلان ويافلان ابن فلان هل وجدتم ماوعدكم الله ورسوله حقا فانى قد وجدت ماوعدنى الله حقا فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم يعنى طائفة أبى سفيان مع العير وطائفة أبى جهل مع النفير (وتودون) أى وتريدون وتتمنون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) والمعنى وتتمنون أن العير التى ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح (ويريد الله ان يحق الحق) أى يظهر الحق ويعليه (بكلماته) يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التى سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه (ويقطع دابر الكافرين) أى ويستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق) يعنى ليثبت الإسلام (ويبطل الباطل) يعنى وينفى الكفر (ولو كره المجرمون) يعنى المشركين وفى الآية سؤالان الأول أن قوله ويريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فما معناه والجواب انه ليس فيه تكرير لأن المراد بالأول تثبيت ما وعد فى هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء والمراد

قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل قال فانا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحدا ونكره أن تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق فى اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا يارسول الله على بركة الله فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم قال ثابت عن أنس

(٢ - خازن - لث) قال قال رسول الله ﷺ هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان قال ويضع يده على الأرض هاهنا وههنا قال فاماط أحد عن موضع يد رسول الله ﷺ فذلك قوله تعالى وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم أى الفريقين إحداهما أبو سفيان مع العير والاخرى ابو جهل مع النفير (وتودون) أى تريدون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) يعنى العير التى ليس فيها قتال والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح (ويريد الله ان يحق الحق) أى يظهره ويعليه (بكلماته) بأمره إياكم بالقتل وقيل بعداته التى سبقت من إظهاره الدين وإعزازه (ويقطع دابر الكافرين) أى يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد يعنى كفار العرب (ليحق الحق) ليثبت الاسلام (ويبطل الباطل) أى يفنى الكفر (ولو كره المجرمون) المشركون وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان

قوله تعالى (إذ تستغيثون ربكم) تستجيرونه بمن عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر روى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا دخل العريش هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه واستقبل القبلة ومد يديه فجعل يهتف بربه عز وجل اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم انك ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الأرض فما زال يهتف بربه عز وجل (١٠) ما دا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم (فاستجاب لكم انى ممدكم) مرسل اليكم مددا اوردفكم (بالف من الملائكة مردفين) قرأ أهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال أى اردف الله المسلمين وجاء بهم مددا وقرأ الآخرون بكسر الدال أى متتابعين بعضهم فى أثر بعض يقال اردفته وردفته بمعنى تبعته يروى أنه نزل جبريل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم وروى أن النبى ﷺ لما ناشد ربه عز وجل وقال أبو بكر ان الله منجز لك ما وعدك خفق رسول الله ﷺ خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال يا أبا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبى ﷺ قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه آداة الحرب يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروى عن أبى اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا أنه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام فى سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح أنهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس فى الذى ضربه بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا قيل أنهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله

بالثانى تقوية القرآن والدين وإظهار منار الشريعة لأن الذى وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذى هو الشرك السؤال الثانى الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وإبطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق إظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من إبطال ذلك الباطل إظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته وقمع رؤساء الباطل وقهرهم * قوله عز وجل (إذ تستغيثون ربكم) أى واذكر يا محمد إذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفى المستغيثين قولان أحدهما أنه رسول الله ﷺ والمسلمون معه قاله الزهرى والقول الثانى أنه رسول الله ﷺ وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثنى عمر ابن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه ويقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم آتنى ما وعدتنى اللهم انك ان فلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه أبو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم (فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين) فامده الله بالملائكة قال سماك حدثنى ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجه كضربة السيف فاخضر ذلك اجمع وجاء الخدث بذلك رسول الله ﷺ قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى فاجاب دعاءكم إنى ممدكم أصله بأنى ممدكم أى مرسل اليكم مددا وردفكم بالالف من الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا وروى أنه نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة وميكائيل عليه السلام فى خمسمائة فى صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوها بين اكتافهم وروى أن النبى ﷺ لما ناشد ربه وقال أبو بكر ان الله سينجز لك ما وعدك خفق النبى ﷺ خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبى ﷺ قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه آداة الحرب يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروى عن أبى أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا أنه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام فى سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح أنهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس فى الذى ضربه بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا قيل أنهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله

إلا

محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا إبراهيم بن موسى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب وقال عبد الله بن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر من الأيام وكانوا يكونون فيما سواه عدد أو مدد أو روى عن أبى أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا أنه قال بعد ما ذهب بصره ولو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه له الملائكة قوله تعالى (وما جعله الله) يعنى الامداد بالملائكة (إلا بشرى) أى بشارة

(ولتطمئن به قلوبكم ما النصر إلا من عند الله ان الله عزيز حكيم إذ يغشيكم النعاس) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويغشاكم بفتح الياء النعاس رفع على أن الفعل له لقوله تعالى فى سورة ال عمران امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وقرأ أهل المدينة يغشيكم بضم الياء وكسر الشين خفيف النعاس نصب لقوله تعالى كانما أغشيت وجوههم وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الشين مشدد النعاس نصب على أن الفعل لله عز وجل لقوله تعالى فغشاها ما غشى والنعاس النوم الخفيف (امنة) امنا (منه) مصدر امنت امنا وامنة وامانا قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه النعاس فى القتال امنة من الله وفى الصلاة من الشيطان (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب اعفر نسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء بدر وأصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم مجنبين وأصابهم الظما ووسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبى الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون أن تظهروا عليهم فأرسل الله عز وجل عليهم مطرا سال منه الوادى فشرب المؤمنون واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الأسقية واطفا الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ما ليطهركم به من الأحداث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) ووسوسته (وليربط على قلوبكم) باليقين والصبر (ويثبت به الاقدام) حتى لا تسوخ فى الرمل بلبيد الأرض وقيل يثبت به الاقدام بالصبر وقوة القلب (إذ يوحى ربك إلى الملائكة) الذين امد بهم المؤمنين (انى معكم) بالعون والنصرة (فثبتوا الذين آمنوا) أى قووا قلوبهم قيل ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم أى ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقال مقاتل اى بشروهم بالنصر وكان الملك يمشى أمام الصف فى صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم

إلا بشرى) يعنى وما جعل الله الأرداف بالملائكة إلا بشرى (ولتطمئن به قلوبكم) وهذا يحقق انهم إنما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الأول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الأيام * وقوله تعالى (وما النصر إلا من عند الله) يعنى أن الله هو ينصركم أيها المؤمنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدتكم وفيه تنبيه على أن الواجب على العبد المسلم أن لا يتوكل إلا على الله تعالى فى جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والإعانة (إن الله عزيز) يعنى أنه تعالى قوى منيع لا يقهره شىء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شىء ويغلبه (حكيم) يعنى فى تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده * قوله سبحانه وتعالى (إذ يغشيكم النعاس امنة منه) أى واذكروا إذ يلقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف امنة منه أى امنا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس فى القتال امنة من الله وفى الصلاة من الشيطان والفائدة فى كون النعاس امنة فى القتال ان الخائف على نفسه لا يأخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وإزالة الخوف وقيل أنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة فى حقهم لأنه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل فى كون هذا النوم كان امنة من الله أنه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان فى حكم المعجزة لأنه امر خارق للعادة وقوله سبحانه وتعالى (وينزل عليكم من السماء ماء) يعنى المطر (ليطهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم إلى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبى الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين وترجون الظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعنى من الأحداث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعنى وسوسته التى القاها فى قلوبكم (وليربط على قلوبكم) يعنى بالنصر واليقين والربط فى اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما أوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لأنها تفيد الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به الأقدام) يعنى إن ذلك المطر لبد الأرض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لأن من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء * وقوله سبحانه وتعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم) يعنى ان الله سبحانه وتعالى أوحى إلى الملائكة الذين أمدهم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه انى معكم بالنصر والمعونة (فثبتوا الذين آمنوا) أى قووا قلوبهم

(سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) قال عطاء يريد الخوف من أوليائى (فاضربوا فوق الأعناق) قيل هذا خطاب مع المؤمنين وقيل هذا خطاب مع الملائكة وهو متصل بقوله فثبتوا الذين امنوا وقوله فوق الاعناق قال عكرمة يعنى الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة كما قال تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فوق بمعنى على (واضربوا منهم كل بنان) قال عطيه يعنى كل مفصل وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعنى الاطراف والبنان جمع بنانة وهى أطراف أصابع اليدين والرجلين قال ابن الانبارى ما كانت الملائكة تعلم كيف يقتل الآدميون فعلمهم الله عز وجل اخبرنا اسمعيل بن عبد القادر الجرجانى انا عبد الغفار بن محمد الفارسى انا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا زهير بن حرب ثنا عمرو بن يونس الحنفى ثنا عكرمة بن عمار ثنا ابو زميل هو سماك الحنفى ثنا عبد الله بن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى اثر رجل من المشركين امامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد حطم انفه وشق وجهه لضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصارى فحدث رسول الله ﷺ فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة (١٢) فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين وروى عن ابى داود المازنى وكان شهد بدرا قال إنى لاتبع رجلا من المشركين لاضربه إذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت انه قد قتله غيرى وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وقال عكرمة قال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت واسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا فى انفسنا قوة وعزا وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح وانحتها فى حجرة زمزم فوالله انى لجالس انحت القداح وعندى ام الفضل جالسة إذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهرى فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب إلى يا ابن اخى فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه قال يا ابن اخى اخبرنى كيف كان أمر الناس قال لاشىء والله ان كان الا أن لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلونا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على بلق بين السماء والارض لا والله ما تبقى شيئا ولا يقوم لها شىء قال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت تلك والله الملائكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة فساورته فاحتملنى فضرب بى الأرض ثم برك على يضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل إلى عمود من عمود الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فلقت فى رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليالى حتى رماه الله بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذى اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو اخا بنى سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله ﷺ لابى اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانى عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا

واختلفوا فى كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كان للشيطان قوة فى القاء الوسوسة فى قلب ابن ادم بالشر فكذلك للملك قوة فى القاء الالهام فى قلب ابن ادم بالخير ويسمى ما يأتى الشيطان وسوسة وما يأتى الملك لمة وإلماما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم اى ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى فى صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم (سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) يعنى الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف فى قلوب الكافرين (فاضربوا فوق الأعناق) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانبارى ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بنى ادم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعنى الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على (واضربوا منهم كل بنان) يعنى كل مفصل وقال ابن عباس يعنى الاطراف وهى جمع بنانة وهى اطراف اصابع اليدين سميت بذلك لان بها صلاح الاحوال التى يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمله بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل ان الإنسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح فى الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى امرهم بضرب أعلى الجسد هو الرأس وهو أشرف الأعضاء وبضرب البنان وهو أضعف الاعضاء فيدخل فى ذلك كل عضو فى الجسد وقيل امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الإنسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الإنسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن ابى داود المازنى وكان شهد بدرا قال انى لاتبع رجلا من المشركين لاضربه إذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت انه قد قتله غيرى وعن سهل بن حنيف قال رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف

وكذا فقال رسول الله ﷺ لقد أعانك عليه ملك كريم (ذلك بأنهم شاقوا الله) عالفوا الله (ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم) أى هذا العذاب والضرب الذى عجلته لكم أيها الكفار ببدر (فذوقوه) عاجلا (وأن للكافرين) أى واعلموا وأيقنوا أن للكافرين أجلا فى المعاد (عذاب النار)

السيف وروى عكرمة عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وكان الإسلام قد دخل علينا أهل البيت فاسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل أصحاب بدر كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزا قال أبو رافع وكنت رجلا ضعيفا أعمل القداح وانحتها فى حجرة زمزم فوالله إنى لجالس أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهرى فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب إلى يا ابن أخى فعندك الخبر اليقين فجلس إليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخى أخبرنى كيف كانت أحوال الناس قال لاشىء والله إن كان إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله لا يتلقاهم شىء ولا يقوم لهم شىء قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدى وقلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة فساورته فاحتملنى فضرب بى الأرض ثم برك على صدرى وكنت رجلا ضعيفا فقامت إليه أم الفضل بعمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة ففلقت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام مولیا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذى اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بنى سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله ﷺ لأبى اليسر كيف اسرت العباس قال يارسول الله لقد اعاننى عليه رجل مارايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر فى صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة النبوية * وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعنى بالذى وقع من القتل والأسر يوم بدر (بأنهم شاقوا الله ورسوله) يعنى بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها المجانبة كأنهم صاروا فى شق وجانب عن الشق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا اولياء الله وهم المؤمنون اوشاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) يعنى ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم من القتل والأسر شىء قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى (ذلكم) إشارة إلى القتل والأسر الذى نزل بهم (فذوقوه) يعنى عاجلا فى الدنيا لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذى اعده الله لهم فى الاخرة من العذاب وهو قوله (وان للكافرين عذاب النار) يعنى فى الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول ﷺ من بدر قيل له عليك بالعير ليس من دونها شىء قال فاداه العباس من وثاقه لا يصلح لك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما وعدك قال صدقت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل (ياايها الذين امنو إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) يعنى مجتمعين متزاحمين بعضكم إلى بعض والتزاحف التدانى فى القتال واصل الزحف مشى مع جر الرجل كانبعاث الصبى قبل ان يمشى وسمى مشى الطائفتين بعضهم إلى بعض فى القتال زحفا لأنها تمشى كل طائفة إلى صاحبتها مشيا رويدا وذلك قبل التدانى للقتال وقال ثعلب الزحف المشى قليلا قليلا إلى الشىء (فلا تولوهم الأدبار) يعنى فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولى ظهره ودبره (ومن يولهم يومئذ دبره) يعنى ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال (إلا متحرفا لقتال) يعنى إلا منقطعا إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها * وقوله تعالى (او متحيزا إلى فئة) يعنى او منضما وصائرا إلى جماعة من المؤمنين يريد ون العود إلى القتال (فقد باء بغضب من الله) يعنى من انهزم من المسلمين

(ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم) أى هذا العذاب والضرب الذى عجلته لكم أيها الكفار ببدر (فذوقوه) عاجلا (وأن للكافرين) أى واعلموا وأيقنوا أن للكافرين أجلا فى المعاد (عذاب النار)

روى عكرمة عن ابن عباس قال قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شىء فاداه العباس وهو أثير فى وثاقه لا يصلح لك فقال رسول الله ﷺ له قال لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك قوله عز وجل (ياأيها الذين امنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أى مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التدانى فى القتال والزحف مصدر ولذلك لم يجمع كقولهم قوم عدل ورضا قال الليث الزحف جماعة يزحفون إلى عدوهم بمرة فهم الجمع الزحوف فلا تولوهم الأدبار (يقول فلا تولوهم ظهوركم أى لا تنهزمون فان المنهزم يولى دبره (ومن يولهم يومئذ دبره) ظهره (إلا متحرفا لقتال) أى متعطفا يرى من نفسه الانهزام وقصده طلب الغرة وهو يريد الكرة (أو متحيزا إلى فئة) اى منضما صائرا إلى جماعة من المؤمنين يريد العود إلى القتال ومعنى الاية النهى عن الانهزام من الكفار والتولى عنهم إلا على نية التحرف للقتال والإنضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعود الى القتال فمن ولى ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد كما قال تعالى (فقد باء بغضب من الله

ومأواهم جهنم وبئس المصير) اختلف العلماء فى هذه الاية فقال أبو سعيد الخدرى هذا فى أهل بدر خاصة ما كان يجوز لهم الانهزام لأن النبى ﷺ كان معهم ولم يكن لهم فئة يتحيزون إليها دون النبى ﷺ ولو انحازوا او الانحازوا إلى المشركين فأما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض فيكون الفار متحيز إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهو قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبى حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده ثم قال ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله كنا فى جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال بل أنتم الكرارون أنا فئة المسلمين وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر فقال لو انحاز إلى كنت له فئة فأنا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الاية عام (١٤) فى حق كل من ولى منهزما جاء فى الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبى رباح هذه الاية منسوخة بقوله عز وجل الآن خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت تلك إلا فى هذه العدة وعلى هذا اكثر اهل العلم ان المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا ويولوا ظهورهم الا متحرفا لقتال او متحيزا إلى فئة وان كانوا اقل من من ذلك جاز لهم ان يولوا ظهورهم ويتحايزوا عنهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) قال مجاهد سبب نزول هذه الاية انهم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الاخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية والمعنى فلم تقتلوهم انتم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصرته اياكم وتقويته لكم وقيل ولكن الله قتلهم بامداد الملائكة (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قال اهل التفسير والمغازى ندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبنى الحجاج وابو يسار غلام لبنى العاص بن سعيد فأتوا بهما رسول الله ﷺ فقال لهما اين قريش قالا هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله ﷺ لهما كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندرى قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة قال رسول الله ﷺ القوم ما بين التسعمائة إلى الألف ثم قال لهما فمن فيهم من إشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البخترى ابن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله ﷺ هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش ورآها النبى ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذى جاؤا منه إلى الوادى قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك

إلا فى وقت الحرب هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتحيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (ومأواهم جهنم وبئس المصير) ﴿فصل فى حكم هذه الاية﴾ اختلف العلماء فى ذلك فقال أبو سعيد الخدرى هذا فى أهل بدر خاصة لأنه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لأن النبى ﷺ كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون إليها دون النبى ﷺ ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين ولأنها أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابى حبيب اوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا فى جيش بعثنا رسول ﷺ فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل أنتم الكرارون أنا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعنى جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص الهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز إلى كنت له فئة أنا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الاية عام فى كل حق من ظهر منهزما بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وإن كانت الاية نزلت فى غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء فى الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبى رباح هذه الاية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك إلا فى هذه العدة وعلى هذا اكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وإن كان العدو اكثر من المثلين جاز لهم أن يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) قال مجاهد سبب نزول هذه الاية أنهم لما انصرفوا عن قتال أهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الاخر أنا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعنى بنصره إياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده إياكم بالملائكة قال الزمخشرى الفاء فى قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وإن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قال أهل التفسير والمغازى لما ندب رسول الله ﷺ أصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبنى الحجاج وأبو يسار غلام لبنى العاص بن سعد فأخذوهما وأتوا بهما إلى رسول الله ﷺ

اللهم فنصرك الذي وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم مشرك إلا دخل في عينيه وفمه ومنخريه منها شيء فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله ﷺ اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله تعالى (١٥) ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى

فقال لهما رسول الله ﷺ اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله ﷺ كم القوم قالا كثير قال وما عددهم قالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله ﷺ القوم ما بين التسعمائة إلى الف ثم قال لهما من فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحرث ابن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله ﷺ هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل جاء إلى الوادي فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك إلا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرون وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله ﷺ اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى إذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين إلا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله ﷺ وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الاية وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل ما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى الرعب في قلوبهم حتى انهزموا (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) يعني وليعنم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد اجمع المفسرون على ان البلاء هنا بمعنى النعمة (إن الله سميع) يعني لدعائكم (عليم) يعني باحوالكم * قوله تعالى (ذلكم) يعني الذين ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا (وإن الله) يعني واعلموا ان الله مع ذلك (موهن) اي مضعف (كيد الكافرين) يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر ما التقى الجمعان اللهم ايتنا كان افخر يعني نفسه ومحمدا ﷺ فاطعنا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينا كان خيرا عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان افخر واقطع لرحمه فاحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الاية ان تستحكموا الله على قطع الفريقين للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصر المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده لئن رايته لا يفارق سوادي سوادي حتى

إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفا من الحصا إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها شيء وقيل معناه وما بلغت اذ رميت ولكن بلغ الله وقيل ومارميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا (وليبلي المؤمنين من بلاء حسنا) اي ولينعم على المؤمنين منه نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة (إن الله سميع) لدعائكم (عليم) بنياتكم (ذلكم) الذي ذكرت من القتل والرمي والبلاء الحسن (وان الله) قيل فيه اضمار اي واعلموا أن الله (موهن) مضعف (كيد الكافرين) قرا ابن كثير ونافع واهل البصرة موهن بالتشديد والتنوين كيد نصب وقرا الاخرون بالتخفيف والتنوين إلا حفصا فانه يضيفه ولا ينون ويخفض كيد قوله تعالى (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) وذلك ان ابا جهل لعنه الله قال يوم بدر لما التقى الناس اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لم نعرف فاحنه الغداة فكان هو

المستفتح على نفسه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ابن سعد عن ابيه عن جده قال قال عبد الرحمن بن عوف اني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي احدهما سرا من صاحبه يا عم أرني أبا جهل فقلت يا ابن أخي وما تصنع به فقال عاهدت الله عز وجل ان رايته ان اقتله او اموت دونه فقال لي الاخر سرا من صاحبه مثله فما سرني اني بين رجلين بمكانهما فاشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا ابن يوسف

ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا ابن ابى عدى عن سليمان التيمى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر من ينظر لنا ما صنع ابو جهل قال فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى تردى فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل فقال وهل فوق رجل قتله قومه او قتلتموه قال محمد بن إسحق حدثنى عبد الله بن ابى بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه امر بابى جهل بن هشام ان يلتمس فى (١٦) القتلى وقال اللهم لا يعجزنك قال فلما سمعتها جعلته من شأنى فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت

يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك قل وغمزنى الآخر فقال لى مثلها فلم أنشب ان نظرت إلى ابى جهل يجول فى الناس فقلت الا تريان هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيفين فقال كلا كما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فأخذ بلحيته فقال أنت ابو جهل وفى كتاب البخارى أنت ابو جهل هكذا قاله انس فقال وهل فوق رجل قتلتموه أو قال قتله قومه وفى رواية فقال ابو جهل فلو غير اكار قتلنى عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت ياعدو الله ابا جهل قد اخزى الله الاخر قال ولا اهابه عند ذلك فقال اعمد من رجل قتله قومه ضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه ابو داود اخرجه البخارى مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فاتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدى والكلبى كان المشركون لما خرجوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين وأكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سألوه فكان النصر لاهدى الفئتين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثنى عبد الله بن ابى بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجدح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر امر بابى جهل بن هشام ان يلتمس فى القتلى فقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جلعته من شأنى فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة واجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لأسحبها خلفى فلما آذتنى جعلت عليها قدمى ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابى جهل وهو عفير معاذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه فقلت هل اخزاك الله ياعدو الله قال وبماذا اخزانى اعمد من رجل قتلتموه اخبرنى لمن الدائرة قلت لله ولرسوله وروى عن ابن مسعود انه قال قال لى ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعبا ثم احترزت راسه ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله هذا راس عدو الله ابى جهل فقال الله الذى لا اله غيره قلت نعم والذى لا اله غيره ثم القيته بين يدى رسول الله ﷺ فحمد الله عز وجل وقال السدى والكلبى كان المشركون حين خرجوا إلى النبى ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين عن

قدمه بنصف ساقه قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى واجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما اذتنى جعلت عليها قدمى ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابى جهل وهو عفير معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته فتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت هل اخزاك الله ياعدو الله قال وبماذا اخزانى اعمد من رجل قتلتموه اخبرنى لمن الدائرة قلت لله ولرسوله وروى عن ابن مسعود انه قال قال لى ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعبا ثم احترزت راسه ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله هذا راس عدو الله ابى جهل فقال الله الذى لا اله غيره قلت نعم والذى لا اله غيره ثم القيته بين يدى رسول الله ﷺ فحمد الله عز وجل وقال السدى والكلبى كان المشركون حين خرجوا إلى النبى ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقال عكرمة قال المشركون والله لا نعرف ما جاء به محمد فاتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال ابى بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى للمسلمين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح

أي إن تستنصروا فقد جاءكم الفتح والنصر أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا الفضل بن موسى ثنا إسمعيل بن عالد عن قيس عن خباب رضي الله عنه قال شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا ألا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه وقال كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين فما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم وعصب ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله (وإن تنتهوا) يقول الكفار إن تنتهوا عن الكفر بالله وقتال نبيه ﷺ (فهو خير لكم (١٧) وإن تعودوا) لحربه وقتاله (نعد)

عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسر به أبي بن كعب الآية وفيه نظر لأن هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي ﷺ لما دعا الله ببدر وسأله إنجاز ما وعده من إحدى الطائفتين والح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه وقال الله سبحانه وتعالى بجيبا له إن تستفتحوا يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدكم الله به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم به وهذا القول أولى لأن قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الأعداء أما إذا فسرناه بالقضاء والحكم لم يمتنع أن يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى (وإن تنتهوا فهو خير لكم) فهو خطاب للكفار يعني وإن تنتهوا عن قتال محمد ﷺ وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين بأن تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والأسر (وإن تعودوا نعد) يعني وإن تعودوا لقتال محمد ﷺ نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم (ولن تغني عنكم فئتكم) يعني جماعتكم (شيئا يعني لا تغني عنكم شيئا (ولو كثرت) يعني جماعتكم (وأن الله مع المؤمنين) يعني بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار ٭ قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد لأن فيه بذل المال والنفس (ولا تولوا عنه) يعني عن الرسول ﷺ لأن التولي لا يصح إلا في حق الرسول ﷺ لا في حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد (وأنتم تسمعون) يعني القرآن يتلى عليكم (ولا تكونوا كالذين قالوا) بألسنتهم (سمعنا وهم لا يسمعون) يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين (إن شر الدواب عند الله) يعني أن شر من دب على وجه الأرض من خلق الله عند الله (الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد ﷺ فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الإمام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب أن يعلمه الله لعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فهم خير لأسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم (ولو أسمعهم) يعني بعد أن علم أنه لا خير فيه ولم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتولوا وهم معرضون)

بمثل الواقعة التي أوقعت بكم يوم بدر وقيل وإن تعودوا إلى الدعاء والاستفتاح نعد للفتح لمحمد ﷺ (ولن تغني عنكم فئتكم) جماعتكم (شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين) قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص أن الله بفتح الهمزة أي ولأن الله مع المؤمنين كذلك لن تغني عنكم فئتكم شيئا وقيل هو عطف على قوله ذلكم وأن الله موهن الكافرين وقرأ الآخرون وإن الله بكسر الألف على الابتداء (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) أي لا تعرضوا عنه (وأنتم تسمعون) القرآن ومواعظه (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) أي يقولون بألسنتهم سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون أي لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا

فكانهم لم يسمعوا قوله تعالى (ان شر الدواب) أي شر من الدواب على وجه الأرض من خلق الله (عند الله الصم البكم) عن الحق فلا يسمعونه ولا يقولونه (الذين لا يعقلون) أمر الله عز وجل سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم كما قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) سماع التفهم والقبول (ولو أسمعهم) بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك (لتولوا وهم معرضون) لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ أحي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بك فقال الله عز وجل ولو أسمعهم كلام قصي لتولوا وهم معرضون

قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول) يقول أجيبوهما بالطاعة (إذا دعاكم) الرسول ﷺ (لما يحييكم) أى إلى ما يحييكم قال السدى وهو الإيمان لأن (١٨) الكافر ميت فيحيا بالإيمان وقال قتادة هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة فى الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال ابو اسحق وهو الجهاد أعزكم الله به بعد الذى وقال القتيبى بل الشهادة قال الله تعالى فى الشهداء بل احياء عندربهم يرزقون وروينا أن النبى ﷺ مر على ابى بن كعب رضى الله عنه وهو يصلى فدعاه فعجل ابى فى صلاته ثم جاء فقال رسول الله مامنعك ان تجيبنى إذ دعوتك قال كنت فى الصلاة قال اليس يقول الله عزوجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم إلى مايحييكم فقال لاجرم يا رسول الله لاتدعونى إلا اجبت وإن كنت مصليا قوله تعالى (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال سعيد بن جبير وعطاء يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان قال الضحاك يحول بين الكافر والطاعة ويحول بين المؤمن والمعصية وقال مجاهد يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدرى مايعمل وقال السدى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن ولا ان يكفر إلا باذنه وقيل هو ان القوم لما دعوا الى القتال فى حالة الضعف ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فيقال لهم قاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجبن جراءة وقوله تعالى (وأنه إليه تحشرون) يعنى فى الآخرة فيجرى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصى

يعنى لتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ أحى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله سبحانه وتعالى ولو أحيا لهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) يعنى أجيبوهما بالطاعة والانقياد لامرهما (إذا دعاكم) يعنى الرسول ﷺ وإنما وجد الضمير فى قوله تعالى إذا دعاكم لان استجابة الرسول ﷺ استجابة لله تعالى وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على أن ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله ﷺ بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل على أن ظاهر الامر الاجابة فى كل مادعا الله ورسوله (خ) عن أبى سعيد بن المعلى قال كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه ثم أتيته فقلت يارسول إنى كنت أصلى فقال ﷺ ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ خرج على أبى بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله ﷺ يا أبى فالتفت أبى ولم يجبه وصلى أبى وخفف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال السلام عليك يارسول الله فقال ﷺ عليك السلام مامنعك يا أبى أن تجيبنى إذ دعوتك فقال يارسول إنى كنت فى الصلاة فقال ﷺ أفلم تجد فيما أوحى الله إلى استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا أعود إن شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبى ﷺ فعلى هذا ليس لاحد أن يقطع صلاته لدعاء أحد اخر وقيل لو دعاه أحد لامر مهم لايحتمل التأخير فله أن يقطع صلاته * وقوله تعالى (لما يحييكم) يعنى إذا دعاكم لما فيه حياتكم قال السدى هو الإيمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة فى الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن إسحق هو الجهاد لان الله أعزه بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصى الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواعى وتلك الاعتقادات والدواعى لابد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة لابد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك أن المتصرف فى القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت النبى ﷺ يقول إن قلوب بنى ادم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال النبى ﷺ اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يكثر ان يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقلنا يارسول الله قد امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذى وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم أن يمره على ماجاء مع الاعتقاد الجازم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل فى معنى الاية أن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدرى مايصنع ولا يعقل شيئا وقيل لما القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا فى غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجبن جراءة وقوله تعالى (وأنه إليه تحشرون) يعنى فى الاخرة فيجرى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصى

الخوف أمنا والجبن جراءة وشجاعة (وانه اليه تحشرون) فيجزيكم بأعمالكم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاطب بن أحمد الطوسى أنا محمد بن حماد ثنا ابو معاوية عن الأعمش عن ابى سفيان عن انس بن مالك قال كان رسول الله

ﷺ يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء (واتقوا فتنة) اختبارا وبلاء (لا تصيبن) قوله لا تصيبن ليس بجزاء محض ولو كان جزاء لم تدخل فيه النون لكنه نفي وفيه طرف من الجزاء كقوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وتقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم فهو كقول القائل انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك فهذا جواب الامر بلفظ النفي معناه ان تنزل لا تطرحك قال المفسرون نزلت هذه الآية في اصحاب رسول الله ﷺ ومعناه ان اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية وما كنا نرى أنا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني (١٩) ما كان يوم الجمل وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب رسول الله ﷺ اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين ان يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم اخبرنا محمد بن عبد الله بن ابي توبة انا ابو طاهر الحارثي انا محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله ابن المبارك عن سيف بن سليمان قال سمعت عدي بن عدي الكندي يقول حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة وقال بن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به * فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة الى من لم يذنب * قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية اولانه تعالى علم ذلك على أنواع من انواع المصلحة والله أعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا ان الله شديد العقاب) فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها * وقوله عز وجل (واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الارض) لما امر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين إذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في ارض مكة في ابتداء الاسلام (تخافون ان يتخطفكم الناس) يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب ابن منبه يعني فارس الروم (فاواكم) يعني إلى المدينة (وايدكم بنصره) يعني وقواكم بعضهم بعضا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد اسمعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به قوله لا تصيبن (الذين ظلموا منكم خاصة) يعني العذاب (واعلموا أن الله شديد العقاب) قوله تعالى (واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الارض) يقول اذكروا يا معاشر المهاجرين إذ انتم قليل في العدد مستضعفون في ارض مكة في ابتداء الاسلام (تخافون ان يتخطفكم الناس) يذهب بكم الناس يعني كفار العرب وقال عكرمة كفار مكة وقال وهب فارس الروم (فاواكم) إلى المدينة (وايدكم بنصره) اي قواكم يوم بدر بالانصار وقال الكلبي قواكم يوم بدر

العاصي * قوله سبحانه وتعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحذروا فتنة نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل إلى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى أنا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال السدي ومجاهد والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب محمد رسول الله ﷺ أصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم ويعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره بن الاثير في جامع الاصول عن عدي بن عميرة الكندي أن النبي ﷺ قال اذا عمت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها أخرجه أبو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا إلا اصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا أخرجه أبو داود وقال بن زيد أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به * فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة الى من لم يذنب * قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية اولانه تعالى علم ذلك على أنواع من انواع المصلحة والله أعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا ان الله شديد العقاب) فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها * وقوله عز وجل (واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الارض) لما امر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين إذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في ارض مكة في ابتداء الاسلام (تخافون ان يتخطفكم الناس) يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب ابن منبه يعني فارس الروم (فاواكم) يعني إلى المدينة (وايدكم بنصره) يعني وقواكم

بالملائكة (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم التي أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم (لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) قال السدي كانوا يسمعون الشيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الزهري والكلبي نزلت الآية في أبي لبابة هرون بن المنذر الأنصاري من بني عوف وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك إلا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لأن ماله وولده وعياله كانت عندهم (٢٠) فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا أبا لبابة ماترى أننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده على حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة والله مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا ابرح ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال مالو جاءني لاستغفرت له فاما إذا فعل مافعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاء فحله بيده ثم قال أبو لبابة إن من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي فقال النبي ﷺ يجزيك الثلث ان تصدق به فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من النبي ﷺ فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبي ﷺ فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي ﷺ لاصحابه ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من المنافقين اليه أن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا اماناتكم) ومعنى لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم (وانتم تعلمون) يعني انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة إلى الخلق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم إذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله امانة فادوا إلى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه امانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ادالامانة الى من ائتمنك ولا تخن

بالأنصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله سبحانه وتعالى (يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول) قال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم بني النضير على ان يسيروا إلى إخوانهم إلى اذرعات واريحاء من ارض الشام فابى رسول الله ﷺ ان يعطيهم ذلك إلا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله ﷺ فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ماترى انتنزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده إلى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة مازالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له اما إذا فعل مافعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاء فحله بيده ثم قال ابو لبابة إن من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال النبي ﷺ يجزيك الثلث ان تصدق به فنزل فيه يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من النبي ﷺ فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الاية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبي ﷺ فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي ﷺ لاصحابه ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من المنافقين اليه أن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا اماناتكم) ومعنى لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم (وانتم تعلمون) يعني انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة إلى الخلق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الاية لا تخونوا الله والرسول فانكم إذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله امانة فادوا إلى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه امانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ادالامانة الى من ائتمنك ولا تخن

من

فيه لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا اماناتكم) اي ولا تخونوا اماناتكم (وانتم تعلمون) انها امانة وقيل وانتم تعلمون ما فعلتم من الاشارة إلى الحق خيانة قال السدي إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم وقال ابن عباس لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن اعين الناس من فرائض الله والاعمال التي ائتمن العباد عليها قال قتادة اعلموا أن دين الله امانة فأدوا إلى الله عز وجل ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها

(واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة) قيل هذا ايضا في أبي لبابة وذلك أن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة فقال ماقال خوفا عليهم وقيل هذا في جميع الناس أنا أحمد بن عبدالله الصالحي املاء وأبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي قالا حدثنا أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الاسفرايني أنا محمد بن محمد بن رزمويه حدثنا يحيى بن محمد بن غالب حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا عبدالله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ أتي بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وأنهم لمن ريحان الله عز وجل (وان الله عنده أجر عظيم) لمن نصح الله ورسوله وادى أمانته قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بطاعته وترك معصيته (يجعل لكم فرقانا) قال مجاهد مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل بن حيان مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين ما (٢١) تخافون وقال الضحاك بيانا

من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن * وقوله عز وجل (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) قيل هذا نزل في أبي لبابة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ماقال خوفا عليهم وقيل إنه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الاقدام على الخيانة في الأمانة هو حب المال والولد نبه الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة على أنه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوي بسنده عن عائشة أن النبي ﷺ اتي بصبي فقبله وقال اما أنهم مبخلة مجبنة وأنهم لمن ريحان الله اخرج الترمذي عن عمر بن عبدالعزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج النبي ﷺ ذات يوم وهو محتضن احد ابني ابنته وهو يقول أنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وأنكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة قوله لمن ريحان الله أي لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق * وقوله تعالى (وان الله عنده اجر عظيم) يعني لمن ادى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد * وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله) يعني طاعته وترك معاصيه (يجعل لكم فرقانا) يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشيئين لكنه أبلغ من أصله لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل بظهور الله به حقكم ويطفىء باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بأن يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه (ويكفر عنكم سيئاتكم) يعني ويمح عليكم ماسلف من ذنوبكم (ويغفر لكم) يعني ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الاخرة (والله ذو الفضل العظيم) لأنه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه إذا وعد بشيء وفى به قيل أنه يتفضل على الطاعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه أن بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره * قوله سبحانه وتعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا) لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا إذ انتم قليل ذكر نبيه ﷺ نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة والمعنى واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ماذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا أن قريشا فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة

وقال ابن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من خالفكم والفرقان مصدر كالرجحان والنقصان (ويكفر عنكم سيئاتكم) يمح عنكم ماسلف من ذنوبكم (ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) قوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا) هذه الاية معطوفة على قوله واذكروا إذ أنتم قليل واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا وإذ قالوا اللهم لأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وكان هذا المكر على ماذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير ان قريشا فرقوا لما اسلمت الأنصار ان يتفاقم أمر رسول الله ﷺ فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ وكانت رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان وطعيمة

ابن عدي شيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية ابن خلف فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من أنت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء. قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم والله لئن حبستموه في بيت فخرج إمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي اما أنا فأرى ان تحملوه

على بعير وتخرجوه من أظهركم فلا يضركم ماصنع ولا أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال إبليس لعنه الله ماهذا لكم برأى تعتمدون عليه تعتمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقه وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن ويستميل قلوب قوم ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم قالوا صدق الشيخ النجدى فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأى ماأرى غيره إنى أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فتيا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يضربوه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه (٢٢) تفترق دمه فى القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقومون على حرب قريش كلها وبأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدى قريش ديته فقال ابليس صدق هذا الفتى وهو اجودكم رايا القول ماقال لارى رايا غيره فتفرقوا على قول ابى جهل وهم مجمعون له فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك وامره ان لايبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه فاذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب ان ينام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى هذه فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج النبى ﷺ فاخذ قبضة من تراب فاخذ الله ابصارهم عنه فجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرا إنا جعلنا فى اعناقهم اغلالا إلى قوله فهم لايبصرون ومضى إلى الغار من ثورهو وابوبكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده وكانت الودائع تودع عنه ﷺ لصدقه وامانته وبات المشركون يحرسون عليا فى فراش فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبى ﷺ فلما اصبحوا ثاروا اليه فراوا عليا رضى الله عنه فقالوا اين صاحبك قال لادرى فاقتصوا اثره وارسلوا فى طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة فذلك قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا (ليثبتوك) ليحبسوك ويسجنوك ويوثقوك

ليتشاوروا فى أمر النبى ﷺ وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوجهل وأبو سفيان وطعيمة ابن عدى والنضر بن الحرث وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف فاعترضهم إبليس فى صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البخترى أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا وتحبسوه فى بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء. فصرخ عدو الله إبليس وهو الشيخ النجدى وقال بئس الرأى رأيتم لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقام هشام بن عمرو من بنى عامر بن لؤى فقال اما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ماصنع واين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال إبليس اللعين ماهذا لكم برأى تعتمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأى مارأى غيره إنى أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فتيا ثم نعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها وأنهم إذا أرادوا ذلك قالوا العقل فنؤدى قريش ديته فقال إبليس اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا والقول ماقال لا أرى غيره فتفرقوا على قول أبى جهل وهم مجتمعون عليه فاتى جبريل ﷺ النبى ﷺ فاخبره بذلك وأمره أن لايبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج إلى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يبيت فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله ﷺ فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله عزوجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا إلى قوله فهم لايبصرون ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ساروا اليه ليقتلوه فراوه عليا فقالوا له اين صاحبك قال لادرى فاقتفوا اثره وارسلوا فى طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه اثر فمكث فى الغار ثلاثا ثم خرج إلى المدينة فذلك قوله سبحانه وتعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر احتيال فى خفية (ليثبتوك) اى ليحبسوك ويوثقوك لأن كل من شد شيئا واوثقه

(أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله) قال الضحاك يصنعون ويصنع الله والمكر التدبير وهو من الله التدبير بالحق وقيل يجازيهم جزاء المكر (والله خير الماكرين وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا) يعني النضر بن الحارث (قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) وذلك انه كان يختلف تاجرا إلى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم واسفنديار وأحاديث العجم ويمر باليهود والنصارى فيراهم يركعون ويسجدون ويقرؤن التوراة والانجيل فجاء إلى مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن فقال النضر سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا (إن هذا إلا أساطير الاولين) اخبار الأمم الماضية واسماؤهم ومأسطر الأولون في كتبهم والأساطير (٢٣) جمع أسطورة وهي المكتوبة من

فقد أثبته لأنه لا يقدر على الحركة (أو يقتلوك) يعني كما أشار عليهم أبو جهل (أو يخرجوك) يعني من مكة (ويمكرون) يعني ويحتالون ويدبرون في امرك (ويمكر الله) يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله تعالى التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في إبطال أمر محمد ﷺ والله سبحانه وتعالى أظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره (والله خير الماكرين) * فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم * قلت يحتمل أن يكون المراد والله أقوى الماكرين فوضع خير موضع أقوى وفيه تنبيه على أن كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد أن مكرهم فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى في مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل إن فعل الله خير مطلقا * قوله عز وجل (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك أنه كان يختلف إلى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رستم واسفنديار وأحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويكون فلما جاء مكة وجد النبي ﷺ قد أوحي إليه وهو يقرأ أو يصلي فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وابان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (إن هذا إلا أساطير الأولين) يعني اخبار الماضين * قوله سبحانه وتعالى (وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) نزلت في النضر بن الحرث ايضا قال ابن عباس لما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا ﷺ يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فان محمدا ﷺ يقول لا إله الا الله قال وأنا أقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الأصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد ﷺ وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد ﷺ من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعني كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم يعني مثل ما عذبت به الأمم الماضية وفي النضر بن الحارث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية لحاق به ماسأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدي وعقبة ابن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما أخرجوه نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام * قوله عز وجل (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اختلفوا في

قولهم سطرت أي كتبت قوله تعالى (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الاية نزلت في النضر ابن الحارث من بني عبد الدار قال ابن عباس لما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النضر لو شئت لقلت مثل هذا إن هذا إلا اساطير الأولين أي ماهذا إلا ماسطره الأولون في كتبهم فقال له عثمان بن مظعون رضي الله عنه اتق الله فان محمدا يقول الحق قال فانا اقول الحق قال عثمان فان محمدا يقول لا إله إلا الله قال وأنا أقول لا إله إلا الله ولكن هذه بنات الله يعني الأصنام ثم قال اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك والحق نصب بخبر كان وهو عماد وأصله (فأمطر علينا حجارة من السماء) كما امطرتها على قوم لوط (وائتنا بعذاب أليم) أي ببعض ماعذبت به الأمم وفيه نزل سأل سائل بعذاب واقع وقال عطاء لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة اية لحاق به ماسال من العذاب يوم بدر

قال سعيد بن جبير قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة صبرا من قريش طعيمة بن عدي وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وروى أنس رضي الله عنه ان الذي قاله أبو جهل لعنه الله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن النضر ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا شعبة عن عبد الحميد صاحب الزيادي سمع أنس بن مالك قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اختلفوا في معنى هذه الاية فقال محمد بن إسحق

هذا حكاية عن المشركين انهم قالوها وهي متصلة بالاية الأولى وذلك أنهم كانوا يقولون إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ولا يعذب أمة ونبيها فيها فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الاية وقالوا وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال ردا عليهم وما لهم أن لا يعذبهم الله وإن كنت بين اظهرهم وإن كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال الاخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه وما كان الله ليعذبهم واختلفوا في تأويلها فقال الضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه الاية على (٢٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم خرج من بين اظهرهم وبقيت بها بقية من المسلمين يستغفرون فأنزل الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فخرج أولئك من بينهم فعذبوا وأذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم الله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا ويلحق بحيث أمر فقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله فعذبهم الله يوم بدر وقال أبو موسى الأشعري كان فيكم أمانان وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع إلى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد الطواف غفرانك غفرانك وقال يزيد بن رومان قالت قريش إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فلما أسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو أنهم أقروا بالذنب واستغفروا لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء إلى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لغيره لا أعاقبك وأنت تطيعني أي أطعني حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسلمون يقول لو أسلموا لما عذبوا وروى الوالبي عن ابن عباس وفيهم من سبق له من الله أن يسلم ويؤمن ويستغفر وذلك مثل أبي سفيان وصفوان بن أمية وعكرمة ابن ابي جهل وسهل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وروى عبد الوهاب عن مجاهد وهم يستغفرون أي وفي أصلابهم من يستغفر

معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحق هذه الاية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمة ونبيها منها فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ يذكره جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى ردا عليهم وما لهم ألا يعذبهم الله وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه وقال الضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الاية على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقية من المسلمين يستغفرون فأنزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين اظهر الكافرين اذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث امر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم وما لهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع إلى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما اسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدي معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي ولو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم إلى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك لو أنت تطيعني أي اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسلمون يعني لو أسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية بأنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر وقيل في معنى الاية ان الكفار لما بالغوا وقالوا إن كان محمد محقا في قوله فامطر علينا حجارة من السماء أخبر الله سبحانه وتعالى ان محمدا محق في قوله وانه مع ذلك لا يمطر على أعدائه ومنكري نبوته حجارة من السماء مادام بين اظهرهم وذلك تعظيما له ﷺ وأورد على هذا انه إذا كانت إقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالمراد أن الجواب من العذاب الأول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى

قوله تعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله) أى وما يمنعهم من أن يعذبوا يريد بعد خروجك من بينهم (وهم يصدون عن المسجد الحرام) أى يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت وقيل أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال وأراد بقوله وما لهم أن يعذبهم الله أى بالسيف وقيل أراد بالأول عذاب الدنيا وبهذه الاية عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الأولى وهى قوله وما كان الله (٣٥) ليعذبهم منسوخة بقوله تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله (وما كانوا أولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه أى أولياء البيت (إن أولياؤه) أى ليس أولياء البيت (إلا المتقون) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم لا يعلمون) قوله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال ابن عباس والحسن المكاء الصفير وهى فى اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير كانه قال الاصوات مكاء والتصدية التصفيق قال ابن عباس كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون قال مجاهد كل نفر من بنى عبد الدار يعارضون النبى ﷺ فى الطواف ويستهزؤن به ويدخلون أصابعهم فى أفواههم ويصفرون فذلك المكاء والتصدية التصفيق ومنه الصدى والمكاء جعل الاصابع فى الشدق والتصدية الصفر ومنه الصدأ الذى يسمعه المصوت فى الجبل قال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن

وتعالى يعذبهم الله بأيديكم هو عذاب القتل والسبى والأسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعانى دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله ﷺ ان الله انزل على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة اخرجه الترمذى * وقوله سبحانه وتعالى (ومالهم إلا يعذبهم الله) يعنى أى شىء يمنعهم من أن يعذبهم يعنى بعد خروجك من بين اظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين فى الاية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين اظهرهم وبين فى هذه الاية انه معذبهم ثم اختلفوا فى هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال واراد بالعذاب الثانى العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الاخرة وقال الحسن الاية الأولى وهو قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله ومالهم الا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى (وهم يصدون عن المسجد الحرام) يعنى وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله ﷺ واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعنى ليسوا أولياء المسجد الحرام (إن أولياؤه إلا المتقون) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم) يعنى المشركين (لا يعلمون) * قوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا باولياء البيت الحرام ذكر عقبة السبب فى ذلك وهو أن صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء فى اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو إذا صفر والمكاء اسم طير أبيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طائر يألف الريف سمى بذلك لكثرة مكائه يعنى صفيره والتصدية التصفيق وفى أصله واشتقاقه قولان أحدهما أنه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع إلى شىء الثانى قال ابو عبيدة أصله تصددة فابدلت الياء من الدال قال الازهرى والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التى أمروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت * صلاتهم التصدير والمكاء * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بنى عبد الدار يعارضون النبى ﷺ فى الطواف ويستهزؤون به ويدخلون أصابعهم فى أفواههم ويصفرون فالمكاء جعل الاصابع فى الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله إلا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبى ﷺ إذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبى ﷺ صلاته وهم من بنى عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبى ﷺ وقول ابن عباس أصح لأن الله سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة * فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة * قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع

(٤ - خازن - ك) قوله عز وجل إلا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا قال مقاتل كان النبى ﷺ إذا صلى فى المسجد قام رجلان عن يمينه فيصفران ورجلان عن شماله فيصفقان ليخلطوا على النبى ﷺ صلاته وهم من بنى عبد الدار قال سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد وعن الدين والصلاة وهى على هذا التأويل التصددة بدالين فقلبت إحدى الدالين ياء كما يقال تظنيت من الظن وتقضى البازى اذا البازى كسراى تقضض البازى قال ابن الانبارى إنما سماه صلاة لانهم امروا بالصلاة فى المسجد

الحرام لجعلوا ذلك صلاتهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قوله تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) اى ليصرفوا عن دين الله قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري (٣٦) ابن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال الحكم بن عيينة نزلت في ابي سفيان انفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية قال الله تعالى (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) يريد ما انفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الاخرة (ثم يغلبون) ولا يظفرون (والذين كفروا) منهم (إلى جهنم يحشرون) خص الكفار لان منهم من أسلم (ليميز الله الخبيث) في سبيل الشيطان (من الطيب) يعني الكافر من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران وقال الكلبي العمل الخبيث من العمل الصالح الطيب فيثبت على الأعمال الخبيث النار وقيل يعني الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الانفاق الطيب في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) أي فوق بعض (فيركمه جميعا) أي يجمعه ومنه السحاب المركوم وهو المجتمع الكثيف (فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) رده إلى قوله إن الذين كفروا ينفقون اموالهم

وقوله سبحانه وتعالى (فذوقوا العذاب) يعني عذاب القتل والأسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) يعني بسبب كفركم في الدنيا * قوله سبحانه وتعالى (إن الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر ابن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر وأسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين أوقية كل اوقية اثنان واربعون مثقالا وقال ابن ابزى استأجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم احد الفين من الأحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما أصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره إلى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب اباؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ففيهم نزلت إن الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اى ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليتقووا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسينفقونها) يعني أموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) يعني ما انفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لأن أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون (والذين كفروا) يعني منهم لان فيهم من اسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم (إلى جهنم يحشرون) يعني يساقون إلى النار (ليميز الله الخبيث من الطيب) يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيتجازى على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به إنفاق الكفار في سبيل الشيطان وإنفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعني بعضه فوق بعض (فيركمه جميعا) يعني فيجمعه جميعا ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكم (فيجعله في جهنم) يعني الخبيث (أولئك) إشارة إلى المنفقين في سبيل الشيطان أو إلى الخبيث (هم الخاسرون) يعني أنهم خسروا الدنيا والاخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الاخرة * قوله سبحانه وتعالى (قل) يعني قل يا محمد (للذين كفروا إن ينتهوا) يعني عن الشرك (يغفر لهم ما قد سلف) يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام (وإن يعودوا فقد مضت سنة الاولين) يعني في إهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الاية أن هؤلاء الكفار إن انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وإن عادوا إلى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الأولين باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على أن الاسلام يجب ما قبله وإذا أسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة إسلامهم كيوم ولدته أمه يعني بذلك أنه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ

الرازى

أولئك هم الخاسرون الذين خسرت تجارتهم لأنهم اشتروا باموالهم عذاب الاخرة (قل للذين كفروا إن ينتهوا) عن الشرك (يغفر لهم ما قد سلف) أي ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام (وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) في نصر الله أنبيائه وأوليائه واهلاك أعدائه قال يحيى بن معاذ الرازى توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب

الرازى التوحيد لم يعجز عن هدم ماقبله من كفر فأرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) قال ابن عباس حتى لايكون شرك وقال الحسن حتى لايكون بلاء (ويكون الدين كله لله) يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة يقال لا إله إلا الله عليها قاتل نبى الله صلى الله عليه وسلم وإليها عاد وقال محمد بن اسحق فى قوله وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله يعنى لايفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الأنداد والشركاء (فان انتهوا) يفنى عن الشرك وافتان المؤمنين وإيذائهم (فان الله بما يعملون بصير) يعنى فان الله لايخفى عليه شىء من اعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم (وإن تولوا) يعنى وان اعرضوا عن الايمان واصروا على الكفر وعادوا إلى قتال المؤمنين وايذائهم (فاعلموا) يعنى ايها المؤمنون (ان الله مولاكم) يعنى ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم (نعم المولى ونعم النصير) يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان فى حفظه ونصره كفايته وكلاءته فهو له نعم المولى ونعم النصير، قوله عز وجل (واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه والرسول) الغنم الفوز بالشىء يقال عطاء بن السائب الغنيمة ماظهر العلماء هل الغنيمة والفىء اسمان لمسمى واحد أم يختلفان فى القسمة فقال عطاء بن السائب الغنيمة ماظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة واما الارض فهى فىء وقال سفيان الثورى الغنيمة ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس واربعة اخماسه لمن شهد الوقعة ومنى ماصولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما اخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفىء مالم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل أن الفىء والغنيمة بمعنى واحد وهما اسمان لشىء واحد والصحيح انهما يختلفان فالفىء ما أخذ من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب والغنيمة ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الاية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شىء يعنى من أى شىء كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول وقد ذكر اكثر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهما منه لله منفردا لان الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعى قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد الغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقى لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل فيصرف إلى الكعبة والقول الاول اصح اى ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له فى حياته واليوم هو لصالح المسلمين ومافيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعى واحمد وروى الأعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود فى الخمس فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين فى الاية وهم ذو والقربى واليتامى والمساكين وابن السبيل * وقوله سبحانه وتعالى (ولذى القربى) يعنى ان سهما من خمس الخمس لذوى القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لاتحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلى بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعى رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل منه شىء وان كانوا إخوة ويدل عليه ماروى عن جبير بن مطعم قال جئت انا وعثمان بن عفان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد وفى رواية اعطيت بنى المطلب من خمس خمس وتركتنا وفى رواية قال جبير ولم يقسم النبى صلى الله عليه وسلم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل شيئا أخرجه البخارى وفى رواية ابى داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان

خالصا لله لاشرك فيه (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) قرأ يعقوب تعلون بالتاء وقرأ الاخرون بالياء (وإن تولوا) عن الايمان وعادوا إلى قتال أهله (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم ومعينكم (نعم المولى ونعم النصير) أى الناصر قوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه) الاية الغنيمة والفىء اسمان لما يصيبه المسلمون من اموال الكفار فذهب جماعة إلى انهما واحد وذهب قوم انهما يختلفان فالغنيمة ما أصابه المسلمون منهم عنوة بقتال والفىء ما كان عن صلح بغير قتال فذكر الله عز وجل فى هذه الاية حكم الغنيمة فقال فان لله خمسه وللرسول فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه وليس المراد منه ان سهما من الغنيمة لله منفردا فان الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل وهو قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم والشعبى قالوا سهم الله سهم الرسول واحد والغنيمة تقسم خمسة

أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل (للرسول ولذى القربى

واليتامى والمساكين وابن السبيل) قال بعضهم يقسم الخمس على ستة أسهم وهو قول ابي العالية سهم لله فيصرف إلى الكعبة الاول اصح ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم كان لرسول الله ﷺ في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهو قول الشافعي رحمه الله وروى الاعمش عن إبراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة بعده وقال بعضهم سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس والخمس لأربعة أصناف قوله ولذا القربى اراد ان سهماً من الخمس لذوي القربى وهم اقارب النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وإن كانوا اخوة والدليل عليه ما اخبرناه عبد الوهاب محمد الخطيب انا عبد العزيز احمد الخلال ثنا ابو العباس الاصم انبانا الربيع انبانا الشافعي أنبأنا الثقة عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن جبير بن مطعم عن ابيه قال قسم رسول الله ﷺ ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب ولم يعط منه احداً من بني عبد شمس ولا بني (٣٨) نوفل شيئاً واخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا مطرف بن مازن عن معمر ابن راشد عن ابن شهاب اخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب اتيته انا وعثمان بن عفان فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم فما بال اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا او منعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله ﷺ انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت وهو قول مالك والشافعي وذهب أصحاب الرأي إلى انه غير ثابت وقالوا سهم رسول الله نحوه ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل وقال بعضهم يعطى للفقراء منهم دون الأغنياء والكتاب والسنة يدلان على ثبوته والخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يعطونه ولا يفضل فقير على غني لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله فالحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير انه يعطى القريب والبعيد وقال يفضل الذكر على الانثى فيعطى الرجل سهمين والانثى سهماً واحداً قوله واليتامى وهو جمع اليتيم واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا أب له إذا كان فقيراً والمساكين هم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة للفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد لما اخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبد الله بن يوسف أنا سعيد بن الاعرابي ثنا سعدان بن نصر ثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهماً له وسهمين لفرسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثوري

يكلمان رسول الله ﷺ فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله ﷺ انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر رفع رسول ﷺ سهم ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي ﷺ فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركينا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وإنما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم إلى انه ثابت فيعطى فقراؤهم واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب ابو حنيفة واصحاب الرأي إلى انه غير ثابت قالوا سهم النبي ﷺ وذوي القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف إلى فقراء ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضلون فقيراً على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير انهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما ، قوله سبحانه وتعالى (واليتامى) جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه (والمساكين) وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين (وابن السبيل) وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهماً واحداً لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين وللرجل سهماً وفي رواية

والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وقال ابو حنيفة رضي الله عنه للفارس سهمان وللراجل سهم واحد ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية لا يفرق بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا في القتال يستحق سلبه من راس الغنيمة لما روى عن ابي قتادة ان النبي ﷺ قال يوم حنين من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح وفرسه الذي هو راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم الحرب يخصه به من بين سائر الجيش ويجعله اسوة الجماعة في سائر الغنيمة اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ كان ينفل من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش وروى عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت النبي ﷺ نفل الربع في البداة والثلث في الرجعة واختلفوا في ان النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس منهم النبي ﷺ وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي ﷺ مالي مما افاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد إفراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد واسحق وذهب بعضهم إلى ان النفل من راس الغنيمة قبل الخمس كالسلب للقاتل واما الفيء وهو ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدون ومال الجزية وما يؤخذ من اموالهم إذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت واحد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فيء ومال الفيء كان خالصا لرسول الله ﷺ في حياته قال عمر رضي الله عنه إن الله قد خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه احدا غيره ثم قرأ ما افاء الله على رسوله منهم إلى قوله قدير وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ كان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله عز وجل واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما للمقاتلة الذين اثبتت أسامهم في ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبي ﷺ في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدا بالمقاتلة فيعطون منهم كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي إلى انه يخمس خمسه لاهل الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون إلى ان الفيء لا يخمس بل يصرف جميعه واحد لجميع المسلمين فيه حق اخبرنا ابو سعيد عبد الله بن احمد الطاهري انا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انا محمد بن زكريا العذافري انا إسحق الدبري ثنا عبد الرازق ثنا معمر عن الزهري عن مالك بن اوس بن الحدثان انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم إلا له في هذا الفيء حق إلا ما ملكت إيمانكم واخبرنا ابو سعيد الطاهر انبانا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انبانا محمد زكريا العذافري انبانا ابو إسحق الدبري ثنا عبد الرازق انا معمر عن ايوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن اوس بن الحدثان قال

نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود أن رسول الله ﷺ أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند أبي حنيفة يتخير الامام في العقار بين أن يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روى عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه أخرجه الترمذي وأخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام أن ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة في سائر الغنيمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت رسول الله ﷺ نفل الربع في البداة والثلث في الرجعة أخرجه أبو داود واختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله ﷺ وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي ﷺ فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله ﷺ يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال يا أيها الناس أنه لا يحل لي مما افاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد إفراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول أحمد وإسحاق وذهب قوم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل وأما الفيء وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب بأن صالحهم على ما يؤدونه وكذلك الجزية ومال أخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت أحدهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فيء ومال الفيء كان خالصاً لرسول الله ﷺ في مدة حياته وقال عمر إن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه صلى الله عليه

قرأ عمر بن الخطاب إنما الصدقات للفقراء والمساكين حتى بلغ عليم حكيم فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه حتى بلغ وابن السبيل ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء والذين جاؤوا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة فلئن عشت فليأتين الراعي وهو بسر وحمير فنصيبه منها لم يعرق جبينه قوله تعالى (ان كنتم امنتم بالله) قيل اراد اعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول يأمر فيه (٣٠) بما يريد فاقبلوه ان كنتم امنتم بالله (وما انزلنا على عبدنا) اى إن كنتم امنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا يعني قوله يسألونك عن الانفال (يوم الفرقان) يعني يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل وهو (يوم التقى الجمعان) حزب الله وحزب الشيطان وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان (والله على كل شيء قدير) على نصركم مع قلتكم وكثرتهم (إذ انتم) اى إذ انتم نزول يامعشر المسلمين (بالعدوة الدنيا) اى بشفير الوادى الادنى إلى المدينة والدنيا تانيث الادنى (وهم) يعنى عدوكم من المشركين (بالعدوة القصوى) بشفير الوادى الأقصى من المدينة والقصوى تانيث الاقصى قرا ابن كثير واهل البصرة بالعدوة بكسر العين فيهما والباقون بضمهما وهما لغتان كالكسوة والكسوة والرشوة والرشوة (والركب) يعنى العير يريد اباسفيان واصحابه (اسفل منكم) اى فى موضع اسفل منكم إلى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار لمنعوها فالتقوا على غير ميعاد فقال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد وعبرة لقلتكم وكثرة عدوكم (ولكن) الله جمعكم على غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) من نصر أوليائه واعزاز دينه واهلاك أعدائه (ليهلك من هلك عن بينة) أى ليموت من يموت على بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (ويحيى من حى عن بينة) ويعيش من يعيش على بينة لوعده وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من امن على مثل ذلك فالهلاك هو الكفر والحياة هى الايمان وقال قتادة ليضل من ضل عن بينة ويهدى من اهتدى على بينة قرا

وسلم فى هذا الفيء بشيء لم يخص به أحدا غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله ﷺ خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله فى الكراع والسلاح واختلف اهل العلم فى مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ فقال قوم هو للائمة بعده وللامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبتت اسماؤهم فى ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبي ﷺ فى ارهاب العدو والقول الثانى انه لمصالح المسلمين ويبدا بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم من المصالح واختلف اهل العلم فى تخميس الفيء فذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه إلى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا وجميع المسلمين فيه حق * عن مالك ابن انس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق بهذا الفيء منكم وما احدنا احق به من الاخر الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله ﷺ وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته اخرجه ابو داود واخرج البغوى بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له فى هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله سبحانه وتعالى (ان كنتم امنتم بالله) يعنى واعلموا ايها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر فى هذه الاية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم وافنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم امنتم بالله وصدقتم بوحدانيته (وما انزلنا على عبدنا) يعنى وامنتم بالمنزل على عبدنا محمد ﷺ وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي ﷺ والذى انزله على عبده محمد ﷺ يسئلونك عن الانفال الآية (يوم الفرقان) يعنى يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) يعنى جميع المؤمنين وجميع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده النبي ﷺ وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لسبع عشرة أو لسبع عشرة من رمضان وأصحاب النبي ﷺ يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك (والله على كل شيء قدير) يعنى على نصركم أيها المؤمنون مع قلتكم وكثرة أعدائكم * قوله سبحانه وتعالى (إذ أنتم) أى اذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين إذ أنتم (بالعدوة الدنيا) يعنى بشفير الوادى الأدنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الأدنى (وهم) يعنى المشركين (بالعدوة القصوى) يعنى بشفير الوادى الأقصى من المدينة مما يلى مكة والقصوى تأنيث الأقصى (والركب اسفل منكم) يعنى أبا سفيان وأصحابه وهم غير قريش التى خرجوا لأجلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين إلى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر (ولو تواعدتم) يعنى أنتم والمشركون (لاختلفتم فى الميعاد) وذلك لأن المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار لمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم الكفار على القتال لاختلفتم أنتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم (ولكن) يعنى ولكن الله جمعكم على غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه وأعداء دينه (ليهلك من هلك عن بينة) يعنى ليموت من مات عن بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (ويحيى من حى عن بينة) يعنى ويعيش من عاش عن بينة راها

أهل الحجاز وأبو بكر ويعقوب حي بياتين مثل خشى وقرأ الآخرون بياء واحدة مشددة لانه مكتوب بياء واحدة (وإن الله لسميع) لدعائكم (عليم) بنياتكم قوله تعالى (إذ يريكهم الله) يريك يا محمد المشركين (في منامك) اى في (٣١) نومك قال الحسن في منامك أى في عينك لأن العين موضع النوم (قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم (ولتنازعتم) أى اختلفتم (في الأمر) أى في الاحجام والاقدام (ولكن الله سلم) أى سلكم من المخالفة والفشل (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس علم ما في صدوركم من الحب لله عز وجل (وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلا) قال مقاتل وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو وأخبر أصحابه بما رأى فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا (ويقللكم في أعينهم) يا معشر المؤمنين (في أعينهم) قال السدى قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الا أن أذبرز لكم محمدا وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم إنما محمد وأصحابه أكلة جزور فلا تقتلوهم وار بطوهم بالحبال يقوله من القدرة التى فى نفسه قال الكلبى استقل بعضهم بعضا ليجترؤوا على القتال فقلل المشركين في أعين المؤمنين لكى لا يجبنوا وقلل المؤمنين في أعين المشركين لكى لا يهربوا (ليقضي الله أمرا) من اعلاء الاسلام وإعزاز اهله واذلال الشرك واهله (كان مفعولا) كائنا (والى الله ترجع الأمور) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة) اى جماعة كافرة

وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لأن الهلاك هو الكفر والحياة هى الإيمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهدى من اهتدى على بينة (وان الله لسميع عليم) يعنى يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية * قوله عز وجل (إذ يريكهم الله) يعنى واذكر يا محمد نعمة الله عليك إذ يريك المشركين (في منامك) يعنى في نومك (قليلا) قال مجاهد أراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك وكان ذلك تثبيتا وقال محمد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما أرى الله النبي ﷺ كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤيا النبي ﷺ حق فصار ذلك سببا لجراءتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الإرادة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لأنها موضع النوم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) يعنى لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو أراكهم كثيرا فذكرت ذلك لأصحابه لفشلوا وتجنبوا عنهم (ولتنازعتم في الأمر) يعنى اختلفتم في أمر الاقدام عليهم أو الإحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الأمر الاختلاف الذى تكون معه مخاصمة ومجاذبة كل واحد إلى ناحية والمعنى لاضطرب أمركم واختلفت كلمتكم (ولكن الله سلم) يعنى ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل (إنه عليم بذات الصدور) يعنى انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل (وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في اليقظة ما رآه النبي ﷺ في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي ترانا مهم سبعين قال مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا ألفا (ويقللكم في أعينهم) يعنى ويقللكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين قال السدى قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم إنما محمد وأصحابه أكلة جزور يعنى لقلتهم في عينيه ثم قال فلا تقتلوهم وار بطوهم في الحبال يقوله من القدرة التى في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي ﷺ ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جرمتهم عليه ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يهربوا وإذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم * فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل * قلت ذلك ممكن في القدرة الإلهية فان الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة النبي ﷺ والمعجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) يعنى أمر كائنا من إعلاء كلمة الإسلام ونصر اهله وإذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال في الاية المتقدمة ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا وقال في هذه الاية ليقضي الله أمرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار * قلت المقصود من ذكره في الاية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله ﷺ والمقصود من ذكره في هذه الاية لأنه تعالى قال عدد الفريقين في أعين بعضهم بعضا للحكمة التى قضاها فلذلك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا (والى الله ترجع الأمور) يعنى في الاخرة فيجازى كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باساءته أو يغفر * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة) يعنى جماعة كافرة

(فاثبتوا) لقتالهم (واذكروا الله كثيراً) أى ادعوا الله بالنصر والظفر بهم (لعلكم تفلحون) أى كونوا على رجاء الفلاح (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) لا تختلفوا (فتفشلوا) اى تجبنوا وتضعفوا (وتذهب ريحكم) قال مجاهد نصرتكم وقال السدى جراءتكم وجدكم وقال مقاتل بن حيان حدتكم وقال النضر بن شميل (٣٢) قوتكم وقال الأخفش دولتكم والريح هاهنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان إذا اقبل امره على مايريد قال قتادة وابن زيد هو ريح النصر لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي ﷺ نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت مع رسول الله ﷺ فكان اذا لم يقاتل اول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر قوله عز وجل (واصبروا ان الله مع الصابرين) اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا ابو اسحق عن موسى بن عقبة عن سالم ابى النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتبا له قال كتب اليه عبد الله بن ابى اوفى فقرأته ان رسول الله ﷺ فى بعض ايامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا * قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً) يعنى فخراً واشراً وقيل البطر الطغيان فى النعمة وذلك ان النعم إذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها فى المفاخرة على الاقران وكاثرها ابناء الزمان وانفقها فى غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر فى النعمة وإن صرفها فى طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان فى النعمة وترك شكرها (ورئاء الناس) الرياء إظهار الجميل ليراه الناس مع إبطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق إظهار الإيمان مع إبطان الكفر والرياء إظهار الطاعة مع إبطان المعصية (ويصدون عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس عن الدخول فى دين الله نزلت هذه الاية فى كفار قريش حين خرجوا إلى بدر ولهم فخر وبغى فقال رسول الله ﷺ اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به قال ابن عباس إن ابا سفيان لما راى انه قد احرز غيره ارسل إلى قريش انكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان فى بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق فى كل عام فنقيم عليها ثلاثا

(فاثبتوا) يعنى لقتالهم وهو ان يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولى (واذكروا الله كثيراً) يعنى كونوا اذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكراً كثيراً بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المؤمنين واولياءه الصالحين بأن يذكروه فى اشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو قاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى (لعلكم تفلحون) يعنى وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر * فان قلت ظاهر الاية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم أنها ناسخة لاية التحرف والتحيز * قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة فى الجملة واية التحرف والتحيز لا تقدح فى حصول هذا الثبات فى المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل إلا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (واطيعوا الله ورسوله) يعنى فى امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو (ولا تنازعوا فتفشلوا) يعنى ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن * وقوله تعالى (وتذهب ريحكم) يعنى قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهبت ريح أصحاب محمد ﷺ حين نازعوه يوم أحد وقال السدى جراءتكم وجدكم وقال مقاتل حدتكم وقال الأخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان إذا اقبل امره على مايريد وقال قتادة وابن زيد هو ريح النصر ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تعالى تضرب وجوه العدو منه قول النبي ﷺ نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل من اول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه ابو داود * وقوله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعنى عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (إن الله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن ابى اوفى ان رسول الله ﷺ فى بعض ايامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله ﷺ اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا * قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً) يعنى فخراً واشراً وقيل البطر الطغيان فى النعمة وذلك ان النعم إذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها فى المفاخرة على الإقران وكاثرها ابناء الزمان وانفقها فى غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر فى النعمة وإن صرفها فى طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان فى النعمة وترك شكرها (ورئاء الناس) الرياء إظهار الجميل ليراه الناس مع إبطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق إظهار الإيمان مع إبطان الكفر والرياء إظهار الطاعة مع إبطان المعصية (ويصدون عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس عن الدخول فى دين الله نزلت هذه الاية فى كفار قريش حين خرجوا إلى بدر ولهم فخر وبغى فقال رسول الله ﷺ اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به قال ابن عباس إن ابا سفيان لما راى انه قد احرز غيره ارسل إلى قريش انكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان فى بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق فى كل عام فنقيم عليها ثلاثا

الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً) فخراً واشراً (ورئاء الناس) قال الزجاج البطر الطغيان فى النعمة وترك شكرها والرياء اظهار الجميل ليرى وابطان القبيح (ويصدون عن سبيل الله

والله بما يعملون محيط) نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر ولهم بغي وفخر فقال النبي ﷺ اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادلك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فالوا ولما رأى سفيان انه قد أحرز غيره أرسل الى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع (٣٣) بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا

وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فمضوا زاد غيره قال فلما وافوا بدرا سقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أمركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا التماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم ومؤازرة نبيكم ﷺ ولا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره ه وقوله تعالى (والله بما يعملون محيط) فيه وعيد وتهديد يعني أنه تعالى عالم بجميع الأشياء لا يخفى عن علمه شيء لأنه محيط بأعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين ه قوله سبحانه وتعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) يعني اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم إذ زين الشيطان يريد إبليس للمشركين أعمالهم الخبيثة (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) قال بعضهم كان تزيينه وسوسة الناها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور إبليس في صورة سراقة ابن مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما أجمعت على المسير إلى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صور سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال أنا جار لكم من ان يأتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ النبي ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة أتزعم انك جار لنا فقال اني أرى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة (فلما تراءت الفئتان) أي التقى الجمعان رأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم (نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم) يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو آخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه فقال له الحرث افرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله (اني أرى ما لا ترون) قال رأى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي ﷺ وفي يده اللجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابليس اني أرى ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك هي عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه إذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان يأخذ جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه (اني اخاف الله) اعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من امر ربه وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة

فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم باخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ﷺ قوله تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينهم وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم (وقال) لهم (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) أي مجير لكم من كنانة (فلما تراءت الفئتان) أي التقى الجمعان رأى إبليس أثر الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لا طاقة له بهم (نكص على عقبيه) قال الضحاك ولى مدبرا وقال النضر بن شميل رجع القهقرى على قفاه هاربا قال الكلبي لما التقوا كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة آخذ بيد الحارث ابن هشام فنكص على

(٥ - خازن - ك) عقبيه فقال له الحرث افرارا من غير قتال فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا في يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان قال الحسن في قوله (وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون) قال رأى ابليس جبريل متعجرا ببرد يمشي بين يدي النبي ﷺ وفي يده اللجام يقود الفرس ماركب بعد وقال قتادة كان ابليس يقول اني أرى ما لا ترون وصدق وقال (اني اخاف الله) وكذب والله ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة به ولا منعة فاوردهم واسلمهم وذلك عادة عدو الله

من إطاعته إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقال عطاء اني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك وقال الكلبي خاف ان يأخذه جبريل عليه السلام يعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه إني أخاف الله أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره (والله شديد العقاب) وقيل معناه أني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب قيل انقطع الكلام عند قوله أخاف الله ثم يقول الله والله شديد العقاب أخبرنا أبو الحسن الرخي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابراهيم بن أبي علية عن طلحة بن عبد الله بن كريز أن النبي ﷺ قال ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام إلا ما كان من يوم بدر فقيل وما رأى يوم بدر قال (٣٤) أما انه قد رأى جبريل عليه السلام وهو ينزع الملائكة هذا حديث مرسل قوله تعالى (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (غر هؤلاء دينهم) يعني غر المؤمنين دينهم هؤلاء قوم كانوا مستضعفين بمكة وقد اسلموا وحبسهم أقرباؤهم من الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم فقتلوا جميعا منهم قيس بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب وعلي ابن امية بن خلف الجمحي والعاص بن منبه بن الحجاج قال الله تعالى (ومن يتوكل على الله) اي ومن يسلم امره الى الله ويثق به (فان الله عزيز) قوي يفعل بأعدائه مايشاء (حكيم) لا يسوي بين وليه وعدوه (ولو ترى) يا محمد (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون) اي يقبضون ارواحهم اختلفوا فيه قيل هذا عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار بسياط النار وقيل اراد الذين قتلوا من المشركين ببدر كانت الملائكة يضربون (وجوههم وادبارهم) قال سعيد بن جبير ومجاهد يريد استاههم ولكن الله حيي يكني قال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادركتهم الملائكة فضربوا ادبارهم وقال ابن جريج يريد ما اقبل منهم وما ادبر اي يضربون اجسادهم كلها والمراد بالتوفي القتل (وذوقوا عذاب الحريق) اي وتقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق وقيل كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم فذلك قوله تعالى وذوقوا عذاب الحريق وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الحريق وقال ابن عباس رضي الله عنهما يقولون لهم ذلك بعد الموت

(والله شديد العقاب) قيل معناه إني أخاف الله لأنه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول إبليس وقيل تم كلامه عند قوله إني أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كرز ان النبي ﷺ قال ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر فانه قد رأى جبريل ينزع الملائكة أخرجه مالك في الموطأ قوله ولا أدحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الإهانة قوله ينزع الملائكة أي يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم الى بعض والوزاع هو الذي يتقدم ويتأخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا * قلت ان الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلا يلزم من تغير الصور تغير الحقيقة * قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون) يعني من اهل المدينة (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وارتياب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش إلى حرب النبي ﷺ خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غر هؤلاء دينهم) يعني أن هؤلاء نفر قليلون يقاتلون أضعافهم فقد غرهم دينهم الإسلام على ذلك وحملهم على قتال أنفسهم رجاء الثواب في الاخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس ابن الفاكه بن المغيرة بن زمعة بن الأسود بن المطلب وعلي ابن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة اصحاب النبي ﷺ قالوا اغر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى (ومن يتوكل على الله) يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعود على احسانه (فان الله) حافظه وناصره لأنه (عزيز) لا يغلبه شيء (حكيم) فيما قضى وحكم فيتوصل الثواب الى اوليائه والعقاب الى اعدائه * قوله عز وجل (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند الموت لرأيت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت (يضربون وجوههم وادبارهم) اختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولو ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال ابن جريج يريد ما اقبل من اجسادهم وادبر يعني يضربون جميع اجسادهم (وذوقوا عذاب الحريق) يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب

(ذلك) أن ذلك الضرب الذى وقع بكم (بما قدمت أيديكم) أى بما كسبت أيديكم (وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون) كفعل آل فرعون وصنيعهم وعادتهم معناه ان عادة هؤلاء فى كفرهم كعادة آل فرعون قال ابن عباس هو ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبى من الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه فأنزل الله بهم عقوبة كما انزل بال فرعون (والذين من قبلهم) اى (كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) اراد ان الله تعالى لا يغير ما انعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر فاذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم فسلبهم النعمة وقال السدى نعمة الله محمد ﷺ انعم الله به على قريش واهل مكة فكذبوه وكفروا به فنقله الله إلى الانصار (وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون) كصنيع ال فرعون (والذين من قبلهم) من كفار الامم (كذبوا بآيات ربهم) (فاهلكناهم بذنوبهم) اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالريح وبعضهم بالغرق فكذلك اهلكنا كفار بدر بالسيف لما كذبوا بآيات ربهم (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يعنى الأولين والاخرين (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) قال الكلبى ومقاتل يعنى يهود بنى قريظة منهم كعب بن الاشرف واصحابه (الذين عاهدت منهم) يعنى عاهدتهم

الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار فى جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق (ذلك) يعنى الذى نزل بكم من القتل والضرب والحريق (بما قدمت أيديكم) يعنى إنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصى * فان قلت اليد ليست محلا للكفر وإنما محله القلب لان الكفر اعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضى ان فاعل هذا الكفر هى اليد وذلك ممتنع * قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هى المؤثرة فى العمل فاليد كناية عن القدرة * قوله تعالى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) يعنى أنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه إلا بجرم اجترمه لانه لا يظلم أحدا من خلقه وإنما نفى الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصى على عصيانه لانه يتصرف فى ملكه كيف شاء * ومن كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم أنه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فهذا قال الله سبحانه وتعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم فى ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء * قوله تعالى (كدأب آل فرعون) يعنى ان عادة هؤلاء الكفار فى كفرهم كعادة آل فرعون فى كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزى آل فرعون بالاغراق واصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب فى كذا وكذا يداوم عليه ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه ان ال فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبى من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد ﷺ بالصدق كذبوه فأنزل الله بهم عقوبته كما انزل بال فرعون (والذين من قبلهم) يعنى من قبل ال فرعون (كفروا بآيات الله) يعنى ان عادة الامم السالفة هو كفرهم بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) يعنى بسبب كفرهم وذنوبهم (إن الله قوى) يعنى فى اخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله (شديد العقاب) يعنى لمن كفر به وكذب رسله (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعنى الله سبحانه وتعالى انعم على اهل مكة بان اطعمهم من جوع وامنهم من خوف وبعث إليهم محمد ﷺ فقابلوا هذه النعمة بأن تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا ﷺ وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدى نعمة الله هو محمد ﷺ انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله تعالى إلى الأنصار (وأن الله سميع) يعنى لاقوال خلقه لا يخفى عليه شىء من كلامهم (عليم) يعنى بما فى صدورهم من خير وشر فيجازى كل واحد على عمله (كدأب ال فرعون) يعنى أن هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع ال فرعون (والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم) يعنى اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا ال فرعون وكل كانوا ظالمين) يعنى الاولين والاخرين * فان قلت ما الفائدة فى تكرير هذه الاية مرة ثانية * قلت فيها فوائد منها الكلام الثانى يجرى مجرى التفصيل للكلام الاول لان الاية الاولى فيها ذكر أخذهم وفى الاية الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير للاولى الفائدة الثانية انه ذكر فى الاية الاولى انهم كفروا بايات الله وفى الاية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم فى الاية الاولى إشارة إلى انهم انكروا آيات الله وجحدوها وفى الاية الثانية إشارة إلى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفى قوله كذبوا بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب * قوله تعالى (إن شر الدواب عند الله) يعنى فى علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر نزلت فى يهود بنى قريظة وهط كعب بن الاشرف (الذين عاهدت منهم) قيل من صلة يعنى الذين عاهدتهم

عاهدت معهم وقيل أدخل من لان معناه أخذت منهم العهد (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) وهم بنو قريظة نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ومالؤا الكفار على النبي ﷺ يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف إلى مكة فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ (وهم لا يتقون) لا يخافون الله تعالى في نقض العهد (فاما تثقفنهم) تجدنهم (في الحرب) قال مقاتل ان ادركتهم بالحرب وأسرتهم (فشرد بهم من خلفهم) قال ابن عباس فنكل بهم من ورائهم وقال سعيد ابن جبير انذر بهم من خلفهم وأصل التشريد التفريق والتبديد معناه فرق بهم جمع كل ناقض أي افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهدك وجاؤا لحربك فعلا من القتل والتنكيل يفرق منك ويخافك من خلفهم من أهل مكة واليمن (لعلهم يذكرون) يتذكرون ويتعظون ويعتبرون فلا ينقضون العهد (وإما تخافن) اي تعلمن يا محمد (من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بما يظهر لكم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) يقول أعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد ولا تنصب الحرب معهم (إن الله لا يحب الخائنين) اخبرنا محمد بن الحسن المروزي انا ابو سهل محمد بن عمر بن طرفة الجزري انا ابو سليم الخطابي انا ابو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة التمار ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ثنا حفص بن عمر النمري ثنا شعبة عن أبي الفيض عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عنبسة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت النبي ﷺ يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ اليهم عهدهم على سواء فرجع معاوية رضي الله عنه قوله (ولا يحسبن)

وقيل هي للتبعيض لأن المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والأشراف ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) قال المفسرون ان النبي ﷺ كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال النبي ﷺ واصحابه ثم قالوا نسينا واخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالؤا الكفار على النبي ﷺ يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ (وهم لا يتقون) يعني انهم لا يخافون الله في نقض العهد لأن عادة من يرجع إلى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يكن الناس إلى قوله ويتقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فاما تثقفنهم في الحرب) يعني فاما تجدون هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرون بهم في الحرب (فشرد بهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فنكل بهم من ورائهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الاية انك إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من اهل مكة واليمن (لعلهم يذكرون) يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد (واما تخافن) يعني وما تعلمن يا محمد (من قوم) يعني معاهدين (خيانة) يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير (فانبذ) اي فاطرح (اليهم) يعني عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك إياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد ولا تنصب الحرب معهم (إن الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس او برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عنبسة فارسل اليه معاوية فساله فقال سمعت النبي ﷺ يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير وعنده الله أكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة أو فرس واما حكم الاية فقال اهل العلم إذا ظهرت آثار نقض العهد من هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح لهم من غير امر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لأن قريظة كانوا قد عاهدوا النبي ﷺ ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على النبي ﷺ فحصل للنبي ﷺ خوف الغدر به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما إذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام إلى نبذ العهد بل يفعل كما فعل النبي ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله ﷺ فلم يرعهم إلا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة ٥ وقوله تعالى (ولا يحسبن) قرئ بالتاء على الخطاب للنبي ﷺ والمعنى ولا تحسبن

الذين كفروا وأسبقوا) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص يحسبن بالياء وقرأ الاخرون بالتاء سبقوا أى فاتوا انزل فى الذين انهزموا يوم بدر من المشركين فمن قرأ بالياء يقول لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب قرأ ابن عامر (أنهم لا يعجزون) بفتح الألف أى لأنهم لا يعجزون ولا يفوتونى وقرأ الاخرون بكسر الألف على الإبتداء قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخاذ الشىء لوقت الحاجة من قوة أى من الالات التى تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح أخبرنا إسمعيل ابن عبد القاهر أنبأنا عبد الغفار بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان (٣٧) عن مسلم بن الحجاج ثنا هرون بن معروف

يا محمد (الذين كفروا سبقوا) يعنى فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرىء بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعنى خلصوا من القتل والأسر يوم بدر (أنهم لا يعجزون) يعنى أنهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم إما فى الدنيا بالقتل وإما فى الاخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبى ﷺ فيمن فاته من المشركين ولم يتقم منهم فاعلمهم الله أنهم لا يعجزونه قوله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخاذ الشىء لوقت الحاجة إليه وفى المراد بالقوة أقوال أحدها أنها جميع أنواع الأسلحة والالات التى تكون لكم قوة فى الحرب على قتال عدوكم الثانى أنها الحصون والمعاقل الثالث الرمى وقد جاءت مفسرة عن النبى ﷺ فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت النبى ﷺ وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا إن القوة الرمى ثلاثا اخرجه مسلم (خ) عن ابى اسيد قال قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش إذا كثبوكم يعنى غشوكم وفى رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفى رواية إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة بن عامر قال سمعت النبى ﷺ يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو بأسهمه (م) عن فقيم اللخمى قال قلت لعقبة بن عامر نختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لو لا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم اعانه قال قلت وماذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابى نجيح السلمى قال سمعت النبى ﷺ يقول من بلغ بسهم فهو له درجة فى الجنة فبلغت يومئذ عشرة اسهم قال وسمعت النبى ﷺ يقول من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه النسائى والترمذى بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة واخرجه ابو داود ايضا عن عقبه بن عامر بمعناه قال سمعت النبى ﷺ يقول إن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى عمله الخير والرامى به والممد به وفى رواية منبله فارموا واركبوا وإن ترموا احب إلى من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اى نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى مختصرا إلى نبله (خ) عن سلمة بن الاكوع قال مر النبى ﷺ على نفر من اسلم ينتضلون بالقوس فقال النبى ﷺ ارموا بنى اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بنى فلان فامسك احد الفريقين بأيديهم فقال النبى ﷺ مالكم لا ترمون فقالوا كيف نرمى وانت معهم فقال النبى ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقون به فى الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان بها فى الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله ﷺ الا ان القوة الرمى لا ينفى كون غير الرمى من القوة فهو كقوله ﷺ الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفى اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور

ثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى على ثمامة ابن شفى أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا أن القوة الرمى ألا أن القوة الرمى ألا أن القوة الرمى وبهذا الإسناد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا أبو نعيم ثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبى أسيد عن أبيه قال قال النبى ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا إذا اكثبوكم فعليكم بالنبل أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد

ابن سمعان ثنا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الصمد بن الوارث ثنا هشام الدستوائى عن قتادة عن سالم بن ابى الجعد عن معدان بن ابى طلحة عن ابى نجيح السلمى قال حاصرنا مع النبى ﷺ الطائف فسمعت النبى ﷺ يقول من بلغ بسهم فى سبيل الله فهو له درجة فى الجنة قال فبلغت يومئذ ستة عشر سهما وسمعت رسول الله ﷺ يقول من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو الحسين على بن محمد بن بشران انا اسمعيل بن حمد الصفار ثنا احمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرازق انا معمر عن يحيى بن كثير عن زيد بن سلام عن عبد الله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر الجهنى عن النبى ﷺ قال ان الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة صانعه والممد به والرامى به فى سبيل الله وروى عن خالد بن زيد عن عقبة بن عامر عن النبى ﷺ قال أن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر فى الجنة صانعه يحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومنبله وارموا واركبوا وأن ترموا احب إلى من ان تركبوا كل شىء يلهو به الرجل باطل الا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امراته فانه من الحق ومن ترك

الرمى بعدما علمه رغبة عنه فانه نعمة تركها أو قال كفرها قوله (ومن رباط الخيل) يعنى ربطها واقتناؤها للغزو وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل الإناث وروى عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب فى القتال إلا الإناث لقلة صهيلها وعن أبى عبيد قال كان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون ذكور الخيل (٣٨) عند الصفوف وأناث الخيل عند الشتات والغارات أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى

انبانا احمد بن عبد الله النعيمى انبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا عروة البارقى ان النبى ﷺ قال الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم اخبرنا عبد الواحد المليحى انبأنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا على بن حفص ثنا ابن المبارك ثنا طلحة بن ابى اسيد قال سمعت سعيد المقبرى يحدث انه سمع ابا هريرة يقول قال النبى ﷺ من احتبس فرسا فى سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة اخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن احمد انبأنا ابو مصعب عن مالك عن زيد بن اسلم عن ابى صالح عن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال الخيل ثلاثة هى لرجل اجر وهى لرجل ستر وهى لرجل وزر فأما التى هى له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج او روضة فما اصابت فى طيلها ذلك من المرج او الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا او شرفين كانت اثارها وارواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقى به كان ذلك له حسنات فهى منافقون لذلك الرجل اجر واما التى هى له ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله فى ظهورها ولا رقابها فهى له ستر واما التى هى له وزر فرجل ربطها فخرا وريا ونواء لاهل الاسلام فهى ذلك وزر وسئل النبى ﷺ عن الحمر فقال ما أنزل على فيها شىء إلا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ترهبون به) تخيفون به (عدو الله وعدوكم واخرين) اى وترهبون

منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الإسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا الايراد أن المنافقين إذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم وأسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان فى ذلك إرهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبرى قال لأن الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك بأن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بأنهم مشركون ولأنهم حرب للمؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعنى يعلم أحوالهم واما كنههم دونكم ويعضد هذا القول ماروى أن النبى ﷺ قال هم الجن وان الشيطان لا يخبل أحدا فى داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزى وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن * وقوله سبحانه وتعالى (وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله) قيل أراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو أمر عام فى كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره (يوف اليكم) يعنى أجره فى الآخرة ويعجل لكم عوضه فى الدنيا (وأنتم لا تظلمون) يعنى وانتم لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا * قوله تبارك وتعالى (وإن جنحوا السلم فاجنح لها) لما امر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرعب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح إن مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وإن جنحوا للسلم يعنى مالوا إلى السلم يعنى المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها اى مل اليها يعنى إلى المصالحة روى عن الحسن وقتادة ان هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل إنها غير منسوخة لكنها تتضمن الأمر بالصلح إذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راى الامام ان يصالح اعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وإن كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء بالنبى ﷺ فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة * وقوله تعالى (وتوكل على الله) يعنى فوض امرك إلى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك فى جميع احوالك (إنه هو السميع) يعنى لاقوالهم (العليم) يعنى باحوالهم * قوله عز وجل (وإن يريدوا ان يخدعوك) يعنى يغدروا بك قال مجاهد يعنى بنى قريظة والمعنى وان ازادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم (فان حسبك الله) يعنى فان الله كافيك بنصره ومعونته (هو الذى ايدك بنصره) يعنى هو الذى قواك واعانك بنصره يوم بدر وفى سائر ايامك (وبالمؤمنين) يعنى وايدك بالمؤمنين يعنى الانصار * فان قلت إذا كان الله قد ايده بنصره فاى حاجة إلى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين * قلت التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون بأسباب باطنة غير معلومة وبأسباب ظاهرة معلومة فأما الذى يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسائط معلومة واما الذى يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى اقامهم انصاره ثم بين كيف ايده بالمؤمنين فقال تعالى (وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) وذلك ان العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة من ادنى شىء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم لا يكاد يأتلف منهم قبيلان فلما بعث النبى ﷺ فيهم وامنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفى الله واتفقوا على الطاعة وصاروا انصارا لرسول الله ﷺ واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم فى الجاهلية حروب عظيمة ومعادات شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله ﷺ يامعشر الأنصار ألم اجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فالفكم الله بى وعالة فاغناكم الله بى وفى الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وارادوا ذلك لان تلك الالفة والمحبة إنما حصلت بسبب الايمان واتباع النبى صلى الله

آخرين (من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) قال مجاهد ومقاتل وقتادة هم بنو قريظة وقال السدى هم أهل فارس وقال الحسن وابن زيد هم المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله وقيل هم كفار الجن (وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم) يوفر لكم أجره (وأنتم لا تظلمون) لا ينقص أجوركم قوله تعالى (وإن جنحوا للسلم) أى مالوا إلى الصلح (فاجنح لها) أى مل اليها وصالحهم روى عن قتادة والحسن أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وتوكل على الله) ثق بالله (إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك) يغدروا ويمكروا بك قال مجاهد يعنى بنى قريظة (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) أى بالأنصار (وألف بين قلوبهم) أى بين الأوس والخزرج كانت بينهم إحن وترات فى الجاهلية فصيرهم الله إخوانا بعد ان كانوا أعداء (لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم

أنه عزيز حكيم) قوله تعالى (ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر بن الخطاب فتم به الأربعون فنزلت هذه الآية واختلفوا في محل من فقال أكثر المفسرين حله خفض اعطفا على الكاف في قوله حسبك الله وحسب من اتبعك وقال بعضهم هو رفع عطفا على اسم الله معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قوله تعالى (ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي حثهم على القتال (إن يكن منكم عشرون) رجلا (صابرون) محتسبون (يغلبوا مائتين) من عدوهم يقهروهم (وإن يكن منكم مائة) صابرة محتسبة (يغلبوا الفا من الذين كفروا) ذلك (بأنهم قوم لا يفقهون) أي ان المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشية ان يقتلوا وهذا خبر بمعنى الامر وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المؤمنين فخفف الله عنهم فنزل (الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) أي ضعفا في الواحد عن قتال العشرة وفي المائة عن قتال الالف وقرأ ابو جعفر ضعفا بفتح العين والمد على الجمع وقرأ الاخرون بسكون العين (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) من الكفار (وإن يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) فرد من العشرة إلى الاثنين فان كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا وقال سفيان قال ابن شبرمة وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا قرأ أهل الكوفة وان يكن منكم مائة بالياء فيهما وافق أهل البصرة في الاول والباقون بالتاء فيهما وقرأ عاصم وحمزة ضعفا بفتح الضاد ههنا وفي سورة الروم والباقون بضمها وقوله تعالى (ما كان لنبي ان يكون له أسرى) قرأ ابو جعفر واهل البصرة تكون بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابو جعفر أسارى والاخرون اسرى وروى الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى فقال النبي ﷺ ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك

عليه وسلم ثم أنه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (إنه عزيز حكيم) يعني أنه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة إلى المحبة ومن النفرة إلى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب * قوله سبحانه وتعالى (ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر النبي ﷺ وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني إلى غزوة بدر وقيل اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية ياأيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين * قوله عز وجل (ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (إن يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم (يغلبوا مائتين) يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الان خفف الله عنكم لأن النسخ لا يدخل على الاخبار إنما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وإنما حسن هذا التكليف لأن الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء (وإن يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا الفا من الذين كفروا) فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بانهم قوم لا يفقهون) يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب إنما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم (الان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفروا واحد من عشرة لا عشرون من مائتين ثم نزلت الان خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الان خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الان خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم من الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الان خفف الله عنكم أيها المؤمنين وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد من العشرة إلى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز ان يفروا فايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك * قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) روى عن عبد الله

فاستبقهم واستأن بهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر رضى الله عنه يارسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكنى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد بن رواحة يارسول الله انظروا وديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم ثم دخل قال ناس ياخذ بقول أبى بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول (٤١) ابن رواحة ثم خرج رسول الله ﷺ فقال ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشدد قلوب الرجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك ياابابكر مثل إبراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك ياابابكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك ياعمر مثل نوح قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك ياعبد الله بن رواحة مثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله ﷺ انتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أوضرب عنق قال عبد الله ابن مسعود إلا سهيل بن بيضاء. فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتنى فى يوم اخوف من ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله ﷺ ماقال ابو بكر ولم يهو ماقلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله ﷺ وابو بكر قاعدين يبكيان فقلت يارسول الله اخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال النبى ﷺ ابكى للذى عرض على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة قريبة من النبى ﷺ وانزل الله تعالى ماكان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض إلى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم قوله اسرى جمع اسير مثل قتلى وقتيل

ابن مسعود قال لما كان يوم بدر وجىء بالاسرى فقال رسول الله ﷺ ماتقولون فى هؤلاء. فقال أبو بكر يارسول الله قومك واهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يارسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ومكنى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ياخذ بقول ابى بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله ﷺ فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك ياابابكر مثل إبراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك ياابابكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك ياعمر مثل نوح قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا او مثلك ياعبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله ﷺ اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم إلا بفداء او ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود إلا سهيل بن بيضاء. فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله ﷺ وقال فما رايتنى فى يوم اخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ إلا سهيل بن بيضاء. قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله ﷺ ماقال أبو بكر ولم يهو ماقلت واخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يارسول الله اخبرنى من اى شىء تبكى انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ ابكى على أصحابك من اخذهم الفداء. لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبى الله ﷺ فانزل الله عز وجل عليه ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض الاية اخرج هذا الحديث الترمذى مختصرا وقال فى الحديث قصة وهى هذه القصة التى ذكرها البغوى واخرج مسلم فى افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال النبى ﷺ لابى بكر وعمر ماترون فى هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر يارسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم إلى الاسلام فقال النبى ﷺ ماترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يارسول الله ماارى الذى راى ابو بكر ولكنى ارى ان تمكننا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكننى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهوى النبى ﷺ ماقال ابو بكر ولم يهو ماقلت فلما كان من الغد جئت فاذا النبى ﷺ وابو بكر يبكيان فقلت يارسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال النبى ﷺ أبكى على أصحابك من أخذهم الفداء لقد

عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبى الله ﷺ فانزل الله عز وجل ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض إلى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدى فى مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما تفسير الاية فقوله تعالى ما كان لنبى ان يكون له أسرى يعنى ما كان ينبغى ولا يجب لنبى وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبى ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبى ان يحبس كافرا قدر عليه وصار فى يده اسير للفداء والمن والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع (حتى يثخن فى الارض) الاثخان فى كل شىء عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ فى قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله ان يقدم على الاسر فيأسر الاسارى (تريدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبى ﷺ يعنى تريدون ايها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وإنما سمى منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله يريد الاخرة) يعنى انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعنى فى تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله سبحانه وتعالى فى الاسارى فاما منا بعد وإما فداء فجعل الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالخيار إن شاؤا قتلوهم وإن شاؤا استعبدوهم وإن شاؤا افادوهم وإن شاؤا اعتقوهم قال الامام فخر الدين أن هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد وإما فداء يزيل حكم الاية التى نحن فى تفسيرها وليس الامر كذلك لأن كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاهما تدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفداء. قال العلماء كان الفداء لكل اسير اربعين اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الفا وستمائة درهم وقال قتادة كان يومئذ لكل اسير اربعة الاف درهم

(فصل) فاستدل بهذه الاية من يقدح فى عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبى ان يكون له اسرى صريح فى النهى عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى امر النبى ﷺ وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبى ﷺ حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبى ﷺ وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الأول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان فى الارض وقد حصل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان فى الارض قتل جميع الناس فدلت الاية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثانى ان الامر بالقتل إنما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين أن النبى ﷺ لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه وإذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبى ﷺ والجواب عن الوجه الثالث وهو أن النبى ﷺ حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لا نسلم أن أخذ الفداء كان محرما وأما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء إذ لو كان حراما فى علم الله لمنعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبى ﷺ وأبا بكر قعدا يبكيان يحتمل أن يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الأمر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبى ﷺ خوفا وإشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله اعلم * قوله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا إذا أصابوا

(والله يريد الاخرة) يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم دين الله عز وجل (والله عزيز حكيم) وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية اربعون درهما قال ابن عباس رضى الله عنهما كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله فى الاسارى فاما منا بعد وإما فداء فجعل الله عز وجل نبيه ﷺ والمؤمنين فى أمر الاسارى بالخيار إن شاؤا قتلوهم وإن شاؤا اعتقوهم وإن شاؤا استعبدوهم وإن شاؤا فادوهم قوله تعالى (لولا كتاب من الله سبق) قال ابن عباس كانت الغنائم حراما على الانبياء والامم فكانوا إذا أصابوا شيئا من الغنائم جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المؤمنون فى الغنائم واخذوا الفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعنى لولا قضاء من الله سبق فى اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم وقال الحسن ومجاهد وسعيد ابن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع النبى ﷺ وقال ابن جرير لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون الاية وأنه لا يأخذ قوما فعلوا أشياء بجهالة (لمسكم) لنالكم وأصابكم (فيما أخذتم) من الفداء قيل أن تؤمروا به (عذاب عظيم) معنا

قال ابن إسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر إلا حب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله ﷺ بقتل الأسرى وسعد بن معاذ قال يارسول الله كان الاثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء مانجا منهم غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ فقال الله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم) روى انه لما نزلت الآيه الأولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزل فكلوا (٤٣) مما غنتم الاية وروينا عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال احلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى انا ابو طاهر الزيادى انا محمد ابن الحسين القطان ثنا احمد ابن يوسف السلمى ثنا عبد الرازق انبأنا معمر عن هشام ثنا ابو هريرة قال قال رسول الله ﷺ لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا قوله تعالى (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى) قرأ أبو عمرو وابو جعفر من الاسارى بالألف والباقون بلا ألف نزلت فى العباس بن عبد المطلب وكان أسر يوم بدر وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام اهل بدر وكان يوم بدر نوبته وكان قد خرج بعشرين اوقية من الذهب ليطعم بها الناس فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتلوا وبقيت العشرين أوقية معه فأخذت منه فى الحرب فكلم النبى ﷺ أن يحتسب العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اما شى خرجت به تستعين به علينا فلا اتركه لك وكلف فداء ابنى اخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال نبى الله ﷺ فأين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعنى بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخى قال اخبرنى به ربى قال العباس اشهد انك لصادق وأشهد ان لا اله إلا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد إلا الله وامر ابنى اخيه عقيل ونوفل بن الحرث فأسلما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا ايها النبى قل لمن فى أيديكم (من الأسرى) يعنى الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفداء (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا) يعنى إيمانا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) يعنى من الفداء (ويغفر لكم) يعنى

مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون فى أخذ الغنائم والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعنى لولا قضاء من الله سبق فى اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا مع النبى ﷺ قال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعنى لأصابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل أن تأمروا به عذاب عظيم قال محمد بن إسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدرا إلا وأحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله ﷺ بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يارسول الله كان الاثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء مانجا منه غير عمر وسعد بن معاذ، وقوله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) يعنى قد احلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روى أنه لما نزلت الاية الأولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنتم حلالا طيبا فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الأمة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الأمم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى (ق) عن أبى هريرة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل لنا الغنائم وذلك بأن الله راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا * وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله إن الله غفور رحيم) يعنى وخافوا الله أن تعودوا وإن لم تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل ان تؤمروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل فى قوله واتقوا الله إشارة إلى المستقبل وقوله إن غفور رحيم إشارة إلى الحالة الماضية، قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم) نزلت فى العباس بن عبد المطلب عم نبى الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة إلى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعمها إذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسر أخذت منه فكلم نبى الله ﷺ ان يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى نبى الله ﷺ وقال أما شى خرجت به لتستعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابنى أخيه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال نبى الله ﷺ فأين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعنى بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخى قال اخبرنى به ربى قال العباس اشهد انك لصادق وأشهد ان لا اله إلا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد إلا الله وامر ابنى اخيه عقيل ونوفل بن الحرث فأسلما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا ايها النبى قل لمن فى أيديكم (من الأسرى) يعنى الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفداء (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا) يعنى إيمانا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) يعنى من الفداء (ويغفر لكم) يعنى

اخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذى دفعته إلى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم يعنى الاربعة فقال له العباس وما يدريك قال اخبرنى به ربى عز وجل قال العباس اشهد انك صادق وقال لا اله إلا الله وانك عبده ورسوله ولم يطلع عليه احدا الا الله عز وجل فذلك قوله تعالى يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى الذين اخذت منهم الفداء (ان الله يعلم فى قلوبكم خيرا) اى ايمانا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من الفداء (ويغفر لكم) ذنوبكم

(والله غفور رحيم) قال العباس رضى الله عنه فأبدلنى الله عنها عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان عشرين أوقية وأعطانى زمزم وما احب أن لى بها جميع أموال مكة وأنا انتظر المغفرة من ربى عز وجل قوله (وإن يريدوا خيانتك) يعنى الاسارى (فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم) ببدر (والله عليم حكيم) قال ابن جريج أراد بالخيانة الكفر أى إن كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل فامكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم واسروهم وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم قوله تعالى (إن الذين آمنوا وهاجروا) أى هجروا (٤٤) قومهم وديارهم يعنى المهاجرين من مكة (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا) نبى الله ﷺ والمهاجرين معه أى اسكنوهم منازلهم (ونصروا) اى نصروهم على أعدائهم وهم الانصار رضى الله عنهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) دون أقربائهم من الكفار قيل فى العون والنصرة وقال ابن عباس فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوى الارحام وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة وتوارثوا الأرحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله عز وجل وأولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء) يعنى فى الميراث (حتى يهاجروا) قرا حمزة ولايتهم بكسر الواو والباقون بالفتح وهما واحد كالدلالة والدلالة (وإن استنصروكم فى الدين) أى استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا (فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) هم عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) فى العون والنصرة وقال ابن عباس فى الميراث اى يرث المشركون بعضهم من بعض (الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض) قال ابن عباس ألا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به وقال ابن الارض ألا تعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال الا تفعلوه وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المومن تكن فتنة فى الأرض (وفساد كبير) فالفتنة فى الأرض قوة الكفر والفساد الكبير ضعف الاسلام (والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين اووا ونصروا أولئك

ماسلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعنى تأهل طاعته قال العباس فابدلنى الله خيرا مما اخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطانى زمزم وما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى عز وجل قوله تعالى (وإن يريدوا) يعنى الأسارى (خيانتك) يعنى ان يكفروا بك (فقد خانوا الله يعنى فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وإن نقضوا العهد رجعوا إلى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعنى فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبى ﷺ بأنه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده (والله عليم) يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعنى حكم أنه يجازى كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز وجل (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) يعنى إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعنى وهجروا ديارهم وقومهم فى ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعنى وبذلوا أنفسهم فى سبيل الله يعنى فى طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعنى آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله ﷺ وهم الانصار (أولئك) يعنى المهاجرين والانصار (بعضهم أولياء بعض) يعنى فى العون والنصر دون أقربائهم من الكفار وقال ابن عباس فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون أقربائهم وذوى أرحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا الارحام حيثما كانوا فصار وذلك منسوخا بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله قوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعنى آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شىء) يعنى من الميراث (حتى يهاجروا) يعنى إلى المدينة (وإن استنصروكم فى الدين) يعنى استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) يعنى فعليكم نصرهم وإعانتهم (إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعنى فى النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله ﷺ تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعنى فى الميراث وهو أن يرث الكفار بعضهم من بعض (إلا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) قال ابن عباس إلا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به وقال جرير إلا تعاونوا وتناصروا وقال ابن إسحق جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى إلا تفعلوه وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير فالفتنة فى الأرض هى قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك

هم المؤمنون حقاً) يعنى لاشك فى إيمانهم ولاريب لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال فى نصر الدين (لهم مغفرة) يعنى لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى فى الجنة * فان قلت ما معنى هذا التكرار * قلت ليس فيه تكرار لأنه سبحانه وتعالى ذكر فى الاية الأولى حكم ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعض ثم ذكر فى هذه الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان إعادة الشىء مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولا ثم أعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لأنه تعالى ذكر فى هذه الاية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقاً يفيد المبالغة وصفهم بكونهم محقين فى طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التى نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا حقا النوع الثانى قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأى مغفرة لاينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شىء شرف وعظم فى بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم فى الجنة رزقا لاتنحقهم فيه غضاضة ولاتعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولا إلى المدينة وهم المهاجرون الأولون ومنهم من هاجر إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة فهم أصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله فى الاية الأولى أصحاب الهجرة الأولى وذكر فى الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) اختلفوا فى قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من نزول هذه الاية وقيل من بعد غزوة بدر والأصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لأنها بعد الهجرة الأولى لأن الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لأنها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل قوله ﷺ لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بأن المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة إلى المدينة فأما من كان من المؤمنين فى بلد يخاف على إظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر إلى بلد لايخاف على إظهار دينه * قوله تعالى (فأولئك منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الأولين اشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لأن الله سبحانه وتعالى الحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق * وقوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض أى فى الميراث أى فبين بهذه الاية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والإخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث وقوله فى كتاب الله يعنى فى حكم الله وقيل أراد به فى اللوح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهى ان قسمة المواريث مذكورة فى سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الاية فى توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال فى كتاب الله كان معناه فى حكم الله الذى بينه فى سورة النساء فصارت هذه الاية مقيدة بالاحكام التى ذكرها فى سورة النساء من قسمة المواريث وإعطاء أهل الفروض فروضهم وما بقى فللعصبات * قوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شىء عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شىء لاتخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة التوبة)

وهى مدنية باجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين فى آخرها لقد جاءكم رسول من أنفسكم فانهما نزلتا بمكة وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان مئة وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعة وثمانون حرفا ولهذه السورة أسماء عشرة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهى المقشقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق أى تبرىء منه وهى المبعثرة لانها تبعثر عن

الجنة فان قيل أى معنى فى تكرار هذه الاية قيل المهاجرون كانوا على طبقات فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى وهم الذين هاجروا قبل الحديبية وبعضهم اهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة وكان بعضهم ذا هجرتين هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة فالمراد من الاية الأولى الهجرة الأولى ومن الثانية الهجرة الثانية قوله (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) أى معكم يريد أنتم منهم وهم منكم (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) وهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث إلى ذوى الأرحام قوله (فى كتاب الله) أى فى حكم الله عز وجل وقيل أراد بكتاب الله القرآن يعنى القسمة التى بينها فى سورة النساء (ان الله بكل شىء عليم)

(سورة التوبة مدنية)

قال مقاتل هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخر السورة قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة التوبة قال هى الفاضحة مازالت تنزل فيهم حتى ظنوا انها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها قال قلت سورة الأنفال قال تلك سورة بدر قال قلت

محمد بن الحسين الجرجاني أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنبأنا احمد بن علي بن المثنى ثنا عبيد الله القواريري ثنا يزيد بن زريع ثنا عوف ابن ابي جميلة الاعرابي حدثني يزيد الفارسي حدثني ابن عباس رضي الله عنه قال قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ما حملكم على ان عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فقال عثمان ان النبي ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فانزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذه الاية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال مما نزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض النبي ﷺ ولم يبين لنا انها منها ثم قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال قوله تعالى (براءة من الله ورسوله) أي هذه براءة من الله وهي مصدر كالنشاة والدناءة قال المفسرون لما خرج النبي ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين النبي ﷺ فامر الله عزوجل بنقض عهودهم وذلك قوله عزوجل وأما تخافن من قوم خيانة الاية قال الزجاج براءة أي قد برىء الله ورسوله من اعطائهم العقود والوفاء لهم بها إذا نكثوا (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ وإن كان النبي ﷺ هو الذي عاهدهم وعاقدهم لأنه وأصحابه راضون بذلك فكأنهم عاقدوا وعاهدوا

اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس لأنها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لأن فيها خزي المنافقين وهي المدمدمة سميت بذلك لأن فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل الفاضحة ما زالت تقول ومنهم حتى ظنوا ان لا يبقى أحد إلا ذكر فيها قال قلت سورة الأنفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة بني النضير أخرجاه في الصحيحين

(فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة) عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا إذا نزلت عليه الاية يقول ضعوا هذه الاية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت أنها منها وقبض النبي ﷺ ولم يبين لنا انها منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لأبي يعني علي بن أبي طالب لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لأن التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقار المبرد لم تفتتح هذه السورة الشريفة ببسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان النبي ﷺ يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الأنفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الأنفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال وبحوعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة. أما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج النبي ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين النبي ﷺ فامر الله عزوجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى وإما تخافن من قوم خيانة الاية ففعل النبي ﷺ ما أمروا به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج أي قد برىء الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ وان كان النبي ﷺ هو الذي عاهدهم وعاقدهم إلا أنه هو الذي عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكأنهم هم عقدوا وعاهدوا * قوله سبحانه وتعالى

(فسيحوا فى الارض) أى فسيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المشركين وأصل السياحة الضرب فى الأرض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه مضمر أى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الأمر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا فى الأرض وأنتم آمنون من القتل والقتال (أربعة أشهر) يعنى مدة أربعة أشهر واختلف العلماء فى هذا التأجيل وفى هؤلاء الذين برىء الله ورسوله إليهم من العهود التى كانت بينهم وبين النبى ﷺ فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه إلى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده بأربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الايمان وقيل إن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الاسلام أو القتل فيصير هذا داعيا لهم إلى الدخول فى الاسلام ولئلا ينسب المسلمون إلى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الاخر فامامن لم يكن له عهد فانما أجله إنسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما قال الزهرى الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لأن هذه الاية نزلت فى شوال والقول الأول أصوب وعليه الاكثر وقال الكلبى إنما كانت الاربعة أشهر عهدا لمن كان له عهد دون الاربعة أشهر فاتم له الاربعة أشهر فامامن كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم وقيل كان ابتداؤها فى العاشر من ذى القعدة واخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسىء ثم صار فى السنة المقبلة العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله ﷺ وقال ان الزمان قد استدار الحديث قال الحسن أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة اشهر لامن كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دماء جميعهم من اهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت فى اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر فى عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا * كنت لنا أبا وكنا ولدا
ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا * فانصر هداك الله نصرا ابدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * ابيض مثل الشمس يسمو صعدا
ان سيم خسفا وجهه تربدا * ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تنجى احدا * وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت إن لم أنصركم وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له إن المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا احب ان احج حتى لا يكون ذلك فبعث ابا بكر فى تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين اية من سورة براءة ليقرأها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وامره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة إن قد برأت ذمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

(فسيحوا فى الارض) رجع من الخبر إلى الخطاب اى قل لهم سيحوا اى سيروا فى الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المسلمين (أربعة اشهر

من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك معي على الحوض قال بلى يا نبي الله فسار أبو بكر أمير على الحجاج وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن نبيح سألنا عليا بأي شيء بعثت في الحجة قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج النبي ﷺ سنة عشر حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر ان بعثه في الحجة التي أمره رسول الله ﷺ عليها قبل حجة الوداع (ق) عن أبي هريرة ان أبا بكر لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره ان يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا في أهل منى ببراءة ان لا يحج البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية يوم الحج الأكبر يوم النحر والحج الأكبر الحج وإنما قيل الحج الأكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الأصغر قال فبدأ أبو بكر إلى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي ﷺ حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية (فصل) قد يتوهم متوهم أن في بعث علي بن أبي طالب ببراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامارة وتقضيه على أبي بكر وذلك جهل من المتوهم ويدل على ان أبا بكر لم يزل أميرا على الموسم في تلك السنة أول حديث أبي هريرة المتقدم ان أبا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ أبو داود والنسائي قال بعثني أبو بكر فيمن يؤذن في يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني أبو بكر فيمن يؤذن في يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني أبو بكر فيه دليل على ان أبا بكر كان هو الأمير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله ﷺ عليا ليؤذن في الناس ببراءة بان عادة العرب جرت ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه إلا سيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي ﷺ من أبي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي ﷺ ليؤذن عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل إنما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على إمامة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ لان النبي ﷺ بعث أبا بكر أميرا على الحج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبو بكر الامام وعلي المؤتم وكان أبو بكر الخطيب وعلي المسمع وكان أبو بكر المتولي أمر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقديم أبي بكر على علي وفضله عليه والله أعلم وقوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزي الله) يعني ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الارض أربعة أشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما أمهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شيء (وان الله مخزي الكافرين)

فقال جماعة هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين فمن مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر حطه إلى أربعة أشهر ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود حده بأربعة أشهر ثم هو حرب بعد ذلك لله ورسوله فيقتل حيث يدرك ويؤسر إلا ان يتوب وابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من شهر ربيع الاخر فامامن لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وقال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الاية نزلت في شوال والاول هو الاصوب وعليه الاكثرون وقال الكلبي إنما كانت الاربعة الاشهر لمن كان له عهد دون اربعة اشهر فأتم له أربعة اشهر فأما من كان له عهد اكثر من اربعة اشهر فلهذا امر باتمام عهده بقوله تعالى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم قال الحسن امر الله عز وجل ورسوله ﷺ بقتال من قاتله من المشركين فقال قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم امره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل يعني البرء ولا من لم يكن له عهد فكان الاجل لجميعهم أربعة أشهر واحل دماء جميعهم من اهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقيل نزلت هذه قبل تبوك قال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن النبي ﷺ عاهد قريش عام الحديبية على ان يضعوا

الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويدخل خزاعة عهد النبي ﷺ ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها وأعانتهم قريش بالسلاح فلما ظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على النبي ﷺ وقال

لاهم إني ناشد محمداً ... حلف أبينا وأبيه الاتلدا
كنت لنا أبا وكنا ولد ... ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أبدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا ... إن سيم خسفا وجهه تربدا
إن قريش أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالهجير هجداً ... وقتلونا ركعا وسجدا
وزعموا أن لست تنجي أحدا ... وهم أذل وأقل وافل عددا

فقال النبي ﷺ لا نصرت إن لم أنصركم وتجهز إلى مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع أراد النبي ﷺ أن يحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعد ذلك عليا كرم الله وجهه على ناقته العضباء ليقرأها على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله ﷺ من كل مشرك لا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا نبي الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء. قال ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من اهلي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض قال بلى يا نبي الله فسار أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الحاج وعلي رضي الله عنه ليؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب أبو بكر الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم سورة براءة (٤٩) وقال زيد بن يثيع سألنا عليا بأي شيء بعثت في تلك الحجة قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له مدة فأجله أربعة اشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا ثم حج النبي ﷺ سنة عشر حجة الوداع فان قال قائل كيف بعث

يعني بالقتل والعذاب في الآخرة * قوله عز وجل (واذان من الله ورسوله) الاذان في اللغة الأعلام ومنه الآذان للصلاة لأنه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل (إلى الناس يوم الحج الأكبر) اختلفوا في يوم الحج الأكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة وروى ذلك عن علي ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي ابن ابي طالب قال سألت النبي ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذي وقال ويروى موقوفا عليه وهو اصح وعن عمران ان النبي ﷺ وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابوداود ويروى ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الأكبر ايام منى كلها لأن اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم

(٧ - خازن - لث) النبي ﷺ ابا بكر رضي الله عنه ثم عزله وبعث عليا رضي الله عنه قلنا ذكر العلماء ان النبي ﷺ لم يعزل ابا بكر رضي الله عنه وكان اميرا وإنما بعث عليا رضي الله عنه لينادي بهذه الايات وكان السبب فيه ان العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها ان لا يتولى ذلك إلا سيدهم او رجل من رهطه فبعث عليا رضي الله عنه ازاحة للعلة لئلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه فينا في نقض العهد الدليل على ان ابابكر رضي الله عنه كان هو الأمير ما اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحق ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن اخي ابن شهاب عن عمه اخبرني حميد بن عبد الرحمن ابا هريرة قال بعثني ابوبكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر نؤذن بمنى الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال حميد بن عبد الرحمن ثم اردف النبي ﷺ عليا فأمره ان يؤذن ببراءة قال ابوهريرة فاذن معنا على اهل منى يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان (واذان) عطف على قوله براءة اي اعلام ومنه الاذان بالصلاة يقال اذنته فاذن اي اعلمته واصله من الاذن اي اوقعته في اذنه (من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر) اختلفوا في يوم الحج الاكبر روى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد ابن المسيب وقال جماعة هو يوم النحر روى عن يحيى بن الجزار خرج علي رضي الله عنه يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجمرة فجاء رجل واخذ بلجام دابته وسأله عن يوم الحج الأكبر فقال يومك هذا حل سبيلها ويروى ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وهو الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى جرير عن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها مثل صفين ويوم صفين ويوم الجمل ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لأن هذه الحروب دامت اياما كثيرة وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الأكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن

سيرين لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين ولم يجتمع قبله ولا بعده واختلفوا في الحج الأكبر فقال مجاهد الحج الأكبر القرآن والحج الأصغر افراد الحج وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الأكبر الحج والحج الأصغر العمرة قيل لها الأصغر لنقصان أعمالها قوله تعالى (إن الله بريء من المشركين (٥٠) ورسوله) أي ورسوله أيضا بريء من المشركين وقرأ يعقوب بنصب اللام أي ان الله ورسوله بريء (فان تبتم) رجعتم من كفركم واخلصتم التوحيد (فهو خير لكم وان توليتم) اعرضتم عن الايمان فاعلموا انكم غير معجزي الله (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم إلا الذين عاهدتم من المشركين) هذا استثناء من قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم الى الناس من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة أمر الله تعالى رسوله ﷺ باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهذا معنى قوله تعالى (ثم لم ينقصوكم شيئا) من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه (ولم يظاهروا) لم يعاونوا (عليكم احدا) من عدوكم وقرأ عطاء بن يسار لم ينقضوكم بالضاد المعجمة من نقض العهد (فأتموا اليهم عهدهم) فأوفوا لهم بعهدهم (الى مدتهم) الى اجلهم الذي عاهدتموهم عليه (ان الله يحب المتقين) قوله تعالى (فاذا انسلخ) انقضى ومضى (الاشهر الحرم) قيل هي الاشهر الأربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد وابن اسحق هي شهور العهد فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فأجله الى انقضاء المحرم خمسون يوما وقيل لها حرم لأن المشركين الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قيل هذا القدر بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم قيل لما كان هذا القدر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع ومعناه مضت المدة المضروبة التي يكون انسلاخ الاشهر الحرم

صفين ويوم الجمل لأن الحروب دامت في تلك الأيام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الأكبر الذي حج فيه نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين وقال مجاهد الحج الأكبر القرآن لأنه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الأكبر الحج والحج الأصغر العمرة وإنما قيل لها الأصغر لنقصان أعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الأكبر لموافقة حجة رسول الله ﷺ حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسيء وجميع أحكام الجاهلية * وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بريء من المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير وأذان من الله ورسوله بأن الله بريء من المشركين وإنما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها في رفع رسوله وجوه الأول أنه رفع بالابتداء وخبره مضمر والتقدير إن الله بريء من المشركين ورسوله أيضا بريء الثاني بريء الله ورسوله من المشركين الثالث إن الله في محل الرفع بالابتداء وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدأ فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله إن الله بريء من المشركين ورسوله فما فائدة التكرار قلت المقصود من الآية الأولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق أنه قال في أولها براءة من الله ورسوله إلى يعني بريء اليهم وفي الثانية بريء منهم وقوله تعالى (فان تبتم) يعني فان رجعتم عن شركهم وكفركم (فهو خير لكم) يعني من الإقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وإن توليتم) يعني أعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا انكم غير معجزي الله) فيه وعيد عظيم وإعلام لهم بأن الله سبحانه وتعالى قادر على إنزال العذاب بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعني في الآخرة ولفظ البشارة هنا إنما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب وإكرامهم الشتم قوله سبحانه وتعالى (إلا الذين عاهدتم من المشركين) هذا الاستثناء راجع إلى قوله تعالى براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين يعني إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله رسوله ﷺ باتمام عهدهم إلى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى (ثم لم ينقصوكم شيئا) يعني من عهودهم التي عاهدتموهم عليها (ولم يظاهروا) يعني ولم يعاونوا (عليكم أحدا) يعني من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لأن الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض إلى الذين عاهدتم منهن ثم لم ينقصوكم (فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم) والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل لهم بعد أمروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا يجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر (إن الله يحب المتقين) يعني أن قضية التقوى تقتضي أن لا يسوي بين القبيلتين يعني الوافي بالعهد والناكث له والغادر فيه * قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ الأشهر الحرم) يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده أربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قال لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء

قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فى الحل والحرم (وخذوهم) وأسروهم (واحصروهم) اى احبسوهم قال ابن عباس رضى الله عنه يريد ان تحصنوا فاحصروهم اى امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) اى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يرقب فيه العدو من رصدت الشىء ارصده إذا ترقبته يريد كونوا لهم رصدا لتاخذوهم من اى وجه توجهوا وقيل اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) من الشرك (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) يقول دعوهم فليتصرفوا فى امصارهم ويدخلوا مكة (ان الله غفور) لمن تاب (رحيم) به

وقال الحسين بن الفضل هذه الآية فى القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على أذى الأعداء قوله تعالى

المشركين والتعرض لهم * فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخمسون يوما بعض الأشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم ٥ قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التى يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) يعنى فى الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعنى اقتلوهم فى اى وقت واى مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعنى وأسروهم (واحصروهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس يريد أن تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعنى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يقعد فيه للعدو من رصدت الشىء ارصده إذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تأخذوهم من اى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) يعنى من الشرك ورجعوا إلى الايمان (واقاموا الصلاة) يعنى وأتموا أركان الصلاة المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم (فخلوا سبيلهم) يعنى إلى الدخول إلى مكة والتصرف فى بلادهم (إن الله غفور) يعنى لمن تاب ورجع من الشرك إلى الايمان ومن المعصية إلى الطاعة (رحيم) يعنى بأوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء ٥ قوله تعالى (وإن احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) يعنى وإن استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله الذى أنزل عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمع كلام الله فيعرف ماله من الثواب إن آمن وما عليه من العقاب إن أصر على الكفر (ثم أبلغه مأمنه) يعنى إن لم يسلم أبلغه إلى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه وإن قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) اى لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون إلى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية وقال السدى ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم خزيمة وبنو مدلج وبنو الديل قبائل من بنى بكر كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة (فما استقاموا لكم) يعنى على العهد (فاستقيموا لهم) يعنى ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن

(وإن احد من المشركين استجارك) اى وإن استجارك أحد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم أى استأمنك بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله (فأجره) فأعذه وآمنه (حتى يسمع كلام الله) فما له وعليه من الثواب والعقاب (ثم أبلغه مأمنه) أى ان لم يسلم أبلغه مامنه أى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه فان قاتلك بعد ذلك فقد رددت عليه فاقتله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) اى لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله قال الحسن هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة قوله تعالى (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التعجب ومعناه جحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال جل وعلا (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم النبى ﷺ يوم الحديبية قال الله تعالى (فما استقاموا لكم) أى على العهد (فاستقيموا لهم) فلم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم النبى ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من امرهم اما أن يسلموا واما ان يلحقوا باى بلاد شاؤا فاسلموا قبل الاربعة الاشهر قال السدى والكلبى وابن اسحق هم قبائل من بنى بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض العهد إلا قريش وبنو الديل من بنى بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وهذا القول اقرب إلى الصواب لأن هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة فكيف يقول لشىء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وإنما هم الذين قال عز وجل إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما تنقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى (إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم) هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد عند الله وإن يظهروا عليكم (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) قال الاخفش كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم اى يظفروا بكم لا يرقبوا لا يحفظوا وقال الضحاك لا ينتظروا وقال قطرب لا يراعوا فيكم إلا قال ابن عباس والضحاك قرابة وقال يمان رحما وقال قتادة الآل الحلف وقال السدى هو العهد وكذلك الذمة إلا انه كرر لاختلاف (٥٢) اللفظين وقال ابو مجاوز ومجاهد الال هو الله عز وجل وقال عبيد بن عمير يقرا جبر إل بالتشديد يعنى عبد الله وفى الخبر ان ناسا قدموا على ابى بكر من قوم مسيلمة الكذاب فاستقرأهم ابو بكر كتاب مسيلمة فقرأوا فقال ابو بكر رضى الله عنه ان هذا الكلام لم يخرج من ال اى من الله عز وجل والدليل على هذا التاويل قراءة عكرمة لا يرقبون فى مؤمن ايلا بالياء يعنى الله عز وجل مثل جبرائيل وميكائيل ولا ذمة أى عهد (يرضونكم بافواههم) اى يطيعونكم بألسنتهم خلاف ما فى قلوبهم (وتأبى قلوبهم) الايمان (وأكثرهم فاسقون) فان قيل هذا فى المشركين وكلهم فاسقون فكيف قال واكثرهم فاسقون قيل أراد بالفسق نقض العهد ههنا وكان فى المشركين من وفى بعهده واكثرهم نقضوا فلهذا قال واكثرهم فاسقون (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) وذلك انهم نقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلة أطعمهم اياها أبو سفيان قال مجاهد أطعم ابو سفيان حلفاءه (فصدوا عن سبيله) فمنعوا الناس من الدخول فى دين الله وقال ابن عباس رضى الله عنه أن أهل الطائف أمدوهم بالأموال ليقووهم عليهم على حرب النبى ﷺ (أنهم ساء ما كانوا يعملون) بئس (ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة) يقول لا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا (وأولئك هم المعتدون) بنقض العهد (فان تابوا) من الشرك (وأقاموا الصلاة

ينحقوا بأى بلاد شاؤا فاسلموا بعد الاربعة الاشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بنى بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد إلا قريش وبنو الديل من بنى بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وإنما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشىء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وإنما هم الذين قال الله عز وجل فيهم إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة وهم خلفاء النبى ﷺ * وقوله تعالى (ان الله يحب المتقين) يعنى انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد إذا عاهدوا ويتقون نقضه (كيف وإن يظهروا عليكم) قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) قال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم أى يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا أى لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم إلا قال ابن عباس يعنى قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدى هو العهد وكذلك الذالة وإنما كرر للتأكيد أو لاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد الال هو الله عز وجل ومنه قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعنى من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعنى ولا يحفظون عهدا (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) يعنى يطيعونكم بألسنتهم بخلاف ما فى قلوبهم (وأكثرهم فاسقون) * فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر أخبث وأقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق فى معرض الذم وما الفائدة فى قوله واكثرهم فاسقون مع أن الكفار كلهم فاسقون * قلت قد يكون الكافر عدلا فى دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق فى دينه فالمراد وصفهم بكونهم فاسقين انهم نقضوا العهد وبالغوا فى العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون أبلغ فى الذم وإنما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم فاسقون * وقوله تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) يعنى استبدلوا بآيات القرآن والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أكلة أطعمهم اياها أبو سفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد أطعم أبو سفيان خلفاءه وترك خلفاء النبى ﷺ (فصدوا عن سبيله) يعنى منعوا الناس عن الدخول فى دين الله قال ابن عباس وذلك ان اهل الطائف أمدوهم باموال ليقووهم على حرب النبى ﷺ (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم للناس عن الدخول فى دين الاسلام (لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة) يعنى أن هؤلاء المشركين لا يراعون فى مؤمن عهدا ولا ذمة إذا قدروا عليه فلا تبقوا أنتم عليهم كما لم يبقوا عليكم إذا ظهروا عليكم (وأولئك هم المعتدون) يعنى فى نقض العهد * قوله عز وجل (فان تابوا) يعنى فان رجعوا عن الشرك إلى الايمان وعن نقض العهد إلى الوفاء به (وأقاموا الصلاة) يعنى المفروضة

واتوا الزكاة فاخوانكم) فهم إخوانكم (فى الدين) لهم مالكم وعليهم ماعليكم (ونفصل الايات) نبين الايات (لقوم يعلمون) قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء أهل القبلة قال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ثنا شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى ثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنا أبا هريرة رضى الله عنه قال لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضى الله عنه بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال النبى ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه (٥٣) على الله فقال أبو بكر والله لاقاتلن من

علهم بجميع حدودها واركانها (واتوا الزكاة) يعنى وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم (فأخوانكم فى الدين) يعنى إذا فعلوا ذلك فهم إخوانكم فى الدين لهم مالكم وعليهم ماعليكم) ونفصل الايات لقوم يعلمون) يعنى ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان اياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعنى بذلك ماذكره ابو بكر فى حق منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة (ق) يعنى ابا هريرة قال لما توفى النبى ﷺ واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها وفى رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعها فقال عمر فوالله ماهو الا ان رايت ان الله شرح صدر ابى بكر للقتال فعرفت انه الحق عن انس قال قال النبى ﷺ من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله * وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا ايمانهم) يعنى وان نقضوا عهودهم (من بعد عهدهم) يعنى من بعد ماعاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم (وطعنوا فى دينكم) يعنى وعابوا دينكم الذى انتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفى هذا دليل على ان الذمى اذا طعن فى دين الاسلام وعابه ظاهر الا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى (فقاتلوا ائمة الكفر) يعنى رؤس المشركين وقادتهم وقال ابن عباس نزلت فى ابى سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابى جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لأنهم الرؤساء والقادة ففى قتالهم قتال الأتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ماقوتل اهل هذه الاية بعد ولم يأت اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر فى ذلك الزمان والله اعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (انهم لا ايمان لهم) جمع يمين اى لا عهد لهم وقيل معناه انهم وفاء لهم بالعهود وقرىء لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان اى اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم (لعلهم ينتهون) اى لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب فى ذلك فقال تعالى (الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم)

فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر رضى الله عنه فوالله ماهو إلا رأيت أن الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا عمرو بن عباس ثنا ابن مهدى ثنا منصور بن سعد عن ميمون بن سياه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله قوله تعالى (وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم) عقدهم يعنى مشركى قريش (وطعنوا) قدحوا (فى دينكم) وعابوه فهذا دليل على ان الذمى إذا طعن

فى دين الاسلام ظاهر الا يبقى له عهد (فقاتلوا ائمة الكفر) قرا اهل الكوفة والشام ائمة مهموزتين حيث كان وقرا الباقون بتليين الهمزة الثانية وائمة الكفر رؤوس المشركين وقادتهم من اهل مكة قال ابن عباس نزلت فى ابى سفيان بن حرب وابى جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابى جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد وهم الذين هموا باخراج الرسول وقال مجاهد هم اهل فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ماقوتل اهل هذه الاية ولم يأت اهلها بعد (انهم لا ايمان لهم) اى لا عهود لهم جمع يمين قال قطرب لا وفاء لهم بالعهد وقرا ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الالف اى لا تصديق لهم ولا دين لهم وقيل هو من الأمان اى لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم (لعلهم ينتهون) اى لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم والمظاهرة عليكم وقيل عن الكفر حض المسلمين على القتال فقال جل ذكره (الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم) نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعة

(وهموا باخراج الرسول) من مكة حين اجتمعوا فى دار الندوة (وهم بدأوكم) بالقتال (أول مرة) يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه وقال جماعة من المفسرين أراد أنهم بدأوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ (أتخشونهم) أتخافونهم فتتركون قتالهم (٥٤) (فالله أحق أن تخشوه) فى ترك قتالهم (إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) يقتلهم الله بأيديكم (ويخزهم) ويذلهم بالأسر والقهر (وينصركم عليهم ويشف صدور قوم) ويبرىء داء قلوب قوم (مؤمنين) مما كانوا ينالونه من الأذى منهم وقال مجاهد والسدى أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث اعانت قريش بنى بكر عليهم حتى نكأوا فيهم فشفى الله صدورهم من بنى بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين (ويذهب غيظ قلوبهم) كربها ووجدها بمعونة قريش بنى بكر عليهم ثم قال مستأنفا (ويتوب الله على من يشاء) فيهديه إلى الاسلام كما فعل بأبى سفيان وعكرمة بن ابى جهل وسهيل ابن عمرو (والله عليم حكيم) روى ان النبى ﷺ قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف إلا خزاعة من بنى بكر إلى العصر قوله تعالى (ام حسبتم) اظننتم (ان تتركوا) قيل هذا خطاب للمنافقين وقيل للمؤمنين الذين شق عليهم القتال فقال أم حسبتم ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمحنوا ليظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله) ولم ير الله (الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون إليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء اولياء وقال ابو عبيدة كل شىء ادخلته فى شىء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون فى القوم وليس منهم وليجة الرجل من يختص بدخيلة امره دون الناس يقال هو وليجتى وهم وليجتى الواحد والجمع

يعنى نقضوا عهودا وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) يعنى من مكة حين اجتمعوا فى دار الندوة (وهم بدأوكم) يعنى بالقتال (اول مرة) يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه وقيل أراد به أنهم بدأوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ (أتخشونهم) يعنى أتخافونهم أيها المؤمنون فتتركون قتالهم (فالله أحق أن تخشوه) يعنى فى ترك القتال (إن كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده ٠ قوله سبحانه وتعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) يريد بالتعذيب القتل يقتلهم الله بأيديكم ٠ فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بأيديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعنى وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعنى الذين نقضوا العهد وبدأوا بالقتال فأمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين أن عذاب الاستئصال يتعدى إلى المذنب وغير المذنب وإلى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى إلا إلى المذنب المخالف وقوله تعالى (ويخزهم) يعنى ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان (وينصركم عليهم) يعنى بأن يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعنى ويبرىء داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الأذى منهم ومن المعلوم أن من طال تأذيه من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدى أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بنى بكر حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى اخذوا ثأرهم منهم ﷺ واصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعنى ويذهب وجد قلوبهم مما نالوه من بنى بكر روى ان النبى ﷺ قال يوم فتح مكة ارفعوا السيوف الا خزاعة من بنى بكر إلى العصر ذكره البغوى بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالأول والمعنى ويهدى الله من يشاء إلى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه إلى الاسلام كما فعل بأبى سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وسهيل ابن عمرو وهؤلاء كانوا من ائمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فأسلموا (والله عليم) يعنى بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الأزلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه إلى الإسلام (حكيم) يعنى فى جميع افعاله قوله عز وجل (أم حسبتم أن تتركوا) هذا الاستفهام المعترض فى وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظننتم أيها المؤمنون أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمحنوا ليظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لأن وجود الشىء يلزمه معلوم الوجود عند الله لاجرم جعل الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازى ونقل الواحدى عن الزجاج أى العلم الذى يجازى عليه لأنه إنما يجازى على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون إليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة يعنى خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء اولياء يعنى لا تتخذوا المشركين اولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال ابو عبيدة كل شىء ادخلته فى شىء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون فى القوم وليس منهم وليجة الرجل من يختصه بدخيلة امره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الإنسان معتمدا عليه وليس

(والله خبير بما تعملون) قوله تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظ علي رضي الله عنه له القول فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي رضي الله عنه ألكم محاسن فقال نعم أنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فأنزل الله عز وجل ردا على العباس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب على المسلمين منعهم من ذلك لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده فمن كان كافرا بالله فليس من شأنه أن يعمرها فذهب جماعة إلى المراد منه العمارة (٥٥) المعروفة من بناء المسجد ومرمته

من قولهم فلان وليجة في القوم إذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين عن موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم (والله خبير بما تعملون) يعني من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده * قوله سبحانه وتعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) يعني به المسجد الحرام وقرىء مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وإنما ذكر بلفظ الجمع لأنه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية ان جماعة من رؤساء كفار قريش اسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب ثم النبي ﷺ فاقبل عليهم نفر من أصحاب النبي ﷺ يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال النبي ﷺ وقطيعة الرحم فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن افضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الاية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك المساجد إنما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافر بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمتنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزر وإن دخل باذن لم يعذر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن أن النبي ﷺ شد ثمامة بن اثال إلى سارية من سواري المسجد وهو كافر والأولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها * وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا اطوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله إلا بعدا وقال الحسن أنهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يسئل من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم (أولئك حبطت أعمالهم) يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على كفره * قوله عز وجل (إنما يعمر مساجد الله من أمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الاية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من أمن بالله فان الايمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لأن المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وأمن باليوم الاخر وأنه حق كائن لأن عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره إنما يكون في الاخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا * فان قلت لم لم يذكر

عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا يمتثل وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والقعود فيه قال الحسن ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام قرأ ابن كثير وأهل البصرة مسجد الله على التوحيد واراد به المسجد الحرام لقوله تعالى وعمارة المسجد الحرام ولقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام وقرأ الآخرون مساجد الله بالجمع والمراد منه أيضا المسجد الحرام قال الحسن إنما قال مساجد لأنه قبلة المساجد كلها قال الفراء ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد ألا ترى ان الرجل يركب البرذون فيقول أخذت في ركوب البراذين ويقال فلان كثير الدرهم والدينار يريد الدراهم والدنانير قوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) اراد وهم شاهدون فلما طرحت وهم نصبت قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد

عليهم بالكفر وقال الضحاك عن ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إلا بعدا وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يسأل من أنت فيقول أنا نصراني واليهودي يقول أنا يهودي ويقال للمشرك ما دينك فيقول مشرك قال الله تعالى (أولئك حبطت أعمالهم) لانها لغير الله عز وجل (وفي النار هم خالدون) قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس معناه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه ما من بطن إلا ولد ته ثم قال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) ولم يخف فى الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية غيره (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب أى فأولئك هم المهتدون والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عز وجل التى تؤدى إلى الجنة اخبرنا أبو عمر ومحمد بن عبد الرحمن النسوى ثنا أحمد بن الحسين الحيرى ثنا محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن الفرج الحجازى ثنا بقية ثنا أبو الحجاج المهدى عن عمرو بن الحارث عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله قال إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر انا عبد الواحد بن احمد المليحى انبأنا أحمد بن عبد الله النعيمى انبأنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسمعيل ثنا على بن عبد الله ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن مطرف عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح أنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر حدثنى أبى عن محمود بن لبيد ان عثمان بن عفان (٥٦) رضى الله عنه أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك واحبوا أن يدعه فقال عثمان سمعت النبى ﷺ يقول من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا كبيته فى الجنة أنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو الزيادى أنا محمد ابن الحسن القطان ثنا على ابن محمد الدار بجردى ثنا أبو عاصم بهذا الاسناد وقال بنى الله له بيتا فى الجنة قوله (أجعلتم سقاية الحاج) أنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحى ثنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى ثنا عبد الله بن حامد بن محمد الوزان ثنا أحمد بن محمد بن جعفر ابن محمد عبيد الله المنادى ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى ثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبى ثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام عن أبى سلام ثنا النعمان ابن بشير قال كنت عند منبر النبى ﷺ فقال رجل ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال الاخر ما أبالى وعمارة أن لا أعمل عملا بعد أن اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتما فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبى ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت دخلت فاستفتيت النبى ﷺ فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله تعالى هذه الاية وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا تنفعهم مع الشرك بالله وأن الايمان بالله والجهاد مع النبى ﷺ خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبى ومحمد بن كعب القرظى نزلت فى على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدى مفتاحه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال على ما أدرى ما تقولون لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله عز وجل هذه الاية اجعلتم سقاية الحاج وسقاية مصدر كالرعاية والحماية

الايمان برسول الله مع أن الايمان بشرط فى صحة الايمان * قلت أن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل فى الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الاخر فقد آمن بالنبى لأن من جهة عرف الايمان بالله واليوم الاخر لانه هو الداعى إلى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون أن محمدا إنما دعى النبوة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل أن محمدا صلى الله عليه وسلم إنما دعا إلى الايمان بالله واليوم الاخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وترك ذكر الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل أنه تبارك وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) وكان ذلك مما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم واعلم أن الاعتبار باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فى عمارة المساجد أن الانسان إذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد إنما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المسجد إلا إذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة إلا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه * وقوله تعالى (ولم يخش إلا الله) يعنى ولم يخف فى الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية الناس (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعنى وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التى تؤدى إلى الجنة عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر الاية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن (ق) عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح النزل ما يهيأ للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا فى الجنة وفى رواية بنى الله له فى الجنة مثله وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا فى الجنة اخرجه الترمذى عن عمرو بن عنبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا فى الجنة أخرجه النسائى * قوله سبحانه وتعالى (اجعلتم سقاية الحاج

قوله (وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر) فيه اختصار تقديره أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله وهذا كقوله تعالى والعاقبة للتقوى اى للمتقين يدل عليه قراءة عبدالله بن الزبير وابى كعب اجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام على جمع الساقي والعامر كمن امن بالله واليوم الاخر (وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله

وعمارة المسجد الحرام) الاية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي ﷺ فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام قال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجره عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر إلى اخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية واخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة ابن أبي شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليها وقال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية أجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس ابن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس أقره رسول الله ﷺ على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته (كمن آمن بالله واليوم الاخر) فيه حذف تقديره كايمان من آمن بالله واليوم الاخر (وجاهد في سبيل الله) أي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله (لا يستوون عند الله) يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا إلا مع الإيمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستقى فقال العباس يا فضل أذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذا يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه اعرابي فقال مالي أرى بني عمك يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل إنما قدم النبي ﷺ على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فاتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلى وحمض حرم * قوله عز وجل (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وإنما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على

لا يهدي القوم الظالمين) اخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثني اسحق بن ابراهيم ثنا ابو أسامة ثنا يحيى بن مهلب عن حسين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستقى فقال العباس يا فضل اذهب إلى أمك فات رسول الله ﷺ بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه وأشار إلى عاتقه أخبرنا إسمعيل ابن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان عن مسلم ابن الحجاج حدثني محمد بن منهال الضرير ثنا يزيد بن زريع ثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي

(٨ - خازن - لث) فقال مالي ارى بني عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة بكم امن بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا حاجة ولا بخل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة بن زيد فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة وقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغييرما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة) فضيلة (عند الله) من الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

(وأولئك هم الفائزون) الناجون من النار (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم
يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم وإخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت فى قصة العباس وطلحة وامتناعهما من
الهجرة وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس تال لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة فنهم من تعلق به أهله وولده يقولون ننشدك
بالله أن لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم (٥٨) ويدع الهجرة فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا عن
الاسلام ولحقوا بمكة فنهى
الله عن ولايتهم فانزل الله
يا أيها الذين آمنو لا تتخذوا
اباءكم وأخوانكم أولياء
بطانة وأصدقاء فتفشون
اليهم أسراركم وتؤثرون
المقام معهم على الهجرة
والجهاد (أن استحبوا)
اختاروا (الكفر على الايمان
ومن يتولهم منكم) فيطلعهم
على عورة المسلمين ويؤثر
المقام معهم على الهجرة
والجهاد (فاولئك هم
الظالمون (وكان فى ذلك
الوقت لا يقبل الايمان إلا
من مهاجر فهذا معنى قوله
فأولئك هم الظالمون ثم قال
تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء
المتخلفين عن الهجرة (إن
كان أباؤكم) وذلك لما نزلت
الاية الأولى قال الذين
أسلموا ولم يهاجروا إن نحن
هاجرنا ضاعت أموالنا
وذهبت تجارتنا وخربت
دورنا وقطعنا أرحامنا
فنزل قل إن كان
آباءكم (وأبناءكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم) قرأ
أبو بكر عن عاصم عشيراتكم
بالالف على الجمع والاخرون
بلا الف على التوحيد لأن
العشيرة واقعة على الجمع

الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله فى الاخرة (وأولئك) يعنى من هذه صفتهم
(هم الفائزون) يعنى بسعادة الدنيا والاخرة (يبشرهم ربهم) يعنى يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذى
يفرح الإنسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ثم ذكر الخبر الذى يبشرهم به فقال
تعالى (برحمة منه ورضوان) وهذا أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية
مقصودة (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يعنى أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا (خالدين فيها) يعنى فى
الجنان وفى النعيم (أبدا) يعنى لا انقطاع له (إن الله عنده أجر عظيم) يعنى لمن عمل بطاعته وجاهد فى
سبيله * قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنو لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية
متصلة بما قبلها نزلت فى قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي ﷺ
الناس بالهجرة إلى المدينة فنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك الله أن لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم
عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام
ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم
أولياء يعنى بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم
حمل هذه الاية على ترك الهجرة مشكل لأن هذه السورة بعد الفتح وهى من آخر القرآن نزولا
والاقرب أن يقال أن الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبرى من المشركين قالوا كيف يمكن أن
يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه فى الدين واجبة فالمؤمن
لا يوالى الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى (إن استحبوا الكفر على الإيمان) يعنى ان
اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) يعنى ومن
يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت
هذه الاية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا
وقطعنا ارحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (إن كان آباؤكم
وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) وقرىء على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من أهل
الإنسان الذين يعاشرونه دون غيرهم (وأموال اقترفتموها) يعنى اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها)
يعنى بفراقكم لها (ومساكن ترضونها) يعنى تستوطنونها راضين بسكناها (أحب اليكم من الله ورسوله) يعنى
أحب اليكم من الهجرة إلى الله ورسوله (وجهاد فى سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى أنه يجب تحمل جميع
المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليم وأخبر أنه كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله
وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله (فتربصوا) أى فانتظروا (حتى يأتى الله بأمره) يعنى بقضائه
وهذا أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعنى بفتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى
الخارجين عن طاعته وفى هذا دليل على أنه إذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم
ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا * قوله عز وجل (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الأعداء باظهار
المسلمين عليهم (فى مواطن كثيرة) يعنى أماكن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله ﷺ وسراياه

ويقوى هذه القراءة أن أبا الحسن الاخفش قال لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات إنما تجمعها على وبعوثه
العشائر (وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها) أى تستطيبونها يعنى القصور والمنازل (أحب اليكم من الله
ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا) فانتظروا (حتى يأتى الله بامره) قال عطاء بقضائه وقال مجاهد ومقاتل بفتح مكة وهذا أمر تهديد
(والله لا يهدى) لا يوفق ولا يرشد (القوم الفاسقين) الخارجون عن الطاعة قوله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن) أى مشاهد (كثيرة

ويوم حنين) وحنين واد بين مكة والطائف وقال عكرمة إلى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان، ثم خرج إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والفا من الطلقاء. وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط والمشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل الثقفي فلما التقى الجمعان قال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا إلى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله وكلهم إلى أنفسهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري (٥٩) ثم نادوا ياحماة السواد اذكروا

وبعونه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره في الصحيحين حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة وتزاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان منهم ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة (ويوم حنين) يعني ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو إلى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة أن نبي الله ﷺ فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء. وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النضري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا إلى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم إلى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري أن القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناد هذه الكلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت إلى كثرة عدد ولا إلى غيره بل نظره إلى ما يأتي من عند الله عز وجل من النصر المعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم تنادوا ياحماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن أبي إسحق قال جاء رجل إلى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان ابن الحرث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم انزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم وصفهم قال البراء كنا والله إذا أحر البأس نتقى به وأن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبي إسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى نبي الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه واخفاؤه حسرا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فاقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء. وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم ورواه محمد بن اسماعيل عن عبيد الله ابن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق وزاد قال فارتوى من الناس يومئذ أشد منه ورواه زكريا عن أبي إسحق وزاد قال البراء كنا إذا احمر الباس نتقى به وان الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ وروى شعبة عن ابي إسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهام فاما النبي ﷺ فلم يفر قال الكلبي كان حول نبي الله ﷺ ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال آخرون لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير العباس بن عبد المطلب وابو سفيان ابن الحارث وأيمن بن أم أيمن فقتل يومئذ بين يدي نبي الله ﷺ اخبرنا اسمعيل بن الفاهر أنا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا ابو طاهر أحمد بن سرج ثنا أبو وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال

الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون قال قتادة وذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد ابن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى ابن يحيى انا ابو خيثمة عن أبي اسحق قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه واخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوزان وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء. وأبو سفيان بن

حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب قال قال عباس شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء. أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقال يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ نبي الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو إلا ان رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا و قال سلمة ابن الاكوع غزونا مع رسول الله ﷺ حنينا قال فلما غشوا نبي الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل وقسم نبي الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين قال سعيد بن جبير أمد الله تعالى نبيه ﷺ بخمسة الاف من الملائكة مسومين وفي الخبر أن رجلا من بني نضر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال الذين عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم إلا فولوا كهيئة الشامة وما كنا قتلنا إلا بأيديهم فاخبروا بذلك النبي ﷺ فقال تلك الملائكة قال الزهري وبلغني أن شيبة بن عثمان بن طلحة قال استدبرت نبي الله ﷺ يوم حنين وانا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله ﷺ على ما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقاله أعيذك بالله يا شيبه فارتعدت فرائصي فنظرت اليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت أشهد أنك رسول الله وان الله قد اطلعك على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث نبي الله رجلا من الأشعريين يقال له ابو عامر وأمره على جيش المسلمين إلى أوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب أميرهم مالك بن عوف النضري فاتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فيمن أخذ

ودعا واستنصر وقال أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبي إسحق قال قال البراء إن هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فامار سول الله ﷺ فلم يفر قوله ولكنه انطلق في اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال إذا رمى القوم باسرهم إلى جهة واحدة رميا نارشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا إذا احمر البأس يعني إذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله ﷺ ثمانية من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي ﷺ يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله ﷺ وهذا أيمن أخو أسامة بن زيد لأمه أمهما بركة مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته (م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة ابن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولوا المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي اين أصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا لبيك لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرب بن الخزرج فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو إلا رماهم بحصياته فما زالت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا قوله حمي الوطيس أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقول النبي ﷺ من العرب وهي مما اقتضبه وأنشأه والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم كليلا يعني لا يقطع شيئا (م) عن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة

وقتل أمير المسلمين أبو عامر قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ان النبي ﷺ أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم فيها غنائم حنين وأوطاس وتألف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس فأعطاهم أنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا الزهري أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه أن أناسا من الانصار قالوا لرسول الله ﷺ حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويدعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحدث النبي ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم أحدا غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم النبي ﷺ فقال ما كان حديث بلغني عنكم فقال له فقهاؤهم أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله للنبي ﷺ يعطي قريشا ويترك الانصار سيوفنا تقطر من دمائهم فقال النبي ﷺ إني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أما ترضون أن يذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحالكم برسول الله ﷺ فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا نبي الله قد رضينا فقال لهم إنكم سترون بعدي إثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض وقال يونس عن ابن شهاب فاني أعطي رجالا حديثي عهد بالكفر أتألفهم وقال

فولوا مدبرين فهزمها الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امداد الله نبيه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وروى ان رجلا من بني نصر يقال له مجزرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم إلا كهيئة الشامة وما قتلنا إلا بأيديهم فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال تلك الملائكة وروى أن رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يفقوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله ﷺ فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت إياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل إلا يوم بدر وإنما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت النبي ﷺ يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم أحد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال أعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري وقال فقلت أشهد أنك رسول الله ﷺ قد أطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا إلى أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله ﷺ رجلا من الاشعريين يقال له أبو عامر وأمره على الجيش فسار إلى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمين عيال المشركين وهرب أميرهم مالك ابن عوف النضري فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فيمن أخذ وقتل أبو عامر أمير المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب انهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم ان النبي ﷺ أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتأليف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم (ق) عن أنس بن مالك ان أناسا من الانصار قالوا يوم حنين أفاء الله ورسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق النبي ﷺ يعطي رجال من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسوله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحدث بذلك رسول الله ﷺ من قولهم فأرسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم النبي ﷺ فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثة أسنانهم فيقولوا يغفر الله لرسوله

فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الحوض قالوا سنصبر أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن يزيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم وجدوا إذ لم يصيبوا ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وكنتم عالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال ما يمنعكم ان تجيبوا النبي ﷺ قال كلما شيئا الله ورسوله امن قال لو شئتم قلتم كذا وكذا وكان الامر كذا وكذا لاشياء عددها كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال اما ترضون ان يذهب الناس بالشياه والغنم والبعير وتذهبوا بالنبي ﷺ إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار انكم ستلقون بعدي اثرة فاصبروا

حتى تلقوني على الحوض أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمود بن عمرو الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا محمد بن أبي عمر والمكي ثنا سفيان عن عمرو بن مسروق عن أبيه عن عبادة بن رفاعة عن رافع بن خديج قال أعطى النبي ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبي ونهب العبـ * ـيد بين عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فأتم له النبي ﷺ (٦٢) مائة وفي الحديث ان اناسا من هوازن أقبلوا مسلمين بعد ذلك فقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد اخذت ابناءنا ونساءنا واموالنا ثنا عبد الواحد ابن احمد المليحي انا احمد ابن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا سعيد بن عفير حدثني الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير ان مروان والمسور بن مخرمة اخبراه ان النبي ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد اليهم اموالهم وسبيهم فقال النبي ﷺ معي من ترون واحب الحديث إلي اصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين اما السبي واما المال قالوا فانا نختار سبينا فقام النبي ﷺ فاثنى على الله عز وجل بما هو اهله ثم قال اما بعد فان إخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين واني قد رأيت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك لهم فليفعل ومن احب ان يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال النبي ﷺ انا لا ندري من اذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه انهم قد طيبوا وأذنوا

قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال النبي ﷺ فاني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالأموال وترجعوا إلى رحالكم برسول الله ﷺ فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدي اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا النبي على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا فكانهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال فما منعكم ان تجيبوا النبي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أترضون ان تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت من امن الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبهم الأنصار شعار والناس دثار (م) عن رافع ابن خديج قال أعطى النبي ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع ابن حابس كل إنسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبي ونهب العبـ * ـيد بين عيينة والاقرع * فما كان حصن ولا حابس

يفوقان مرداس في مجمع * وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم النبي ﷺ مائة (خ) عن المسور ومروان ان النبي ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم مالهم وسبيهم فقال لهم النبي ﷺ ان معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية وقد كان النبي ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان النبي ﷺ غير راد عليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا إنا نختار سبينا فقام النبي ﷺ في الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين واني قد رأيت أن اردالهم سبيهم فمن أحب منكم ان يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمتهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين (إذ اعجبتكم كثرتكم) يعني حين قلتم لن نغلب اليوم من قلة (فلم تغن عنكم) يعني كثرتكم (شيئا) يعني ان الظفر بالعدد ليس بكثرة العدد ولكن إنما يكون بنصر الله ومعونته (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) يعني بسعتها وفضائها (ثم وليتم مدبرين) يعني منهزمين (ثم انزل الله سكينته) يعني بعد الهزيمة والسكينة والطمأنينة والامنة منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه انهم قد طيبوا وأذنوا فأنزل الله تعالى في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين (إذ أعجبتكم كثرتكم) حتى قلتم لن نغلب اليوم من قلة (فلم تغن عنكم) كثرتكم (شيئا) يعني ان الظفر لا يكون بالكثرة (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أي برحبها وسعتها (ثم وليتم مدبرين) منهزمين (ثم أنزل الله) بعد الهزيمة (سكينته) يعني الامنة والطمأنينة وهي فعيلة من السكون

(على نبيه وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة قيل لا للقتال ولكن لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين لانه يروى ان الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبى العيال وسلب الاموال (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله بعد ذلك على من يشاء) فيهديه إلى الاسلام (والله غفور رحيم) قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا إنما المشركون نجس) الاية قال الضحاك وابو عبيدة نجس قذر وقيل خبيث وهو مصدر يستوى فيه الذكر والانثى والتثنيه والجمع فاما النجس بكسر النون وسكون الجيم فلا يقال على الانفراد إنما يقال رجس نجس فاذا أفرد قيل بفتح النون وكسر الجيم وأراد به نجاسة (٦٣) الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم

والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك ان الانسان إذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا وإذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامور وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) إنما كان انزال السكينة على المؤمنين لان النبى ﷺ كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب فى هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا إلى قتال عدوهم بعد الهزيمة ونبى الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وانزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعنى بالاسر والقتل وسبى العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعنى فى الدنيا ثم أفضوا إلى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعنى فيهديه إلى الاسلام كما فعل بمن بقى من هوازن حيث أسلموا وقدموا على نبى الله ﷺ تائبين فمن عليهم وأطلق سبيهم (والله غفور) لمن تاب (رحيم) بعباده قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا إنما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشىء القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشىء الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل انجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤون (فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منعهم من دخول الحرم لانهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه اسرى به ﷺ من بيت ام هانى، قال العلماء وجملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأنسا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعى واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام فى الحرم فلا يأذن له فى دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوزا بو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثانى من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين العذيب والين ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامى ونصفها حجازى وقيل كلها حجازى وقال ابن الكلبى حد الحجاز ما بين جبل طيىء وطريق العراق سمى حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والعراق وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربى وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام (م) عن ابن عمر انه سمع النبى ﷺ يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلما زاد فى رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر فى خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله

وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤون قوله تعالى (فلا يقربوا المسجد الحرام) اراد منعهم من دخول الحرم لانهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام وأراد به الحرم وهذا كما قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وأراد به الحرم لانه أسرى به من بيت أم هانى، قال الشيخ الامام لاجل وجملة بلاد الاسلام فى حق الكفار على ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستأمنا لظاهر هذه الآية وإذا جاء رسول من بلاد الكفار إلى الامام والامام فى الحرم لا يأذن له فى دخول الحرم بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم والقسم الثانى من بلاد الإسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن

ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام السفر وهو ثلاثة ايام لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن عشت إن شاء الله تعالى لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها إلا مسلما فمضى النبى ﷺ واوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر رضى الله عنه وأجلاهم عمر رضى الله عنه فى خلافته وأجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلاثا وجزيرة العرب من اقصى عدن ابين إلى ريف العراق فى الطول واما العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى إلى اطراف الشام والقسم الثالث سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة وامان ولكن لا يدخلون المساجد إلا باذن مسلم

قوله (بعدعامهم هذا) يعنى العام الذى حج فيه أبو بكر رضى الله عنه بالناس و نادى على كرم الله وجهه ببراءة وهو سنة تسع من الهجرة قوله (وإن خفتم عيلة) وذلك أن اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر وضيق العيش وذكروا ذلك (٦٤) لرسول الله ﷺ فانزل الله تعالى وان خفتم عيلة فقرا وفاقة يقال عال يعيل عيلة إذا افتقر (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم) قال عكرمة فاغناهم الله عز وجل بان انزل عليهم المطر مدرارا فكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها وذلك قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) قال مجاهد نزلت هذه الاية حين امر رسول الله ﷺ بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبى نزلت فى قريظة والنضير من اليهود فصالحهم وكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدى المسلمين قال الله تعالى فاتلوا الذين لا يؤمنون بالله (ولا باليوم الاخر) فان قيل اهل الكتاب مؤمنون بالله واليوم والاخر قيل لا يؤمنون كايمان المؤمنين فانهم إذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله لا يكون ذلك ايمانا بالله (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين

عليه وسلم قال لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب أخرجه مالك من الموطأ مرسلا (م) عن جابر قال سمعت النبى ﷺ يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم قال سعيد ابن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادى إلى اقصى اليمن إلى تخوم العراق إلى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف العراق فى الطور ومن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضا ومقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد إلا باذن مسلم وقوله تعالى (بعدعامهم هذا) يعنى العام الذى حج فيه ابو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة (وإن خفتم عيلة) يعنى فقرا وفاقة وذلك اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون إلى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال عكرمة فاغناهم الله بان نزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم اهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها (ان شاء) قيل انما شرط المشيئة فى الغنى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهال إلى الله تعالى فى طلب الخيرات ودفع الافات وان يقطع العبد امله من كل احد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شىء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعميم رعاية الادب كما فى قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين (ان الله عليم) يعنى بما يصلحكم (حكيم) يعنى انه تعالى لا يفعل شيئا الا عن حكمة وصواب فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب فقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر) قال مجاهد نزلت الاية حين امر النبى ﷺ بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبى نزلت فى قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدى المسلمين وهذا للنبى ﷺ واصحابه المؤمنين والمعنى قاتلوا ايها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخره فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم الاخر فكيف اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخره قلت ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد ان عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله وهو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس كايمان المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس إيمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن وقوله تعالى (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) يعنى ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون ما حرم الله فى القرآن ولا ما حرم رسوله فى السنة وقيل معناه لا يعملون بما فى التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا بأحكام من قبل انفسهم (لا يدينون دين الحق) يعنى ولا يعتقدون صحة الاسلام الذى هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى إن الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم (من الذين اوتوا الكتاب) يعنى

الحق (اى لا يدينون الذين الحق اضاف الاسم إلى الصفة وقال قتادة الحق هو الله اى لا يدينون اعطوا

دين الله ودينه الاسلام وقال ابو عبيدة معناه ولا يطيعون الله تعالى طاعة اهل الحق (من الذين اوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى

(حتى يعطوا الجزية) وهى الخراج المضروب على رقابهم (عن يد) عن قهر وذل قال أبو عبيده يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطاه عن يد وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل عن يد اى نقد لا نسيئة وقيل عن اقرار بانعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم (وهم صاغرون) اذلاء مقهورون قال عكرمة يعطون الجزية عن قيام القابض جالس وعن ابن عباس قال تؤخذ منه ويوطأ عنقه وقال الكلبي إذا اعطى صفع فى قفاه وقيل يؤخذ بلحيته ويضرب فى لهزمتيه وقيل يلبب ويجر الى موضع الاعطاء بعنف وقيل اعطاؤه إياها هو الصغار وقال الشافعي رحمه الله الصغار هو جريان أحكام الاسلام عليهم واتفقت الأمة على جواز أخذ الجزية من اهل الكتابين وهم اليهود والنصارى إذا لم يكونوا عربا واختلفوا فى الكتاب العربى وفى غير اهل

اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) وهى ما يعطى المعاهد من اهل الكتاب على عهده وهى الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها فى حقن دمائهم (عن يد) يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد وقال ابن عباس يبطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها مع إقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم اذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائمون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من احدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبي إذا اعطى يصفع قفاه وقال هو ان يأخذ بلحيته ويضرب فى لهزمتيه ويقال له أدحتى الله ياعدو الله وقال الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم

﴿فصل فى بيان احكام الاية﴾ اجتمعت الأمة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا لم يكونوا عربا واختلفوا فى اهل الكتاب والعرب وفى غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي إلى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن انس ان النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى اكيدر دومة فأخذوه فأتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال إنه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والأوزاعي إلى ان الجزية تأخذ من جميع الكفار إلا المرتد وقال ابو حنيفة تؤخذ من اهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركى العجم ولا تأخذ من مشركى العرب وقال ابو يوسف لا تأخذ من العربى كتابيا كان اومشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان اومشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ماروى عن جحالة بن عبيده ويقال عبيدة لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله ﷺ اخذها من مجوس هجر اخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادرى كيف اصنع فى امرهم فقال عبد الرحمن بن عوف اشهد انى سمعت رسول الله ﷺ يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب اخرجه مالك فى الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله ﷺ اخذ الجزية من مجوسى البحرين وان عمر اخذها من مجوس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر اخرجه مالك فى الموطأ وفى امتناع عمر من اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبي ﷺ اخذها منهم دليل على ان راى الصحابة كان على انها لا تؤخذ من مشرك وإنما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا فى ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروى عن على بن طالب انه قال كان لهم

الشافعي إلى أن الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ولا تؤخذ من اهل الأوثان بحال واحتج بأن النبي ﷺ أخذها من أكيد ردومة وهو رجل من العرب يقال انه من غسان وأخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي إلى أنها تؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد وقال ابو حنيفة رضى الله عنه تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركى العجم ولا تؤخذ من مشركى العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة رضى الله عنهم على اخذ الجزية منهم اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا

(٩ - خازن - لث) الربيع انا الشافعي انا سفيان عن عمرو بن دينار سمع بجاله يقول لم يكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان النبي ﷺ اخذها من مجوس هجر اخبرنا ابو الحسن انا زاهر بن احمد ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادرى كيف اصنع فى امرهم فقال عبد الرحمن ابن عوف اشهد لسمعت النبي ﷺ يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب وفى امتناع عمر رضى الله عنه عن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبي ﷺ اخذها من مجوس هجر دليل على ان الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وإنما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا فى ان المجوس هل هم من اهل الكتاب ام لا فروى عن على رضى الله عنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا يوما وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائح المجوس ومناكحتهم بخلاف اهل الكتابين اما من دخل

فى دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر ان دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وإن دخلوا فى دينهم بعد النسخ بمجىء محمد ﷺ لا يقرون بالجزية ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم ومن شككنا فى أمرهم أنهم دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليباً لحقن الدم ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبنى تغلب أقرهم عمر رضى الله عنه على الجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما قدر الجزية فاقله دينار لا يجوز أن ينقص منه ويقبل الدينار من الفقير والغنى والوسط لما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسمعيل الضبى أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ثنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الرازق انا معمر (٦٦) أنا سفيان عن الأعمش عن ابى وائل عن مسروق عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال بعثنى النبى ﷺ إلى اليمن فأمره ان يأخذ من كل حالم ديناراً وعدله معافر فالنبى ﷺ امره ان يأخذ من كل حالم اى بالغ دينارا ولم يفصل بين الغنى والفقير والوسط وفيه دليل على انها لا تجب على الصبيان وكذلك لا تجب على النسوان إنما تؤخذ من الأحرار العاقلين البالغين من الرجال وذهب قوم إلى انه على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط ديناران وعلى كل فقير دينار وهو قول اصحاب الراى قوله تعالى (وقالت النصارى عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) روى سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك ابن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت تزعم ان عزير بن الله فانزل الله عز وجل وقالت اليهود عزير بن الله قرا عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين والاخرون بغير تنوين وهو فمن لم ينون قال لانه اسم اعجمى ويشبه اسماء مصغر أو من نون قال لانه اسم خفيف فوجهه ان يصرف وان كان اعجميا مثل نوح وهود ولوط واختار ابو عبيد التنوين وقال لان هذا ليس بمنسوب الى ابيه إنما هو كقولك زيد ابن الأمير وزيد ابن اخينا فعزير مبتدأ وما بعده خبر وقال عبيد بن عمير إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذى قال ان الله فقير ونحن اغنياء وروى عطية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إنما قالت اليهود عزير ابن الله من ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم قدعا الله عزير وابتهل إليه ان يرد اليه الذى نسخ من صدورهم فبينما هو يصلى مبتهلا إلى الله تعالى نزل نور من السماء

كتاب مدرسونه فاصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل فى دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وإن كانوا دخلوا فيه بعد النسخ بمجىء محمد ﷺ ونسخ شريعتهم بشريعته فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا فى امرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبنى تغلب أقرهم عمر على الجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسنبلهم سبيل اهل الكتاب فهم أهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين وأما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ماروى عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ لما وجهه الى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم أى محتلم دينارا أو عدله من المعافرية ثياب تكون باليمن اخرجه أبو داود فالنبى ﷺ امره ان يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغنى والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول اصحاب الرأى ويدل عليه ماروى عن اسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك فى الموطأ قال اصحاب الشافعى أقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار إلا بالتراضى فاذا رضى اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغنى أربعة دنانير قال العلماء إنما اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لانهم الذين انتقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بأيديهم كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد ﷺ وصحة نبوته فأمهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من اخذ الجزية من اهل الكتاب إقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بأن يؤمنوا ويصدقوا إذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه . قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) الاية لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الاية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه فى هذه الاية فأخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد اشرك به لأنه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقائهم على هذا الشرك

فدخل جوفه فعادت إليه التوراة فأذن في قومه وقال يا قوم ان الله تعالى قد آتاني التوراة وردها الى فعلق بها الناس يعلمهم فمكثوا ما شاء الله تعالى ثم أن التابوت نزل بعدذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله وقال الكلبي أن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل وقتل من قرأ التوراة وكان عزير إذ ذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله فلما رجع بنو إسرائيل إلى البيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة وتكون لهم آية بعد ما تمسنة يقال اتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه فمثلت التوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم ثم ان رجلا قال أن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وكان السبب فيه انهم كانوا على دين الاسلام إحدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى عليه السلام يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا به والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني أحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقال له النصارى من أنت قال بولص عدوكم فنوديت من السماء ليست لك توبة إلا أن تتنسر وقد تنبت فادخلوه الكنيسة ودخل بيتا سنة لا يخرج ليلا ولا نهارا حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه واحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورا وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة ثم توجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لم يكن عيسى بانس ولا بجسم ولكنه ابن الله وعلم ذلك رجل يقال له يعقوب ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم أنت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني وقال لكل واحد منهم اني غدا اذبح نفسي فادع الناس الى تحلك ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال إنما فعل ذلك لمرضاة عيسى فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس الى تحلته فتبع كل واحد طائفة من الناس فاختلفوا واقتتلوا فقال الله عز وجل وقالت النصارى المسيح ابن الله

وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى ﷺ جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان ابن اوفى وشاس ابن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله هذه الاية وقال عبيد بن عمير إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وإنما نسب ذلك إلى اليهود في وقالت اليهود جريا على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وإنما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس إلا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس انه قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد إليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا إلى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد اتاني الله التوراة وردها الى فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعدذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا إلا انه ابن الله وقال الكلبي ان بختنصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير إذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله مائة سنة قال فأتى ملك بإناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره فلما اتاهم قال عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم أن رجلا منهم قال ان أبي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير إلا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين أن هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فاخبر الله تعالى به عنهم واظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق واثبت من إنكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه إحدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة

(ذلك قولهم بأفواههم) يقولون بألسنتهم من غير علم قال أهل المعانى لم يذكر الله تعالى قولا مقرونا بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زورا (يضاهؤن) قرأ عاصم بكسر الهاء مهموزا والآخرون بضم الهاء مهموزا وهما لغتان يقال ضاهيته وضاهأته ومعناهما واحد قال ابن عباس رضى الله عنه يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يوطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدى ضاهت النصارى قول اليهود من قبل (٦٨) فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود من قبل عزير ابن الله وقال مجاهد يضاهؤون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله وقال الحسن شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة كما قال فى مشركى العرب كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم وقال القتيبى يريد أن من كان فى عصر النبى ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج اى قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى العجب (انى يؤفكون) اى يصرفون عن الحق بعد قيام الادلة عليه (اتخذوا احبارهم ورهبانهم) اى علماءهم وقراءهم والأحبار العلماء وأحدها حبر وحبر بكسر الحاء وفتحها والرهبان من النصارى اصحاب الصوامع واحدها راهب كصاحب وصحبان (اربابا) فان قيل انهم لم يعبدوا الاحبار والرهبان قلنا معناه انهم اطاعوهم فى معصية الله واستحلوا ما احلوا وحرموا ما حرموا فاتخذوهم كالارباب روى عن عدى ابن حاتم رضى الله عنه أتيت النبى ﷺ وفى عنق صليب من ذهب فقال لى ياعدى اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته فلما انتهيت إليه وهو يقرأ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا (من دون الله) حتى فرغ منها قلت انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه قال قلت بلى قال فتلك عبادتهم قال عبدالله بن المبارك

وهل بدل الدين إلا الملوك * واحبار سوء ورهبانها

فانى سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم أتى إلى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت أن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم أنه عمد إلى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والاخر ملكان فعلم نسطور أن عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له انت خالصتى وادع الناس لما علمتك وامره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ثم قال لهم إنى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم إنى سأذبح نفسى تقربا إلى عيسى ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد إلى الروم وواحد إلى بيت المقدس والاخر إلى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس إليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم إلى المسيح ابن الله وقال الامام فخر الدين الرازى بعد أن حكى هذه الحكاية والاقرب عندى ان يقال لعله ذكر لفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل فى حق إبراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفشا هذا المذهب الفاسد فى اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بأفواههم) يعنى انهم يقولون ذلك القول بألسنتهم من غير علم يرجعون إليه قال أهل المعانى لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والألسن إلا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهؤن) قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطؤن وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الأمم الخالية الكافرة وقال القتيبى يريد أن من كان فى عصر النبى ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب أى حق أن يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله (انى يؤفكون) يعنى انى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل وإقامة الحجة بأن الله واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع إلى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شىء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم فالله سبحانه وتعالى عجب نبيه ﷺ من تركهم الحق وإصرارهم على الباطل * قوله سبحانه وتعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من دون الله يعنى أنهم أطاعوهم فى معصية

(والمسيح ابن مريم) أى اتخذوه إلها (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) أى يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم إياه وقال الكلبى النور القرآن أى يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكذيبا (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) أى يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به محمدا ﷺ (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله محمدا ﷺ (بالهدى) قيل بالقرآن وقيل ببيان الفرائض (ودين الحق) وهو الاسلام (ليظهره) ليعليه وينصره (على الدين كله) على سائر الأديان كلها (ولو كره المشركون) واختلفوا فى معنى هذه الآية فقال ابن عباس الهاء عائدة إلى رسول الله ﷺ أى ليعله شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شىء وقال الاخرون الهاء راجعة إلى دين الحق وظهوره على الأديان هو ان لا يدان الله تعالى إلا به وقال ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا دخل فى الاسلام وروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى نزول عيسى عليه السلام قال وهلك فى زمانه الملل كلها إلا الاسلام وروى المقداد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعد عز عزيز او ذل ذليل اما يعزهم الله فيجعلهم

معصية الله تعالى وذلك أنهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالأرباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدى بن حاتم قال أتيت النبى ﷺ وفى عنقى صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ فى سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك

وهل بدل الدين إلا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها

(والمسيح بن مريم) يعنى اتخذوه إلها وذلك لما اعتقدوا فيه النبوة والحلول واعتقدوا فيه الالهية (وما أمروا) يعنى وما أمروا فى الكتب القديمة المنزلة عليهم على ألسنة أنبيائهم (إلا ليعبدوا إلها واحدا) لأنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) أى تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك فى العبادة والأحكام وأن يكون له شريك فى الالهية يستحق التعظيم والاجلال (يريدون) يعنى يريد رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله بأفواههم) يعنى يريد هؤلاء إبطال دين الله الذى جاء به محمد ﷺ بتكذيبهم إياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته ﷺ وهى أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التى ظهرت على يد النبى ﷺ الدالة على صدقة وثانيها القرآن العظيم الذى نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الأبد دالة على صدقه وثالثها أن دينه الذى أمر به هو دين الاسلام ليس فيه شىء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لأمره ونهيه واتباع طاعته والأمر بعبادته والتبرى من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلائل واضحة فى صحة نبوة محمد ﷺ فمن أراد إبطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم أن الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا ﷺ بمزيد النصر وإعلاء الكلمة وإظهار الدين بقوله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يعنى ويأبى الله إلا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا ﷺ ولو كره ذلك الكافرون * قوله عز وجل (هو الذى ارسل رسوله) يعنى أن الله الذى يأبى أن يتم نوره هو الذى أرسل رسوله يعنى محمدا ﷺ (بالهدى) يعنى بالقرآن الذى أنزله عليه وجعله هاديا إليه (ودين الحق) يعنى دين الإسلام (ليظهره) يعنى ليعليه (على الدين كله) يعنى على سائر الأديان وقال ابن عباس الهاء فى ليظهره عائدة إلى الرسول ﷺ والمعنى ليعله شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شىء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة إلى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الإسلام على الأديان كلها وهو ألا يعبد الله إلا به وقال ابو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا فى الإسلام ويدل على صحة هذا التاويل ماروى عن ابى هريره فى حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبى ﷺ ويهلك فى زمانه الملل كلها إلا الاسلام وعن المقداد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما ان يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوى بغير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله إنى كنت اظن حين انزل الله تعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث ريحا طيبة تتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعى وقد اظهر الله دين رسوله ﷺ على الأديان كلها بان ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الأديان باطل وقال واظهره على الشرك دين اهل الكتاب ودين الأميين فقهر رسول الله ﷺ الأميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون)

من أهلها أو يذلهم فيدينون له قلت فيكون الدين كله لله أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا أبو جعفر محمد سليمان بن منصور ثنا أبو مسلم بن إبراهيم بن عبد الله البلخي ثنا أبو عاصم النبيل ثنا عبد الحميد هو ابن جعفر عن الأسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى قالت قلت يا رسول الله ما كنت أظن أن يكون ذلك بعدما أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال يكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله تعالى ريحا طيبة فتقبض من كان في قلبه مثقال ذرة من خير ثم يبقى من لا خير فيه فيرجع الناس إلى دين آبائهم قال الحسين بن الفضل معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة وقيل ليظهره على الأديان التي حول النبي ﷺ فيغلبها قال الشافعي رحمه الله فقد أظهر الله رسوله ﷺ على الأديان كلها بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق وما خالفه من الأديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الأميين فقهر رسول الله ﷺ الأميين حتى دانوا بالإسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالإسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على الدين كله والله أعلم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان) يعني العلماء والقراء من أهل الكتاب قال (ليأكلون أموال الناس بالباطل) يريد ليأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم وهي المآكل التي يصيبونها منهم على تغيير نعت النبي ﷺ مخافون لو صدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل (ويصدون) ويصرفون الناس (عن سبيل الله) دين الله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان) قد تقدم معنى الأحبار والرهبان وأن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله سبحانه وتعالى أن كثيرا دليل على أن الأقل من الأحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل بعث النبي ﷺ وعبر عن أخذ الأموال بالأكل في قوله تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) لأن المقصود الأعظم من جمع المال الأكل فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقيل أنهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الأحكام وقيل أنهم كانوا يكتبون بأيديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي ﷺ وصفته في كتبه لأنهم كانوا يخافون ولو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل وقيل أن التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي ﷺ وكان الأحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الأموال ومنع الناس عن الإيمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في دين الإسلام (والذين يكنزون الذهب والفضة) أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لأن الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع إخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقة الأحبار والرهبان في الحرص على أخذ الأموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول أن الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فإذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال إن شئت تنحيت فكنت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر علي عبد حبشي لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وروى عن ابن عمر أنه قال له أعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للأموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسأل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر

فان كل مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذى ذكره الله فى القرآن يكوى به صاحبه وإن لم يكن مدفونا وروى عن على بن أبى طالب قال أربعة الاف فما فوقها كنز وما دونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبرى بسنده عن أبى أمامة قال توفى رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال النبى ﷺ كية ثم توفى اخر فوجد فى مئزره دينار ان فقال النبى ﷺ كيتان كان هذا فى أول الإسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شئ من المال اخرجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا فرج عنكم فانطلق فقال يا نبى الله أنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال أن الله لم يفرض الزكاة إلا لتطيب ما بقى من أموالكم وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له إلا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة إذا نظر اليها سرته وإذا أمرها اطاعته وإذا غاب عنها حفظته اخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله كنا مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره فقال بعض أصحابه انزلت فى الذهب والفضة فلو علمنا أى المال خيرا اتخذناه فقال النبى ﷺ أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول الأول وهو ما ذكرناه عن ابن عمر ان أن كل مال اديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر وإن كان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وإن قل إذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله إلا أن يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله علية وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليه فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وظهره كلما ردت اعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر اوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مرت عليه أولاها رد عليه اخراها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه اخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو فى بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفى بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الأولى هى رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الأرض الواسع الأملس والعقصاء هى الشاة الملتوية القرنين وإنما استثناها لأنها لا تولم بنطحها وكذا الجلحاء وهى التى لا قرن لها وكذا العضباء وهى الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبى هريرة قال قال النبى ﷺ من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الاية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهى صفة اخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتين فى الشدقين واللهزمتان عظمان ناتئان فى اللحيين تحت الاذنين * وقوله تعالى (ولا ينفقونها فى سبيل الله) يعنى ولا يؤدون زكاتها وإنما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونهم لأنه رد الكناية إلى المال المكنوز وهى اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية إلى الفضة لانها اغلب اموال الناس (فبشرهم بعذاب اليم) يعنى

مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن يكن مدفونا ومثله

عن ابن عباس أخبرنا إسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغفار بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج حدثنى سويد ابن سعيد ثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم أن أبا صالح بن زكوان أخبره أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه اخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة

بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما إلى الجنة واما إلى النار وروينا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ من آتاه مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الاية وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال كل مال زاد على اربعة آلاف درهم فهو كنز اديت منه الزكاة اولم تؤد وما دونها نفقة وقيل ما فضل عن الحاجة فهو كنز انا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا وكيع ثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم وروى عن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقول من ترك بيضاء او حمراء كوي به يوم القيامة وروى عن ابي امامة قال مات رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي ﷺ كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره دينار ان فقال النبي ﷺ كيتان والقول الاول اصح ان الاية في منع الزكاة لا في جمع المال والحلال قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وروى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الاية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع احدنا يدع لولده شيئا فذكر عمر ذلك لرسول الله فقال ان الله عز وجل لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وسئل عمر رضي الله عنه عن هذه الاية فقال كان ذلك قبل أن تنزل الزكاة فلما انزلت جعلها الله طهرا للاموال وقال ابن عمر ما أبالي لو أن لي مثل أحد ذهبا أعلم عدده أزكيه واعمل بطاعة الله قوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله قيل لم قال ولا ينفقونها ولم يقل ولا ينفقونهما وقد ذكر الذهب والفضة جميعا قيل أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم وكقوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها رد الكناية إلى التجارة لأنها أعم فبشرهم بعذاب اليم أي انذرهم (يوم يحمى عليها في نار جهنم) أي تدخل النار فيوقد عليها أي على الكنوز (فتكوى بها) فتحرق بها (جباههم) أي جباه كانزيها (وجنوبهم وظهورهم) روى عن ابن مسعود قال أنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدة وسئل أبو بكر الوراق لم خص الجباه والجنوب والظهور وبالكى قال لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وولاه ظهره واعرض عنه كشحه قوله تعالى (هذا ما كنزتم) أي يقال لهم هذا ما كنزتم (لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي تمنعون حقوق الله تعالى في اموالكم وقال بعض الصحابة هذه الاية في اهل الكتاب وقال الاكثرون هي عامة في اهل الكتاب والمسلمين وبه قال ابو ذر رضي الله عنه

الكافرين الذين لا يؤدون زكاة اموالهم (ق) عن ابي ذر قال انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين * وقوله تعالى (يوم يحمى عليها) يعني الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (في نار جهنم فتكوى بها جباههم) يعني بالكنوز جباه كانزيها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينارا على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء إنما خص هذه الأعضاء بالكى من بين سائر الاعضاء لان الغني صاحب المال إذا اتاه السائل فطلب منه شيئا تبدو منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح وتجتمع اسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب والح في السؤال ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل جهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا داب مانعي البر والاحسان وعاده البخلاء فلذلك خص هذه الأعضاء الثلاثة بالكى يوم القيامة ٥ وقوله سبحانه وتعالى (هذا ما كنزتم لانفسكم) اي يقال لهم ذلك يوم القيامة (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى فذوقوا عذاب ما كنزتم لانفسكم) الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها ملا من قريش إذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على

قوله تعالى (إن عدة الشهور) أى عدد الشهور (عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) وهى المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الثانى وجمادى الأول وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وقوله فى كتاب الله أى فى حكم الله وقيل فى اللوح المحفوظ قرأ أبو جعفر اثنا عشر وتسعة عشر وإحدى عشر بسكون العين وقرأ العامة بفتحها (يوم خلق السموات والأرض) والمراد منه الشهور الهلالية وهى الشهور التى يعتدبها المسلمون فى صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وبالشهور الشمسية تكون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم والهلالية تنقص عن ثلاث مائة وستين يوما بنقصان الاهلة والغالب أنها تكون ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما (منها أربعة حرم) من الشهور أربعة حرم وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد (ذلك الدين القيم) أى الحساب المستقيم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قيل قوله فيهن ينصرف إلى جميع شهور السنة أى فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية وترك الطاعة وقيل فيهن أى فى الأشهر الحرم قال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا فى الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن وإن كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن قال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها

على نفض كنفيه حتى يخرج من حلة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت أحدا منهم رجع اليه شيئا قال فادبر فاتبعته حتى جلس إلى سارية فقلت ما رايت هؤلاء إلا اكرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخارى(١) قلت من هذا قالوا اباذر قال فقمت اليه فقلت، اشى، سمعتك تقول قبيل فقال ماقلت إلا شيئا سمعته من نبيهم ﷺ ٠ قوله عز وجل (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الاخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتدبها المسلمون فى صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الاية من أجل النسىء الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدة الشهور سنة المسلمين التى يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (فى كتاب الله) يعنى فى اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يأتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القران لان فيه ايات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذى اوجبه وامر عباده بالاخذ به (يوم خلق السموات والأرض) يعنى ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والأرض أن السنة اثنا عشر شهرا (منها) يعنى من الشهور (اربعة حرم) وهى رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وإنما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقى قاتل ابيه وابنه واخيه فى هذه الاربعة الاشهر لم يهجه ولما جاء الاسلام لم يزدها إلا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات ايضا اشد من غيرها فلا تجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعنى ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله ﷺ الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذى لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذى لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد فى صومهم وحجهم وأعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن ابى بكر ان النبى ﷺ قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلدة الحرام قلنا بلى قال فاى يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى لمن بعض من سمعه ثم قال الا هل بلغت الا هل بلغت نعم قال اللهم اشهد * وقوله تعالى (فلا تظلموا فيهن) أنفسكم قيل الكناية فى فيهن ترجع إلى جميع الأشهر أى لا تظلموا أنفسكم فى

(١) قوله وزاد البخارى الخ هذه الزيادة لمسلم لا للبخارى اهـ من هامش

حلالا كفعل أهل الشرك وهو النسيء (وقاتلوا المشركين كافة) جميعا عامة (كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة كانه يقول فيهن وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري وقالوا أن النبي ﷺ غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال الاخرون أنه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم إلا أن يقاتلوا فيها وما نسخت قوله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر) قيل هو مصدر كالسعير والحريق وقيل هو مفعول كالجريح والقتيل وهو من التاخير ومنه النسيئة في البيع يقال إنسأ الله في أجله أي اخر وهو ممدود مهموز عند أكثر القراء وقرا ورش عن نافع من طريق البخاري بتشديد الياء من غير همز فقد قيل أصله الهمزة فخفف وقيل هو من النسيان على معنى المنسي أي المتروك ومعنى النسيء هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر وذلك أن العرب كانت تعتقد تعظيم الأشهر الحرم وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام وكانت عامة معايشهم من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك (٧٤) ثلاثة أشهر على التوالي وربما وقعت لهم حرب في بعض الاشهر الحرم فيكرهون تأخير حربهم فنسؤا أي اخروا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون المحرم فاذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع هكذا شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله عز وجل فيه وذلك بعد دهر طويل فخطب النبي ﷺ في حجته وبين ذلك كما أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف الفربري ثنا محمد بن سلام ثنا عبد الوهاب ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات عن ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وقال أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذو الحجة قلنا بلى قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال اليس البلد الحرام قلنا بلى قال فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قال بلى قال فان دماءكم وأموالكم قال محمد أحسبه قال أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض ما سمعه ألا هل بلغت ألا هل بلغت قالوا وكان قد استمر الذي بهم فكانوا ربما يحجون في بعض السنين في شهر ويحجون من قابل في شهر آخر قال مجاهد كانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور فوافقت

جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لأن المقصود منع الإنسان من الإقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات إلى الممات وقيل إن الكناية ترجع إلى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فيما سواهن وإن كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن إسحق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعد الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الإنسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا الا ان النبي ﷺ غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال آخرون أنه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم وما نسخت إلا أن يقاتلوا فيها (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على أعدائه قوله سبحانه وتعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر) النسيء في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام إلى شهر آخر وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم ﷺ وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف

أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام القابل حجة الوداع فوافق حجة شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة اليوم التاسع وخطب اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر إلى ماوضع الله عليه حساب الأشهر الحرم يوم خلق الله السموات والأرض وامرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل في مستأنف الأيام واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له (٧٥) نعيم بن ثعلبة وكان يكون أمير اعلى

عن ذلك ثلاثة أشهر متواليةو ربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الاشهر الحلال فنسوا يعني اخروا تحريم شهر إلى شهر اخر فكانوا يوخرون تحريم المحرم إلى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا إلى تاخير تحريم صفر اخروه إلى ربيع الأول فكانوا يصنعون هكذا يوخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر في السنة الثامنة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله ﷺ في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر إلى ماوضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والأرض وهو قوله ﷺ ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنازة بن عوف بن أمية الكناني وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لامرد لما قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه أن ينسهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وإن قال حلال عقدوا أوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي ﷺ وقال عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له مقلمس قال شاعرهم * وفينا ناسيء الشهر القلمس * وكانوا يفعلون ذلك إذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوبير عن الضحاك عن ابن عباس أن أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمر بن لحي يجر قصبة في النار فهذا ماورد في تفسير النسيء الذي ذكره في قوله تعالى إنما النسيء زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخره إلى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فاوقفوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يضل به الذين كفروا) وقرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا او يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم والاخذين بافعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ من يضل بضم الياء وكسر الضاد (يحلونه عاما ويحرمونه عاما)

بالموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فقال لامرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينساهم شهرا يغيرون فيه فيقول فان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاناور ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدركه النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم هو رجل بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم *وفينا ناسي، الشهر القلمس وكانوا لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم وقال جوبير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أخبرنا اسمعيل بن عبدالقاهر انبانا عبدالغافر بن محمد أنبانا محمد بن عيسى الجلودي ثنا

إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق أبا بني كعب وهو يجر قصبة في النار فهذا الذي ذكرناه هو النسيء الذي ذكره الله تعالى فقال إنما النسيء زيادة في الكفر يريد زيادة كفر على كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرأ حمزة والكسائي وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد كذا قوله تعالى زين لهم سوء أعمالهم وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد وهي قراءة الحسن ومجاهد على معنى يضل به الذين كفروا الناس وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الضاد لأنهم هم الضالون لقوم (يحلونه) يعني النسيء (عاما ويحرمونه عاما

ليواطئوا) أى ليوافقوا والمواطأة الموافقة (عدة ما حرم الله) يريد انهم لم يحلوا شهرا من الحرام إلا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا احلوا مكانه شهراً من الحرام لئلا يكون الحرم اكثر اشهرا كما حرم الله فيكون الموافقة فى العدد (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس (٧٦) يزين لهم الشيطان (والله لا يهدى القوم الكافرين) قوله (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الارض) الاية نزلت فى الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبى ﷺ لما رجع من الطائف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الثمار والظلال ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز هائلة وعدوا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ولم يورها بغيرها ليتأهبوا اهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله تعالى يا أيها الذين امنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا اخرجوا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الارض اى لزمتم ارضكم ومساكنكم (ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة) أى بخفض الدنيا ودعتها من نعيم الاخرة (فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة إلا قليل) ثم اوعدهم على ترك الجهاد فقال تعالى (إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما) فى الآخرة وقيل احتباس المطر عنهم فى الدنيا وسأل نجدة

يعنى يحلون ذلك الانسان عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه حراما فلا يغيرون فيه (ليواطئوا) يعنى ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعنى انهم ما أحلوا شهرا من المحرم إلا حرموا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال إلا احلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل أن يكون عدد الأشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة فى العدد لا فى الحكم فذلك قوله سبحانه وتعالى (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل (والله لا يهدى القوم الكافرين) يعنى أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر اثيم لما سبق له فى الازل أنه من أهل النار * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) نزلت هذه الاية فى الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازا وعدداً كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم ليتاهبوا اهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم يعنى قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا فى سبيل الله أى اخرجوا إلى الجهاد يقال استنفر الامام الناس إذا حثهم على الخروج إلى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وإذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم أى تثاقلتم وتباطأتم عن الخروج إلى الغزو إلى الأرض يعنى لزمتم أرضكم ومساكنكم وإنما استثقل ذلك العزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة إلى كثرة الاستعداد من العدو الزاد وكان ذلك الوقت وقت إدراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله (أرضيتم بالحياة الدنيا فى الاخرة) يعنى ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الاخرة (فما متاع الدنيا فى الآخرة إلا قليل) يعنى إن لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الاخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة إلى نعيم الاخرة وفى الاية دليل على وجوب الجهاد فى كل حال وفى كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الاية الآتية وهى قوله تعالى (إلا تنفروا) يعنى إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعذبكم عذابا اليما) يعنى فى الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا فى الاخرة قيل إن المراد به احتباس المطر فى الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن هذه الاية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبير هم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على أنه قد تكفل بنصرة نبيه ﷺ واعزاز دينه فان سارعوا معه إلى الخروج حيث استنفروا واحصلت النصرة بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وإن تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم لئلا يتوهموا أن أعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل إلا بهم وهو قوله تعالى (ولا تضروا الله شيئا) قيل الضمير راجع إلى الله تعالى يعنى ولا تضروا الله شيئا لانه

غنى

ابن نفيع بن عباس عن هذه الاية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من احياء العرب فتثاقلوا عليه فأمسكوا عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل اهل اليمن (ولا تضروه شيئا) بتركم النفير

(والله على كل شيء قدير) قوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله) هذا اعلام من الله عز وجل انه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه أعانوه أولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد (إذ أخرجه الذين كفروا) من مكة حين مكروا به وأرادوا تبييته وهموا بقتله (ثاني اثنين) اي هو احد الاثنين والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ والاخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه (إذ هما في الغار) وهو نقب في جبل ثور بمكة (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعا في هذه الاية غير ابي بكر الصديق رضي الله عنه أخبرنا أبو المظفر محمد بن احمد التميمي أنبأنا محمد بن عبد الرحمن بن عثمان أنبأنا خيثمة ابن سليمان ثنا عبد الله بن احمد الدورقي ثنا سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن كثير النواء عن جميع بن عمير قال أتيت ابن عمر رضي الله عنه فسمعته يقول قال رسول الله ﷺ لابي بكر رضي الله عنه انت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض قال الحسين ابن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب النبي ﷺ فهو كافر لإنكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا لا كافرا وقوله عز وجل لا تحزن ان الله معنا لم يكن حزن أبي بكر جبنا منه وإنما كان إشفاقا على النبي ﷺ وقال إن أقتل فانا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة وروى انه حين انطلق مع النبي ﷺ إلى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له النبي ﷺ مالك يا أبا بكر قال أذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهيا إلى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل فقال عمرو والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من عمرو من آل عمر اخبرنا أبو المظفر التميمي انا محمد بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي النصر انا خيثمة بن سليمان ثنا ابو قلابة الرقاشي ثنا حيان بن هلال ثنا همام بن يحيى ثنا ثابت البناني ثنا أنس بن مالك ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه حدثهم قال نظرت إلى اقدام المشركين فوق رؤسنا ونحن في الغار فقلت

غني عن العالمين وإنما تضرون أنفسكم بتركك الجهاد مع رسول الله ﷺ وقيل الضمير راجع إلى النبي ﷺ يعني ولا تضروا محمدا ﷺ شيئا فان الله ناصره على أعدائه ولا يخذله (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لأنها خطاب لقوم استنفرهم النبي ﷺ فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقليد فلا نسخ ه قوله عز وجل (إلا تنصروه فقد نصره الله) يعني إلا تنصروا محمدا ﷺ أيها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه إلى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله ﷺ واعزاز دينه وإعلاء كلمته أعانوه أولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد (إذ أخرجه الذين كفروا) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجه فيه كفار مكة من مكة حين مكروا به وأرادوا قتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما النبي ﷺ وأبو بكر (إذ هما في الغار) يعني إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) يعني يقول رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن (إن الله معنا) يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعا في هذه الاية غير ابي بكر وقال الحسن ابن المفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي ﷺ حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والقضية من أوجه منها اللفظ الدال على الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وملازمته النبي ﷺ ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار فلما انتهيا اليه قال والله لا تدخله حتى أدخله قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكنسه ووجد في جانبه ثقبا فشق إزاره وسدها به وبقي منهما ثقبان فألقمهما رجليه ثم قال لرسول الله ﷺ ادخل فدخل النبي ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه النبي ﷺ فسقطت دموعه على وجه النبي ﷺ فقال

رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبي احمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير انا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير ان عائشة زوج النبي ﷺ قالت لم اعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشيا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر (٧٨) مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومى فاريد ان اسيح فى الارض فاعبد ربى قال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جارا رجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال ان ابا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرا ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابى بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا فى غير داره ثم بدا لابى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرا القران فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القران فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا كنا أجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانه فان أحب ان يقتصر على ان يعبد ربه فى داره فعل وإن أبى ان لا يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فأنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابى بكر الاستعلان قالت عائشة فاتى ابن الدغنة إلى ابى بكر فقال قد علمت الذى عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع إلى ذمتى فانى لا احب ان تسمع العرب انى اخفرت فى رجل عقدت له فقال ابو بكر فانى ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله ورسوله ﷺ بمكة فقال رسول الله ﷺ للمسلمين انى رايت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة إلى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ على رسلك فانى ارجو ان يؤذن لى فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابى انت وامى قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا

مالك يا أبا بكر فقال لدغت فداك أبى وأمى فتفل عليه النبى ﷺ فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض النبى ﷺ ارتدت العرب وقالوا لا نؤدى الزكاة فقالوا لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق فقال لى اجبار فى الجاهلية خوارا فى الاسلام انه قد انقطع الوحى وتم الدين أينقص وانا حى اخرجه فى جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوى وروى انه حين انطلق مع رسول الله ﷺ إلى الغار جعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له النبى ﷺ مالك يا أبا بكر فقال اذكر الطلب فامشى خلفك واذكر الرصد فأمشى بين يديك فلما انتهيا إلى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرىء الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان اقتل فانا رجل واحد من المسلمين وإن قتلت هلكت الأمة

(ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخارى) عن عائشة قالت لم أعقل ابوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشيا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجنى قومى فاريد ان اسيح فى الأرض فاعبد ربى فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفى رواية فانفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه فى داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فأنا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابى بكر فلبث ابو بكر كذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لابى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القران فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا كنا أجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانه فان أحب أن يقتصر على ان يعبد ربه فى داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين

عنده

لأبي بكر الاستعلان قالت عائشة رضي الله عنها فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب إني اخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني أرد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة فقال له النبي ﷺ على رسلك فاني أرجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو بذلك بابي انت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها فبينا نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال فاني قد أذن لي في الخروج قال أبو بكر الصحبة بابي انت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أبو بكر فخذ بابي انت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين فقال رسول الله ﷺ بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فأخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن مالك بن جعشم ان أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رأيت آنفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت واهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر امر رسول الله ﷺ فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا ان قال اخف عنا ما استطعت فسألته ان يكتب لي كتابا امن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من اديم ومضى رسول الله ﷺ قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله ﷺ لقي الزبير

عنده من ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال ابو بكر فداء له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا امر قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستاذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر إنما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال فاني قد اذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ابو بكر فخذ بابي انت وامي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين فقال رسول الله ﷺ بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت لحق رسول الله ﷺ وابو بكر بغار في جبل ثور فمكثنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله

ابن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر النبي ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل (٨٠) وهو من بني عبد بن هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص ابن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم على طريق السواحل قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن ابن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة ابن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في النبي ﷺ وابي بكر رضي الله عنه دية كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينما انا جالس في مجلس مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني قد رايت آنفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات

حاذقا

في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشأم فكسا الزبير النبي ﷺ وابا بكر ثياب بياض وسمع المسلمين بالمدينة مخرج النبي ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما اطالوا انتظارهم فلما اووا إلى بيوتهم اوفى رجل من يهود على ظهر اطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر النبي ﷺ واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا النبي ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام ابو بكر للناس وجلس النبي ﷺ صامتا فطفق من جاء من الأنصار لمن لم ير النبي ﷺ يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس النبي ﷺ فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس الرسول ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهل غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فابى رسول الله ﷺ ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله ﷺ وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول هذا الحمال لا حمال خيبر ٥ هذا ابر ربنا واطهر

ويقول اللهم ان الأجر اجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث ان رسول الله صلى عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت اخرجه البخاري بطوله (شرح غريب ألفاظ الحديث) قولها لم اعقل ابوى إلا وهما يدينان الدين يعني انهما كانا ينقادان إلى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر إلى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شيء حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشيء المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه ففيه وصفه بالإحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الأرحام والقيام بامر العيال وإقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده أنا لك جار أي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان إظهار المخفي وقوله فينقذف النساء عليه يعني يزدحمن عليه والذمة العهد والأمان واخفارها نقضها واللابة الجبل والحرة الأرض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشيء على رسلك بكسر الراء أي على رهينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق جبل أو نحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتطف طرفا من أعلاه إلى اسفله لئلا يصل إلى الأرض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة إذا صار

فساخت يدا فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لاثر يديها غبار ساطع من السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذى اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر النبى ﷺ فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم خبر ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزانى ولم يسألانى شيئا إلا أن قالا أخف عنا فسألته أن يكتب لى كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من ادم ثم مضى رسول الله ﷺ قال ابن شهاب فاخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على آطم من أطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك (٨١) اليهودى أن قال بأعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته

حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير أول الليل وبتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعى بالغنم إذا دعاها لتجتمع إليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه فى الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا فى آل فلان إذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا إذا عدا عدواً دون الاسراع والكنانة هى الجعبة التى تجعل فيها السهام والازلام القداح التى كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعثار الغبار يقال ما زرأت فلانا شيئا اى ما أصبت منه شيئا والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيئا وقوله أوفى أى أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء اى هم ذو ثياب بيض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعنى هذا الحمل والمجعول من اللبن أبر عند الله واظهر وأبقى ذخراً وأدوم منفعة فى الآخرة لاحمال خيبر يعنى ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذى تحمله من اللبن لأجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روى هذا الجمال بالجيم من التجميل والرواية الاولى أشهر واكثر والله أعلم قال الزهرى لما دخل النبى ﷺ وأبو بكر الغار ارسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا فى أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أتت يمامة من فم الغار وقال النبى ﷺ اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخل هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت فى بعض التفاسير شعراً وقد نسب إلى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبى ولم يجزع يوقرنى * ونحن فى سدف فى ظلمة الغار
لاتحش شيئا فان الله ثالثنا * وقد تكفل لى منه باظهار
وإنما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنتهى منه إلى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فأنزل الله سكينته عليه) يعنى فأنزل الله الطمأنينة والسكون على النبى ﷺ

(١١ - خازن - لث) فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر اسعد بن زرارة فقال النبى ﷺ حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا النبى ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يارسول الله ثم بناه مسجداً وطفق النبى ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر ويقول اللهم إن الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث أن النبى ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات قال الزهرى لما دخل النبى ﷺ وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضتا فى أسفل النقب والعنكبوت حتى نسجت بيتا وفى القصة أنبت يمامة على فم الغار وقال النبى ﷺ اللهم اعم ابصارهم عنا فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت قوله عز وجل (فأنزل الله سكينته عليه) قيل على النبى ﷺ وقال ابن عباس على ابى بكر رضى الله عنه فالنبى ﷺ

عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل (وأيده بجنود لم تروها) وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقوا الرعب فى قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبى أعانه بالملائكة يوم بدر أخبر أنه صرف عنه كيد الأعداء فى الغار ثم اظهر نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين (٨٢) كفروا السفلى) وكلمتهم الشرك وهى السفلى إلى يوم القيامة (وكلمة الله هى العليا) إلى يوم القيامة

وقال ابن عباس عن أبى بكر لأن النبى ﷺ كانت عليه السكينة من قبل ذلك ﴿فصل فى الوجوه المستنبطة من هذه الاية الدالة على فضل سيدى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه﴾ منها أن النبى ﷺ لما اختفى فى الغار من الكفار كان مطلعاً على باطن أبى بكر الصديق فى سره وإعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته فى ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها أن هذه الهجرة كانت باذن الله فخص الله بصحبة نبيه ﷺ أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص على شرف أبى بكر وفضله على غيره ومنها أن الله سبحانه وتعالى عاتب أهل الأرض بقوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله سوى أبو بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان سيدنا أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يتخلف عن النبى ﷺ فى سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبى ﷺ فى الغار وبذل نفسه وفى هذا دليل على فضله ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثانى النبى ﷺ بقوله سبحانه وتعالى ثانى اثنين إذهما فى الغار وفى هذا نهاية الفضيلة لأبى بكر رضى الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء أن أبا بكر كان ثانى رسول الله ﷺ فى أكثر الاحوال ومنها أن النبى ﷺ دعا الخلق إلى الايمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر إلى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يد أبى بكر ثم حملهم إلى النبى ﷺ ومنها أن النبى ﷺ لم يقف موقف من غزواته إلا وأبو بكر معه فى ذلك الموقف ومنه أنه لما مرض ﷺ قام مقامه فى الامامة فكان ثانيه ومنها أن ثانيه فى تربيته ﷺ وفى هذا دليل على فضل أبى بكر الصديق ومنها ان الله سبحانه وتعالى نص على صحبة أبى بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى إذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله سبحانه كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها إنزال السكينة على أبى بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله أعلم ٥ وقوله سبحانه وتعالى (وأيده بجنود لم تروها) يعنى وأيد النبى ﷺ بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقى الرعب فى قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبى أعانه بالملائكة يوم بدر فأخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعداء وهو فى الغار فى حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى كلمة الشرك فهى سفلى إلى يوم القيامة (وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) قال ابن عباس هى كلمة لا إله إلا الله فهى باقية إلى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هى ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للنبى ﷺ ليقتلوه وكلمة الله ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده الله سبحانه وتعالى حقا وصدقا ٥ قوله سبحانه وتعالى (انفروا خفافا وثقالا) يعنى انفروا على الصفة التى يخفف عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التى يثقل عليكم فيها وهذان الوصفان يدخل فيهما اقسام كثيرة فلهذا اختلف عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعنى شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفى ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعنى فقراء وثقالا يعنى أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذى لا ضيعة له والثقيل الذى له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا أهل اليسرة

قال ابن عباس هى قول لا إله إلا الله وقيل كلمة الذين كفروا ما قدروا بينهم فى الكيد به ليقتلوه وكلمة الله وعد الله انه ناصره وقرأ يعقوب وكلمة الله بنصب التاء على أنها معطوفة على المفعول الاول لجعل وهو كلمة الذين كفروا والتقدير وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هى العليا فكلمة الله معطوفة على المفعول الاول والعليا معطوفة على المفعول الثانى وقرأ الباقون وكلمة الله بالرفع على الاستئناف كانه تم الكلام عند قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ثم ابتدأ فقال وكلمة الله هى العليا على الابتداء والخبر فكلمة الله مبتدأ والعليا خبره (والله عزيز حكيم) قوله تعالى (انفروا خفافا وثقالا) قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة شبابا وشيوخا وعن ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفى ركبانا ومشاة وقيل أبو صالح خفافا من المال اى فقراء وثقالا اى اغنياء وقال ابن زيد الثقيل الذى له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يدع ضيعته والخفيف الذى لا ضيعة له

ويروى عن ابن عباس قال خفافا أهل الميسرة من المال وثقالا اهل العسرة وقيل خفافا من السلاح أى مقلين منه وثقالا أى مستكثرين من منه وقال الحكم بن عتيبة مشاغيل وغير مشاغيل وقال مرثد الحمدانى أصحاء ومرضى وقال يمان بن رباب عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من حاشيتكم وأتباعكم وثقالا مستكثرين بهم وقيل خفافا مسرعين خارجين ساعة النفير وثقالا بعد التروى فيه الاستعداد له

(وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) قال الزهرى خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له أنك على صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال

من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا يعنى من السلاح مقلين منه وثقالا يعنى مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعنى مسرعين فى الخروج إلى الغزو وساعة سماع النفير وثقالا يعنى بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح أن هذا عام لأن هذه الأحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعنى على أى حال كنتم فيهما * فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الأمر كذلك فما معنى هذا الأمر * قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الاية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية وقال السدى نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل هذا الأمر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصارى شهد بدرا والمشاهد كلها مع النبى ﷺ ولم يتخلف عن غزاة غزاها المسلمون بعده فقيل له فى ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا اجدنى إلا خفيفا او ثقيلا وقال الزهرى خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان ابن عمرو كنت والياعلى حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم أنت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخى استنفرنا الله خفافا وثقالا إلا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الأول أنها منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه أن هذه الايات نزلت فى غزوة تبوك وان النبى ﷺ خلف فى المدينة فى تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على أن الجهاد من فروض الكفايات ليس على الأعيان والله اعلم * وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد إنما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثانى أن من كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بأن يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه (ذلكم) يعنى ذلكم الجهاد (خير لكم) يعنى من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه أن الجهاد خير حاصل لكم ثوابه (إن كنتم تعلمون) يعنى ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك قوله عز وجل (لو كان عرضا قريبا) فيه إضمار تقديره لو كان ماتدعوهم إليه عرضا يعنى غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ماعرض ذلك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر (وسفرا قاصدا) يعنى سهلا قريبا (لاتبعوك) يعنى لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الاية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا فى تلك المنافع التى تحصل لهم ولكن لو كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أنه إذا رجع النبى عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو قوله تعالى (وسيحلفون بالله) يعنى المنافقين الذين تخلفوا عن النبى ﷺ فى هذه الغزوة (لو استطعنا لخرجنا معكم) يعنى إلى هذه الغزوة (يهلكون انفسهم) يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على أن الايمان الكاذبة تهلك صاحبها (والله يعلم إنهم لكاذبون) يعنى فى إيمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا مستطيعين الخروج * قوله عز وجل (عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال الطبرى هذا عتاب من الله

عطاء الخراسانى عن ابن عباس نسخت هذه الاية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال السدى لما نزلت هذه الاية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى وأنزل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية ثم نزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لو كان عرضا قريبا) واسم كان مضمر اى لو كان ماندعوهم اليه عرضا قريبا اى غنيمة قريبة المتناول (وسفرا قاصدا) اى قريبا هينا (لاتبعوك) لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) اى المسافة والشقة السفر البعيد لأنه يشق على الانسان وقيل الشقة الغاية التى يقصدونها (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم) يعنى اليمين الكاذبة (والله يعلم أنهم لكاذبون) فى ايمانهم لانهم كانوا مستطيعين (عفا الله عنك) قال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون قال سفيان بن عيينة انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ان يعيره بالذنب

وقيل إن الله عز وجل وقره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريما عنده عفا الله عنك ما صنعت فى حاجتى ورضى الله عنك إلا زرتنى وقيل معناه أدام الله لك العفو (لم أذنت لهم) أى فى التخلف عنك

عز وجل عاتب الله به نبيه محمدا ﷺ أى فى أذنه لمن أذن له فى التخلف عنه من المنافقين حين شخص إلى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك إلى تبوك قال عمرو بن ميمون الازدى اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر بشىء فيهما إذنه للمنافقين واخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا إلى هذا اللطف بداء بالعفو قبل أن يعيره بالذنب

(فصل) استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين احدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب الوجه الثانى أنه سبحانه وتعالى قال لم أذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار * والجواب عن الاول انا لا نسلم أن قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول أن ذلك يدل على المبالغة فى التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره إذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت فى امرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم يخاطب المتوكل

عفا الله عنك إلا حرة ٭ تعود بفضلك أن ابعدا * ألم تر عبداً عدا طوره

ومولى عفا ورشيد اهدى * اقلنى اقالك من لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردى

* والجواب عن الثانى انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه إما ان يكون قد صدر عنه ذنب فى هذه الواقعة أو لا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أنه يتوجه الانكار عليه وإن لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا أن الانكار يمتنع فى حقه ﷺ وقال القاضى عياض فى كتابه الشفا فى الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه لم يتقدم للنبى ﷺ فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال تفطوية وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فى أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فاذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبى ﷺ عفا الله لكم من صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اى يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب ومن لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال الداودى أنها تكرمة وقال مكى هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعنى فى التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لاسيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يتبين لك الذين صدقوا) يعنى فى اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن النبى ﷺ يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة * قوله سبحانه وتعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) اى فى ان يجاهدوا وإنما حسن هذا الحذف لظهوره (والله عليم بالمتقين) يعنى الذين يتقون مخالفته ويسارعون إلى طاعته (إنما يستأذنك) يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر) وهم المنافقون لقوله (وارتابت قلوبهم) يعنى شكت قلوبهم فى الايمان وإنما أضاف الشك والارتياب إلى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا داخله الشك كان ذلك نفاقا (فهم فى ريبهم يترددون) يعنى أن المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الاية فقيل إنها منسوخة بالاية التى فى سورة النور وهى قوله سبحانه وتعالى إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم وقيل إنها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الايات ان المؤمنين

(حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى أعذارهم (وتعلم الكاذبين) فيها أى تعلم من لا عذر له قال ابن عباس رضى الله عنه لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى لا يستأذنك فى التخلف (والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم) أى شكت ونافقت (فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون

(ولو أرادوا الخروج) إلى الغزو (لأعدوا له) أى لهيؤا له (عدة) أهبة وقوة من السلاح والكراع (ولكن كره الله انبعاثهم) خروجهم (فثبطهم) منعهم وحبسهم عن الخروج (وقيل اقعدوا) فى بيوتكم (مع القاعدين) يعنى مع المرضى والزمنى وقيل مع النسوان والصبيان قوله عز وجل وقيل أى قال بعضهم لبعض اقعدوا وقيل أوحى إلى قلوبهم والهموا أسباب الخذلان (لو خرجوا فيكم) وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى على جدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فانزل الله تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (لو خرجوا فيكم) يعنى المنافقين فيكم أى معكم (ما زادوكم إلا خبالا) أى فسادا وشرا ومعنى الفساد إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر (ولأوضعوا) اسرعوا (خلالكم) فى وسطكم بايقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل الحديث من البعض إلى البعض وقيل لأوضعوا خلالكم أى اسرعوا فيما يخل بكم (يبغونكم الفتنة) أى يطلبون لكم ما تفتتون به يقولون لقد جمع لكم كذا وكذا وانكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك وقال الكلبى يبغونكم الفتنة يعنى العنت والشر وقال الضحاك الفتنة الشرك ويقال بغيته الشر والخير أبغيه بغيا إذا التمست له يعنى بغيت له (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد معناه وفيكم مخبرون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة معناه وفيكم مطيعون لهم أى يستمعون كلامهم ويطيعونهم (والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل) اى طلبوا صد اصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كفعل عبد الله بن ابى يوم احد حين انصرف عنك بأصحابه

كانوا يسارعون إلى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لأحدهم عذر استأذن فى التخلف فكان رسول الله ﷺ مخيرا فى الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون فى التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) يعنى إلى الغزو معكم (لاعدوا له عدة) لتهيؤه باعداد الات السفر والات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) يعنى خروجهم إلى الغزو معكم (فثبطهم) يعنى منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى أن الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبى ﷺ فصرفهم عنه وهنا يتوجه سؤال وهو أن خروج المنافقين مع النبى ﷺ إما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وإن كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه ﷺ فى اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال أن خروجهم مع رسول الله ﷺ كان فيه مفسدة عظيمة بدليل أنه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا بقى فلم عاتب الله رسوله ﷺ بقوله لم أذنت لهم فنقول أنه ﷺ أذن لهم قبل تمام الفحص وإكمال التأمل والتدبر فى حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل إنما عاتبه لاجل أنه أذن لهم قبل أن يوحى إليه فى أمرهم بالقعود (وقيل اقعدوا مع القاعدين) معناه أنهم لما استأذنوه فى القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا فى القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله ﷺ وإنما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه فى القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك واقعدوا وقيل أن القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان القى فى قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين إلى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما فى خروجهم من المفاسد فقال تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) يعنى لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الغزو ما زادوكم إلا فسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر فى العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وإيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولاوضعوا خلالكم) يعنى ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعنى يطلبون لكم ما تفتتون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وأنكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التى تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد يعنى وفيكم عيون لهم يؤدون إليهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم ينقلون إليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم * فان قلت كيف يجوز أن يكون فى المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين ؟ قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما أثر ذلك القول فى قلوب ضعفة المؤمنين فى بعض الاحوال (والله عليم بالظالمين) وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين * وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعنى لقد طلبوا صد أصحابك

(وقلبوا لك الأمور) جالوا فيك فى ابطال دينك الرأى بالتخذيل عنك وتشتيت امرك (حتى جاء الحق) النصر والظفر (وظهر أمر الله) دين الله (وهم كارهون) قوله تعالى (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) نزلت فى جد بن قيس المنافق وذلك أن النبى ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال يا أبا وهب هل لك فى جلاد بنى الأصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال جد يا رسول الله لقد عرف قومى أنى رجل مغرم بالنساء وإنى أخشى إن رأيت بنات بنى الأصفر أن لا اصبر عنهن ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بهن وأعينك بمالى قال ابن عباس اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق (٨٦) فاعرض عنه النبى ﷺ فقالت أذنت لك فانزل الله عز وجل ومنهم يعنى من المنافقين من يقول ائذن لى فى التخلف ولا تفتنى ببنات الاصفر قال قتادة ولا تؤثمنى (الا فى الفتنة سقطوا) اى فى الشرك والاثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم امر الله ورسوله (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) مطيفة عليهم وجامعة لهم فيها (ان تصبك حسنة) نصرة وغنيمة (تسؤهم) تحزنهم يعنى المنافقين (وان تصبك مصيبة) قتل وهزيمة (يقولوا قد اخذنا امرنا) حذرنا اى اخذنا بالحزم فى القعود عن الغزو (من قبل) اى من قبل هذه المصيبة (ويتولوا) ويدبروا (وهم فرحون) مسرورون بما نالك من المصيبة (قل) لهم يا محمد (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اى علينا فى اللوح المحفوظ (هو مولانا) ناصرنا وحافظنا وقال الكلبى هو اولى بنا من انفسنا فى الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل) المؤمنون قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا ايها المنافقون (الا احدى الحسنيين) إما النصر والغنيمة او الشهادة والمغفرة وروينا عن ابى هريرة عن رسول الله ﷺ قال تكفل الله لمن جاهد فى سبيله خالفه لا يخرجه من بيته إلا الجهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة (ونحن نتربص بكم) احدى السواتين اما (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) فيهلككم كما اهلك الامم الخالية (او بايدينا) او بايدى المؤمنين ان اظهرتم ما فى قلوبكم (فتربصوا إنا معكم متربصون) قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان إنا متربصون مواعيد الله من إظهار دينه واستئصال من خالفه

يا محمد عن الدين وردهم عن الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبى بن سلول يوم أحد حين انصرف بأصحابه عنكم (وقلبوا لك الأمور) يعنى وأجالوا فيك وفى أمرك وفى أبطال دينك الرأى وبالغوا فى تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت امرك (حتى جاء الحق) يعنى النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون يعنى ذلك * قوله عز وجل (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) نزلت فى الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبى ﷺ لما تجهز إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل لك فى جلاد بنى الاصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومى انى رجل مغرم بحب النساء وانى اخشى ان رأيت بنات بنى الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بهن واعينك بمالى قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق فاعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعنى ومن المنافقين من يقول ائذن لى يعنى فى التخلف والقعود فى المدينة ولا تفتنى يعنى ببنات بنى الاصفر وهم الروم (ألا فى الفتنة سقطوا) يعنى انهم وقعوا فى الفتنة العظيمة وهى النفاق ومخالفة رسول الله ﷺ والقعود عنه (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) يعنى يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها * قوله سبحانه وتعالى (وإن تصبك حسنة تسؤهم) يعنى أن تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وإن تصبك مصيبة) يعنى من هزيمة او شدة (يقولوا) يعنى المنافقين (قد اخذنا) يعنى اخذنا امرنا بالجد والحزم فى القعود عن الغزو (من قبل) يعنى من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعنى مسرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروة لن يصيبنا إلا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه فى اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا اراده لم يقدر له (هو مولانا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا فى الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى فى جميع امورهم (قل هل تربصون بنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا ايها المنافقون (إلا إحدى الحسنيين) يعنى اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب إلى الغزو والجهاد فى سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم فى الاخرة واما ان يقتل فى سبيل الله فتحصل له الشهادة وهى الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال تكفل الله وفى رواية تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا الجهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه فى الصحيحين * قوله سبحانه وتعالى (ونحن نتربص بكم) يعنى ونحن ننتظر بكم إحدى السواتين (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) يعنى فيهلككم كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية (او بايدينا) يعنى او يصيبكم بايدى المؤمنين بأن يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم (فتربصوا إنا معكم متربصون) قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من إظهار دينه واستئصال من

(قل أنفقوا طوعا أو كرها) أمر بمعنى الشرط والجزاء أى ان أنفقتم طوعا أو كرها نزلت فى جد بن قيس حين استأذن فى القعود قال أعينكم بمالى يقول ان أنفقتم طوعا أو كرها (لن يتقبل منكم أنكم) أى لأنكم (كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم) قرأ حمزة والكسائى يقبل بالياء لتقدم الفعل وقرأ الباقون بالتاء لأن الفعل مسند إلى جمع مؤنث وهو النفقات فأنث الفعل ليعلم أن الفاعل مؤنث (نفقاتهم) صدقاتهم (إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) أى المانع من قبول نفقاتهم كفرهم (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) متثاقلون لأنهم لا يرجون على اداتها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فان قيل كيف ذم الكسل فى الصلاة ولا صلاة لهم أصلا قيل الذم واقع على الكفر الذى يبعث على الكسل فان الكفر مكسل والايمان منشط (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) لأنهم يعدونها مغرما ومنعها مغنما (فلا تعجبك اموالهم ولا أولادهم) والاعجاب هو السرور بما يتعجب منه يقول لا تستحسن ما انعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان من الله فى استدراج كثر الله ماله وولده (إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) فان قيل أى تعذيب فى المال والولد وهم يتنعمون بها فى الحياة الدنيا قيل قال مجاهد وقتادة فى الآية تقديم وتأخير تقديره فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة وقيل التعذيب بالمصائب الواقعة فى المال والولد وقال الحسن يعذبهم بها فى الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة فى سبيل الله وقيل يعذبهم بالتعب فى جمعه والوجل فى حفظه والكره فى انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم على ملك لا يعذره (وتزهق أنفسهم) أى تخرج (وهم كافرون) أى يموتون على الكفر (ويحلفون بالله إنهم لمنكم) أى على دينكم (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافوا أن يظهروا ما هم عليه

خالفه (قل أنفقوا طوعا أو كرها) نزلت فى الجد بن قيس المنافق وذلك أنه استأذن النبى ﷺ فى القعود عنه وقال أنا أعطيكم مالى فانزل الله عز وجل ردا عليه قل أى يا محمد لهذا المنافق وأمثاله فى النفاق أنفقوا طوعا أو كرها يعنى أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم أو مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق (لن يتقبل منكم) لأن هذا الانفاق إنما وقع لغير الله وهذه الاية وإن كانت خاصة فى انفاق المنافقين فهى عامة فى حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه ثم علل بسبب منع القبول بقوله (إنكم) أى لأنكم (كنتم قوما فاسقين) والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) أى المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) جمع كسلان يعنى متثاقلين فى الأتيان إلى الصلاة ذلك لأنهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون الانفاق فى سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما (فلا تعجبك) يا محمد (أموالهم ولا أولادهم) هذا الخطاب وإن كان مختصا بالنبى ﷺ إلا أن المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشىء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد أنه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشىء ويكون سببا انقطاعه من الله عز وجل فينبغى للانسان ان لا يعجب بشىء من أمور الدنيا ولذاتها فان العبد إذا كان عن الله عز وجل فى استدراج كثر ماله وولده فيكثر إعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى (إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا فى الدنيا وفيهما اللذة والسرور فى الدنيا * قلت قال مجاهد وقتادة فى الاية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الاخرة وقيل إن سبب كون المال والولد عذابا فى الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق فى تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق فى حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة إلى التقديم والتأخير فى نظم الاية وأورد على هذا القول بأن هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بنى آدم مؤمنهم وكافرهم فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب فى الدنيا وأجيب عن هذا الايراد بأن المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم أنه مخلوق للاخرة وأنه يثاب بالمصائب الحاصلة له فى الدنيا فلم يكن المال والولد فى حقه عذابا فى الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة له وأنه ليس فيها ثواب فيبقى ما يحصل له فى الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه فى الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين فى الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم بها فى الدنيا أخذ الزكاة منهم والنفقة فى سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد فى الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب فى جمعه وحفظه والكره فى انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم فى الاخرة على ملك لا يعذره (وتزهق أنفسهم) يعنى وتخرج أنفسهم (وهم كافرون) والمعنى أنهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة * قوله عز وجل (ويحلفون بالله) يعنى المنافقين (أنهم لمنكم) يعنى على دينكم وملتكم (وما هم منكم) يعنى أنهم كاذبون فى أيمانهم (ولكنهم قوم يفرقون) يعنى انهم يخافون أن تظهروا على ما هم عليه من النفاق

(لو يجدون ملجأ) حرزا او حصنا او معقلا وقال عطاء مهربا وقيل قوما يأمنون فيهم (او مغارات) غيرانا فى الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذى تغور فيه اى تستتر وقال عطاء سراديب (او مدخلا) موضع دخول فيه وهو من ادخل يدخل واصله مدتخل مفتعل من دخل يدخل قال مجاهد محرزا وقال قتادة سربا وقال الكلبى نفقا فى الأرض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ وقرا يعقوب مدخلا بفتح الميم وتخفيف الدال وهو ايضا موضع الدخول (لولوا اليه) لادبروا اليه هربا منكم (وهم يجمحون) يسرعون فى اباء وتفور لا يردد وجوههم شىء ومعنى الاية انهم لو يجدون مخلصا منكم ومهربا لفارقوكم قوله تعالى (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) الاية نزلت فى ذى الخويصرة التميمى واسمه حرقوص بن زهير اصل الخوارج انا عبدالواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا (٨٨) ابو اليمان انا شعيب عن الزهرى اخبرنى ابو سلمة بن عبد الرحمن ان ابا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما فيأتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بنى تميم فقال ويلك فمن يعدل إذا لم اعدل قد خبت وخسرت ان لم أكن اعدل فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه فقال له دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شى ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شىء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل اسود إحدى عضديه مثل يدى المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد وأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه فامر بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتى به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله ﷺ الذى نعته وقال الكلبى قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجوط لرسول الله ﷺ لم تقسم بالسوية فانزل الله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات أى يعيبك فى أمرها وتفريقها ويطعن عليك فيها يقال لمزه وهمزه أى عابه يعنى أن المنافقين كانوا يقولون أن محمدا لا يعطى إلا من احب وقرا يعقوب يلمزك وكذلك يلمزون الحجرات ولا تلمزوا كل ذلك بضم الميم فيهن وقرأ الباقون بكسر الميم فيهن وهما لغتان يلمز ويلمز مثل يحسر ويحسر ويعكف ويعكف وقال مجاهد يلمزك أى يزورك يعنى يختبرك (فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) قيل ان اعطوا كثيرا فرحوا وان اعطوا قليلا سخطوا (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) اى قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) ما نحتاج اليه (إنا إلى الله راغبون) فى ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف اى لكان خيرا لهم واعود عليهم

(لو يجدون ملجأ) يعنى حرزا لو حصنا او معقلا يلجؤن إليه وقيل لو وجدوا مهربا الهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما يأمنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم (او مغارات) يعنى غيرانا فى الجبل جمع مغارة وهو الموضع الذى يغور فيه الانسان اى يستتر (او مدخلا) يعنى موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب فى الأرض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ (لولوا اليه) والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على احد هذه الوجوه الثلاثة وهى شر الامكنة واضيقها لولوا اليه اى لرجعوا اليه وتحرزوا فيه (وهم يجمحون) يعنى وهم يسرعون إلى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله ﷺ او المؤمنين لو قدروا ان يهربوا منكم إلى احد هذه الامكنة لصاروا إليه لشدة بغضهم إياكم قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) نزلت فى ذى الخويصرة التميمى واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم فيأتاه ذو الخويصرة رجل من بنى تميم فقال يارسول الله اعدل فقال رسول الله ﷺ ويلك من يعدل إذا لم اعدل وفى رواية قد خبت وخسرت إن لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لى فيه فأضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد فى رواية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفى رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبى قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم تقسم بالتوبة فنزلت هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حدث عهد بأعرابية اتى النبى ﷺ وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يامحمد والله لئن كان الله امرك ان تعدل فما عدلت فقال نبى ﷺ ويلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها إلا من يهواه فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات يعنى ومن المنافقين من يعيبك فى قسم الصدقات وفى تفريقها ويطعن عليك فى امرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد اى عابه (فان اعطوا منها) يعنى من الصدقات (رضوا) يعنى رضوا عنك فى قسمتها (وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) يعنى وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا (ولو انهم رضوا) يعنى ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) اى كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعنى اليه (إنا إلى الله راغبون) يعنى فى ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من

اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم * قوله عز وجل (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله ﷺ وعابوه فى قسم الصدقات بين الله عز وجل فى هذه الاية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله ﷺ منها بشىء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزوه ويعيبون عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زيادة بن الحرث الصدائى قال اتيت رسول الله ﷺ فبايعته فاتاه رجل فقال اعطنى من الصدقة فقال له رسول الله ﷺ ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الأجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود

(فصل فى بيان حكم هذه الاية وفيه مسائل) المسئلة الاولى فى بيان وجه الحكمة فى إيجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها إلى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا استغرق القلب فى حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة إلى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الإلهية إيجاب الزكاة فى ذلك المال الذى هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثانى ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل إلى شهواتها ولذاتها فاوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذى هو سبب لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد وإخراج المال مشق على النفس فاوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة اصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصى المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزانة الذين هم اغنياء بدفع طائفة من ماله إلى عياله فيثبت العبد المؤمن المطيع المسارع إلى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصى المانع لعياله من ماله (ق) عن ابى موسى الاشعرى على النبى ﷺ قال ان الخازن المسلم الامين الذى ينفذ وربما قال يعطى ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه إلى الذى امر له به احد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التى بايدى الاغنياء فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء فى ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية إذا امسك بقى معطلا عن المقصود الذى لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة إلى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية (المسئلة الثانية) الاية تدل على انه لا حق لاحد فى الصدقات إلا هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمتى إنما تفيد أن الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفى فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف إلا إلى الاصناف الثمانية (المسئلة الثالثة) فى بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول للفقراء والثانى للمساكين وهم المحتاجون الذين لا بقى خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء فى الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير الذى لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة ولكن الفقير من اتقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شىء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا من كان او غير زمن والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته سائلا كان او غير سائل فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الرأى الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعى ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات إلى هؤلاء الأصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ الفقراء وإنما يبدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من

عن زيادة بن الحارث الصدائى قال اتيت رسول الله ﷺ فبايعته فاتاه رجل وقال اعطنى من الصدقة فقال له رسول الله ﷺ ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك قوله للفقراء والمساكين فاحد اصناف الصدقة الفقراء والثانى المساكين واختلف العلماء فى صفة الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهرى الفقير الذى لا يسأل والمسكين الذى يسأل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة ولكن من اتقى نفسه وثيابه لا يقدر على شىء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف فذلك الفقير وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وروى عن عكرمة انه قال الفقراء من المسلمين والمساكين من اهل الكتاب وقال الشافعى الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا من كان او غير زمن والمسكين من كان له مال او حرفة ولا يغنيه سائلا كان او غير سائل فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير لان الله تعالى قال

 اما السفينة فكانت لمساكين اثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة وعند اصحاب الراى الفقير احسن حالا من المسكين

وقال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير من له المسكن والخادم والمسكين من لا ملك له وقالوا كل محتاج إلى شيء فهو مفتقر إليه وإن كان غنيا عن غيره قال الله تعالى انتم الفقراء إلى الله والمسكين المحتاج إلى كل شيء الا ترى كيف حض على اطعامه وجعل طعام الكفارة له ولا فاقة اشد من الحاجة الى سد الجوعة وقال ابراهيم النخعي الفقراء هم المهاجرون والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين وفي الجملة الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضعف الحال فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت

اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا ابو العباس الأصم ثنا الربيع انبأنا الشافعي انبأنا سفيان بن عيينة عن هشام يعني ابن عروة عن ابيه عن عبيد الله ابن عدي الخيار ان رجلين اخبراه انهما اتيا رسول الله فسألاه عن الصدقة فصعد فيهما وصوب فقال إن شئتما اعطيتكما ولا حظ فيهما الغني ولا لذي قوة مكتسب واختلفوا في حد الغنى الذي يمنع اخذ الصدقة فقال الأكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب الرأي حده ان يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما لا تحل له الصدقة لما روينا عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل اربعين درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله

حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

لما رأى لبد النسور تطايرت ٭ رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا أن الفقير إنما سمي فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة تمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولأن النبي ﷺ كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين اسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين احسن حالا من الفقير ولأن الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقر أسوأ حالا من المسكين وحجة أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولأن الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ايضا بقول الراعي اما الفقير الذي كانت حلوبته ٭ وفق العيال فلم يترك له سبد

واحتج ايضا بقول الاصمعي وأبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما يأكله والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج إلى شيء فهو مفتقر إليه وإن كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى انتم الفقراء إلى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فهو حجة لمذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لأنه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة ولا لم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي إنه ذكر الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز إطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال لا تحل الصدقة لغني ولا الذي مرة سوي أخرجه النسائي وأبو داود وله في رواية أخرى ولا الذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال أخبرني رجلان انهما أتيا النبي ﷺ وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرانا جلدين فقال إن شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب أخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن الصدقة فقال إن شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب الرأي حده ان يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل اربعين درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله

رسول الله ﷺ من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل صلى

يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب وهو قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحق وقالوا لا يجوز ان يعطى

الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهما وقيل أربعون درهما لما روى أن النبي ﷺ قال من سأله وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافه قوله تعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون قبض الصدقات من أهلها ووضعها في حقها فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو اغنياء فيعطون مثل أجر عملهم وقال الضحاك ومجاهد لهم الثمن من الصدقة (والمؤلفة قلوبهم) فالصنف الرابع من المستحقين للصدقة هم المؤلفة قلوبهم وهم قسمان قسم المسلمون وقسم كفار فأما المسلمون فقسمان قسم دخلوا في الاسلام ونيتهم ضعيفة فيه فكان النبي ﷺ يعطيهم تألفا كما أعطى عيينة بن بدر والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي أو اسلموا ونيتهم قوية في الاسلام (٩١) وهم شرفاء في قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لأمثالهم في الاسلام فهؤلاء يجوز للامام أن يعطيهم من خمس خمس الغنيمة والفيء سهم النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك ولا يعطيهم من الصدقات والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين أن يكون قوم من المسلمين بازاء قوم كفار من موضع متناء لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة ومنهم قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة يحملونها إلى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدي ابن حاتم جاء إلى أبي بكر الصديق بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا

ﷺ من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أربعين درهما الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله ﷺ لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الأول هم قوم أشراف العرب كان رسول الله ﷺ يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرادس السلمي فهؤلاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله ﷺ يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله ﷺ يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي امثال هؤلاء خمس خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله ﷺ لان رسول الله ﷺ كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم هم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازائهم من المسلمين لا يجاهدون لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها إلى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدي بن حاتم جاء ابا بكر بثلثمائة من الابل صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بعيرا واما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او يرجى إسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يرجو إسلامه فقد كان رسول الله ﷺ يعطيهم خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله إلى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغناه عن ان يتألف عليه احد من المشركين فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم راوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط بروى ذلك عن ابن عكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الرأي وإسحق بن راهويه وقال يا قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال أحمد يعطون إن احتاج المسلمين إلى ذلك الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره في فك الرقاب وفي تفسير الرقاب

وأما الكفار من المؤلفة فهو من يخشى شره منهم أو يرجى إسلامه فيريد الامام أن يعطي هذا حذرا من شره أو يعطي ذلك ترغيبا به في الاسلام فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله إلى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام فله الحمد وأغناه أن يتألف عليه رجالا فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال هذا كثير من أهل العلم أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط روى ذلك عن عكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي وإسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت يروى ذلك عن عكرمة وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون إن احتاج المسلمون إلى ذلك قوله تعالى (وفي الرقاب) والصنف الخامس هم الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة هذا قول أكثر الفقهاء وبه قال سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد والشافعي وقال جماعة يشترى بسهم الرقاب عبيد فيعتقون وهذا قول

الحسن وبه قال مالك وأحمد واسحق قوله تعالى (والغارمين) والصنف السادس هم الغارمون وهم قسمان قسم أدانوا لأنفسهم فى غير معصية فانهم يعطون من الصدقة إذا لم يكن لهم (٩٢) من المال ما يفى بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم أدانوا فى المعروف وإصلاح ذات البين فانهم يعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم وان كانوا أغنياء اخبرنا ابو الحسن السرخسى انبأنا زاهر بن احمد انبأنا ابو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ان رسول الله ﷺ قال تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة لغاز فى سبيل الله أو لغارم او لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المساكين فأهدى المسكين للغنى او لعامل عليها ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه او من كان دينه فى معصية الله وفساد فلا يدفع شىء اليه قوله تعالى (وفى سبيل الله) ارادوا الخروج إلى الغزو اراد بها الغزاة فلهم سهم من الصدقة يعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون به على امر العزو من النفقة والكسوة والسلاح والحولة وان كانوا اغنياء ولا يعطى شىء منه فى الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز

أقوال الأول ان سهم الرقاب موضوع فى المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعى والزهرى والليث بن سعد ويدل عليه أيضا قوله تعالى واتوهم من مال الله الذى اتاكم القول الثانى وهو مذهب مالك وأحمد ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبى حنيفة واصحابه أنه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى عتق رقبة ويعان بها مكاتب لأن قوله فى الرقاب يقتضى التبغيض القول الرابع وهو قول الزهرى ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط فى سهم الرقاب ان يدفع إلى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للأصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال إنما الصدقات للفقراء وقال فى الصنف الخامس وفى الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهى ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤا واما الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم لا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول فى الغارمين فيصرف نصيبهم فى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه فى الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج اليه سفره إلى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) أصل الغرم فى اللغة لزوم ما يشق عليه النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم فى غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم إذا لم يكن لهم مال يفى بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم أدانوا فى المعروف وإصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون ديونهم وإن كانوا اغنياء لما روى عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة لغاز فى سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل اسير اعانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى أخرجه ابو داود مرسلا لان عطاء بن يسار لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه أما من كان دينه فى معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا الصنف السابع قوله تعالى (وفى سبيل الله) يعنى وفى النفقة فى سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون إذا ارادوا الخروج إلى الغزو ما يستعينون به على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وابى سعيد الخدرى لا يعطى من سهم لمن اراد الحج عند اكثر أهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله إلى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفى سبيل الله عام فى الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر من بلد إلى بلد والسبيل الطريق سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتنى وليد ٭ إلى أن شبت واكتهلت لداتى

فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء له مال فى البلد الذى يقصده او لم يكن له وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل

ان يصرف سهم فى سبيل الله إلى الحج ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واحمد واسحق قوله تعالى (وابن السبيل) والصنف الثامن هم ابناء السبيل فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به المسافة يعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له فى البلد المنتقل اليه أو لم يكن وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل الحاج المنقطع

قوله تعالى (فريضة) أى واجبة (من الله) وهو نصب على القطع وقيل على المصدر أى فرض الله هذه الأشياء فريضة (والله عليم حكيم) اختلف أهل العلم والفقهاء فى كيفية قسم الصدقات وفى جواز صرفها إلى بعض الأصناف فذهب جماعة إلى أنه لا يجوز صرف كلها إلى بعضهم مع وجود سائر الأصناف وهو قول عكرمة وبه قال الشافعى قال يجب أن يقسم زكاة كل صنف من ماله على الموجودين من الأصناف الستة الذين سهامهم ثابتة قسمة على السواء لأن سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل إذا قسمه بنفسه ثم حصة كل صنف منهم لا يجوز أن تصرف إلى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاث يجوز فان لم يوجد من بعض الأصناف إلا واحد صرف حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شىء رده إلى الباقين وذهب جماعة إلى أنه لو صرف الكل إلى صنف واحد من هذه الأصناف أو إلى شخص واحد منهم يجوز وإنما سمى الله تعالى هذه الأصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الأصناف إلا إيجابا لقسمها بينهم جميعا وهو قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء (٩٣) واليه ذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى وبه قال احمد قال يجوز ان يضعها فى صنف واحد وتفريقها أولى وقال ابراهيم ان كان المال كثيرا يحتمل الأجزاء قسمه على الأصناف وان كان قليلا جاز وضعه فى صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الأولى فالأولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة فى الفقراء فى عام أكثر قدمهم وان رآها فى عام فى صنف آخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شىء من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه فاذا حصل أدنى اسم الغنى لا يعطى بعده فان كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته ولا يزاد على العامل على اجر عمله والمكاتب على قدر ما يعتق به والغارم على قدر دينه والغازى على قدر نفقته للذهاب والرجوع والمقام فى مغزاه وما يحتاج اليه من الفرس والسلاح وابن السبيل على قدر إتيانه مقصده أو ماله واختلفوا فى نقل الصدقة عن بلد المال إلى موضع آخر مع وجود المستحقين فيه فكرهه أكثر أهل العلم

هو الحاج المنقطع * وقوله تعالى (فريضة من الله) يعنى ان هذه الأحكام التى ذكرها فى هذه الاية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الأشياء فريضة (والله عليم) يعنى بمصالح عباده (حكيم) يعنى فيما فرض لهم لا يدخل فى تدبيره وحكمه نقض ولا خلل (المسئلة الرابعة) فى احكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على أن المراد بقوله إنما الصدقات للفقراء هى الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا فى كيفية قسمتها وفى جواز صرفها إلى بعض الأصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء إلى أنه لا يجوز صرفها كلها إلى بعض الأصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعى قال يجب أن يقسم زكاة ماله على الموجودين من الأصناف الستة الذين سماهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لأن سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط إذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الأصناف الستة لا يجوز أن تصرف إلى أقل من ثلاثة منهم إن وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يوجد من بعض الأصناف إلا واحداً دفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شىء رده إلى الباقين وذهب جماعة من العلماء إلى أنه لو صرف الكل إلى صنف واحد من هذه الأصناف أو إلى شخص واحد منهم جاز لأن الله سبحانه وتعالى إنما سمى هذه الأصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية إلا إيجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى واحمد ابن حنبل قال احمد بن حنبل يجوز ان يضعها فى صنف واحد وتفريقها أولى وقال ابراهيم النخعى إن كان المال كثيراً يحتمل الاجزاء قسمة الاصناف وإن كان قليلا وضعه فى صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الأولى فالأولى من اهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة فى الفقراء فى عام قدمهم وان رآها فى صنف آخر فى عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل ادنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيئاً وإن كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الإمام الشافعى رضى الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال احمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة اكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتى درهم فان اعطيته اجزا فان اعطى من بطنه فقيرا فبان انه غنى فهل يجزىء فيه قولان ولا يجوز ان يعطى

عنه أنه ورد صدقة حملت من خراسان إلى الشام إلى مكانها من خراسان قوله (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ ويقولون مالا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس ابن سويد منهم بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فنتكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن أي اذن سامعة يقال فلان اذن سامعة واذنة على وزن فعلة إذا كان يسمع كل ما قيل له ويقبله وأصله من أذن يأذن إذنا إذا استمع وقيل هو اذن أي ذو اذن وأذن سامعة وقال محمد بن اسحق بن يسار نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان رجلا أزنم ناتئ شعر الرأس احمر العينين اسقع الخدين مشوه الخلقة وقد قال النبي ﷺ من أحب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث رسول الله ﷺ الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقيل انما محمد اذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف بالله فيصدقنا فانزل الله تعالى هذه الاية قوله تعالى (قل أذن خير لكم) قرأ العامة بالاضافة اى مستمع خير وصلاح لكم لا مستمع شر وفساد وقرأ الاعشى والبرجمي عن ابى بكر أذن خير لكم مرفوعين منونين يعني ان يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم كذبهم فقال (يؤمن بالله) اى لا بل يؤمن بالله (ويؤمن للمؤمنين) اى يصدق المؤمنين ويقبل منهم لا من المنافقين يقال امنته وامنت له بمعنى صدقته (ورحمة) قرا حمزة ورحمة بالخفض على معنى أذن خير لكم وأذن رحمة وقرا الآخرون بالرفع أي هو اذن خير وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) في لأنه كان سبب إيمان المؤمنين (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي ﷺ وقالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس فحقره وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفوا ان عامر كذاب

صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطى والدا وإن علا ولا ولدا وإن سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله ﷺ انا آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال ابو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله ﷺ انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله ﷺ مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد بذلك المال إلى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكره أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله ﷺ لمعاذ واعلمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه إذا نقل المال الى بلد اخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض إلا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان إلى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ ويعيبونه ويقولون مالا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأتيه ونتكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن يسمع كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو اذن أي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان ازنم ناتئ الشعر احمر العينين اسقع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي ﷺ من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي ﷺ الى المنافقين فقال له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فأنزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقوله هو اذن انه ليس ببعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فأجاب الله سبحانه وتعالى بقوله (قل اذن خير لكم) يعني هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ اذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الإيمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أتؤمن لك وقوله آمنتم له (ورحمة) أي هو رحمة (للذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لأن المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه ﷺ رحمة لأنه يجري أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) يعني في الاخرة * قوله عز وجل (يحلفون بالله لكم ليرضوكم)

وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي ﷺ فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون اليه ويحلفون فانزل الله تعالى هذه الاية يحلفون بالله لكم ليرضوكم (والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله) يخالف الله ورسوله ان يكونوا في جانب واحد من الله ورسوله (فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم) أي الفضيحة العظيمة (يحذر المنافقون) اي يخشى المنافقون (ان تنزل عليهم) اى تنزل على المؤمنين (سورة تنبئهم بما في قلوبهم) أي بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين كانوا يقولون فيما بينهم ويسرون ويخافون الفضيحة بنزول القران في شانهم قال قتادة هذه السورة تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة اثارت مخازيهم ومثالبهم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انزل الله تعالى (٩٥) ذكر سبعين رجلا من المنافقين

في النبي ﷺ قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الأنصار اسمه عامر ابن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله إن ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي ﷺ واخبره فدعاهم فسالهم فانكروا وحلفوا ان عامر كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي ﷺ فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ﷺ اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الاية والمعنى يحلف لكم ايها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله ﷺ (والله ورسوله أحق ان يرضوه) اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود فقيل الضمير عائد على الله تعالى لان في رضا الله رضا رسوله ﷺ والمعنى والله ورسوله احق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله (إن كانوا مؤمنين) يعني إن كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده في الاخرة * قوله سبحانه وتعالى (الم يعلموا) قال اهل المعاني الم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه او انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله ﷺ بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون إليه خاطب المنافقين بقوله الم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (أنه من يحادد الله ورسوله) يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعادة واشتقاقه من الحاد يقال حاد فلان فلانا إذا صار في غير حاده وخالفه في أمره وقيل معنى يحادد الله ورسوله اى يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فان له نار جهنم) أي فحق ان له نار جهنم (خالدا فيها) يعني على الدوام (ذلك الخزى العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم وهو الفضيحة العظيمة * قوله عز وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (ان تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبئهم) يعني تخبر المؤمنين (بما في قلوبهم) بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك أن المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويستهزئون بهم ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني أنها فضحت المنافقين وبعثرت عن أخبارهم وإثارتها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لأن أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤوا) امر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم (إن الله مخرج) أي مظهر (ما تحذرون) والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يظهر إلى الوجود ما كان

بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة للمؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لأن اولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا إن الله مخرج) مظهر (ما تحذرون) قال ابن كيسان نزلت هذه الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفهم شانه وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وعمار بن ياسر يقود برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته وحذيفة يسوق به فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاها فلما نزل رسول الله ﷺ قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة ألا تبعث إليهم فتقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر محمد وأصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة أخبرنا إسميل بن عبد القاهر انبانا عبد الغافر بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عبادة قال قلنا لعمار أرأيتكم قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب أو عهدا عهده إليكم رسول الله ﷺ فقال ما عهد إلينا النبي ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة وقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن في أمتي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في أمتي إثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من النار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم

قوله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزول هذه الآية على ما قال الكلبي ومقاتل وقتادة أن النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقران والرسول ﷺ الثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم و يفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا المقيمين بالمدينة قران وإنما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب اى كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب قال عمر فلقد رأيت عبد الله بن ابي يشتد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن مايلتفت اليه ولا يزيده عليه قوله (قل) اى قل يا محمد للمنافقين) ابالله وآياته) كتابه (ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا وقد كفرتم بعد ايمانكم) فان قيل كيف قال ان كفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين قيل معناه اظهرتم الكفر بعد ما اظهرتم الايمان عليه

المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قد أضمروا له وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله ﷺ وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت إليهم من يقتلهم فقال اكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفينا هم الله بالدبيلة (م) عن قيس بن عبادة قال قلت لعمار أرأيت قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأي يخطىء ويصيب أم عهدا عهده اليكم رسول الله ﷺ فقال ما عهد الينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة وقال ان رسول الله ﷺ قال ان في امتي قال شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله ﷺ ان في امتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة جراح من النار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم * قوله سبحانه وتعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) الاية وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولا خبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القران قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة يقول إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله ﷺ ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده قال محمد ابن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت اخو امية بن زيد بن عمرو ابن عوف وقال قتادة بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه محمدا ﷺ على ذلك فقال رسول الله ﷺ احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمداً يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمداً يزعم انه أنزل في أصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الاية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انا كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق باللعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في دخول مع تلويث وأذى (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (ابالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤن) فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده واحكامه والمراد بآياته وبرسوله محمد ﷺ فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء * قوله عز وجل (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو اثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام

(إن نعف عن طائفة منكم) أي نتب على طائفة منكم وأراد بالطائفة واحدا (نعذب طائفة بانهم مجرمين) بالاستهزاء. وقرأ عاصم نعف بالنون وفتحها وضم الفاء. نعذب بالنون وكسر الدال طائفة نصب وقرأ الاخرون يعف بالياء وضمها وفتح الفاء. تعذب بالتاء وفتح الذال طائفة رفع على غير تسمية الفاعل وقال محمد بن اسحق الذي عفى عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا أزال اسمع آية تقرأ عني بها تقشعر الجلود منها وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه غيره قوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) اي هم على دين واحد وقيل امرهم واحد بالاجتماع على النفاق (يأمرون بالمنكر) بالشرك والمعصية (وينهون عن المعروف) اي عن الايمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) أي يمسكونها عن الصدقة والانفاق في سبيل الله ولا يبسطونها بخير (نسوا الله فنسيهم) تركوا طاعة الله فتركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في الاخرة وتركهم في عذابه (ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم) كافيهم جزاء على كفرهم (ولعنهم الله) أبعدهم الله من رحمته (ولهم عذاب مقيم) دائم

عليه يوجب الكفر فلهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * فان قلت المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد إيمانكم * قلت معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد إيمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين. وقوله سبحانه وتعالى (إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة قالوا احد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال ابن اسحق الذي عفى عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال إنه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الاية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم إني لا أزال اسمع اية تقرأ عني بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد أنا غسلت أنا كفنت انا دفنت فأصيب يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه * قلت سبحانه وتعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) يعني انهم على امر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اي أمرنا واحد لا مباينة فيه (يأمرون بالمنكر) يعني بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب النبي ﷺ (وينهون عن المعروف) يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول ﷺ (ويقبضون ايديهم) يعني عن الانفاق في سبيل الله تعالى وفي كل خير (نسوا الله فنسيهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه أيضا فان النسيان في حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الأول معناه أنهم تركوا أمره حتى صار بمنزلة الناسين له فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى (ان المنافقين هم الفاسقون) يعني هم الخارجون عن الطاعة (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر (نار جهنم خالدين فيها) فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (ولعنهم الله) يعني وأبعدهم من رحمته وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقيم) اي دائم لا ينقطع * فان قلت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه * قلت ليس ذلك تكرارا أو بيان الفرق من وجهين الاول معناه ولهم نوع اخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل ان يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار وهي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء إلى اخر إلى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بأن قولهم هي حسبهم في ايلام ولا يمتنع لان يحصل نوع اخر من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم * قوله سبحانه وتعالى (كالذين من قبلكم) هذا رجوع عن الغيبة إلى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كأفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل إنه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع امره لاجل طلب الدنيا من قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بأنهم كانوا

 (كالذين من قبلكم) أي فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول من أمر الله فلعنتم كما لعنوا

(كانوا أشد منكم قوة) بطشا ومنعة (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) فتمتعوا وانتفعوا بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضا عن الآخرة (فاستمتعتم بخلاقكم) ايها الكفار والمنافقون (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) وسلكتم سبيلهم (وخضتم) في الباطل والكذب على الله تعالى وتكذيب رسله بالاستهزاء بالمؤمنين (كالذين خاضوا) أي كما خاضوا وقيل كالذي يعني كالذين خاضوا وذلك ان الذي اسم ناقص مثل ما ومن يعبر به عن الواحد والجمع نظيره قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ثم قال ذهب الله بنورهم (اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون) اي كما حبطت اعمالهم وخسروا كذلك حبطت اعمالكم وخسرتم اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انبأنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا ابو عمر الصنعاني من اليمن عن زيد بن اسلم عن عطاء ابن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعوهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي رواية ابي هريرة فهل الناس إلا هم وقال ابن مسعود رضي الله عنه انتم اشبه الأمم ببني اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا قوله تعالى (ألم يأتهم) يعني المنافقين (نبأ) خبر (الذين من قبلهم) حين عصوا رسلنا وخالفوا امرنا كيف عذبناهم واهلكناهم ثم ذكرهم فقال (قوم نوح) اهلكوا بالطوفان (وعاد) اهلكوا بالريح (وثمود) بالرجفة (وقوم ابراهيم) بسلب النعمة وهلاك نمرود (واصحاب مدين) يعني قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلها وهم قوم لوط وقراهم (اتتهم رسلهم بالبينات) فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يامعشر الكفار فاخذرو تعجيل النقمة (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) في الدين (واجتماع الكلمة والعون والنصرة

أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر موالاة وأولاداً فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشا ومنعة (وأكثر أموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم) يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الاخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق الله للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلاقكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون بخلاقكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) * فان قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم عاد ذكره في حق الاولين ثالثا * قلت فائدته انه بدم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الاخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع إلى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له انت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا للتأكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم * وقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند إليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين (أولئك حبطت أعمالهم) يعني بطلت أعمالهم (في الدنيا والاخرة) يعني ان أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى أنه كما يطلب أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي ﷺ لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى دخلوا جحر ضب لا تبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن * قوله تعالى (ألم يأتهم) رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد أتاهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلهم) يعني الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم نوح) يعني أنهم أهلكوا بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح العقيم (وثمود) اهلكوا بالرجفة (وقوم إبراهيم) أهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الوظائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم (أتتهم رسلهم بالبينات) يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجعل لكم النقمة كما عجلت لهم (فما كان الله ليظلمهم) يعني بتعجيل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني ان الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم * قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والاخرة عقبه بذكر اوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعدلهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنين والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يعني الموالات في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة * فان قلت انه سبحانه وتعالى قال وصف المنافقين

بعضهم من بعض وقال فى وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة فى ذلك * قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بعض فظفر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة * وقوله سبحانه وتعالى (يأمرون بالمعروف) يعنى بالايمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف فى الشرع من خير وبر وطاعة (وينهون عن المنكر) يعنى عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا فى مقابلة ما وصف به المنافقون وضده (ويقيمون الصلاة) يعنى الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها (ويؤتون الزكاة) يعنى الواجبة عنهم وهو مقابلة ويقبضون ايديهم (ويطيعون الله ورسوله) يعنى فيما يأمرهم به وهو فى مقابلة نسوا الله فنسيهم (أولئك) يعنى المؤمنين والمؤمنين الموصوفين بهذه الصفات (سيرحمهم الله) لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب فى نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما اعد لهم فى الجنان والسين فى قوله سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد (إن الله عزيز حكيم) وهذا يوجب المبالغة فى الترغيب والترهيب لان العزيز وهو الذى لا يمتنع عليه شىء أراده فهو قادر على إيصال الرحمة لمن أرادو إيصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذى يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) لما ذكر الله فى الايات المتقدمة وعيد المنافقين وما اعد لهم فى نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى فى هذه الاية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التى تجرى من تحتها الانهار البساتين التى يتحير فى حسنها الناظر لأنه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة فى جينات عدت والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن ومناظرهم الجنان التى هى البساتين فتكون جنات عدن هى المساكن التى يسكنونها والجنات الأخر هى البساتين التى يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعنى ومنازل يسكنونها طيبة (فى جنات عدن) يعنى فى بساتين خلد وإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به روى الطبرى بسنده عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله ﷺ عن هذه الاية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفى رواية كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ عدن داره يعنى دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنة ولا يسكنها مع بنى ادم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هذا رواه الطبرى فان صحت هذه الرواية فلا بد من تاويلها فقوله عدن داره يعنى دار الله من باب حذف المضاف تقديره عدن دار أصفياء الله تعالى التى أعدها لأوليائه وأهل طاعته والمقربين من عباده عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال جنتان من فضة آنيتهما ومن فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومن فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن أخرجه البخارى ومسلم وقال عبدالله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعنى وسطها وقال عبدالله بن عمرو بن العاص أن فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبى او صديق او شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر فى الجنة جنانه على حافتيه وقال مقاتل والكلبى عدن أعلى درجة فى الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهى مغطاة من حين خلقها الله تعالى حتى ينزلها أهلها وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال الامام

والطاعة والخير (وينهون عن المنكر) عن الشرك والمعصية وما لا يعرف فى الشرع (ويقيمون الصلاة) المفروضة (ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة) منازل طيبة (فى جنات عدن) أى بساتين خلد وإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به قال ابن مسعود هى بطنان الجنة أى وسطها قال عبد الله بن عمرو بن العاص إن فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد وقال الحسن قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل وقال عطاء بن السائب عدن نهر فى الجنة جنانه على حافتيه وقال مقاتل والكلبى عدن أعلى درجة فى الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهى مغطاة من حين خلقها الله تعالى حتى ينزلها أهلها الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون

ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأذفر الأبيض

(ورضوان من الله أكبر) أى رضا الله عنهم أكبر من ذلك النعيم الذى هم فيه (ذلك هو الفوز العظيم) روينا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال يقول الله عز وجل لاهل الجنة يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعطه أحدا من خلقك فيقول افلا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون ربنا وأى شىء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا قوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف والقتل (والمنافقين) واختلفوا فى صفة جهاد المنافقين قال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وقال لا تلق (١٠٠) المنافقين إلا بوجه مكفهر وقال ابن عباس باللسان وترك الرفق وقال الضحاك بتغليظ الكلام وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم ومأواهم) فى الاخرة (جهنم وبئس المصير) قال عطاء نسخت هذه الاية كل شىء من العفو والصفح قوله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا) قال ابن عباس كان رسول الله ﷺ جالسا فى ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه النبى ﷺ فقال علام تشتمنى انت واصحابك فانطلق الرجل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال الكلبى نزلت فى الجلاس بن سويد وذلك ان النبى ﷺ خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال اجل ان محمد الصادق وأنتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب على يارسول الله وأمرهما النبى ﷺ أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذى لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذى لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع يديه إلى السماء وقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال النبى ﷺ والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام من السماء قبل ان يتفرقوا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خير لهم فقام الجلاس فقال يارسول الله أسمع الله عز وجل قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه وحسنت توبته ولقد

فخر الدين الرازى حاصل هذا الكلام أن فى جنات عدن قولين أحدهما انه اسم علم لموضع معين فى الجنة وهذه الاخبار والاثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده والقول الثانى انه صفة للجنة قال الازهرى العدن ماخوذ من قولك عدن بالمكان إذا أقام به يعدن عدونا فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن ٥ وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله اكبر) يعنى أن رضوان الله الذى ينزل عليهم أكبر من كل ماسلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) إشارة إلى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله ﷺ قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شىء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا اسخط بعده عليكم ابدا ٥ قوله سبحانه وتعالى (يا ايها النبى جاهد الكفار) يعنى بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعنى وجاهد المنافقين واختلفوا فى صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف أن المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس امر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وإذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعنى إذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان إقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق وإنما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم فى زمن النبى ﷺ المنافقون قال الطبرى وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الاية على وجوب جهاد المنافقين وليس فى الاية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفر إنما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود (واغلظ عليهم) يعنى شدد عليهم بالجهاد والارهاب (ومأواهم جهنم وبئس المصير) يعنى ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم إليها ٥ فان قلت كيف ترك النبى ﷺ المنافقين بين اظهر اصحابه مع علمه بهم وبحالهم ٥ قلت إنما امر الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ بقتال من اظهر كلمة الكفر واقام على إظهارها فأما من تكلم بالكفر فى السر فاذا اطلع عليه انكره ورجع عنه وقال انى مسلم فانه يحكم باسلامه فى الظاهر فى حقن دمه وماله وولده وإن كان معتقدا غير ذلك فى الباطن لان الله سبحانه وتعالى امر باجراء الاحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبى ﷺ المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم إلى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم فى الاخرة بما يستحقون ٥ قوله عز وجل (يحلفون بالله ما قالوا

(ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) أى اظهروا الكفر بعد إظهار الايمان والاسلام وقيل هى سب النبى ﷺ وقيل كلمة الكفر قول الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل كلمة الكفر قولهم لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وستأتى القصة فى موضعها فى سورة المنافقين (وهموا بما لم ينالوا) قال مجاهدهم المنافقون بقتل المسلم الذى سمع قولهم لنحن شر من الحمير لكى لا يفشيه وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين وقفوا على العقبة فى طريق تبوك ليفتكوا برسول الله ﷺ فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم فأرسل حذيفة لذلك وقال السدى قالوا إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبى تاجا فلم يصلوا إليه (وما نقموا) وما كرهوا وما أنكروا منهم (إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وذلك أن مولى الجلاس قتل فأمر رسول الله ﷺ بديته اثنى عشر ألف درهم فاستغنى وقال الكلبى كانوا قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش فلما قدم عليهم النبى ﷺ استغنوا

ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية فقال عروة بن الزبير نزلت فى الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس إن كان ماجاء به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التى نحن عليها فقال مصعب أما والله ياعدو الله لأخبرنا النبى ﷺ بما قلت وخفت أن ينزل فى القرآن أو أن تصيبنى قارعة أو أن أخلط بخطيئته فأتيت النبى ﷺ فقلت يارسول الله اقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة الله أن أخلط بخطيئته أو تصيبنى قارعة ماأخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له ياجلاس اقلت ماقال مصعب فحلف ماقال فأنزل الله عز وجل يحلفون بالله ماقالوا الاية وروى عن مجاهد ونحوه وقال ابن عباس كان رسول الله ﷺ جالسا فى ظل حجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال علام تشتمنى أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماقالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنه فأنزل الله عز وجل يحلفون بالله ماقالوا ثم نعتهم جميعا إلى آخر الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الأنصار فظهر الغفارى على الجهنى فقال عبد الله بن ابى بن سلول للأوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبى ﷺ فأرسل اليه فسأله فحلف بالله ماقال فانزل الله هذه الاية هذه روايات الطبرى وذكر البغوى عن الكلبى قال نزلت فى الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يارسول الله على فاقرها رسول الله ﷺ ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذى لا إله إلا هو ماقاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذى لا إله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يارسول الله اسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعنى اظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هى سب النبى ﷺ فقيل هى كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل هى كلمة عبد الله بن ابى بن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وستأتى القصة فى موضعها فى سورة المنافقين ان شاء الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى (وهموا بما لم ينالوا) قال مجاهد هم الجلاس يقتل الذى سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن ابى بن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فليزلنه وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين بقتل رسول الله ﷺ فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدى قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابى بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه (وما نقموا الا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) يعنى وما انكروا على رسول الله ﷺ شيئا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبى ﷺ ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فقموا شرا وبطرا وقال ابن قتيبة معناه ينقمون شيئا ولا يتعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

مانقم الناس من امية الا * انهم يحلمون ان غضبوا

(فان يتوبوا) من نفاقهم وكفرهم (يك خيرا لهم وإن يتولوا) يعرضوا عن الايمان (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بالخزي (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الاية أخبرنا أبو سعيد الشريحي ثنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن حامد الأصفهاني ثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ثنا محمد بن نصر حدثني أبو الأزهر أحمد ابن الازهر ثنا مروان بن محمد بن شعيب ثنا معاذ بن رفاعة عن علي بن زيد القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أدع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله ﷺ ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك (١٠٢) فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله ﷺ أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فو الذي بعثك بالحق لئن رزقني اللهمالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها وهي تنمو كالدود فكان يصلي مع النبي ﷺ الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت فنمت فتباعد ايضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار فذكره ﷺ ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها وادفقال رسول الله ﷺ ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة فسالاه فانزل الله اية الصدقات فبعث رسول الله ﷺ رجلا من بني سليم ورجلا من جهينه وكتب لهما اسنان الصدقة كيف ياخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجلا من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا إلى ثعلبة حتى اتياه فسالاه الصدقة واقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلا اخت الجزية اذهبا فانطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع السلمي فنظر إلى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راياها قالوا ماهذه عليك قال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس فاخذا الصدقة ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أرني كتابكما فقراه ثم قال ماهذه إلا اخت الجزية إذهبا حتى ارى رأيي فانطلقا فلما رآهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه قال ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ثم دعا للمسلمين بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله

وهذا ليس مما ينقم وإنما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

أي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فأمر له النبي ﷺ بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبي دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة أن مولى لبني عدي قتل رجلا من الأنصار فقضى له النبي ﷺ بالدية اثني عشر ألفا وفيه نزلت وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا يك خيرا لهم) يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم في العاجل والاجل (وان يتولوا) يعني وإن يعرضوا عن الايمان والتوبة يصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) يعني بالخزي والاذلال (والاخرة) أي ويعذبهم في الاخرة بالنار (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) يعني وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والاخرة قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الاية روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي إمامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله ﷺ ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله أدع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله ﷺ أما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو ارادت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود فكان يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم جمعة خرج فتلقى الناس يسالهم عن الأخبار فذكر مر رسول الله ﷺ ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها وادفقال رسول الله ﷺ ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى اية الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة

تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية إلى قوله بما كانوا يكذبون وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه الصدقة فقال ان الله عز وجل منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثوا التراب على رأسه فقال رسول الله ﷺ هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبض صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ فأنا لا اقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها فلما ولي عثمان اتاه فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة أتى ثعلبة مجلساً من الأنصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه فوصلت الرحم وأحسنت إلى القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما قال فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود وقالوا والله لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله عز وجل بخلا به فقوله عز وجل ومنهم يعني من المنافقين من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنؤدين حق الله منه (ولنكونن من الصالحين) نعمل بعمل اهل الصلاح فيه من صلة الرحم والنفقة في الخير (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون

فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار اسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رآيا قالا ماهذه عليك قال خذاها فان نفسي بذلك طيبة فرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقراه ثم قال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى ارى رأيي قال فأقبلا فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن أن يتكلما ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فأخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الاية إلى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله ﷺ رجل من اقارب اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى آتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول ﷺ هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما ابى أن يقبل رسول الله ﷺ صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله ﷺ فاتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر أتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ولا ابو بكر فأنا لا اقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان واخرجه الطبري ايضا بسنده قال بعض العلماء إنما لم يقبل رسول الله ﷺ صدقة ثعلبة لأن الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ماوعد الله عليه وإهانة له على قوله إنما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على إخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن اتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السائب ان حاطب بن ابي بلتعة (١) كان له مال بالشام فابطا عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتاني من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الاية وحاصله ان ظاهر الاية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيه افعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ماسأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الاية ومن المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بأن يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقته (ولنكونن من الصالحين) يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح بأموالهم من صلة الأرحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير وإخراج الزكاة وإيصالها إلى اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة إلى كل ما يفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من اعمال البر شيئا (وتولوا) يعني عما عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعني عن العهد

---

(١) قوله ان حاطب الخ لم يذكر البغوي هذا القول واصاب فان حاطبا مهاجري بدري وفضل آل بدر لا يخفى اه مصححه

فأعقبهم) فأخلفهم (نفاقا في قلوبهم) أي صير عاقبة أمرهم النفاق يقال أعقب فلانا ندامة إذا صير عاقبة امره ذلك وقيل عاقبهم بنفاق قلوبهم يقال عاقبته واعقبته بمعنى واحد (إلى يوم يلقونه) يريد حرمهم التوبة إلى يوم القيامة (بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) اخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي ثنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني ثنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا احمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر ثنا ابو سهيل نافع بن مالك عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان (الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم) يعني ما اضمروا في قلوبهم وما تناجوا به بينهم (وان الله علام الغيوب) قوله تعالى (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الاية قال اهل التفسير حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة الاف درهم وقال يارسول الله مالي ثمانية الاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في ماله حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري واسمه الحباب بصاع من تمر وقال يارسول الله بت ليلتي اجر بالجرير لما الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لاهلي واتيتك بالاخر فامر رسول الله ﷺ ان ينثره في الصدقة فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وإن كان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه اراد ان يذكر فيمن اعطى الصدقة فانزل الله عز وجل الذين يلمزون اي يعيبون المطوعين من المؤمنين في الصدقات يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصما

(فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) يعني فأعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال أعقبت فلانا ندامة إذا صارت عاقبة أمره إلى ذلك وقيل معناه أنه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم (إلى يوم يلقونه) يعني أنه سبحانه وتعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه (بما أخلفوا الله ما وعدوه) يعني الصدقة والانفاق في سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعني في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا اؤتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعدا خلف وإذا خاصم فجر قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف ولبعض العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله إشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثرون هو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده واتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي ﷺ بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار وقوله ﷺ كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي ﷺ فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا واتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في امر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر رياء ايضا عن النبي ﷺ قال القاضي عياض واليه مال اكثر ائمتنا وحكى الخطابي قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي ﷺ لا يواجههم بصريح القول فيقول فلا منافق وإنما يشير اشارة كقوله ﷺ ما بال اقوام يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد الله في امر فليجتهد في الوفاء به ٥ وقوله سبحانه وتعالى (الم يعلموا) يعني هؤلاء المنافقين (ان الله يعلم سرهم) يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعني ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شيء منها (وان الله علام الغيوب) وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله عالم بجميع الأشياء فكيف تخفى عليه احوالهم ٥ قوله عز وجل (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الاية (ق) عن ابي مسعود البدري قال

لما نزلت اية الصدقة كنا نحمل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم الاية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله ﷺ حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف درهم جئتك باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول الله ﷺ بارك الله لك فيما أعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما ماتة وستين الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائتي وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجريد الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي واتيتك بالاخر فامره رسول الله ﷺ ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكن احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون ويعيبون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه (والذين لا يجدون إلا جهدهم) يعني ابا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيتصدق به اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيتصدق به لأن الغني اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير اخرج القليل إنما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج إلى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعني أن المنافقين كانوا يستهزؤن بالمؤمنين في إنفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم إن كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به * وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخريتهم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب اليم) يعني في الاخرة ٥ قوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم او لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال المفسرون لما نزلت الايات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا إلى رسول الله ﷺ يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر فلن يغفر الله لهم وإنما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لأن العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله ﷺ لما صلى على عمه حمزة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولأن آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والأرضين سبع والأيام سبع والأقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الاية قال رسول الله ﷺ إن الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله ﷺ إنما اخبر الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيدن على السبعين قال انه منافق فصلى عليه النبي ﷺ فانزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم ٥ وقوله سبحانه

(والذين لا يجدون إلا جهدهم) أي طاقتهم يعني ابا عقيل والجهد الطاقة بالضم لغة قريش واهل الحجاز وقرأ الأعرج بالفتح قال القتيبي الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة (فيسخرون منهم) يستهزؤن منهم (سخر الله منهم) أي جازاهم الله على السخرية (ولهم عذاب اليم استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) لفظ أمر معناه الخبر تقديره استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (إن تستغفر لهم سبعين مرة لن يغفر الله لهم) وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول الله ﷺ إن الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله على رسوله ﷺ سواء استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم

(ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح المخلفون) عن غزوة تبوك والمخلف المتروك (بمقعدهم) أي بقعودهم (خلاف رسول الله) قال ابو عبيدة أي بعد رسول الله ﷺ وقيل مخالفة لرسول الله ﷺ حين سار وأقاموا (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يعلمون وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود (فليضحكوا قليلا) في الدنيا (وليبكوا كثيرا) في الاخرة تقديره فليضحكوا قليلا وسيبكون كثيرا (جزاء بما كانوا يكسبون) اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي انبأنا السيد ابو الحسين محمد ابن الحسين العلوي قال انا عبد الله بن محمد الحسين الشرقي ثنا عبد الله بن هشم ثنا يحيى بن سعيد ثنا شعبة عن موسى بن انس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخبرنا ابو بكر محمد ابن عبد الله بن ابي توبة ثنا ابو طاهر محمد بن احمد الحارث ثنا ابو الحسن محمد ابن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود ثنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عمر أن بن زيد الثعلبي ثنا يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا أجريت فيها لجرت قوله تعالى (فان رجعك الله) أي ردك الله يا محمد من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) يعني من المخلفين وانما قال طائفة منهم لانه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك كان منافقا (فاستأذنوك للخروج) معك في غزاة أخرى (فقل) لهم (لن تخرجوا معي أبدا) في سفر (ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة) في غزاة اخرى (فاقعدوا مع الخالفين) اى مع النساء والصبيان وقيل مع الزمنى والمرضى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع الخالفين قال الفراء يقال صاحب خالف اذا كان مخالفا

وتعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك العفو عنهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الإيمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله * قوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعني فرح المتخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الإنسان إذا توجه إلى قدامه فمن ترك خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله ﷺ حين سار إلى تبوك واقاموا بالمدينة لان النبي ﷺ كان قد أمرهم بالخروج إلى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله ﷺ وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) والمعنى أنهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج إلى الجهاد وذلك أن الإنسان يميل بطبعه إلى إيثار الراحة والقعود مع الأهل والولد ويكره إتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا في الحر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر ان نار جهنم التي هي موعد في الاخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فامره الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه (وليبكوا كثيرا) يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وإن ورد بصيغة الأمر إلا أن معناه الاخبار والمعنى أنهم وإن فرحوا وضحكوا اول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم في الاخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة إلى الدائم الباقي قليل (جزاء بما كانوا يكسبون) يعني ان ذلك البكاء في الاخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن ابي هريرة قال قال النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك قال سمعت النبي ﷺ يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت * قوله سبحانه وتعالى (فان رجعك الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه (إلى طائفة منهم) يعني إلى المتخلفين عنك وإنما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الأعذار (فاستأذنوك للخروج) يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحقق نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى (فقل لن تخرجوا معي أبدا) يعني فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي أبدا لا الى غزوة ولا الى سفر (ولن تقاتلوا معي عدوا انكم) يعني لانكم (رضيتم بالقعود أول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا

بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحب خالف إذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل إذا ظهر منه مكروه وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله ﷺ إلى الجهاد وهو شعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم إذا خرجوا إلى الغزوات ﴿قوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات ابدا) الآية قال قتادة بعث عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فاتاه نبي الله ﷺ فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله إني لم ابعث اليك لتوبخني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله ﷺ فمات فكفنه في قميصه صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبدالله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن أبي بن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا عدد عليه قوله فتبسم رسول الله ﷺ وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إلى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله اعلم وأخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله ﷺ بعده منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبي بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه والله أعلم قال وكان كساعباسا قميصا قال سفيان وقال ابو هرون وكان على رسول الله ﷺ قميصان فقال له ابن عبدالله يا رسول الله البس عبدالله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم البس عبدالله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتي بالاساري وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبدالله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي الله صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه (فصل) قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبدالله بن ابي بن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبدالله بن أبي بن سلول المنافق صورة اختلاف الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد البخاري ان رسول الله ﷺ دعي له فصلى عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاه بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه ﷺ صلى الله عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم انه صلى عليه أولا كما في حديث عمرو بن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعدما أدخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه ﷺ البسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبدالله بن أبي تطييبا لقلب ابنه عبدالله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا وأما قول قتادة أن رسول الله ﷺ عاده في مرضه وأنه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وأن يصلي عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب إلا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وقال القرطبي

مريض فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله إني لم أبعث اليك لتوبخني إنما بعثت اليك لتستغفر لي وسأله ان يكفنه في قميصه ويصلي عليه أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد ابن عبدالله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبدالله بن عبدالله بن عباس عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهم انه قال لما مات عبدالله ابن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي عن بن ابي بن سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا عدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إلى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله اعلم اخبرنا عبدالواحد بن أحمد ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي انبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل

ثنا على بن عبدالله ثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبدالله قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبى بعدما

ادخل فى حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث من ريقه والبسه قميصه قال اعلم وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان قال ابو هريرة وكان على رسول الله ﷺ قميصان فقال ابن عبدالله يارسول الله البس أبى قميصك الذى يلى جلدك وروى عن جابر قال لما كان يوم بدر اتى بالاسارى واتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فوجدوا قميص عبدالله بن أبى يقدر عليه فكساه النبى ﷺ فلذلك نزع النبى ﷺ قميصه الذى البسه عبدالله قال ابن عيينة كان له عند النبى ﷺ يد فاحب ان يكافئه وروى ان النبى ﷺ كلم فيما فعل بعبد الله بن ابى فقال ﷺ وما يغنى عنه قميصى وصلاتى من الله شيئا والله انى كنت أرجوا أن يسلم به الف من قومه وروى انه اسلم به الف من قومه لما راوه يتبرك بقميص النبى ﷺ قوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا (ولا تقم على قبره) لا تقف عليه ولا تتولى دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان إذا كفاه أمره (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) فما صلى النبى ﷺ بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبض

فى شرح صحيح مسلم له ان عبدالله بن أبى بن سلول كان سيد الخزرج فى اخر جاهليتهم فلما ظفر النبى ﷺ وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق وكان راسا فى المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس انهم كانوا ثلثمائة رجل وماتة وسبعين امرأة كان ولده عبدالله يعنى ولد عبدالله بن أبى من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا وكان ابر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله انك لتعلم انى من أبر الناس بابى واو امرتنى ان اتيك براسه فعلت فقال رسول الله ﷺ بل نعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام ابيه وعلى ان ينتفع من بركات النبى ﷺ بشىء ولذلك لما مات ابوه سال النبى صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وسأله ان يصلى عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبدالله واسعافا لطلبته من قول عمر تصلى عليه وقد نهاك ان تصلى عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع فى خاطره ان نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذى شهد به النبى ﷺ ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم اولا تستغفر لهم هذان التاويلان فيهما بعد قال القرطبى والذى يظهر لى والله اعلم أن البخارى وذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقه هى ابين من هذه وليس فيهما هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبدالله ابن أبى بن سلول دعى له رسول الله صلى الله وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث إلى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت عليه الايتان من براءة قال القرطبى وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شىء من الاشكال المتقدم فهو الأولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما فى حديث ابن عباس عن ابن عمر فان فيه لو اعلم انى إن زدت على السبعين يغفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم انى لو زدت على السبعين يغفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم انى خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان النبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذا يفهم منه النهى عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الاية التى فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهى عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك واما استغفاره لأولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهى عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وقال الشيخ محى الدين النووى إنما أعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبدالله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فاجابه وقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله ابن أبى المنافق الميت لانه البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفى الحديث بيان مكارم أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال سبحانه وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوى قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافئه بها ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل عبدالله بن ابى فقال ﷺ ما يغنى عنه قميصى وصلاتى من الله والله انى كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه فيروى انه أسلم الف من قومه لما رواه يتبرك بقميص النبى صلى الله عليه وسلم ٥ وقوله سبحانه وتعالى (ولا تقم على قبره) يعنى لا تقف عليه ولا تتولى دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان إذا كفاه امره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها ٥ فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر فى تعليق هذا النهى كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة فى وصفه بكونه فاسقا بعدما وصفه بالكفر ٥ قلت ان الكافر قد يكون عدلا فى نفسه

، بأن

بان يؤدى الأمانة ولا يضمر لأحدا سوءا وقد يكون خبيثا فى نفسه كثير الكذب والمكر والخداع وإضمار السوء للغير وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر * قوله تعالى (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الاية فى مقامين المقام الأول فى وجه التكرار والحكمة فيه أن تجدد النزول له شأن فى تقرير ما نزل أولا وتأكيده واردة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد أن العمل به مهم وإنما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو أن أشد الأشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالأموال والأولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة فى التحذير من ذلك الشىء الذى وقع الاهتمام به وقيل أيضا إنما كرر هذا المعنى لأنه أراد بالآية الأولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالاية الأخرى أقواما اخرين منهم المقام الثانى فى وجه بيان ما حصل من التفاوت فى الألفاظ فى هاتين الايتين وذلك أنه قال سبحانه وتعالى فى الاية الأولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما أنه عطف الاية الأولى على قوله ولا ينفقون إلا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد فحسن العطف عليه بالفاء فى قوله تعالى فلا تعجبك وأما هذه الاية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا اتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى فى الاية الأولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه أن حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الأموال والأولاد وكان إعجابهم بأولادهم أكثر وفى اسقاط حرف لا هنا دليل على أنه لا تفاوت بين الأمرين قال سبحانه وتعالى فى الاية الأولى إنما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا أن يعذبهم بحرف ان والفائدة فيه والتنبيه على أن التعليل فى احكام الله محال وانه اينما ورد حرف اللام فمعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا إلا بان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى فى الاية الاولى فى الحياة الدنيا وقال تعالى هنا فى الدنيا والفائدة فى إسقاط لفظة الحياة التنبيه على ان الحياة الحياة الدنيا بلغة فى الخسة إلى حيث أنها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناتها فهذه جمل فى ذكر الفرق بين هذه الألفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله عز وجل (وإذا أنزلت سورة) يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لأن اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لأنها مشتملة على الأمر بالايمان والأمر بالجهاد (ان) أى بان (امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) * فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل * قلت معناه الأمر بالدوام على الايمان والجهاد فى المستقبل وقيل أن الامر بالايمان يتوجه على كل أحد فى كل ساعة وقيل ان هذا الامر وإن كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان أخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وإنما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله أولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها فى الدنيا والاخرة * قوله سبحانه وتعالى (استأذنك أولو الطول منهم) قال ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفى تخصيص أولى الطول بالذكر قولان أحدهما أن الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على اهبة السفر والجهاد والقول الثانى إنما خص أولى الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج إلى الاستئذان (وقالوا) يعنى أولى الطول (ذرنا نكن مع القاعدين) يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قيل الخوالف النساء اللواتى يتخلفن فى البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة

قوله تعالى (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم) ذوو الغنى والسعة منهم فى القعود والتخلف (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) فى رحالهم (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) يعنى النساء وقيل مع ادنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه إذا كان دونهم

(وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات) يعنى الحسنات وقيل الجوارى الحسان فى الجنة قال الله تعالى فيهن خيرات حسان جمع خيرة وحكى عن ابن عباس ان الخير لا يعلم معناه إلا الله كما قال جل ذكره فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (١١٠) (وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله تعالى (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) الآية قرأ يعقوب وجاهد المعذرون بالتخفيف وهم المبالغون فى العذر يقال فى المثل لقد اعذر من انذر أى بالغ فى العذر من قدم النذارة وقرأ الاخرون المعذرون بالتشديد أى المقصرون يقال عذر أى قصر وقال الفراء المعذرون المعتذرون ادغمت التاء فى الذال ونقلت حركة التاء إلى العين وقال الضحاك المعذرون هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا رسول الله ﷺ دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبى الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انبأنى الله من اخباركم وسيغنى الله عنكم وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) يعنى المنافقين قال أبو عمر ابن العلاء كلا الفريقين كان مسيئا قوم تكلفوا عذرا بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وقوم تخلفوا عن غير تكلف عذر فقعدوا جراة على الله تعالى وهم المنافقون فأوعدهم الله بقوله (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) ثم ذكر اهل العذر فقال جل ذكره (ليس على الضعفاء) قال ابن عباس يعنى الزمنى والمشايخ والعجزة وقيل هم الصبيان وقيل النسوان (ولا على المرضى

وهم ادنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه إذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله فى الأمر بالجهاد وقوله سبحانه وتعالى (لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعنى الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة وأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالمطالب * قوله سبحانه وتعالى (أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الأخروية * قوله سبحانه وتعالى (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) يعنى وجاء المعتذرون من أعراب البوادى إلى رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فى التخلف عن الغزو ومعه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا إلى رسول الله ﷺ معتذرين إليه دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبى الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيء على خلائلنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله ﷺ قد نبأنى الله من اخباركم وسيغنى الله عنكم وقيل هم نفر من بنى غفار رهط خفاف بن إيماء بن رحضة وقيل هم من اسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله ﷺ ومعنى الاية وجاء المعذرون اى المقصرون يعنى انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الأصل فى هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء فى الذال لقرب مخرجهما والاعتذار فى كلام العرب على قسمين يقال اعتذر إذا كذب فى عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون إليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر إذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * يعنى فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذى هو التقصير يقال عذر تعذيرا إذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين فى اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن أبى عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف اخرون لا لعذر ولا لشبه عذر جرأة على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعنى فى ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعنى فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالنار وإنما قال منهم لأنا سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص فى ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الأعذار الحقيقة الصحيحة وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعف هو الصحيح فى بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق فى اصل الخلقة ضعيفا نحيفا ويدل على أن هؤلاء الأصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من

الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لأن العاجز عن نفقة الغزو معذور (حرج) أي ليس على هؤلاء الأصناف الثلاثة حرج أي اثم في التخلف عن الغزو قال الامام فخر الدين الرازي ليس في الآية انه يحرم عليه الخروج لأن الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة إما بحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يحمل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله سبحانه وتعالى (إذا نصحوا لله ورسوله) ومعناه انهم إذا أقاموا في البلد احترزوا عن إفشاء الأراجيف وإثارة الفتن وسعوا في إيصال الخير إلى أهل المجاهدين الذين خرجوا إلى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم وأخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول ﷺ فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصح لله ورسوله (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قبله ليس عليه سبيل في نفسه وماله إلا ما أباحه الشرع بدليل منفصل (والله غفور) يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر أباحه الشرع (رحيم) يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الآية في عائذين عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضرير البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الأقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى (ولا على الذين إذا ما أتوك) يعني ولا حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين إذا ما أتوك (لتحملهم) يعني يسألونك الحملان ليبلغوا إلى غزوعدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن إسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فأنزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف جرمي بن عمير ومن بني مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى سلمان ابن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الأنصاري وعلبة بن زيد الأنصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنبة وعبد الله بن مغفل المزني قال أوتوا رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا فقال لا أجد ما احملكم عليه وقال مجاهد بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة إخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت في كل ما ذكر قال ابن عباس سألوه أن يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي ﷺ لا اجد ما احملكم عليه فولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى (قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع) قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن البيان كقولك أفديك من رجل (حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون) يعني على انفسهم في الجهاد (إنما السبيل) لما قال الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولا عذر له إنما السبيل يعني إنما يتوجه الطريق بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك (وهم اغنياء) يعني قادرين على الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) يعني رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم (وطبع الله على قلوبهم) يعني ختم عليها (فهم لا يعلمون) ما في الجهاد من الخير في

مغيبهم وأخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول (ما على المسلمين من سبيل) أي من طريق بالعقوبة (والله غفور رحيم) قال قتادة نزلت في زيد بن عمر وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضرير البصر قوله تعالى (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) معناه انه لا سبيل على الأولين ولا على هؤلاء الذين اتوك وهم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الأنصاري وعلبة بن زيد الأنصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل المزني أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إن الله قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا واختلفوا في قوله لتحملهم قال ابن عباس سألوه ان يحملهم على الدواب وقيل سألوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة ليغزوا معه فأجابهم النبي ﷺ كما اخبر الله عنه في قوله تعالى (قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) وهم يبكون فذلك قوله تعالى تولوا (وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل) بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) في التخلف (وهم اغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) مع النساء والصبيان (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

يعتذرون اليكم إذا رجعتم اليهم) يروى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرا فلما رجع رسول الله ﷺ جاؤا يعتذرون بالباطل قال الله تعالى (قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم) لن نصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم) فيما سلف (وسيرى الله عملكم ورسوله) في المستأنف أتوبون (١١٢) من نفاقكم أم تقيمون عليه (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله اذا انقلبتم اليهم) اذا انصرفتم اليهم من غزوكم (لتعرضوا عنهم) لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم (فاعرضوا عنهم) فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق (انهم رجس) نجس أي ان عملهم قبيح (ومأواهم) في الاخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) قال ابن عباس نزلت في جد بن قيس ومعتب ابن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله ابن ابي حلف لرسول الله ﷺ بالذي لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها وطلب من رسول الله ﷺ ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الاية (يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب) أي أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر (وأجدر) أي أخلق واحرى (الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) وذلك لبعدهم عن سماع القران ومعرفة السنن (والله عليم) بما في قلوب خلقه (حكيم) فيما فرض من فرائضه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعني لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا أو رياء والمغرم التزام مالا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه

الدنيا والآخرة أما في الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو وأما في الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع * قوله سبحانه وتعالى (يعتذرون اليكم إذا رجعتم اليهم) يعني يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له ﷺ ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المؤمنين فلهذا قال تعالى يعتذرون اليكم يعني بالأعذار الباطلة الكاذبة إذا رجعتم اليهم يعني من سفركم (قل) أي قل لهم يا محمد (لا تعتذروا) قال البغوي روى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا (لن نؤمن لكم) يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به (قد نبأنا الله من اخباركم) يعني قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم (وسيرى الله عملكم ورسوله) يعني في المستأنف أتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بأن ينصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم أم لا (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم) يعني فيخبركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على ما في ضمائركم من الخيانة والكذب وإخلاف الوعد قوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم) يعني إذا رجعتم من سفركم اليهم يعني إلى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لتعرضوا عنهم) يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم (فاعرضوا عنهم) يعني فدعوهم وما اختاروا لأنفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا إعراض الصفح فاعطوا إعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعال (إنهم رجس) يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة (ومأواهم) يعني مسكنهم في الاخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي ﷺ لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف النبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي ﷺ ان يرضى عنه فأنزل الله عز وجل هذه الاية والتي بعدها (يحلفون لكم لترضوا عنهم) يعني يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم (فان ترضوا عنهم) يعني فان رضيتم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعني انه سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبدا * وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) نزلت في سكان البادية يعني ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربي إذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل أعرابي إذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا ويجمع الاعرابي على الاعرابي والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي إذا قيل له يا اعرابي غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله سبحانه وتعالى (وأجدر) يعني واخلق واحرى (ألا يعلموا) يعني بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعني الفرائض والسنن والاحكام (والله عليم) يعني بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعني لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على إمساكه عقابا إنما ينفق خوفا أو رياء والمغرم التزام مالا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه

لا مغرما) قال عطاء لا يرجون على اعطائه ثوابا ولا يخافون على امساكه عقابا انما ينفق خوفا ورياء والمغرم التزام مالا يلزم

(ويتربص) وينتظر (بكم الدوائر) يعنى صروف الزمان التى تأتى مرة بالخير ومرة بالشر وقال يمان بن رباب يعنى يتقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) عليهم يدور البلاء والحزن ولا يرون فى محمد ودينه إلا ما يكرهون وما يسوءهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء هنا وفى سورة الفتح بضم السين معناه الضر والبلاء والمكروه وقرأ الاخرون بفتح السين على المصدر وقيل بالفتح الردئ والفساد بالضم الضر والمكروه (والله سميع عليم) نزلت فى اعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنى فقال (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبى اسلم وغفار وجهينة اخبرنا ابو سعيد احمد بن عبد الله الظاهرى انبأنا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انا ابو بكر محمد بن زكريا العذافرى انبأنا اسحق بن (١١٣) إبراهيم الدبرى انبأنا عبد الرازق

لا ينفق ذلك إلا خوفا من المسلمين او مراآة لهم ولم يرد بذلك الإنفاق وجه الله وثوابه (ويتربص) يعنى وينتظر (بكم الدوائر) يعنى بالدوائر تقلب الزمان وصروفه التى تأتى مرة بالخير ومرة بالشر قال إيمان بن رباب يعنى تقلب الزمان فيموت الرسول وتظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعنى بل يتقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون فى محمد ﷺ واصحابه ودينه إلا ما يسوءهم (والله سميع) يعنى لأقوالهم (عليم) يعنى بما يخفون فى ضمائرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمؤمنين نزلت هذه الاية فى أعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبى هم اسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بنى تميم وبنى اسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بنى تميم وبنى اسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا وقال نعم هم خير من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر بن صعصعة وفى رواية أن الأقرع بن حابس قال للنبى ﷺ إنما تابعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبى ﷺ أرأيت إن كان اسلم وغفار ومزينة واحسبه وجهينة خيرا من بنى تميم وبنى عامر واسد وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم (ق) عن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم فى روايته أما أنى لم أقلها لكن الله قالها (ق) عن ابى هريرة قال قال النبى ﷺ قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله * وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) جمع قربة اى يطلب بما ينفق القربة إلى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعنى ويرغبون فى دعاء النبى ﷺ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله ﷺ اللهم صل على آل ابى اوفى (الا انها قربة لهم) يحتمل ان يعود الضمير فى انها إلى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود إلى الانفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى الا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم (سيدخلهم الله فى رحمته) وهذه النعمة هى اقصى مرادهم (إن الله غفور) للمؤمنين المنفقين فى سبيله (رحيم) يعنى بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة * قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء فى السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا إلى القبلتين وقال عطاء بن ابى رباح هم اهل بدر وقال الشعبى هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظى هم

ثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ اسلم وغفار وشىء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) القربات جمع القربة اى يطلب القربة إلى الله تعالى (وصلوات الرسول) اى دعاءه واستغفاره قال عطاء يرغبون فى دعاء النبى ﷺ (الا انها قربة لهم) قرأ نافع برواية ورش قربة بضم الراء والباقون بسكونها (سيدخلهم الله فى رحمته) فى جنته (ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) قرأ يعقوب والانصار رفع عطفا على قوله والسابقون واختلفوا فى السابقين قال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابى رباح هم اهل

بدر وقال الشعبى هم الذين شهدوا بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية واختلفوا فى أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة مع اتفاقهم على انها اول من آمن برسول ﷺ فقال بعضهم اول من آمن وصلى على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو قول جابر وبه قال مجاهد وابن اسحق اسلم وهو ابن عشر سنين وقال بعضهم اول من آمن بعد خديجة ابو بكر الصديق رضى الله عنه وهو قول ابن عباس وابراهيم النخعى والشعبى وقال بعضهم اول من اسلم زيد بن حارثة وهو قول الزهرى وعروة بن الزبير وكان إسحق بن إبراهيم الحنظلى يجمع بين هذه الاقوال فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر رضى الله عنه ومن النساء خديجة ومن الصبيان على ابن ابى طالب رضى الله عنه ومن العبيد زيد بن حارثة قال ابن اسحق فلما اسلم ابو بكر رضى الله عنه اظهر ودعا إلى الله وإلى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش واعلمها بما كان فيها وكان تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجل قومه يأتونه ويألفونه لغير

واحد من الأمر لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الاسلام من وثق به من قومه فأسلم على يديه فيما بلغني عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين أسلموا وصلوا فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا الى الاسلام ثم تتابع الناس في الدخول في الاسلام اما السابقون من الأنصار فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا ستة في العقبة الاولى وسبعين في الثانية والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير يعلمهم القرآن فاسلم معه خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان قوله عز وجل والسابقون الأولون من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم والانصار اى ومن الانصار هم الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من اهل المدينة وآووا اصحابه (والذين اتبعوهم باحسان) قيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين وقيل هم الذين سلكوا سبيلهم في الايمان والهجرة او النصرة الى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالترحم والدعاء. وقال ابو صخر حميد بن زياد أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له ما قولك في أصحاب رسول الله ﷺ فقال جميع أصحاب النبي ﷺ في الجنة محسنهم ومسيئهم فقلت من أين تقول هذا فقال اقرأ قول الله من تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار إلى ان قال رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال الذين اتبعوهم باحسان شرط في التابعين شريطة وهي ان يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة قال أبو صخر فكاني لم اهذه قر الاية قط وروى ان رسول الله ﷺ

جميع الصحابة لأنهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله ﷺ قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما بينهم وأردت الفتن فقال أن الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم وأوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في أي موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحان الله لا تقرأ والسابقون الأولون إلى اخر الاية فاوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي ﷺ زاد في رواية اني قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكاني لم أقراهذه الاية قط واختلف العلماء في أول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة أول الخلق إسلاما وأول من صلى مع رسول الله ﷺ فقال بعض العلماء أول من أمن بعد خديجة علي بن ابي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت إسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة ابن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم فهؤلاء الأربعة سباق الخلق إلى الاسلام قال ابن اسحاق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس إلى الله ورسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها لما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يديه عثمان ابن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم إلى النبي ﷺ فاسلموا على يده وصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية اول من سبق الناس إلى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول إلى الإسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ستة نفر (١) أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثنى عشر رجلا ثم اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير إلى أهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماسبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصار أوجب صرف اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضا ان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار * قوله تعالى (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية من المهاجرين الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع

(١) قوله ستة نفر المعدود عنا خمسة والسادس عقبة بن عامر في المواهب

وسلم قال لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ثم جمعهم عز وجل في الثواب فقال (رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار) قرأ ابن كثير من تحتها الانهار وكذلك هو في مصاحف اهل مكة (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) قوله تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون) وهم من مزينة وجهينة واشجع وأسلم وغفار كانت منازلهم حول المدينة يقول من هؤلاء الاعراب منافقون (ومن أهل المدينة) اي ومن اهل المدينة من الأوس والخزرج قوم منافقون (مردوا على النفاق) اي مرنوا على النفاق يقال تمرد فلان على ربه أي عتا ومرد على معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ومنه المريد والمارد وقال ابن إسحق لجوا فيه وأبوا غيره وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا (لا تعلمهم) انت يا محمد (نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) اختلفوا في هذين العذابين قال الكلبي والسدي قام النبي ﷺ خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق أخرج يا فلان فانك منافق أخرج ناسا من المسجد وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني عذاب القبر وقال مجاهد الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وعنه رواية أخرى عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة الدينية في الدنيا وعذاب القبر وقال ابن زيد الأولى المصائب في الأموال والأولاد في الدنيا والاخرى عذاب الاخرة وعن ابن عباس الاولى إقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه من غير حسبة ثم عذاب القبر وقيل احدهما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض ارواحهم والاخرة عذاب القبر وقيل الاولى إحراق مسجد الضرار والاخرى إحراقهم بنار جهنم (ثم يردون إلى عذاب عظيم) اي عذاب جهنم يخلدون فيه

من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة إلى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين ان النبي ﷺ قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري اذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي ﷺ لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا أو في رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين إلى عشرين وقيل من مائة إلى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير الذي انفقه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضي الله عن اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) قوله سبحانه وتعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي أنهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون وما ذكروه مشكل لأن النبي ﷺ دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على القليل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي ﷺ لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي ﷺ لهم واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسير هذه الاية من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الأوس والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) فيه تقديم وتأخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني مرنوا عليه يقال تمرد فلان على ربه إذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوا فيه وأبو غيره وقال ابن زيد أقاموا ولم يتوبوا منه (لا تعلمهم) يعني انهم بلغوا في النفاق إلى حيث أنت لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار (نحن نعلمهم) يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وإن دقت (سنعذبهم مرتين) اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله (ثم يردون إلى عذاب عظيم) وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا أنه سبحانه وتعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة أما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي ﷺ خطيبا في يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد اناسا فضحهم فهذا العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان احكام الاسلام

فى الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الأولى هى الدنيا وقد جاء تفسير فى الحديث بأنها خراج من نار تظهر فى اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعنى تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هى المصائب فى الاموال والاولاد فى الدنيا والأخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى إقامة الحدود عليهم فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى هى ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل أحدهما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والأخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم يردون إلى عذاب عظيم يعنى عذاب جهنم يخلدون فيه * قوله عز وجل (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوم وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف موهم ويعضده ما نقله الطبرى عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثانى وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت فى جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون فى عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه انهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك أنهم كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أنكون فى الظلال ومع النساء ورسول الله ﷺ واصحابه فى الجهاد والأواء فلما رجع رسول الله ﷺ من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون النبى ﷺ هو الذى يطلقنا ويعذرنا فربطوا أنفسهم فى سوارى المسجد فلما رجع النبى ﷺ فرآهم فقال من هؤلاء. فقالوا هؤلاء. الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون انت الذى تطلقهم وترضى فقال النبى ﷺ وانا اقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن العدو مع المسلمين فأنزل الله عز وجل هذه الاية فأرسل النبى ﷺ إليهم فأطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله ﷺ ما امرت أن آخذ من أموالكم شيئاً فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت هذه الاية فى ابى لبابة خاصة واختلفوا فى ذنبه الذى تاب منه فقال مجاهد نزلت فى ابى لبابة حين قال لبنى قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار إلى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسى ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلنى فجاء النبى ﷺ فحله بيده فقال أبو لبابة يارسول ان من توبتى ان اهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى كله صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ فقال يجزيك الثلث يا أبا لبابة فالوا جميعا فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لأن الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم لأن لفظة من تقضى التبعيض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء. سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتى خبرهم واما تفسر الاية فقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعانى الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشىء ومعناه انهم اقروا بذنبهم وفيه دقيقة وهى انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا * فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم لا * قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضى من الذنب والعزم على

قوله تعالى (وآخرون) أى ومن أهل المدينة أو من الاعراب آخرون ولا يرجع هذا إلى المنافقين (اعترفوا) اقروا (بذنوبهم

خلطوا عملا صالحا) وهو اقرارهم بذنوبهم وتوبتهم (وآخر سيئا) أى بعمل آخر سيء. وضع الواو موضع الباء كما يقال خلطت الماء واللبن أى باللبن والعمل السيء هو تخلفهم عن النبي ﷺ والعمل الصالح هو ندامتهم وربطهم انفسهم بالسوارى وقيل غزواتهم مع النبي ﷺ (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) نزلت هذه الاية فى قوم تخلفوا عن النبي ﷺ فى غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك وقالوا يكون فى الظلال مع النساء والنبي ﷺ واصحابه فى الجهاد واللأواء. فلما قرب النبي ﷺ من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون النبي ﷺ هو الذى يطلقنا ويعذرنا فاوثقوا انفسهم بسوارى المسجد فلما رجع النبي ﷺ مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء. فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله عز وجل ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال النبي ﷺ وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر (١١٧) باطلاقهم لانهم رغبوا عنى وتخلفوا عن

ترك فى المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم والتوبة ٥ وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم عن الجهاد مع النبي ﷺ وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع النبي ﷺ إلى سائر الغزوات والسيء هو تخلفهم عنه فى غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة والسيء ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية فى حق جميع المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وروى الطبرى عن ابى عثمان قال ما فى القرآن آية ارجى عندى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم ٥ فان قلت جعل كل واحد من الصالح والسيء مخلوطا لما المخلوط به * قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطته فانما يحسن فى الموضع الذى يمتزج كل واحد من الخليطين بالاخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء فيكون معنى الاية على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وأنكره الامام فخر الدين الرازى وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء إذا حصلا معا بقى كل واحد منهما على حاله كما هو مذهبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفى القول بالمحابطة وانه بقى كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما بالاخر فليس إلا الجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو فى الاية احسن من الباء لانه اريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله ان يتوب عليهم) قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله أن ياتى بالفتح وقد فعل ذلك وقال اهل المعانى لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه ابعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول والاحسان فذكر لفظه عسى التى هى للترجى والطمع حتى يكون العبد بين الترجى والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه اقرب لانه ختم الاية بقوله (إن الله غفور رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد قوله سبحانه وتعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) قال ابن عباس لما اطلق رسول الله ﷺ ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فاتوا باموالهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا خذ اموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله ﷺ لا آخذ شيئا

الغزو مع المسلمين فانزل الله هذه الاية فارسل اليهم رسول الله ﷺ فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يارسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله ﷺ ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة الاية واختلفوا فى عدد هؤلاء التائبين فروى عن على بن ابى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروى عطية عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية وقال الضحاك وقتادة كانوا سبعة وقالوا جميعا احدهم ابو لبابة وقال قوم نزلت فى أبى لبابة خاصة واختلفوا

فى ذنبه قال مجاهد نزلت فى ابى لبابة حين قال لقريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار إلى حلقه وقال الزهرى نزلت فى تخلفه عن غزوة تبوك فربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسى ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسى حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلنى فجاء النبي ﷺ فحله بيده ثم قال ابا لبابة يارسول الله ان من توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى كله صدقة إلى الله وإلى رسوله قال يجزيك يا ابا لبابة الثلث قالوا جميعا فاخذ رسول الله ﷺ ثلث اموالهم وترك الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ أموالهم قال الحسن وقتادة هؤلاء سوى الثلاثة الذين خلفوا قوله تعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم) بها من ذنوبهم (وتزكيهم بها) اى ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين وقيل تنمى اموالهم

منها حتى أمر به فأنزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء فى المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع إلى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله سبحانه وتعالى اخذها وصار ذلك معتبرا فى كل توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن إسلامهم وبذلوا الزكاة امر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ان ياخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها إيجاب أخذها من الاغنياء ودفعها إلى الفقراء وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بها على إيجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات لابد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا فى سبب نزولها انها نزلت فى شان الثانيين واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقرير وذلك انهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال امروا باخراج الزكاة التى هى طهرة فلما اخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلان يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم فى هذه الاية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من اموالهم صدقة الخطاب فيه للنبى ﷺ اى خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبى ﷺ ياخذها منهم ايام حياته ثم اخذها من بعده الائمة فيجوز للامام او نائبه ان ياخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها إلى الفقراء الحكم الثانى قوله من اموالهم ولفظة من تقتضى التبعيض وهذا البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق إلا الصدقة التى بين رسول الله ﷺ قدرها وصفتها فى اخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة فى جميع المال حتى فى الديون وفى مال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة إنما وجبت لكونها طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن حصولها إلا من البالغ دون الصبى فوجب ان تجب الزكاة فى مال البالغ دون الصبى وهذا قول ابى حنيفة ثم اجاب اصحاب الشافعى بانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وللعلماء فى قوله سبحانه وتعالى تطهرهم اقوال الاول ان معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانك تطهرهم باخذها من دنس الاثام القول الثانى ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهرة لهم وإنما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة من اوساخ الناس اذا اخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التطهير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان تجعل التاء فى قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم تزكيهم انت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعنى ترفع منازلهم عن منازل المنافقين إلى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم اى تنمى اموالهم ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه وتعالى (وصل عليهم) يعنى ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة فى اللغة الدعاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه السنة للامام إذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب فى صدقة الفرض ويستحب فى صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطى وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ماروى عن عبدالله بن ابى اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبى ﷺ إذا اتاه قوم بصدقة

(وصل عليهم) أى ادع لهم واستغفر لهم وقيل هو قول الساعى للمتصدق إذا أخذ الصدقة منه آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما ابقيت والصلاة فى اللغة الدعاء

(إن صلاتك) قرأ حمزة والكسائي صلاتك على التوحيد ونصب التاء ههنا وفي سورة هود أصلاتك وفي سورة المؤمنين على صلاتهم كلهن على التوحيد وافقهما حفص ههنا وفي سورة هود وقرأ الآخرون بالجمع فيهن وكسر التاء ههنا وفي سورة المؤمنين ولا خلاف في التي في الأنعام وهم على صلاتهم يحافظون ولا في الواقعة وهم على صلاتهم يحافظون أنهما جميعا على التوحيد (سكن لهم) أي أن دعاءك رحمة لهم قاله ابن عباس وقيل طمأنينة لهم وسكون لهم أن الله عز وجل قد قبل منهم وقال أبو عبيدة (١١٩) تثبيت لقلوبهم (والله سميع عليم) واختلفوا

قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجاه في الصحيحين * وقوله سبحانه وتعالى (إن صلاتك) وقرئ صلواتك على الجمع (سكن لهم) يعني أن دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل إن الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل إن السكن ما سكنت إليه النفس والمعنى أن صلواتك توجب سكون نفوسهم إليها والمعنى أن الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم (والله سميع) يعني لأقوالهم أو لدعائك لهم (عليم) يعني بنياتهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استفهام إلا ان المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنها لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالأمس لا يكلمون ولا يجالسون فما بالهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لا فرق بين عن عباده ومن عباده إذ لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك ومنك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع ابلغ لأن فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله سبحانه وتعالى (ويأخذ الصدقات) يعني يقبلها ويثيب عليها وإنما ذكر لفظ الأخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها للفقراء وقيل معنى اخذ الله الصدقات يضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها اسند الأخذ إلى نفسه وإن كان الفقير او السائل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ ما تصدق احد كم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا اخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولفظه ان الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل احد وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب اي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لأن من عادة الفقير او السائل اخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربوا اي تكبر يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان المهر اول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى ان يفصل عنها * وقوله سبحانه وتعالى (وان الله هو التواب الرحيم تأكيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم * قوله عز وجل (وقل) اي قل يا محمد لهؤلاء التائبين (اعملوا) يعني لله بطاعته واداء فرائضه (فسيرى الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اعمالكم ايضا

في وجوب الدعاء على الامام عند أخذ الصدقة قال بعضهم يجب وقال بعضهم يستحب وقال بعضهم يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم بن أبي إياس ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وقال ابن كيسان ليس هذا في صدقة الفرض إنما هو لصدقة كفارة اليمين وقال عكرمة هي صدقة الفرض فلما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالأمس ولا يكلمون لا يجالسون فما لهم وذلك أن النبي ﷺ لما رجع إلى المدينة نهى المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم فانزل الله تعالى

(ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) اي يقبلها (وان الله هو التواب الرحيم) اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب الاصم انبانا الربيع بن سليمان انبانا الشافعي انبانا سفيان بن عيينة عن ابن عجلان عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة قال سمعت ابا القاسم ﷺ يقول والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا ولا يصعد الى السماء الا طيب إلا كأنما يضعها في يد الرحمن عز وجل فيربيها كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتأتي يوم القيامة وانها لمثل الجبل العظيم ثم قرأ ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) قال مجاهد هذا وعيد لهم قبل رؤية النبي ﷺ باعلام الله تعالى إياه ورؤية المؤمنين بايقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح والبغضة لاهل الفساد قوله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم) قرأ أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر مرجون بغير همز وادغرون بالهمزة والارجاء والتأخير مرجون مؤخرون لأمر الله لحكم الله عز وجل فيهم وهم الثلاثة الذين تأتي قصتهم من بعد كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه (١٢٠) فوقفهم رسول الله ﷺ خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم حتى شقهم القلق وضاقت عليهم الارض بما رحبت وكانوا من أهل بدر فجعل اناس يقولون هلكوا وآخرون يقولون عسى الله أن يغفر لهم فصاروا مرجئين لامر الله لا يدرون ايعذبهم ام يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة قوله تعالى (والذين اتخذوا) قرأ أهل المدينة والشام الذين بلا واو وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الاخرون بالواو (مسجدا ضرارا) نزلت هذه الاية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب ورحارثة ابن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأزعر ونبتل بن الحرث وبحاد بن عثمان ورجل يقال له بجزج بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين (وكفرا) بالله ورسوله (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا قارئا للقرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تأتينا وتصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فقال رسول الله ﷺ اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى اتيناكم فصلينا فيه، وقوله تعالى (وارصادا لمن حارب الله ورسوله) يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعني انتظارا وإعدادا لمن حارب الله ورسوله (من قبل) يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان ابو عامر قد تنصر في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي ﷺ جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقالوا ابو عامر فانا عليها فقال له النبي ﷺ انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية

أما رؤية رسول الله ﷺ فباطلاع الله إياه على أعمالكم وأما رؤية المؤمنين فيما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) يعني وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من خير أو شر فيجازيكم على أعمالكم، قوله سبحانه وتعالى (وآخرون مرجون) اي مؤخرون والارجاء التأخير (لأمر الله) يعني لحكم الله فهم قال بعضهم إن الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعوا إلى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون إلى ان يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لأمر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث أن القسم الثاني سارعوا إلى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فاخر الله أمرهم نزلت هذه الاية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه فوقفهم رسول الله ﷺ خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) يعني أن أمرهم إلى الله تعالى إن شاء عذبهم بسبب تخلفهم وإن شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليم) يعني بما في قلوبهم (حكيم) يعني بما يقضي عليهم، قوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا) نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأزعر ونبتل بن الحرث وبحاد بن عثمان وبجزج بنو هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله (وتفريقا بين المؤمنين) لأنهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا قارئا للقرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا وتصلي بنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال لهم رسول الله ﷺ اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله آتيناكم فصلينا لكم فيه (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) أي انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله يقال ارصدت له اذا عددت له وهو ابو عامر الراهب

ما فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم مجمع بن حارثة فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا وتصلي بنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال لهم رسول الله ﷺ اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله آتيناكم فصلينا لكم فيه (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) أي انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله يقال ارصدت له اذا عددت له وهو ابو عامر الراهب

وكان أبو عامر هذا رجلا منهم وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال له أبو عامر ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال له النبي ﷺ انك لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي ﷺ ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي ﷺ آمين وسماه ابا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لرسول الله ﷺ لا اجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا إلى الشام فارسل إلى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآت بجند من الروم فاخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء فذلك قوله تعالى وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من (١٢١) قبل وهو أبو عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام قوله من قبل يرجع إلى ابي عامر يعني حارب الله ورسوله من قبل أي من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن ان اردنا) ما اردنا ببنائه (إلا الحسنى) إلا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعجز عن السير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم لكاذبون) في قولهم وحلفهم روى أنه لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك ونزل بذي اوان موضع قريب من المدينة أتوه فسألوه إتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا النبي صلى الله عليه وسلم مالك الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة وقال لهم انطلقوا

ما ليس منها فقال النبي ﷺ ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي ﷺ آمين وسماه الناس اباعامر الفاسق فلما كان يوم احد قال أبو عامر الفاسق للنبي ﷺ لا اجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا إلى الشام وارسل إلى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعني انتظارا لمن حارب الله ورسوله يعني اباعامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام من قبل يعني ان أباعامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد (إن اردنا) يعني ما أردنا ببنائه (إلا الحسنى) يعني إلا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد النبي ﷺ (والله يشهد إنهم لكاذبون) يعني في قيلهم وحلفهم روى ان النبي ﷺ لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسألوه ان يأتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فانزل الله هذه الاية وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فأحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر النبي ﷺ ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى ان بني عمرو بن عوف الذين بنو مسجد قباء اتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسألوه ان يأذن لمجمع بن حارثة ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ونعمة عين اليس هو إمام مسجد الضرار قال يجمع يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم ما أضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن فصليت بهم ولا احسب إلى أنهم يتقربون إلى الله لو أعلم ما في أنفسهم فعذره فصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين أن يبنوا المساجد وأمرهم ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار أحدهما الاخر وقوله سبحانه وتعالى (لا تقم فيه ابدا) قال ابن عباس

(١٦ - خازن - لث)

إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعا حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار من اهلي فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل واشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق أهله وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام وحيدا فريدا غريبا وروى ان بني عمرو بن عوف الذين بنو مسجد قباء اتوا عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن لمجمع بن حارثة فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمت عين أليس بامام مسجد الضرار فقال له مجمع يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه وإني لا أعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن القرآن فصليت ولا أحب إلا انهم يتقربون إلى الله تعالى ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه وامر بالصلاة في مسجد قباء وقال عطاء لما فتح الله على عمر الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وأمرهم أن لا يبنوا في مدينتهم مسجدين يضار احدهما صاحبه قوله تعالى (لا تقم فيه ابدا) قال ابن عباس

لا تصل فيه منع الله تعالى نبيه ﷺ أن يصلي في مسجد الضرار (لمسجد أسس على التقوى) اللام لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد أسس أي بني أصله على التقوى (من أول يوم) أي من أول يوم بني ووضع أساسه (أحق أن تقوم فيه) مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وهو مسجد المدينة مسجد الرسول ﷺ والدليل عليه ما اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انبأنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن حاتم ثنا يحيى بن سعيد بن حميد الخراط قال سمعت ابا سلمة عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن سعيد الخدري قال فقلت له كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى فقال قال ابي دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين الذي إسس على التقوى قال فاخذ كفا من الحصباء فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فقلت اشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره واخبرنا ابو الحسن الشيرازي انبانا زاهر بن احمد انبأنا أبو اسحاق الهاشمي انبأنا أبو مصعب عن مالك عن حبيب ابن عبد الرحمن عن حفص ابن عاصم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي وذهب قوم إلى انه مسجد قباء وهو رواية عطية عن ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا موسى بن اسمعيل ثنا عبد العزيز بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبد الله بن عمر يفعله وزاد نافع عن ابن عمر أحسن عن النبي ﷺ فيصلي فيه ركعتين قوله تعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) من الأحداث والجنابات والنجاسات وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز الفاشاني انبأنا ابو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي انبأنا أبو علي محمد بن احمد بن عمرو اللؤلؤي حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني أنا محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن يونس بن الحارث عن ابراهيم بن أبي ميمونة عن ابي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الاية في اهل قباء. فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء. فنزلت فيهم هذه

معناه لا تصل فيه أبدا منع الله عز وجل نبيه ﷺ أن يصلي في مسجد الضرار (لمسجد أسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء. وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد أسس يعني بني اصله ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى الله عز وجل (من أول يوم) يعني من اول يوم بني ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى (احق ان تقوم فيه) يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وهو مسجد النبي ﷺ يعني مسجد المدينة ويدل عليه ماروى عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على النبي ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصى فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة اخرجه مسلم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله ﷺ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة أخرجه النسائي قوله رواتب يعني ثوابت يقال رتب بالمكان إذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة أنه مسجد قباء. ويدل عليه سياق الاية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ويدل على أنهم أهل قباء ماروي عن أبي هريرة قال نزلت هذه الاية في أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الاية وعما يدل على فضل مسجد قباء ماروي عن ابن عمر قال كان النبي ﷺ يزور قباء أو يأتي قباء راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الأولى والزيادة للبخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله ﷺ من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن أسد بن ظهير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة اخرجه الترمذي ٥ وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) يعني من الأحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله ﷺ لأهل قباء إني اسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم بالثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا إلا ان جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله ﷺ قال لأهل قباء إن الله سبحانه وتعالى قد

الآية (والله يحب المطهرين) أى المتطهرين (أفمن أسس بنيانه) قرأ نافع وابن عامر أسس بضم الهمزة وكسر السين بنيانه برفع النون فيهما جميعا على غير تسمية الفاعل وقرأ الاخرون اسس بفتح الهمزة والسين بنيانه بنصب النون على تسمية الفاعل (على تقوى من الله ورضوان خير) اى على طلب التقوى ورضا الله تعالى خير (ام من اسس بنيانه على شفا) اى على شفير (جرف) قرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر جرف ساكنة الراء وقرأ الباقون بضم الراء وهما لغتان وهى البئر التى لم تطو قال ابو عبيدة هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فيتجرف بالماء فيبقى واهيا (هار) اى هائر وهو الساقط يقال هار يهور فهو هائر ثم يقلب فيقال هار مثل شاك وشائك وعاق وعائق وقيل هو من هاريها إذا انهدم ومعناه الساقط الذى يتداعى بعضه فى اثر بعض كما ينهار الرمل والشىء الرخو (فانهار به) اى سقط بالبانى (فى نار جهنم) يريد بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور باهلها فيها قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد صيرهم النفاق الى النار (والله لا يهدى القوم الظالمين) قال قتادة والله ما تناهى ان وقع فى النار وذكر لنا انه حفرت بقعة فيه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) اى شكا ونفاقا (فى قلوبهم يحسبون انهم كانوا فى بنائه محسنين كاحبب العجل إلى قوم موسى قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقال الكلبى حسرة وندامة لانهم ندموا على بنائه وقال السدى لا يزال هدم بنيانهم ريبة حزازة وغيظا فى قلوبهم (الا ان تقطع قلوبهم) اى تجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء إما بالسيف وإما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية فى قلوبهم إلى ان يموتوا عليها (والله عليم) يعنى بأحوالهم وأحوال جميع عباده (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم ٭ قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم

أحسن عليكم بالثناء فى الطهور فما تصنعون قالوا إنا نغسل عنا أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازى المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصى وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر فى القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعنى اهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك إلا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصى وهى الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر إنما يحصل لها اثر عند الله إذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصى وقيل يحتمل انه محمول على كلا الأمرين يعنى طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصى وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة ٭ قوله تعالى (فمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعنى طلب ببنائه المسجد الذى بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان البانى لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار) الشفا هو الشفير وشفا كل شىء جرفه ومنه يقال اشف على كذا إذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذى اكل الماء تحته فهو إلى السقوط قريب وقال ابو عبيدة الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الأودية فينحفر بالماء فيبقى واهيا هار اى هائر وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل من هاريها إذا تهدم وسقط وهو الذى تداعى بعضه فى اثر بعض كما ينهار الرمل والشىء الرخو (فانهار به) يعنى سقط بالبانى فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قباء او مسجد الرسول ﷺ ومعنى المثل افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير اساس ثابت وهو شفا جرف هار وإذا كان كذلك كان اسرع إلى السقوط فى نار جهنم ولان البانى الاول قصد ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه اشرف البناء والبانى الثانى قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه اخس البناء وكانت عاقبته إلى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم إلى النار وقال قتادة والله ما تناهى بناؤهم حتى وقع فى النار لقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) يعنى شكا ونفاقا (فى قلوبهم) والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة فى قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما امر رسول الله ﷺ بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله ﷺ فكان ذلك سبب الريبة فى قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون فى بنائه كاحبب العجل إلى بنى إسرائيل فلما امر رسول الله ﷺ بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاى سبب امر بتخريبه وقال السدى لا يزال هدم بنيانهم ريبة اى حرارة وغيظا فى قلوبهم (إلا ان تقطع قلوبهم) اى تجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء إما بالسيف وإما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية فى قلوبهم إلى ان يموتوا عليها (والله عليم) يعنى بأحوالهم وأحوال جميع عباده (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم ٭ قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم

(الا ان تقطع قلوبهم) اى تصدع قلوبهم فيموتوا وقرا ابن عامر وابو جعفر وحفص وحمزة تقطع بفتح التاء اى تتقطع فحذفت احدى التاءين تخفيفا وقرا الآخرون تقطع بضم التاء من التقطيع وقرا يعقوب وحده الى ان بتخفيف اللام على الغاية وقرا الباقون الا ان بتشديد اللام على الاستثناء ويدل على قراءة يعقوب تفسير الضحاك وقتادة لا يزالون فى شك منه وندامة الى ان يموتوا فحينئذ يستيقنوا (والله عليم حكيم) قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم) قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربى عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا به

شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم (بان لهم الجنة) وقرأ الاعمش بالجنة (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) قرأ حمزة والكسائي فيقتلون بضم الياء وفتح التاء ويقتلون بفتح الياء وضم التاء على تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل يعني يقتل بعضهم ويقتل الباقون وقرأ الباقون فيقتلون بفتح الياء وضم (١٢٤) التاء ويقتلون بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على فعل المفعول والوجه أنهم يقتلون الكفار أولا ثم يستشهدون هذا الوجه اظهر والقراءة به اكثر (وعدا عليه حقا) أي ثواب الجنة لهم ونصب وحق (في التوراة والإنجيل والقرآن) يعني ان الله عز وجل وعدهم هذا الوعد وبينه في هذه الكتب وفيه دليل على ان اهل الملل كلهم امروا بالجهاد على ثواب الجنة ثم هنأهم فقال (ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا) ففرحوا (ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) قال عمر رضي الله عنه ان الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك وقال قتادة ثامنهم الله عز وجل فاغلى لهم وقال الحسن اسعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه انه قال ان الله اعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها ثم وصفهم فقال (التائبون) قال الفراء استؤنفت بالرفع لتمام الاية وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون إلى آخر هم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين بترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعني الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل بأمور أربعة أولها إحتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته (العابدون) يعني المطيعين لله الذين يريدون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء والضراء روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون

بأن لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا إذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قال ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيئا هو له في الحقيقة لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملك والأشياء كلها ملك الله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا إياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء إلى الطاعة والجهاد وذلك لأن المؤمن إذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل وانفق ما له في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الأموال إنفاقها في سبيل الله في جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون في سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر اى قاتلوا في سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعني فيقتلون اعداء الله ويقتلون في طاعته وسبيله (وعدا عليه حقا) يعني ذلك الوعد بأن لهم الجنة وعدا على الله حقا (في التوراة والإنجيل والقرآن) يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيل الله قد اثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن وفيه دليل على أن الأمر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن اوفى بعهده من الله) يعني لا احد اوفى بالعهد من الله (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فاستبشروا أيها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به (وذلك) يعني هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه رابح في الاخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم ٥ قوله سبحانه وتعالى (التائبون) قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الاية الأولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون إلى آخره لهم الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين بترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعني الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل بأمور أربعة أولها إحتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته (العابدون) يعني المطيعين لله الذين يريدون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء والضراء روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون

الجهاد فمن كانت هذه صفته فله الجنة أيضا وهذا حسن فكانه وعد الجنة لجميع المؤمنين كما قال وكلا وعد الله الحسنى فمن جعله تابعا للاول الله فلهم الوعد بالجنة ايضا وان كان الوعد بالجنة للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات قوله التائبون اى الذين تابوا من الشرك وبرؤوا من النفاق (العابدون) المطيعون الذين اخلصوا العبادة لله عز وجل (الحامدون) الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء

(السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما الصائمون وقال سفيان بن عيينة إنما سمى الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال عطاء السائحون الغزاة المجاهدون فى سبيل الله وروى عن (١٢٥) عثمان بن مظعون رضى الله عنه انه

الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى (السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة إنما سمى الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذى يسيح فى الارض متعبدا لازاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل أصل السياحة استمرار الذهاب فى الارض كالماء الذى يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون فى سبيل الله ويدل عليه ماروى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا نبى الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله ذكره البغوى بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لانهم يتنقلون من بلد إلى بلد فى طلبه وقيل ان السياحة لها اثر عظيم فى تهذيب النفس وتحسين اخلاقها لان السائح لا بد ان يلقى انواعا من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصالحين فى سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم ويرى العجائب واثار قدرة الله تعالى فيتفكر فى ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكعون الساجدون يعنى المصلون وإنما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلى من غير المصلى بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلى وغيره (الآمرون بالمعروف) يعنى يامرون الناس بالايمان بالله وحده (والناهون عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهون عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه رسول الله ﷺ قال الحسن اما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تعطفه بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى فى صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون إلى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآمرون بالمعروف يعنى هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون لحدود الله) قال ابن عباس يعنى القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم اهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون إلى امره ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذى الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه (وبشر المؤمنين) يعنى بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به إذا وفوا لله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى إلى آخر الاية بان له الجنة ولم يغز * قوله عز وجل (ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) الاية واختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الاية فقال قوم نزلت فى شان أبى طالب عم النبى ﷺ والدعلى وذلك ان النبى ﷺ أراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ماروى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت اباطالب الوفاة جاء نبى الله ﷺ فوجد عنده اباجهل وعبد الله بن ابى أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لا اله إلا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل نبى الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان تلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا اله إلا الله فقال نبى الله ﷺ والله لاستغفرن لك مالم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وانزل الله فى أبى طالب انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء أخرجاه فى الصحيحين * فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الاية فى شأن أبى طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهى من اخر القرآن نزولا * قلت الذى نزل فى ابى طالب قوله تعالى انك لا تهدى من احببت فقال ﷺ لاستغفرن لك مالم انه عنك كما فى الحديث فيحتمل انه ﷺ كان يستغفر

قال يا رسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم (الراكعون الساجدون (يعنى المصلين (الامرون بالمعروف) بالايمان (والناهون عن المنكر) عن الشرك وقيل المعروف السنة والمنكر البدعة (والحافظون لحدود الله) القائمون بأوامر الله وقال الحسن اهل الوفاء ببيعة الله (وبشر المؤمنين ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقال قوم سبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهرى حدثنى سعيد ابن المسيب عن ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن أبى أمية ابن المغيرة فقال أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى امية بن المغيرة اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه

ويعود لتلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا إله إلا الله فقال نبى الله ﷺ والله لأستغفرن لك مالم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين (ولو كانوا اولى قربى

من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وانزل في أبي طالب انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء اخبرنا إسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن حاتم بن ميمون ثنا يحيى بن سعيد ثنا يزيد بن كيسان حدثني ابو حازم الاشجعي (١٢٦) عن أبي هريرة قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب قل لا إله إلا الله اشهد لك بها يوم القيامة فقال لولا ان تعيرني قريش فيقولون إنما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فأنزل الله عز وجل إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء انا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن يوسف حدثني الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم نبي الله ﷺ مكة اتى قبر امه امنة فوقف عليه حتى حميت الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية اما اسمعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغفار بن محمد ثنا محمد ابن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنبأنا محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن ابي حازم عن أبي هريرة قال زار النبي ﷺ قبر امه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت قال قتادة قال النبي ﷺ لأستغفرن لأبي كما أستغفر

له في بعض الأوقات إلى أن نزلت هذه الاية فمنع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لعمه عند الموت قل لا إله إلا الله أشهد بها يوم القيامة فابى فانزل الله إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء الاية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الاية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله ﷺ وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلي منه أم دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فأخرجته إلى ضحضاح وقال أبو هريرة وبريدة لما قدم النبي ﷺ مكة أتى قبر امه آمنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي ﷺ لما قدم مكة أتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبر امه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله رأيناك صنعت قال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فمارؤي باكيا أكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزي عن بريدة قال ان النبي ﷺ مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار إلا هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الاية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وابكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي ﷺ لا ستغفرن لابي كما استغفر إبراهيم لابيه فانزل الله هذه الاية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالا من اصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا نبي الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي بالذمم افلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ثم عذر الله إبراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه الاية عن علي بن ابي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له اتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية ما كان ينبغي للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى لأن النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه القريب والبعيد ثم ذكر عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) يعني تبين لهم انهم ماتوا على الشرك فهم من اصحاب الجحيم وايضا فقد قال تبارك

إبراهيم لأبيه فانزل الله تعالى هذه الآية ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما انزل الله عز وجل خبر اعن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت له تستغفر لهما وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فاتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك قوله تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) قال بعضهم الهاء في إياه عائدة في ابراهيم عليه السلام والوعد كان من أبيه وذلك أن اباه كان وعده أن يسلم فقال له إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا اسلمت وقال بعضهم الهاء راجعة إلى الأب وذلك ان إبراهيم أوعد أباه ان يستغفر له رجاء إسلامه وهو قوله سأستغفر لك ربي يدل عليه قراءة الحسن وعدها إياه بالباء الموحدة والدليل على أن الوعد من إبراهيم وكان الاستغفار في حال شرك الأب قوله تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى أن قال إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك فصرح ان إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار وإنما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم (فلما (١٢٧) تبين له انه عدو لله) لموته على الكفر

وتعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده اما قوله سبحانه وتعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فمعناه وما كان طلب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله إلا من أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه ان يستغفر له رجاء إسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما انزل الله خبرا عن إبراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك يعني ان إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه إنما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الوعد الذي وعده ان يسلم (فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء راجعة إلى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك ان اباإبراهيم وعد إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء إسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها إياه بالباء الموحدة فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لإبراهيم وبان له ان اباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى أوحى إلى إبراهيم ان اباه عدو له فتبرأ منه وقيل لما تبين له في الاخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ماروى عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يارب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون فاي خزي أخزى من أبي فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ماتحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره فتبرأ منه والقترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة هو ذكر الضباع والانثى ذيخة ﴿وقوله تبارك وتعالى (إن إبراهيم لأواه حليم) جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الأواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن

(تبرأ منه) وقيل فلما تبين له في الاخرة أنه عدو لله تبرأ منه أي ينبرأ منه وذلك ما أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا إسماعيل بن عبد الله حدثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يلقى إبراهيم اباه ازر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول له ابوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم عليه السلام يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من ابي الأبعد فيقول الله إني حرمت الجنة على

الكافرين ثم يقال لابراهيم ماتحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وفي رواية يتبرأ منه يومئذ قوله تعالى (ان ابراهيم لاواه حليم) اختلفوا في معنى الاواه جاء في الحديث أن الاواه الخاشع المتضرع وقال عبد الله بن مسعود الاواه الدعاء وعن ابن عباس قال هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال عكرمة هو المستيقن بلغة الحبشة وقال كعب الأحبار هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم عليه السلام يكثر أن يقول آه من النار قبل أن لا ينفع آه وقيل هو الذي يتأوه من الذنوب وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله تعالى وعن سعيد بن جبير قال الاواه المسبح وروى عنه الاواه المعلم للخير وقال النخعي هو الفقيه وقال عطاء هو الراجع عن كل ما يكره الله وقال أيضا هو الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا يريد أن يكون تضرعه على يقين الاية ولزوم الطاعة قال الزجاج فذا نتظم في قول ابي عبيدة أكثر ماقيل في الأواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء والفعل منه أواه وتاوه والحليم الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكروه كما قال لابيه عند وعيده ولئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا سلام عليك سأستغفر لك ربي وعن ابن عباس رضي عنهما انه قال الحليم السيد

قوله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) معناه ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الأوامر وباستغفاركم للمشركين (حتى يبين لهم ما يتقون) يريد حتى يتقدم اليكم بالنهي فاذا بين ولم تأخذوا به فعند ذلك تستحقون الضلال قال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين عامة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فاعملوا وذروا وقال الضحاك ما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك أن قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ولم تكن الخمر حراما ولا القبلة مصروفة إلى الكعبة فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت فقالوا يا رسول الله فكنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم يعني ما كان الله ليبطل عمل قوم بعد إذ هداهم حتى يبين لهم الناسخ (إن الله بكل شيء عليم) ثم عظم نفسه فقال (إن الله له ملك السموات والارض) يحكم بما يشاء (يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي) الاية تاب الله أي تجاوز وصفح ومعنى توبته على النبي ﷺ باذن للمنافقين بالتخلف عنه ذكر

وقال كعب الأحبار هو الذي يكثر التأوه وكان ابراهيم ﷺ يكثر أن يقول أوه من النار قبل أن لا ينفع أوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع ايقانا ولزوما للطاعة قال الزجاج انتظم في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه هو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحليم فعناه ظاهر وهو الصفوح ممن سبه أو آذاه بمكروه ثم يقابله بالإحسان واللطف كما فعل ابراهيم بأبيه حين قال له لئن لم تنته لارجمنك فاجابه إبراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وإنما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليبين سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له إصراره على الكفر فاقتدوا به أنتم في هذه الحالة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد أن رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع عافوا ما صدر منهم فاعلمهم أن ذلك ليس بضائرهم (حتى يبين لهم ما يتقون) يعني ما يأتون وما يذرون وهو أن تقدم اليهم النهي عن ذلك الفعل فلما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤاخذهم بعمل إلا بعد أن يبين لهم ما يجب عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في أمر المنسوخ وذلك أن قوما قدموا على النبي ﷺ واسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة إلى الكعبة ورجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة إلى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك إلى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت إلى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما إذ هداهم يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم وقد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (إن الله بكل شيء عليم) يعني انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند نهيكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من أوامره ونواهيه (إن الله له ملك السموات والأرض) يعني أنه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والأرض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء (يحيي ويميت) يعني انه تعالى يحيي من يشاء على الإيمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم عليهم ٥ قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار ومعنى توبته على النبي ﷺ عدم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهي كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان وقيل افتتح الكلام به لانه كان سبب توبتهم فذكره معهم كقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول ونحوه (والمهاجرين والانصار

الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) أى فى وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة والعسرة الشدة وكانت عليهم عسرة فى الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون مامعهم إلا

ذكر النبى بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين الأنصار فى ضم توبتهم إلى توبة النبى ﷺ كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله فى قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والأنصار فلاجل ماوقع فى قلوبهم من الميل إلى القعود عن غزوة تبوك لأنها كانت فى وقت شديد وربما وقع فى قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ماوقع فى قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الإنسان لا يخلو من زلات وتبعات فى مدة عمره إما من باب الصغائر وإما من باب ترك الأفضل ثم ان النبى ﷺ والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التى حصلت لهم فى ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لأجل ماتحملوه من الشدائد العظيمة فى تلك الغزوة مع النبى ﷺ وإنما ضم ذكر النبى ﷺ إلى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم فى الدين وانهم قد بلغوا إلى الرتبة التى لأجلها ضم ذكر الرسول ﷺ إلى ذكرهم (الذين اتبعوه) فى تلك الغزوة من المهاجرين والأنصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبى ﷺ سار إلى تبوك فى سبعين الفا مابين راكب وماش من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل (فى ساعة العسرة) يعنى فى وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذى سار فيه يسمى جيش العسرة لأنه كان عليهم عسرة فى الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل منهم ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون ومامعهم إلا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة فمضوا مع النبى ﷺ على صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع النبى ﷺ إلى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يارسول الله إن الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه ﷺ فلم يرجعا حتى ارسل الله سحابة فمطرت فملؤا مامعهم من الأوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر أسنده الطبرى عن عمر ٥ قوله تعالى (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) يعنى من بعدما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التى نالتهم والزيغ فى اللغة الميل وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول ﷺ عند تلك الشدة التى نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ماخطر فى قلوبهم فلأجل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعنى انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة ٥ فان قلت قد ذكر التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار ٥ قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا انه سبحانه وتعالى قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله (انه رؤف رحيم) تأكيدا لذلك ومعنى الرءوف فى صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا فى المعنى قال الخطابى قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة

التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهما أخذ التمرات فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة فمضوا مع رسول الله ﷺ على صدقهم ويقينهم وقال عمر ابن الخطاب خرجنا مع النبى ﷺ إلى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقى على كبده فقال أبو بكر الصديق يارسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله قال تحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤا مامعهم من القرب ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر (من بعدما كاد يزيغ) قرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لقوله كاد ولم يقل كادت وقرأ الآخرون بالتاء

 والزيغ الميل أى من بعد كادت تميل (قلوب فريق منهم) اى قلوب بعضهم ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل إلى التخلف والانصراف للشدة التى عليهم قال الكلبى هم ناس بالتخليف ثم لحقوه (ثم تاب عليهم) فان قيل كيف اعاد ذكر التوبة وقد قال فى اول الاية لقد تاب الله على النبى ﷺ قيل ذكر التوبة فى اول الاية قبل ذكر الذنب وهو محض الفضل من الله عز وجل فلما ذكر الذنب اعاد ذكر التوبة والمراد منه قبولها (انه بهم رؤف رحيم) قال ابن عباس من تاب الله عليه لم يعذبه ابدا

قوله عز وجل (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى خلفوا من غزوة تبوك وقيل خلفوا أى أرجىء أمرهم عن توبة أبى لبابة وأصحابه وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك الشاعر ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية كلهم من الأنصار أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب (١٣٠) من بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك غير انى كنت تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لى بها مشهد بدر وإن كانت بدر اذكر فى الناس منها وكان من خبرى حين تخلفت عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك انى لم أكن قط اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما اجتمعت عندى قبل ذلك راحلتان قط حتى كانت تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب إلا ظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه من وحى الله عز وجل وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فانا اليها اصعر فتجهز رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه فطفقت اغدو لكى اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيأ فاقول فى نفسى انا قادر على ذلك إذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازى شيأ ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى اسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتنى فعلت ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزننى انى لا ارى لى اسوة إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق او رجلا مما عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله ﷺ فبينما هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله ﷺ كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة الانصارى وهو

تكون مع الكراهة ٥ قوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون مرجون لامر الله وفى معنى خلفوا قولان أحدهما انهم خلفوا عن توبة أبى لبابة وأصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع أبو لبابة وأصحابه فتاب الله على ابى لبابة وأصحابه واخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثانى انهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع النبى ﷺ فيها واما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهرى قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لاحاديث رسول الله ﷺ قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك قال لم أتخلف عن النبى ﷺ فى غزوة غزاها قط إلا فى غزوة تبوك غير انى قد تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها إنما خرج النبى ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع النبى ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر فى الناس منها وكان من خبرى حين تخلفت عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك إنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فاخبرهم بوجهم الذى يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب إلا ظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله عز وجل وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فانا اليها أصعر فتجهز النبى ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا وأقول فى نفسى أنا قادر عليه إذا أردت فلم يزل يتمادى بى الامر حتى اشتد بالناس الجد فاصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازى شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لاتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت

ولم أقض شيئا فلم يزل يتمادى بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فأدركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج النبى ﷺ فطفت فيهم أحزننى انى لاأرى لى أسوة إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرنى النبى ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك مافعل كعب بن مالك فقال رجلا من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ماقلت يارسول الله ماعلمنا عليه إلا خيرا فسكت النبى ﷺ فبينا هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال النبى ﷺ كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب بن مالك فلما بلغنى انه توجه قافلا من تبوك حضرنى همى فطفقت اتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من اهلى فلما قيل إن النبى ﷺ قد أظل قادما زاح عنى الباطل وعرفت انى لن اخرج منه ابدا بشىء فيه كذب فاجمعت صدقه وأصبح النبى ﷺ قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ماخلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت بلى يارسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه أنى لارجو فيه عقبى الله وفى رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك قال فوالله مازالوا يؤنبوننى حتى اردت ان ارجع إلى النبى ﷺ فاكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا أحد معى قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ماقلت وقيل لهما مثل ماقيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لى ونهى النبى ﷺ المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت لى نفسى الارض فماهى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما انا فكنت اشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى احد وأتى النبى ﷺ فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتى نظر الى وإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط ابى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله مارد على السلام فقلت يا أبا قتادة انشدك بالله ان تعلم أنى احب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة إذا نبطى من نبط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له إلى حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته حتى إذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحى وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت فى ان لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار النبى ﷺ
فوالله مازالوا يؤنبونى حتى أردت ان ارجع واكذب نفسى ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد قال نعم رجلان قالا مثل ما قلت
فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمرى وهلال بن أمية الواقفى فذكروا إلى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما
اسوة حسنة فمضيت حين ذكروهما لى قال ونهى النبى ﷺ المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس

وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان واما أنا فكنت اشب القوم وأجلدهم فكنت اخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى احد واتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على ام لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتى اقبل إلى واذا التفت نحوه اعرض عنى حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط ابى قتادة وهو ابن عمى واحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت له يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمنى احب الله ورسوله فسكت فعدت فنشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى سورت الجدار قال فبينا انا امشى بسوق المدينة اذا نبطى من أنباط الشام ممن قدم بالطعام ليبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له الى حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان فقرأته فاذا فيه أما بعد فقد بلغنى ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأته وهذا ايضا من البلاء فتيممت به التنور فسجرته حتى مضت أربعون ليلة من الخمسين اذا رسول للنبى ﷺ يأتينى فقال ان النبى ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا افعل فقال لا بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبى بمثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى بأهلك

يأتينى فقال إن النبى ﷺ يأمرك ان تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها ام ماذا افعل قال بل اعتزلها
ولا تقربها قال وارسل إلى صاحبى مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى
الله فى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ
ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به حركة إلى
شىء ووالله مازال يبكى منذ كان من امره وما كان إلى يومه هذا قال فقال لى بعض اهلى لو استأذنت
النبى ﷺ فى امرأتك فقد اذن لامرأة هلال بن أمية ان تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها النبى ﷺ
وما يدرينى ما يقول لى النبى ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل
لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من
بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت على نفسى وضاقت على الارض بما
رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجداً
وعرفت انه قد جاء فرج قال واذن النبى ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس
يبشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل إلى فرسا وسعى ساع من اسلم قبلى وأوفى
على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى
فكسوتهما إياه ببشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأم النبى
ﷺ يتلقانى الناس فوجا فوجا يهنؤنى بالتوبة ويقولون لينهك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد
فاذا النبى ﷺ حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ما قام
والله ما قام إلى رجل المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على
النبى ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال
قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله وكان النبى ﷺ إذا أسر
استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت
يارسول الله ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة إلى الله ورسوله فقال النبى ﷺ امسك
عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى امسك سهمى الذى بخيبر قال وقلت يارسول الله
ان الله إنما أنجانى بالصدق وإن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان
أحداً من المسلمين ابلاه الله فى اصدق الحديث منذ ذكرت ذلك للنبى ﷺ أحسن مما أبلانى
الله ووالله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك للنبى ﷺ إلى يومى هذا وإنى لأرجو ان يحفظنى
الله فيما بقى قال فأنزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد
أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدق النبى ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين
كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحى شر ما قال لأحد فقال الله سبحانه وتعالى
سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء

وكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت انه والله مابه حركة إلى شيء والله مازال يبكى منذ كان من امره ما كان إلى يومه هذا قال كعب فقال لى بعض اهلى لو استأذنت رسول الله ﷺ فى امرأتك كما اذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول لى (١٣٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التى ذكر الله فينا قد ضاقت على نفسى وضاقت على الارض بمارحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فخررت لله ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج وآذن النبى صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل إلى فرسا وسعى ساع من اسلم فاوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوتها ياها ببشراه والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنؤننى بالتوبة ويقولون لى ليهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ماقام إلى رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور بشرا بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يارسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كان قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين

بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا نحن الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجا النبى ﷺ امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه إيانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه وفى رواية ونهى النبى ﷺ عن كلامى وكلام صاحبى ولم ينه عن كلام واحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شيء اهم إلى من ان اموت فلا يصلى على النبى ﷺ أو يموت النبى ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى احد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه ﷺ حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله ﷺ عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة فى شانى معتنية بامرى فقال النبى ﷺ يا ام سلمة تيب على كعب بن مالك قالت افلا ارسل اليه فابشره قال إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى إذا صلى النبى ﷺ صلاة الفجر اذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا اخرجه البخارى ومسلم ﴿ شرح غريب هذا الحديث ﴾ قوله حين تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل او الناقة القويان على الحمل والسفر وقوله وورى بغيرها يقال ورى عن الشيء إذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية القفراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلاهو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم واظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله فانا إليها اصعر هو بالعين المهملة اى اميل والصعر الميل قوله وتفارط الغزو اى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان يتظرفى عطفيه إذا كان معجبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول إذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد السراب هو ما يظهر للانسان فى البرية فى وقت الهاجرة كانه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض قوله كن اباخيثمة معناه ابتا بوخيثمة وقيل معناه اللهم اجعله اباخيثمة اى لتوجد ياهذا الشخص اباخيثمة حقيقة قوله الذى لزه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره إلى وطنه قوله حضرنى بثى البث اشد الحزن كانه لشدته يظهر قوله زاح عنى الباطل اى زال وذهب عنى واجمعت صدقه اى عزمت عليه لقد اعطيت جدلا اى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اردت بما اشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو والغضبان قوله فازالوا يؤنبونني اى يلومونني اشد اللوم قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى الارض التى اعرف معناه تغير على كل شيء من الارض وتوحشت على وصارت كأنها ارض لا اعرفها وقوله فاما صاحباى فاستكانا يعنى خضعا وسكنا قوله تسورت حائط ابى قتادة اى علوته وصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح وقوله فتيممت بها التنور فسجرته بها اى فقصدت بالصحيفة التى ارسل بها ملك غسان فاحرقتها فى التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت اتامم يعنى اقصد النبى ﷺ والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه إذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور قوله انخلع من مالى اى اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما عفت

يديه قلت يارسول الله ان من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله قال النبي ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر قال فقلت يارسول الله إنما نجاني الله بالصدق وان من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت فوالله ما اعلم احدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ احسن مما أبلاني ووالله ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذابا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقيت وانزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار إلى قوله وكونوا مع الصادقين وروى (١٣٤) اسحق بن راشد عن الزهري بهذا الاسناد عن كعب قال نهى رسول الله ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم إلي من ان اموت ولا يصلى على رسول الله ﷺ او يموت رسول الله ﷺ فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يصلي علي وأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شاني معينة في أمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل اليه فابشره قال إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا (حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) اتسعت (وضاقت عليهم انفسهم) غما وهما (وظنوا) اى تيقنوا (أن لا ملجأ من الله) لا مفزع من الله (إلا اليه ثم تاب عليهم) أي ليستقيموا على التوبة فان توبتهم قد سبقت (إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال نافع مع محمد وأصحابه وقال سعيد بن جبير مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهم وقال ابن جريج مع المهاجرين لقوله تعالى للفقراء المهاجرين إلى قوله اولئك هم الصادقون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك باخلاص نية وقيل مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الكاذبة وكان ابن مسعود يقرأ وكونوا مع الصادقين وقال ابن مسعود ان الكذب لا يصح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم

احدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر وإذا اطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيدهنا بقوله احسن مما ابلاني اى انعم علي قوله ان لا أكون كذبته هذا هو جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لا زائدة ومعناه ان أكون كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه امرنا تأخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اى يطؤكم ويزدحمون عليكم واصل الوطء الكسر وقوله ساثر الليل يعني باقي الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اى اعلم والاذان الاعلام والله اعلم ٥ قوله عز وجل (حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا (وضاقت (عليهم انفسهم) يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس إياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعني وايقنوا وعلموا (أن لا ملجأ) يعني لا مفزع ولا مفر (من الله إلا إليه) ولا عاصم من عذابه إلا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجا من الله إلا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وإنما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار اى وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا * وقوله تعالى (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم إلى التوبة في المستقبل فيرجعوا ويداوموا عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا إلى حالتهم الاولى يعني إلى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك (إن الله هو التواب) يعني على عباده (الرحيم) بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شيء ٥ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) يعني مخالفة الرسول ﷺ (وكونوا مع الصادقين) يعني مع من صدق النبي ﷺ واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو قال سعيد بن جبير من الصادقين يعني مع ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب وهم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الاية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي إلى الجنة والكذب إلى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا ثم لا ينجزه اقرأوا إن شئتم وكونوا مع الصادقين وروى ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الاية على الأنصار في يوم السقيفة وذلك ان الأنصار قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين إلى قوله اولئك هم الصادقون منهم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر إن الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين ٥ قوله سبحانه وتعالى

صيبه شيئا ثم لا ينجر له افرؤا ان شئتم هذه الآية قوله تعالى (ما كان لأهل المدينة) ظاهره خبر ومعناه نهى كقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (ومن حولهم من الاعراب) سكان البوادى من زينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار (أن يتخلفوا عن رسول الله) إذا غزا (ولا يرغبوا) أى ولا أن يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه) فى مصاحبته ومعاونته والجهاد معه وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم عن أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله ﷺ فى مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بأنهم لا يصيبهم) فى سفرهم (ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (فى سبيل الله ولا يطئون موطئا) أرضا (يغيظ الكفار) وطؤهم إياه (ولا (١٣٥) ينالون من عدو نيلا) أى لا يصيبون من عدوهم قتلا أو أسرا أو غنيمة أو هزيمة (إلا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين)

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا على ابن عبد الله حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا يزيد بن أبى مريم حدثنا عباية بن رفاعة قال ادركنى أبو عبس وأنا ذاهب إلى الجمعة فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أغبرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار واختلفوا فى حكم هذه الاية قال قتادة هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين أن يتخلف عنه إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعى وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون فى هذه الاية انها لاول هذه الامة واخرها وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن شاء فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة قوله تعالى (ولا ينفقون نفقة) اى فى سبيل الله (صغيرة ولا كبيرة) ولو علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) لا يجاوزون واديا فى مسيرهم مقبلين او مدبرين (إلا كتب لهم) يعنى اثارهم وخطاهم (ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون) روى عن خزيم بن فاتك قال قال رسول الله ﷺ من انفق نفقة فى سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف اخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا اسحق بن ابراهيم الحنظلى انا جرير عن الاعمش عن ابى عمرو الشيبانى عن ابى مسعود الانصارى قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة

(ما كان لاهل المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والأنصار (ومن حولهم من الأعراب) يعنى سكان البوادى من مزينة وجهينة وأسلم واشجع وغفار وقيل هو عام فى كل الأعراب لأن اللفظ عام وحمله على العموم أولى (أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى إذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى أى ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ (ولا يرغبوا) يعنى ولا أن يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه) يعنى ليس لهم أن يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله ﷺ ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لأنفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه فى حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله ﷺ فى مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بأنهم لا يصيبهم) فى سفرهم وغزواتهم (ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) يعنى مجاعة شديدة (فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار) يعنى ولا يضعون قدما على الأرض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم (ولا ينالون من عدو نيلا) يعنى أسرا او قتلا او هزيمة أو غنيمة او نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا (إلا كتب لهم به عمل صالح) يعنى إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى ان الله سبحانه لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن فى عمله واطاعه فيما أمره به وانتهاه عنه أن يجازيه على إحسانه وعمله الصالح وفى الآية دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيئات إلا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء فى حكم هذه الاية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد ان يتخلف عنه إلا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه إذا لم يكن للمسلمين إليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعى وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون فى هذه الاية أنها لأول هذه الأمة واخرها فعلى هذا تكون هذه الاية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية أنه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله ﷺ إذا دعاهم وامرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لا تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله ﷺ إلا إذا امر وكذا غيره من الائمة والولاة قالوا إذا ندبوا اوعينوا لانالوسوغنا للمندوب ان يتقاعد ولم يختص بذلك بعضر دون بعض لادى ذلك إلى تعطيل الجهاد والله اعلم * وقوله عز وجل (ولا ينفقون يعنى فى سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعنى تمرة فما دونها او اكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) يعنى ولا يجاوزون فى مسيرهم واديا مقبلين ومدبرين فيه (إلا كتب لهم يعنى كتب الله لهم اثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجزيهم الله) يعنى يجازيهم (احسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازى فيه وجهان

كلها مخطومة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل ثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث ثنا الحسين حدثني يحيى ابن ابي كثير حدثني ابو سلمة حدثني بشر بن سعيد حدثني زيد بن خالد ان رسول الله ﷺ قال من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا قوله عز وجل (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال ابن عباس في رواية الكلبي لما أنزل الله عز وجل عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي ﷺ يبعث السرايا فكان المسلمون ينفرون جميعا إلى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا نفي بمعنى النهي قوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) اي فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة (ليتفقهوا في الدين) يعني فرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فاذا رجعت السرايا أخبروهم بما انزل بعدهم فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم ونبعث سرايا اخر فذلك قوله (ولينذروا قومهم) وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به (إذا رجعوا اليهم لعلهم

الأول ان الأحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الأحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الأحسن صفة للجزاء أي يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الاية دليل على فضل الجهاد وأنه أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله ﷺ قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها في رواية وما فيها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن ابي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله ﷺ فقال أي الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (خ) عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن ابي مسعود الأنصاري البدري قال جاء رجل بناقة مخطومة إلى النبي ﷺ فقال هذه في سبيل الله فقال النبي ﷺ لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم ابن فاتك قال قال النبي ﷺ من انفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذي والنسائي * قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الاية قال عكرمة لما نزلت هذه الاية ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست في الجهاد ولكن لما دعا النبي ﷺ على مضر بالسنين اجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب النبي ﷺ واجهدوهم فانزل الله عز وجل الاية يخبر رسوله ﷺ انهم ليسوا مؤمنين فردهم النبي ﷺ إلى عشائرهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم إذا رجعوا اليهم فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي ﷺ فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي ﷺ ما تأمرنا ان نفعله وأخبرنا عما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم فيأمرني الله ﷺ بطاعة الله ورسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا إذا اتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان النبي ﷺ يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وان ينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم ويدعوهم إلى الإسلام وينذروهم ويبشروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي ﷺ خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما تراكم إلا قد تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجا واقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي ﷺ فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يبتغون الخير وقعد طائفة (ليتفقهوا في الدين) ليسمعوا ما أنزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس (إذا رجعوا اليهم لعلهم

يحذرون)

يحذرون) أن يجهلوا فلا يعملون بخلافه وقال الحسن وهذا النفقة والانذار راجع إلى الفرقة النافرة ومعناه هلا نفر فرقة ليتفقهوا أى ليتبصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين وليندروا قومهم من الكفار إذا رجعوا اليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله ورسوله ﷺ والمؤمنين لعلهم يحذرون ان يعادوا النبى ﷺ فينزل بهم ما نزل باصحابهم (١٣٧) من الكفار وقال الكلبى لما وجه

يحذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله ﷺ وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصبة يعنى السرايا ولا يسيرون إلا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل فى بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من النبى ﷺ وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقهوا فى الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويلموا السرايا إذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الأقوال كلها الطبرى وأما تفسير الاية فيمكن أن يقال أنها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال أنها كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الأول فقد قيل أن النبى ﷺ كان إذا خرج للغزو ولم يتخلف عنه إلا منافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله فى الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم فى تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شىء من الغزوات مع النبى ﷺ ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا إلى الغزو وتركوا النبى ﷺ وحده فنزلت هذه الاية فيكون المعنى ما كان ينبغى للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم إلى الجهاد ويتركوا رسول الله ﷺ بل يجب أن ينقسموا إلى قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله ﷺ وطائفة ينفرون إلى الجهاد لأن ذلك الوقت كانت الحاجة داعية إلى انقسام أصحاب رسول الله ﷺ إلى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه فى الدين لأن الأحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شىء فالملازمون لرسول الله ﷺ يحفظون ما نزل من الأحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون معنى الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعنى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا إلى الجهاد إذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعنى مخالفة امر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك أن الفرقة النافرة إذا شاهدوا نصر الله لهم على اعدائهم وان يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه ﷺ وأن الفئة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير إلى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها فى الدين ويمكن أن يجاب عنه بأنهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة فى ايمانهم فيكون ذلك فقها فى الدين واما الاحتمال الثانى وهو أن يقال ان هذه الاية كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبى ﷺ خرجوا إلى البوادى فأصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فى أنفسهم من ذلك حرجا فأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فانزل الله هذه الاية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا فى الدين ويبلغوا ذلك إلى النافرين لينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعنى باس الله ونقمته اذا خالفوا أمره فى الاية دليل على أنه يجب أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق إلى الحق وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب

اخر وهو ان احياء من بنى اسد وخزيمة اصابتهم سنة شديدة فاقبلوا بالذرارى حتى نزلوا المدينة فافسدوا طرقها بالعذرات وأغلوا اسعارها فنزل قوله وما كان المؤمنين لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اى لم يكن لهم ان ينفروا كافة ولكن من كل قبيلة طائفة ليتفقهوا فى الدين وقال مجاهد نزلت فى ناس خرجوا فى البوادى ابتغاء الخير من أهلها فأصابوا منهم معروفا ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا فى أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبى ﷺ فأنزل الله هذه الاية اى هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين وليستمعوا ما أنزل بعدهم ولينذروا قومهم يعنى الناس كلهم إذا رجعوا اليهم ويدعوهم إلى الله لعلهم يحذرون بأس الله ونقمته وقعدت طائفة يبتغون الخير أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفونى

(١٨ - خازن - ك) حدثنا عبد الله بن عمر الجوهرى حدثنا أحمد بن على الكشميهنى حدثنا على بن حجر حدثنا اسمعيل بن جعفر حدثنا عبد الله بن أبى سعيد بن أبى هند عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين انا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن احمد الخلال حدثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع انا الشافعى انا سفيان عن ابى الزناد عن الأعرج عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم

فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا والفقه هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين مثل علم الطهارة والصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفته قال النبى ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وكذلك كل عبادة اوجبها الشرع على كل واحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها مثل علم الزكاة ان كان له مال وعلم الحج ان وجب عليه واما فرض الكفاية هو ان يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا فاذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا وإذا قام من كل بلد واحد بتعلمه سقط الفرض عن الاخرين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث روى أبو امامة قال قال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد قال الشافعى طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله عز وجل (يا أيها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) الاية امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم فى الدار والنسب قال ابن عباس رضى الله عنه مثل بنى قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقيل أرادبهم الروم لانهم كانوا سكان الشام وكان الشام أقرب إلى المدينة من العراق (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وحمية قال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة

الدنيا كان من الأخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما انا قاسم ويعطى الله ولم يزل امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتى امر الله (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذى وأصل الفقه فى اللغة الفهم يقال فقه الرجل إذا فهم وفقه فقاهة إذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفى الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرائع واحكام الدين وذلك ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطاعة واحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبى ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوى بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة إذا صار له مال يجب فى مثله الزكاة وعلم احكام الحج إذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا وإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا وإذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن أبى امامة قال قال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم اخرجه الترمذى مع زيادة فيه عن أبى هريرة قال قال النبى ﷺ من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة اخرجه الترمذى عن أنس أن النبى ﷺ قال من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة اخرجه أبو داود الاية المحكمة هى التى لا اشتباه فيها ولا اختلاف فى حكمها أو ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هى المستمر فالدائمة التى العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هى التى لا جور فيها ولا حيف فى قضائها قال الفضيل بن عباس عالم عامل معلم يدعى عظيما فى ملكوت السموات واخرجه الترمذى موقوفا وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه طلب العلم افضل من صلاة النافلة * قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم فى الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام اقرب إلى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلوهم حتى فرغوا منهم فامروا بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا او يعطوا الجزية عن يد ونقل عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه سبحانه وتعالى لما امرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم إلى الطريق الأصوب الأصلح وهو أن يبدؤا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لأن قتالهم فى دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله ﷺ أولا قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم انتقل إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل إلى غزو الروم فى الشام فكان فتح الشام فى زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار لأنه إذا قاتل الأقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الأبعد * قوله سبحانه وتعالى (وليجدوا فيكم غلظة) يعنى شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) يعنى بالعون

قوله تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) يقينا كان المنافقون يقولون هذا استهزاء. قال الله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) يقينا وتصديقا (وهم يستبشرون) يفرحون بنزول القرآن (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) أي كفرهم فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها قال مجاهد في هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول تعالوا حتى نزداد إيمانا وقال علي بن أبي طالب أن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب فكلما ازداد الإيمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله ايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود (وماتوا وهم كافرون) قوله (أولا يرون) قرأ حمزة ويعقوب ترون بالتاء إعلى خطاب النبي والمؤمنين وقرأ الاخرون بالياء خبر عن المنافقين المذكورين (أنهم يفتنون) يبتلون (في كل عام مرة أو مرتين) بالأمراض والشدائد وقال مجاهد بالقحط والشدة وقال قتادة بالغزو والجهاد وقال مقاتل ابن حيان يفضحون باظهار نفاقهم وقال عكرمة ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقال يمان ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) من نقض العهد ولا يرجعون إلى الله من النفاق (ولا هم يذكرون) أي لا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (وإذا ما أنزلت سورة) فيها عيب المنافقين وتوبيخهم (نظر بعضهم إلى بعض) يريدون الهرب يقول بعضهم لبعض إشارة (هل يراكم من أحد) أي أحد من المؤمنين إن قمتم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وإن علموا أن أحدا يراهم أقاموا وثبتوا (ثم انصرفوا) عن الايمان بها وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) عن الايمان قال أبو إسحاق الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم ذلك (بأنهم قوم لا يفقهون) عن الله دينه قال ابن عباس رضي الله عنه لا تقولوا إذا صليتم انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة

والنصرة * قوله عز وجل (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) يعني وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه يعني السورة إيمانا يعني تصديقا ويقينا وإنما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال سبحانه وتعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شيء إلى آخر من جنسه مما هو في صفته فالمؤمنين إذا أقروا بنزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا أنها من عند الله عز وجل زادهم ذلك القرار والاعتراف إيمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الإيمان في أول سورة الأنفال (وهم يستبشرون) يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيئا بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا إيمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة كما تحصل الزيادة في الإيمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لأنه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كالمرض في البدن إذا حصل يحتاج إلى العلاج (فزادتهم) يعني السورة من القرآن (رجسا إلى رجسهم) يعني كفرا إلى كفرهم وذلك أنهم كلما جحدوا نزول سورة أو استهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الأول وسمي الكفر رجسا لأنه أقبح الأشياء وأصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر (وماتوا) يعني هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعني وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله ﷺ قال مجاهد في هذه الاية الإيمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد إيمانا وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وأن النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود * قوله سبحانه وتعالى (أولا يرون) قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على أنه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض (انهم يفتنون) يعني يبتلون (في كل عام مرة أو مرتين) يعني بالأمراض والشدائد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون إلى الله (ولا هم يذكرون) يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (وإذا ما أنزلت سورة) يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم (نظر بعضهم إلى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض إشارة (هل يراكم من أحد) يعني هل أحد من المؤمنين يراكم إن قمتم من مجلسكم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وإن علموا أن أحدا يراهم من المؤمنين أقاموا ولبثوا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) يعني عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني لا يفقهون عن الله دينه ولا شيئا فيه نفعهم * قوله سبحانه

قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) تعرفون نسبه وحسبه قال السدى من العرب من بنى إسمعيل قال ابن عباس ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبى ﷺ وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم أنا الثعلبى أنا عبد الله بن حامد حدثنا حامد بن محمد أنا على ابن عبد العزيز حدثنا محمد ابن ابى نعيم حدثنا هشيم حدثنى المدنى يعنى ابا معشر عن ابى الحويرث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شىء ما ولدنى إلا نكاح كنكاح الاسلام وقرأ ابن عباس والزهرى وابن محيصن من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم وأفضلكم (عزيز عليه) شديد عليه (ماعنتم) قيل ما صلة أى عنتكم وهو دخول المشقة والمضرة عليكم وقال القتيبى ما اعنتكم وضركم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما ضللتم وقال الضحاك والكلبى ما اتممتم (حريص عليكم) أى على إيمانكم وصلاحكم وقال قتادة حريص عليكم أى على ضالكم أن يهديه الله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) قيل رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (فان تولوا) إن أعرضوا عن الايمان وناصبوك (فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) وروى عن ابن أبى كعب قال آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم إلى آخر السورة وقال هما أحدث الآيات بالله عهدا

تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد إسمعيل بن إبراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبى ﷺ وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ إنى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبرى وذكر البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال النبى ﷺ ما ولدنى من سفاح أهل الجنة شىء ما ولدنى إلا نكاح كنكاح أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسكم فلا يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء فى تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبى ﷺ يعنى من مضرها وربيعتها وإيمانها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبه إلى عرب اليمن وهم القحطانية فان امنة لما نسب فى الأنصار وإن كانت من قريش والأنصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب فى نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وفخرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والأمانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والأخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه أنه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن ابى هريرة أن النبى ﷺ قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ قال قلت يا رسول الله إن قريشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة فى كدية من الأرض فقال رسول الله ﷺ إن الله خلق الخلق فجعلنى من خير فريقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أخرجه الترمذى وقيل أن قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عام فحمله على العموم أول فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم يعنى من جنسكم بشر مثلكم إذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه قوله سبحانه وتعالى (عزيز عليه ماعنتم) أى شديد عليه عنتكم يعنى مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم (حريص عليكم) حريص على إيمانكم وإيصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وإن يهديكم الله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) يعنى أنه ﷺ رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله ﷺ لى خمسة أسماء انا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله فى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وقد سماه الله رؤفا رحيما قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا النبى ﷺ فسماه رؤوفا رحيما قال سبحانه وتعالى إن الله بالناس لرؤوف رحيم ٥ قوله سبحانه وتعالى (فان تولوا) يعنى فان أعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب (فقل حسبى الله) يعنى يكفينى الله وينصرنى عليكم (لا إله إلا هو عليه توكلت) يعنى لا على غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) إنما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات فيدخل ما دونه فى الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فما دونه أو يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روى عن أبى كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفى رواية عنه أنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام

نزلت بمكة الا ثلاث ايات وهى قوله سبحانه وتعالى فان كنت فى شك مما انزلنا إليك إلى اخر الثلاث ايات قاله ابن عباس وبه قتادة وفى رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدنى قوله تعالى قل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الاية وقال مقاتل هى مكية إلا آيتين وهى قوله سبحانه وتعالى بفضل الله وبرحمته والتى تليها وهى مائة وتسع ايات والف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه الروحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الراسم من اسماء القران وقيل هى اسم السور وقد تقدم الكلام فى معنى الحروف المقطعة فى اول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الاشارة إلى الايات الموجودة فى هذه السورة ويكون التقدير تلك هى ايات الكتاب وهو القران الذى انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظه تلك للاشارة إلى ما تقدم هذه السورة من ايات القران والمعنى ان تلك الايات هى ايات الكتاب الحكيم وفيه قول اخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التى قبل القران حكاه الطبرى عن قتاده وروى عن مجاهد انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات المذكورة فى هذه السورة هى الايات المذكورة فى التوراة او الانجيل والمراد من الايات القصص المذكورة فى هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة والإنجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الايات حروف الهجاء التى منها الر سميت ايات لانها افتتاح السور وسر القران (الحكيم) يعنى المحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القران حاكم يميز الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فيعمل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وقيل ان الحكيم هو الذى يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على الاحكام صار كانه هو الحكيم فى نفسه * قوله سبحانه وتعالى (اكان للناس عجبا) قال ابن عباس سبب نزول هذه الاية ان الله عز وجل لما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم قال الله اعظم من ان يكون له رسول بشر مثل محمد فقال الله سبحانه وتعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا إلى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا الاية والهمزة فى أكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا (إن اوحينا إلى رجل منهم) والعجب حالة تعترى الانسان من رؤية شىء على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعترى الانسان عند الجهل بسبب الشىء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعنى من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته (ان انذر الناس) يعنى خوفهم بعقاب الله تعالى ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) اختلف عبارات المفسرين واهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم الضحاك ثواب صدق وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وروى على بن ابى طلحة عن ابن عباس انه قال هو السعادة فى الذكر الاول وقال زيد بن اسلم هو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال عطاء مقام صدق لا زوال ولا بؤس فيه وقيل منزلة رفيعة وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته كقولهم مسجد الجامع وحب الحصيد وقال ابو عبيدة كل سابق فى خير او شرفهو عند العرب قدم يقال لفلان

إلى غائب مؤنث والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعل بدليل قوله كتاب احكمت اياته وقيل هو بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل دليله قوله عز وجل وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس وقيل هو بمعنى المحكوم فعيل بمعنى المفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وبالنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وحكم فيه بالجنة لمن اطاعه وبالنار لمن عصاه قوله تعالى (أكان للناس عجبا) العجب حالة تعترى الانسان من رؤية شىء على خلاف العادة وسبب نزول الاية إن الله عز وجل لما بعث محمدا ﷺ رسولا قال المشركون الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقال تعالى اكان للناس يعنى اهل مكة الألف فيه للتوبيخ عجبا (ان اوحينا إلى رجل منهم) يعنى محمدا ﷺ (ان انذر الناس) اى اعلمهم مع التخويف (وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) (واختلفوا فيه قال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم قال

وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الأول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن أسلم هو شفاعة محمد ﷺ وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد والفائدة في هذا الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء قال حسان بن ثابت

لنا القدم العليا اليك وخلفنا ٭ لأولنا في طاعة الله تابع

وقال الليث وابو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة

وانت امرؤ من اهل بيت ذؤابة ٭ لهم قدم معروفة ومفاخر

والسبب في إطلاق لفظ القدوم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل إلا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها ٭ مع الحسب العادي طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكر الناس وقال اخر

صل لذي العرش واتخذ قدما ٭ تنجيك يوم العثار والزلل

وقوله سبحانه وتعالى (قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) وقرىء لساحر مبين وفيه حذف تقديره أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وأنذرهم قال الكافرون وإن هذا الساحر يعنون محمدا ﷺ وإنما نسبوه إلى السحر لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر أحد من البشر ان يحصل مثلها ومن قرأ السحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وإنما نسبوه إلى السحر لان فيه الأخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك ٭ قوله عز وجل (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) تقدم تفسير هذا في سورة الأعراف بما فيه كفاية ٭ وقوله سبحانه وتعالى (يدبر الامر) قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الأمور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في ادبار الأمور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السماوات والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي إلا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) يعني لا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا من بعد ان يأذن له في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا اذن له في الشفاعة كان له ان يشفع فيمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فاخبر الله سبحانه وتعالى انه لا يشفع احد عنده إلا باذنه لان له التصرف المطلق في جميع العالم (ذلكم الله ربكم) يعني الذي خلق هذه الاشياء ودبرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه (فاعبدوه) أي فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم من النعم العظيمة (افلا تذكرون) يعني افلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات التي يدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ٭ قوله سبحانه وتعالى (إليه مرجعكم جميعا) يعني ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع (وعد الله حقا) يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) اي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الاية دليل على إمكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري البعث ووقوعه لأن القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والأعضاء المركبة غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكما

قدم في الاسلام وله عندي قدم صدق وقدم سوء وهو يؤنث فيقال قدم صالحة (قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) قرأ نافع واهل البصرة والشام لساحر بغير الف يعنون القرآن وقرأ ابن كثير واهل الكوفة لساحر بالالف يعنون محمدا ﷺ قوله عز وجل (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقضيه وحده (ما من شفيع الا من بعد إذنه) معناه إن الشفعاء لا يشفعون إلا باذنه وهذا رد على النضر بن الحارث فانه كان يقول إذا كان يوم القيامة تشفعني اللات والعزى قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعني الذي فعل هذه الاشارة ربكم لا رب لكم سواه (فاعبدوه افلا تذكرون) تتعظون (اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا) صدقا لا خلف فيه نصب على المصدر اي وعدكم وعدا حقا (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) اي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم قراءة العامة انه بكسر الالف على الاستئناف وقرأ ابو جعفر انه بالفتح على معنى بانه او لانه

(ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) بالعدل (والذين كفروا لهم شراب من حميم) ماء حار انتهى حره (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء) بالنهار (والقمر نورا) بالليل وقيل جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور (وقدره منازل) اى قدر له يعنى هيأله منازل لايجاوزها ولا يقصر دونها ولم يقل قدرهما قيل تقدير المنازل ينصرف إليهما غير انه اكتفى بذكر أحدهما كما قال والله ورسوله احق أن يرضوه وقيل هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن القمر يعرف انقضاء (١٤٣) الشهور والسنين لا بالشمس ومنازل

لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن فى المرة الأولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة أخرى وإذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصى وهو قوله سبحانه وتعالى (ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط) يعنى بالعدل لاينقص من أجورهم شيئا (والذين كفروا لهم شراب من حميم) هو ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء) يعنى ذات ضياء (والقمر نورا) يعنى ذا نور واختلف العلماء أصحاب الكلام فى ان الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لأنها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضياء ولأنهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير فى وقدره يرجع إلى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل أو قدر لسيرهما منازل لايجاوز انهما فى السير ولا يقصران عنها وإنما وحد الضمير فى وقدره للايجاز أو اكتفى بذكر أحدهما دون الاخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع إلى القمر وحده لان سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لأن الشهور المعتبرة مبنية على رؤية الأهلة والسنة المعتبرة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت وهذه المنازل مقسومة على البروج وهى اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت فلكل برج منزلان وثلث منزل فينزل القمر كل ليلة منزلا منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمس فى كل منزلة ثلاثة عشر يوما وثلث يوم فيكون انقضاء السنة مع انقضائها قوله تعالى (لتعلموا عدد السنين اى قدر المنازل لتعلموا عدد السنين دخولها وانقضاءها (والحساب) يعنى حساب الشهور والايام والساعات (ماخلق الله ذلك) رده إلى الخلق والتقدير ولو رده إلى الاعيان المذكورة لقال تلك (إلا بالحق) أى لم يخلقه باطلا بل ظاهرا لصنعه ودلالة على قدرته (يفصل الايات لقوم يعلمون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب يفصل بالياء لقوله ماخلق وقرأ الباقون نفصل بالنون على التعظيم (إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لايات لقوم يتقون) يؤمنون (إن الذين لا يرجون لقاءنا) أى لايخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع (ورضوا بالحياة الدنيا) فاختاروها وعملوا لها (واطمأنوا بها) سكنوا إليها

(ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) بالعدل (والذين كفروا لهم شراب من حميم) ماء حارا انتهى حره (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء) بالنهار (والقمر نورا) بالليل وقيل جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور (وقدره منازل) اى قدر له يعنى هيأله منازل لايجاوزها ولا يقصر دونها ولم يقل قدرهما قيل تقدير المنازل ينصرف إليهما غير انه اكتفى بذكر أحدهما كما قال والله ورسوله احق أن يرضوه وقيل هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن القمر يعرف انقضاء (١٤٣) الشهور والسنين لا بالشمس ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا واسماؤها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثر والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت وهذه المنازل مقسومة على البروج وهى اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت فلكل برج منزلان وثلث منزل فينزل القمر كل ليلة منزلا منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمس فى كل منزلة ثلاثة عشر يوما وثلث يوم فيكون انقضاء السنة مع انقضائها قوله تعالى (لتعلموا عدد السنين اى قدر المنازل

لتعلموا عدد السنين دخولها وانقضاءها (والحساب) يعنى حساب الشهور والايام والساعات (ماخلق الله ذلك) رده إلى الخلق والتقدير ولو رده إلى الاعيان المذكورة لقال تلك (إلا بالحق) أى لم يخلقه باطلا بل ظاهرا لصنعه ودلالة على قدرته (يفصل الايات لقوم يعلمون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب يفصل بالياء لقوله ماخلق وقرأ الباقون نفصل بالنون على التعظيم (إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لايات لقوم يتقون) يؤمنون (إن الذين لا يرجون لقاءنا) أى لايخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع (ورضوا بالحياة الدنيا) فاختاروها وعملوا لها (واطمأنوا بها) سكنوا إليها

(والذين هم عن آياتنا غافلون) أى عن ادلتنا غافلون لا يعتبرون وقال ابن عباس رضى الله عنهما عن آياتنا عن محمد ﷺ والقرآن غافلون معرضون (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) من الكفر والتكذيب قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) فيه إضمار أى يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى جنة (تجرى من تحتهم الأنهار) قال مجاهد يهديهم على الصراط إلى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقيل يهديهم معناه يثبتهم يجزيهم وقيل معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه أى بتصديقهم هداهم تجرى من تحتهم الأنهار أى بين أيديهم كقوله عز وجل قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهى قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل تجرى من تحتهم أى بأمرهم (فى جنات النعيم دعواهم) أى قولهم وكلامهم وقيل دعاؤهم (فيها سبحانك اللهم) وهى كلمة تنزيه تنزه الله من كل سوء وروينا أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم فى الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون الف صحفة وفى كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فذلك قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين قوله تعالى (وتحيتهم فيها سلام) أى يحيى بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحية الملائكة لهم بالسلام وقيل تاتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام (وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم إذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشىء وإذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج اعلم الله أهل الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر فى الحديث قوله سبحانه وتعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) يعنى ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر بما لهم فيه مضرة ومكروه فى نفس أو مال قال ابن عباس هذا فى قول الرجل لأهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وقاله وأهله وولده بما يكره ان يستجاب له فيه (استعجالهم بالخير) يعنى كاستعجالهم بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم إجابة دعائهم بالخير (لقضى إليهم أجلهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل

من الميل إلى الدنيا ولذاتها أزالت عن قلوبهم الوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك إلى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالايات ادلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعنى عن محمد ﷺ والقرآن غافلون اى معرضون (اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة ● قوله عز وجل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) يعنى يهديهم ربهم إلى الجنان ثوابا لهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط إلى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن إذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول انا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانبارى يجوز أن يكون المعنى أن الله يزيدهم هداية بخصائص ولطائف وبصائر ينورها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه أى بتصديقهم هداهم (تجرى من تحتهم الأنهار) يعنى بين أيديهم ينظرون إليها من أعالى أسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهى قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى بامرهم (فى جنات النعيم) يعنى ذلك لهم جنات النعيم (دعواهم فيها) أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهى كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء ونقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم فى الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون الف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل أن المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفى هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفى رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا ● وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيها سلام) يعنى يحيى بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام (وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم إذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشىء وإذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج اعلم الله أهل الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر فى الحديث ● قوله سبحانه وتعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) يعنى ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر بما لهم فيه مضرة ومكروه فى نفس أو مال قال ابن عباس هذا فى قول الرجل لأهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وقاله وأهله وولده بما يكره ان يستجاب له فيه (استعجالهم بالخير) يعنى كاستعجالهم بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم إجابة دعائهم بالخير (لقضى إليهم أجلهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل

تقديم

يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد قوله عز وجل (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) قال ابن عباس هذا فى قول الرجل عند الغضب لأهله وولده لعنكم الله ولا بارك الله فيكم قال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب معناه لو يعجل الله الناس اجابة دعائهم فى الشر والمكروه استعجالهم بالخير أى كما يحبون استعجالهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم)

قرأ ابن عامر ويعقوب لقضى بفتح القاف والضاد أجلهم نصب اى لأهلك من دعى عليه وأماته وقال الاخرون لقضى بضم القاف وكسر الضاد اجلهم رفع اى لفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا وقيل انها نزلت فى النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء يدل عليه قوله عز وجل (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث والحساب (فى طغيانهم يعمهون) اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشر حدثنا أبو على اسمعيل بن محمد الصفار انبانا احمد بن منصور الزيادى حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ اللهم انى اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر فيصدر منى ما يصدر من البشر فاى المؤمنين آذيته أو شتمته او جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ، قوله عز وجل (وإذا مس الانسان الضر) اى الشدة والجهد والمراد بالانسان فى هذه الاية الكافر (دعانا لجنبه) اى على جنبه مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) يريد جميع حالاته لأن الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى أن المضرور لا يزال داعيا فى جميع حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أو قائما أو قاعدا وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى إذا مس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائما وهذا القول فيه بعده لأن ذكر الدعاء إلى هذه الأحوال اقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعنى فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه (مر) يعنى على على طريقته الأولى قبل مس الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وإنما أسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضر مسه) والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون يعنى مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لأنه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله إياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد فى كل شىء وإنما سمى الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها فى عبادة الأصنام واتلف ماله وضيعه فى البحائر والسوائب وكانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعنى خدامها وقال ابن جريج فى قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعنى من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الاية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر اقبل على الدعاء والتضرع فى جميع حالاته مجتهدا فى الدعاء طالبا من الله إزالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع إلى ما كان عليه أولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء فى جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام اعلى من هذا وهو المؤمن إذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل فى جميع أحواله وليعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم فى جميع افعاله وله التصرف فى خلقه بما يشاء ويعلم أنه ان ابقاه على تلك المحنة فهو عدل وإن أزالها عنه فهو فضل ، قوله سبحانه وتعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يعنى اهلكنا الامم الماضية من قبلكم تخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعنى لما

منا كشف ضر مسه (كذلك زين للمسرفين) المجاوزين الحد فى الكفر والمعصية (ما كانوا يعملون) من العصيان قال ابن جريج كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء وقيل معناه كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم قوله عز وجل (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا)

تقديم الشىء قبل وقته والاستعجال طلب العجل وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة وإعطاء السؤال يقال لو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذى يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم يعنى لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له فى الشر وقيل ان هذه الاية نزلت فى النضر بن الحارث حين قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما يعجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء اجالهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (فى طغيانهم) يعنى فى تمردهم وعتوهم (يعمهون) يعنى يترددون (ق) عن ابى هريرة قال قال النبى ﷺ اللهم انى اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فايما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ، قوله عز وجل (وإذا مس الانسان الضر) اى الشدة والجهد والمراد بالانسان فى هذه الاية الكافر (دعانا لجنبه) اى على جنبه مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) يريد جميع حالاته لأن الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى أن المضرور لا يزال داعيا فى جميع حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أو قائما أو قاعدا وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى إذا مس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائما وهذا القول فيه بعده لأن ذكر الدعاء إلى هذه الأحوال اقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعنى فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه (مر) يعنى على على طريقته الأولى قبل مس الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وإنما أسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضر مسه) والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون يعنى مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لأنه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله إياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد فى كل شىء وإنما سمى الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها فى عبادة الأصنام واتلف ماله وضيعه فى البحائر والسوائب وكانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعنى خدامها وقال ابن جريج فى قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعنى من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الاية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر اقبل على الدعاء والتضرع فى جميع حالاته مجتهدا فى الدعاء طالبا من الله إزالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع إلى ما كان عليه أولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء فى جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام اعلى من هذا وهو المؤمن إذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل فى جميع أحواله وليعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم فى جميع افعاله وله التصرف فى خلقه بما يشاء ويعلم أنه ان ابقاه على تلك المحنة فهو عدل وإن أزالها عنه فهو فضل ، قوله سبحانه وتعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يعنى اهلكنا الامم الماضية من قبلكم تخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعنى لما

اشركوا (وجاءتهم رسلهم بالبينات وماكان ليؤمنوا كذلك) أى كما أهلكناهم بكفرهم (نجزى) نعاقب ونهلك (القوم المجرمين) الكافرين بتكذيبهم محمدا ﷺ نخوف كفار (١٤٦) مكة بعذاب الامم الخالية المكذبة (ثم جعلناكم خلائف) أى خلفاء (فى الأرض من بعدهم) أى من بعد القرون التى اهلكناهم (لننظر كيف تعملون) وهو اعلم بهم وروينا عن ابى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ انه قال إلا أن هذه الدنيا حلوة حضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون قوله عز وجل (وإذا تتلى عليهم ايانا بينات) قال قتادة يعنى مشركى مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله ابن امية المخزومى والوليد ابن المغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبيد الله بن ابى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام (قال الذين لا يرجون لقاءنا) هم السابق ذكرهم قالوا للنبى ﷺ ان كنت تريد ان نؤمن بك (ائت بقران غير هذا) ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزلها الله فقل انت من عند نفسك (أو بدله) فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة او مكان حراما حلالا او مكان حلالا حراما (قل) لهم يا محمد (مايكون لى ان أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى (إن أتبع إلا مايوحى إلى) اى اتبع إلا مايوحى إلى فيما آمركم به وانهاكم عنه (إنى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لوشاء الله ماتلوته عليكم) يعنى لوشاء الله ما أنزل القران على (ولا أدراكم به) اى كان ولا اعلمكم الله به قرأ البزى عن ابن كثير ولاردا كم بالقصر به عن الايجاب يريد ولا علمكم به من غير قراءتى عليكم وقرأ ابن عباس ولا أنذركم به من الانذار (فقد لبثت فيكم عمرا) حينا وهو أربعون سنة (من قبله) من قبل نزول القران ولم اتكم بشىء

اشركوا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) يعنى فكذبوهم (وما كانوا ليؤمنوا) يعنى هذه الأمم برسلهم ويصدقوهم بما جاؤا به من عند الله (كذلك نجزى القوم المجرمين) يعنى كما أهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمدا ﷺ (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) الخطاب لأهل مكة الذين ارسل فيهم النبى ﷺ والمعنى ثم جعلناكم ايها الناس خلفاء فى الارض من بعد القرون الماضية الذين أهلكناهم (لننظر كيف تعملون) يعنى خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر اعمالكم وهو يعلم مايكون قبل ان يكون قال اهل المعانى معنى النظر هو طلب العلم وجاز فى وصف الله سبحانه وتعالى اظهار الفعل لأنه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن سعيد الخدرى ان النبى ﷺ قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء اخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه واحذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء قوله سبحانه وتعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى وإذا قرىء على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى انزلناه إليك يا محمد بينات يعنى واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لأنهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (ائت بقران غير هذا او بدله) قال قتادة قال ذلك مشركو مكة قال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن امية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبيد الله بن ابى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبى ﷺ ان كنت تريد ان نؤمن بك فات بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة ومكان حراما حلالا ومكان حلالا حراما قال الامام فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدلته لامنا بك وغرضهم السخرية والاستهزاء والثانى ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى لو أنه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا فى قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقران غير هذا أو بدله يحتمل ان يأتى بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون إلا مع وجوده وهو أن يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا النبى ﷺ أمره الله ان يجيبهم بقوله (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء (مايكون لى ان أبدله من تلقاء نفسى) يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس الى وماينبغى لى اغيره من قبل نفسى ولم أومر به (ان اتبع إلا مايوحى إلى) يعنى فيما أمركم به أو أنهاكم عنه وما أخبركم إلا مايخبرنى الله به وان الذى اتيتكم به هو من عند الله لا من عندى (إنى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) اى قل لهم يا محمد انى اخشى من الله ان خالفت امره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعصيته بذلك ان يعذبنى بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت * قوله سبحانه وتعالى (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لوشاء الله ماتلوته عليكم) يعنى لوشاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا علمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) يعنى فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى إلى هذا القران مدة أربعين سنة لم آتكم بشىء ووجه هذا الاحتجاج أن كفار مكة كانوا قد شاهدوا النبى ﷺ قبل مبعثه وعلموا أحواله وانه

كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك أربعون سنة ثم بعد الأربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب ومكارم الأخلاق والفصاحة والبلاغة ما اعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفكر ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل إلا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله (أفلا تعقلون) يعني أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إلى لا من قبل نفسي (ق) عن ابن عباس قال أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي ﷺ وفي رواية ان النبي ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية أن النبي ﷺ اقام بمكة خمسة عشر سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين (ق) عن عائشة قالت توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه في الصحيحين (م) عن انس قال قبض النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين اخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال سمعت انس ابن مالك يصف النبي ﷺ يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على راس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين النووي ورد في عمره ﷺ ثلاث روايات إحداها أنه ﷺ توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهو اصحها واشهرها رواها مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على أن أصحها ثلاث وستون سنة وتاولوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني ضوء الملائكة أو نور آيات الله حتى راى الملك بعينه وشافه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر ابرص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والحمرة ٥ قوله عز وجل (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى إني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه في قولي إن هذا القرآن من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله تعالى منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني من حيث أني افتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحاه إلي وجب أن يقال ليس أحد في الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه منكم من حيث انكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى (أو كذب بآياته) يعني جحد بكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد (انه لا يفلح المجرمون) يعني المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) يعني ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم إن عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع وأن العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق إلا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الأصنام جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعني الاصنام التي يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعاني تو هم أن عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم إياه وقالوا السنا باهل أن نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى إخبارا عنهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون أنها تشفع لهم في الاخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني أنها تشفع لهم في الدنيا في إصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت

(أفلا تعقلون) انه ليس من قبلي ولبث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم اوحى الله اليه فاقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فاقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وروى أنس أنه أقام بمكة بعد الوحي عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ستين سنة والأول أشهر وأظهر قوله تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم أن له شريكا أو ولدا (أو كذب بآياته) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (إنه لا يفلح المجرمون) لا ينجو المشركون (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم إن عصوه وتركوا عبادته (ولا ينفعهم) إن عبدوه يعني الاصنام (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله

قل اتنبئون الله) اتخبرون الله (بما لا يعلم) الله صحته ومعنى الآية اتخبرون الله أن له شريكا وعنده شفيعا بغير اذنه ولا يعلم الله لنفسه شريكا (فى السموات ولا فى الارض سبحانه (١٤٨) وتعالى عما يشركون) قرأ حمزة والكسائى تشركون بالتاء. هاهنا وفى سورة النحل موضعين وفى سورة الروم وقرأ الاخرون كلها بالياء. قوله تعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة) أى على الاسلام وقد ذكرنا الاختلاف فيه فى سورة البقرة (فاختلفوا) وتفرقوا إلى مؤمن وكافر (ولولا كلمة سبقت من ربك) بان جعل لكل أمة أجلا وقال الكلبى هى امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب فى الدنيا (لقضى بينهم) بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك مضت فى حكمه انه لا يقضى بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة لقضى بينهم فى الدنيا فادخل المؤمن الجنة والكافر النار ولكنه سبق من الله الاجل لجعل موعدهم يوم القيامة (ويقولون) يعنى اهل مكة (لولا انزل عليه) اى على محمد ﷺ (آية من ربه) على ما نقترحه (فقل إنما الغيب لله) يعنى قل إنما سألتمونى الغيب وإنما الغيب لله فلا يعلم أحد لم يفعل ذلك ولا يعلمه إلا هو وقيل الغيب نزول الاية لا يعلم متى ينزل احد غيره (فانتظروا) نزولها (إنى معكم من المنتظرين) وقيل فانتظروا اقضاء الله بيننا بالحق باظهار الحق على المبطل قوله عز وجل (وإذا أذقنا الناس) يعنى الكفار ابن (رحمة من بعد ضراء) اى راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء وقيل القطر بعد القحط (مستهم) اى أصابتهم (إذا لهم مكر فى آياتنا) قال مجاهد تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا من رزق الله إنما يقولون سقينا بنوء كذا وهو قوله تعالى (أنكم تجعلون رزقكم انكم تكذبون

(قل) أى قل لهم يا محمد (أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض) يعنى اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا فى السموات ولا فى الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفى علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب أن لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور فى العرف فان الانسان إذا اراد نفى شىء حصل فى نفسه يقول ما علم الله ذلك منى مقصوده انه ما حصل ذلك الشىء منه قط ولا وقع (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون له شريك فى السموات والأرض ولا يعلمه قوله سبحانه وتعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا) يعنى فتفرقوا إلى مؤمن وكافر يعنى كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان ادم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام إلى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك إلى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل إنهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام إلى أن غيره عمرو بن لحى فعلى هذا القول يكون المراد من الناس فى قوله وما كان الناس إلا أمة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعنى فى الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع فى أن يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وإنما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبى ﷺ وقيل كان الناس أمة واحدة وليس فى الاية ما يدل على أى دين كانوا من إيمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا فى اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا فى الاديان واليه الاشارة بقوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه والمراد بالفطرة فى الحديث فطرة الاسلام قوله سبحانه وتعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى انه سبحانه وتعالى جعل لكل أمة اجلا وقضى بذلك فى سابق الازل قال الكلبى هى امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب (لقضى بينهم) يعنى بنزول العذاب وبجعل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعنى مضت فى حكمة الله انه لا يقضى عنهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم فى الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الأجل لجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من انه لا يؤاخذ احدا إلا بعد إقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التى سبقت من الله هى قوله ان رحمتى سبقت غضبى ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة فى الدنيا ولكن اخرهم برحمته إلى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعنى فى الدنيا (ويقولون) يعنى كفار مكة (لولا انزل عليه اية من ربه) يعنى هلا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الايات (فقل) أى فقل لهم يا محمد (إنما الغيب لله) يعنى ان الذى سألتمونيه هو من الغيب وإنما الغيب لله لا يعلم أحد ذلك إلا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول الاية إلا هو (فانتظروا) يعنى نزولها (إنى معكم من المنتظرين) وقيل معناه فانتظروا اقضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل إنى معكم من المنتظرين قوله عز وجل (وإذا اذقنا الناس رحمة) يعنى رخاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعنى من بعد شدة وبلاء وضيق فى العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم أن الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا إلى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (إذا لهم مكر فى اياتنا) قال مجاهد اى تكذيب واستهزاء. وقال مقاتل

ابن حيان لا يقولون هذا رزق الله إنما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمة فذلك مؤمن كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجاه في الصحيحين قوله على أثر سماء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمي المطر سماء لأنه يقطر من السماء والأنواء عند العرب هي منازل القمر إذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية أنه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فمن العرب من يجعل ذلك الناخير للطالع لأنه ناء أي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده إذا اعتقد أن النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك إلى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرا لأن المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد (قل الله اسرع مكرا) أي قل لهم يا محمد الله أعجل عقوبة وأشد اخذا وأقدر على الجزاء وان عذابه في هلاكهم أسرع إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم إلى يوم القيامة (إن رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الأعمال القبيحة الخبيثة إلى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يعني هو الله الذي يسيركم يعني يحملكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا للمعاش أو هو المهيء لكم اسباب السير في البر والبحر (حتى اذا كنتم في الفلك) يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء قفل وان أريد بها الجمع كان كبناء اسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجرين بهم) يعني وجرت السفن بركابها * فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه ﷺ بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من اقام الغائب مقام المخاطب حسن منه أن يرده إلى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة إلى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوا بها) يعني وفرح ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لأن الإنسان إذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك (جاءتها ريح عاصف) قيل ان الضمير في جاءتها يرجع إلى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع إلى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه اراد به ذات عصوف أو لاجل ان لفظ الريح قد يذكر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا انهم احيط بهم) يعني وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين أي وايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله مخلصين له الدين) يعني انهم اخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلاء اخلصوا لله الدعاء (لئن انجيتنا) اي قائلين لئن انجيتنا يا ربنا (من هذه) يعني من هذه

(قل الله اسرع مكرا) أعجل عقوبة وأشد أخذا وأقدر على الجزاء يريد عذابه في إهلاككم أسرع إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق (إن رسلنا) حفظتنا (يكتبون ما تمكرون) قرأ روح عن يعقوب يمكرون بالياء قوله تعالى (هو الذي يسيركم) يجزيكم ويحملكم وقرأ أبو جعفر وابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر وهو البسط والبث (في البر) على ظهور الدواب (و) في (البحر) على الفلك (حتى إذا كنتم في الفلك) أي في السفن تكون واحدا وجمعا (وجرين بهم) يعني جرت السفن بالناس رجع من الخطاب إلى الغيبة (بريح طيبة) لينة (وفرحوا بها) أي بالريح (جاءتها ريح) أي جاءت الفلك ريح (عاصف) شديدة المهبوب ولم يقل ريح عاصفة لاختصاص الريح بالعصوف وقيل الريح يذكر ويؤنث (وجاءهم) يعني ركبان السفينة (الموج وهو حركة الماء واختلاطه (من كل مكان وظنوا) أيقنوا (أنهم أحيط بهم (دنوا من الهلكة أي احاط بهم الهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) أي أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا احدا سوى الله وقالوا (لئن انجيتنا) يا ربنا (من هذه) الريح العاصف

(لنكونن من الشاكرين) لك بالإيمان والطاعة (فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض) يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله عز وجل في الأرض (بغير الحق) أي بالقتال (يا أيها (١٥٠) الناس إنما بغيكم على أنفسكم) لأن وبال بغيكم راجع عليها ثم ابتدأ فقال متاع الحياة الدنيا) أي هذا متاع الحياة الدنيا خبر ابتداء مضمر كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ أي هذا بلاغ وقيل هو كلام متصل والبغي ابتداء ومتاع خبره ومعناه انما بغيكم متاع الحياة الدنيا لا يصلح زادا لمعاد لانكم تستوجبون به غضب الله وقرا حفص متاع بالنصب اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) قوله عز وجل (انما مثل الحياة الدنيا) في فنائها وزوالها (كماء انزلناه من السماء فاختلط به) اى بالمطر (نبات الارض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يأكل الناس) من الحبوب والثمار (والانعام) من الحشيش (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) حسنها وبهجتها وظهر الزهر اخضر واحمر واصفر وابيض (وازينت) اى تزينت وكذلك هي في قراءة ابن مسعود تزينت (وظن اهلها انهم قادرون عليها على جذاذها وقطافها وحصادها رد الكناية إلى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل ردها الى الغلة وقيل الى الزينة (اتاها امرنا) قضاؤنا باهلاكها (ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا) اى محصودة مقطوعة (كأن لم تغن بالامس) كان

النداء التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والأمواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعني من الشاكرين لك على إنعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعني فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) يعني أنهم أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الأرض فتجاوزوا فيها إلى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما محمود وهو مجاوزة العدل إلى الاحسان والفرض إلى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو إلى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله ﷺ ببني قريظة (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) يعني إن وبال بغيكم راجع عليكم (متاع الحياة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى أن بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم لا يتهيأ أن يبغي بعضكم على بعض إلا أياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يتمثل به فقال

يا صاحب البغي إن البغي مصرعة * فارجع فخير مقال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

* وقوله سبحانه وتعالى (ثم إلينا مرجعكم) يعني يوم القيامة (فننبئكم) أي فنخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها * قوله عز وجل (إنما مثل الحياة الدنيا) يعني في فنائها وزوالها (كماء أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به) أي بالمطر (نبات الأرض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يأكل الناس) يعني من الحبوب والثمار (والأنعام) يعني ومما يأكل الأنعام من الحشيش ونحوه (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) يعني حسنها ونضارتها وبهجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أي وتزينت (وظن أهلها) يعني أهل تلك الارض (انهم قادرون عليها) يعني على جذاذها وقطافها وحصادها رد الكناية إلى الارض والمراد النبات إذ كان مفهوما وقيل رده إلى الثمرة والغلة وقيل إلى الزينة (أتاها أمرنا) اى قضاؤنا اهلاكها (ليلا او نهارا) يعني في الليل او النهار (فجعلناها حصيدا) يعني محصودة مقطوعة (كأن لم تغن بالأمس) يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات والزرع نابتة قائمة على ظهر الارض وأصله من غنى فلان بالمكان اذا أقام به وهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمتشبثين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات في أول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجعلت الارض اخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى ارسل على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبث في الدنيا يأتيه أمر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس

منه
لم تكن بالامس واصله من غنى بالمكان اذا قام به وقال قتادة معناه ان المتشبث بالدنيا يأتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون

منه ولأن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لأن الزرع إذا انتهى وتكامل في الحسن إلى الغاية القصوى اتته آفة فتلف بالكلية ثم ان الله سبحانه وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على أن من قدر على إعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على إعادة الأموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي (كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون) يعني كما بينا لكم مثل الحياة وعرفناكم حكمها كذلك نبين حجتنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة من القلوب ٥ قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو إلى دار السلام) لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعا إلى دار والله يدعو إلى دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه أنه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغيير وقيل أنه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لأن الخلق سلموا من ظلمه وقيل أنه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذي السلام أي لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات إلا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لأن الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم قيل إن من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده أن دعاهم إلى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لأن العظيم لا يدعو إلا إلى عظيم ولا يصف إلا عظيما وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كناية (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يعني والله يهدي من يشاء من خلقه إلى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولا باظهار الحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق وإظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوة (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا امثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا الدار الجنة والداعي محمد ﷺ من اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فالصراط المستقيم هو الاسلام عم بالدعوة لاظهار الحجة وخص بالهداية استغناء عن الخلق قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أي للذين احسنوا العمل في الدنيا

السلام بمعنى السلامة سميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات وقيل المراد بالسلام التحية سميت الجنة دار السلام لأن أهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم عليهم قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وروينا عن جابر قال جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم أنه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثل كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا اولوها له يفقهها قال بعضهم أنه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا الدار الجنة والداعي محمد ﷺ من اطاع محمداً فقد اطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فالصراط المستقيم هو الاسلام عم بالدعوة لاظهار الحجة وخص بالهداية استغناء عن الخلق قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أي للذين احسنوا العمل في الدنيا

الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر الى وجه الله الكريم هذا قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة وأبو

احمد بن العباس الحيدى أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ انبانا ابو العباس محمد بن يعقوب الأصم املاء حدثنا ابو بكر محمد بن اسحق الصنعانى حدثنا الأسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت يعنى البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب رضى الله عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد ياأهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا ماهذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل قال فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وروى عن ابن عباس ان الحسنى هى ان الحسنة بمثلها والزيادة هى التضعيف عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وقال مجاهد الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة المغفرة والرضوان (ولا يرهق) لا يغشى (وجوههم قتر) غبار جمع قترة قال ابن عباس وقتادة سواد الوجه (ولا ذلة) هوان قال قتادة كآبة قال ابن ابى ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم

وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب قال فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبرى بسنده عن كعب بن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم وعن أبى بن كعب أنه سأل النبى ﷺ عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الله وعن أبى موسى الأشعرى قال إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة مناديا ينادى هل انجزكم الله ما وعدكم به فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفى رواية رفعها أبو موسى قال عن النبى ﷺ أن الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقى من حقكم شىء لم تعطوه قال فيتجلى لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شىء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هى النظر إلى وجه ربهم فهذه الأخبار والآثار قد دلت على أن المراد بهذه الزيادة هى النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت إلى المعهود السابق وهو الجنة فى قوله سبحانه وتعالى والله يدعو إلى دار السلام فثبت بهذا أن المراد من لفظة الحسنى هى الجنة وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما فى الجنة من النعيم والا لزم التكرار وإذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فأثبت لأهل الجنة أمرين أحدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثانى النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية لأن الدلائل العقلية دلت على أن رؤية الله سبحانه وتعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التى تقدمت توجب التشبيه ولأن جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتفى ما قلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بأن الدلائل العقلية قد دلت على إمكان وقوع رؤية الله تعالى فى الاخرة وإذا لم يوجد فى العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الأحاديث الصحيحة بإثبات الرؤية وجب المصير اليها وإجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا إحاطة وأجيب عن قولهم ولأن الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه بأن المزيد عليه إذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور فى الاية لفظ الحسنى وهى الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب أن الزيادة تكون شيئا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية أجيب عن قولهم ولأن جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية بأنه معارض بقول جماعة من المفسرين بأن الزيادة هى الرؤية والمثبت مقدم على النافى والله أعلم القول الثانى فى معنى هذه الزيادة ماروى عن على بن أبى طالب أنه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب القول الثالث أن الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة الى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد أن الحسنى هى الجنة والزيادة ما أعطاهم فى الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة * وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرهق وجوههم) يعنى ولا يغشى وجوه أهل الجنة (قتر) اى كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه (ولا ذلة) يعنى ولا هوان قال ابن ابى ليلى هذا بعد نظرهم

أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) أى لهم مثلها كما قال ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها (وترهقهم ذلة مالهم من الله عاصم) ومن صلة أى مالهم من الله عاصم (كأنما أغشيت) ألبست (وجوههم قطعا) جمع قطعة (من الليل مظلما) نصبه على الحال دون النعت ولذلك لم يقل مظلمة تقديره قطعا من الليل فى حال ظلمته أو قطعا من الليل المظلم وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا ساكنة الطاء أى بعضا كقوله بقطع من الليل (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم (أنتم وشركاؤكم) يعنى الأوثان معناه ثم نقول للذين أشركوا الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم ولا تبرحوا (فزيلنا) ميزنا وفرقنا (بينهم) أى بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده (وقال شركاؤهم) يعنى الأصنام (ما كنتم إيانا تعبدون) بطلبتنا فيقولون بلى كنا نعبدكم فتقول الأصنام (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين) أى ما كنا عن عبادتكم إيانا إلا غافلين ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل قال الله تعالى (هنالك تبلوا) أى تختبر وقيل معناه تعلم وتقف عليه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب تتلو بتاءين أى تقرأ (كل نفس)

إلى ربهم تبارك وتعالى (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعنى أن هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبدا قوله سبحانه وتعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى احوال المحسنين وما اعدلهم من الكرامة شرح فى الاية حال من اقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعنى والذين عملوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصى جزاء سيئة بمثلها يعنى فلهم جزاء السيئة التى عملوها مثلها العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما وأما السيئات فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله إياهم (مالهم من الله من عاصم) يعنى مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله إذا نزل بهم (كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) يعنى كأنما البست وجوههم سوادا من الليل المظلم (اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم جميعا) الحشر الجمع من كل جانب وناحية إلى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفى هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (انتم وشركاؤكم) يعنى انتم ايها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله (فزيلنا بينهم) يعنى ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضى بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر فى المستقبل فما وجهه * قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الان ٥ قوله (وقال شركاؤهم) يعنى الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وإنما سماهم شركاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم أولا نه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب (ما كنتم إيانا تعبدون) تبرا المعبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الأصنام وهى جماد لا روح فيها ولا عقل لها * قلت يحتمل ان الله تعالى خلق لها فى ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت إذا احياهم الله فى ذلك اليوم فهل يفنيهم أو يبقيهم ٥ قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله فى شىء من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومه إلا ما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة ٥ فان قلت أن الأصنام قد أنكرت أن الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها ٥ قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها فى تفسير سورة الأنعام ونقول هنا قال مجاهد تكون فى يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الالهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدونا فيقولون والله إياكم كنا نعبد فتقول لهم الالهة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا إنا ما علمنا إنكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم إيانا من دون الله إلا غافلين ما نشعر بذلك أما قوله سبحانه وتعالى (هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت) فهو كالتتمة للاية المتقدمة والمعنى فى ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعاره إطلاق إسم المكان على الزمان وفى قوله تبلوا قراءات قرىء بتاءين ولها معنيان احدهما أنه من تلا إذا تبعه أى تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذى يهدى النفس إلى الثواب او العقاب الثانى ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير أو شر وقرىء تبلو بالتاء المثناة والباء الموحدة ومعناه تخبر وتعلم والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت يعنى انه قدم خيرا أو شرا قدم عليه وجوزى به (وردوا إلى الله مولاهم الحق) الرد عبارة عن صرف الشىء إلى الموضع الذى

صحيفتها وقيل معناه تتبع كل نفس (ما أسلفت) ما قدمت من خير أو شر وقيل معناه تعاين (وردوا إلى الله) إلى حكمه فيتفرد فيهم بالحكم (مولاهم الحق) الذى يتولى ويملك أمرهم فان قيل أليس قد قال وأن الكافرين لا مولى لهم قيل المولى

هناك هو الناصر وههنا بمعنى المالك (وضل عنهم) زال عنهم وبطل (ما كانوا يفترون) فى الدنيا من التكذيب قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض) أى من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات (أم من يملك السمع والأبصار) أى من إعطائكم السمع والأبصار (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) يخرج الحى من النطفة والنطفة من الحى (ومن يدبر الأمر) أى يقضى الأمر (فسيقولون الله) هو الذى يفعل هذه الأشياء (فقل أفلا تتقون) أفلا تخافون عقابه فى شرككم وقيل أفلا تتقون الشرك مع هذا الاقرار (فذلكم الله ربكم) الذى يفعل هذه الأشياء هو ربكم (الحق فاذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) أى فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به (كذلك) قال الكلبى هكذا (حقت) وجبت (كلمت ربك) (١٥٤) حكمه السابق (على الذين فسقوا) كفروا (انهم لا يؤمنون) ترأ أبو جعفر ونافع وابن عامر كلمات ربك بالجمع ههنا موضعين وفى حم المؤمن والاخرون على التوحيد قوله (قل هل من شركائكم) أو ثانكم (من يبدأ الخلق) ينشىء الخلق من غير اصل ولا مثال (ثم يعيده) ثم يحييه من بعد الموت كهيئته فان اجابوك والا فـ (قل) انت (الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) اى تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى) يرشد (الى الحق) فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك (قل الله يهدى للحق) اى الى الحق (أفمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى) قرأ حمزة والكسائى ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرأ الاخرون بتشديد الدال ثم قرأ أبو جعفر وقالون بسكون الهاء وابو عمرو يروم الهاء بين الفتح والسكون وقرأ حفص بفتح الياء وكسر الياء وابو بكر بكسرهما والباقون بفتحهما ومعناه يهدى فى جميعها فمن خالف الدال قال يقال هديته فهدى أى اهتدى ومن شدد الدال أدغم التاء فى الدال ثم ابو عمرو يروم على مذهبه فى إيثار التخفيف ومن سكن الهاء تركها على حالتها كما فعل فى تعدو ويخصمون ومن فتح الهاء نقل فتحة الهاء المدغمة إلى الهاء ومن كسر الهاء فلالتقاء الساكنين وقال الجزم يحرك إلى الكسر ومن كسر الياء مع الهاء اتبع الكسر الكسرة قوله تعالى (إلا ان يهدى) معنى الاية الله الذى يهدى إلى الحق احق بالاتباع أم الصنم الذى لا يهتدى إلا أن يهدى فان قيل كيف قال إلا أن يهدى والصنم لا يتصور أن يهتدى ولا أن يهدى قيل معنى الهداية فى حق الأصنام الانتقال أى أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تحمل وتنقل بين به عجز الأصنام وجواب آخر وهو أن ذكر الهداية على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام الهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عنهم يعلم ويعقل ووصفت بصفة من يعقل

جاء منه والمعنى وردوا إلى ما ظهر لهم من الله الذى هو مالكهم ومتولى أمرهم ٥ فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى فى آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فما الفرق ٥ قلت المولى فى اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر لحصل الفرق بين الايتين (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه فى الدنيا وهو قولهم ان هذه الأصنام تشفع لنا ٥ قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والأرض) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والأرض يعنى النبات (ام من يملك السمع والأبصار) يعنى ومن اعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحى وقيل معناه أنه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الأول أقرب إلى الحقيقة (ومن يدبر الأمر) يعنى أن مدبر أمر السموات ومن فيها ومدبر أمر الأرض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعنى انهم يعترفون ان فاعل هذه الاشياء هو الله وإذا كانوا يقرون بذلك (فقل) اى قل لهم يا محمد (افلا تتقون) يعنى افلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شىء من هذه الأمور (فذلكم الله ربكم الحق) يعنى فذلكم الذى يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذى يستحق العبادة لا هذه الأصنام (فاذا بعد الحق إلا الضلال) يعنى إذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا (فانى تصرفون) يعنى إذا عرفتم هذا الأمر الظاهر الواضح فكيف تستخيرون العدول عن الحق إلى الضلال الباطل (كذلك) اى كما ثبت انه ليس بعد الحق إلا الضلال (حقت) اى وجبت (كلمة ربك) فى الأزل (على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم فى اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يدفع (قل هل من شركائكم) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعنى هذه الأصنام التى تزعمون أنها الهة (من يبدأ الخلق) يعنى من يقدر على أن ينشىء الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) اى ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السؤال استفهام انكار (قل) اى قل انت يا محمد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) يعنى أن الله هو القادر على ابتداء الخلق وإعادته (فأنى تؤفكون) يعنى فأنى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الأمر الواضح وعدلوا عنه إلى غيره (قل) اى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدى إلى الحق) يعنى هل من هذه الأصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدى للحق) يعنى أن الله الذى هو يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدى الى الحق احق ان يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى) يعنى ان الله هو الذى يهدى الى الحق فهو أحق بالاتباع لا هذه الأصنام

الاصنام التى لاتهدى إلا أن تهدى * فان قلت الاصنام جماد لاتصور هدايتها ولا ان تهدى فكيف قال إلا ان يهدى * قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول ان معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان إلى مكان فيكون المعنى انها لاتنتقل من مكان إلى مكان اخر الاان تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى ان اذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الأصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عمن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وإن كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى إلى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق إلى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لايقدرون على هداية غيرهم إلا إذا هداهم الله إلى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره * وقوله سبحانه وتعالى (فما لكم كيف تحكمون) قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم أى شىء لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بئسما حكمتم إذ جعلتم له شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع اكثرهم إلا ظنا) يعنى وما يتبع اكثر هؤلاء المشركين إلا ما لاعلم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء (إن الظن لايغنى من الحق شيئا) يعنى أن الشك لايغنى على اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وقيل فى الاية ان قولهم أن الاصنام الهة وانها تشفع لهم منهم لم يردبه كتاب ولا رسول يعنى انها لاتدفع عنهم من عذاب الله شيئا (إن الله عليم بما يفعلون) يعنى من أتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين * قوله تعالى (وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله) يعنى وما كان هذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القران شىء يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتى به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمد ﷺ اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل إن هذا القران وحى انزله الله عليه وانه مبرا عن الافتراء والكذب وانه لايقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم ذكر سبحانه مايؤكد هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب التى انزلها على أنبيائه كالتوراة والإنجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لايقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الأولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة أهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والإنجيل مع القطع بانه ما علم ما فيهما فثبت بذلك انه وحى من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له ﷺ وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذى بين يديه يعنى من اخبار الغيوب الاتية فانها جاءت على وفق ما اخبر (وتفصيل الكتاب) يعنى وتبيين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لاريب فيه من رب العالمين) يعنى ان هذا القران لاشك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وأنه لايقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (ام يقولون افتراه) يعنى ام يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القران واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام إنكار وقيل أم بمعنى الواو ويقولون افتراه (قل) أى قل لهم يا محمد إن كان الامر كما تقولون (فاتوا بسورة مثله) يعنى بسورة شبيهة به فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فانتم عرب مثلى فى الفصاحة والبلاغة * فان قلت قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فاتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما * قلت لما كان محمدا صلى الله عليه وسلم أميا لم

(فما لكم كيف تحكمون) كيف تقضون حين زعمتم ان الله شريكا قوله تعالى (وما يتبع اكثرهم إلا ظنا) منهم يقولون إن الاصنام الهة وانها تشفع لهم فى الاخرة ظناً منهم لم يردبه فى كتاب ولا رسول واراد بالاكثر جميع من يقول ذلك (إن الظن لايغنى من الحق شيئاً) أى لايدفع عنهم من عذاب الله شيئا وقيل يقوم مقام العلم (إن الله عليم بما يفعلون) قوله تعالى (وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله) لمثل هذا القران أن يفترى من دون الله كقوله تعالى وما كان لنبى ان يغفل وقيل ان بمعنى اللام أى وما كان هذا القران ليفترى من دون الله قوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى بين يدى القران من التوراة والانجيل وقيل تصديق الذى بين يدى القران من القيامة والبعث (وتفصيل الكتاب) تبيين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون) قال أبو عبيدة أم بمعنى الواو أى ويقولون (افتراه) اختلق محمد القران من قبل نفسه (قل فاتوا بسورة مثله) شبه للقران

وادعوا من يستطيعكم) ممن تعبدون (من دون الله) ليعينوكم على ذلك (إن كنتم صادقين) إن محمدا افتراه ثم قال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعني القرآن كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه (ولما يأتهم تأويله) أي عاقبة ما وعد الله في القرآن أنه يؤول اليه أمرهم من العقوبة يريد أنهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة امرهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) اي كما كذب هؤلاء الكفار بالقرآن كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الأمم الخالية (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) آخر أمر المشركين بالهلاك (ومنهم من يؤمن به) اي من قومك من يؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيهم (وربك أعلم بالمفسدين) الذين لا يؤمنون (وإن كذبوك) يا محمد (فقل لي عملي) وجزاؤه (ولكم عملكم) وجزاؤه (أنتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون) هذا كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لكم دينكم ولي دين قال الكلبي ومقاتل هذه الاية منسوخة بآية الجهاد ثم اخبر ان التوفيق للايمان به لا بغيره فقال (ومنهم من يستمعون إليك) باسماعهم الظاهرة فلا ينفعهم (افأنت تسمع الصم يريد صمم القلب (ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك) بابصارهم الظاهرة (افأنت تهدي العمى) يريد عمى القلب (ولو كانوا لا يبصرون) وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ يقول انك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا أن تهدي من سلبته البصر ولا ان توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بالكفر والمعصية قرأ حمزة والكسائي ولكن الناس بتخفيف نون لكن ورفع الناس وقرأ الباقون ولكن الناس بتشديد نون ولكن ونصب الناس

يقرأوا ولم يكتبوا آتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا في نفسه فقيل لهم فاتوا بسورة من مثله يعني مع انسان اي مثل محمد ﷺ يساويه في عدم الكتابة والقراءة واما قوله سبحانه وتعالى فاتوا بسورة مثله اي فاتوا بسورة تساوي سورة القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فاتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله (وادعوا من استطعتم من دون الله) يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعني القرآن اي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل أنهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص وأخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك انكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لأن القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على استيعابها وتحصيلها (ولما يأتهم تأويله) يعني انهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى أنهم لم يعلموا ما تؤول إليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموا تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فيما وعدهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبي ﷺ اي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي ﷺ وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله * قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به) يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن (وربك اعلم بالمفسدين) يعني الذين لا يؤمنون (وإن كذبوك) يعني وإن كذبك قومك يا محمد (فقل) أي فقل لهم (لي عملي) يعني الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) يعني الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لأن شرط الناسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الاية اختصاص كل واحد بأفعاله وثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا * قوله تعالى (ومنهم) يعني ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفأنت تسمع الصم) يعني كما انك لا تقدر على أسماع الصم فكذلك لا تقدر على أسماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعني ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال إذا لم ينتفعوا بما لم يسمعوا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعني بابصارهم الظاهرة (أفأنت تهدي العمى) يريد عمى القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لأن الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيئا من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ يقول الله عز وجل انك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا تقدر أن تهدي من سلبته البصر ولا تقدر أن توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الاية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وإنما قال

قوله تعالى (ويوم يحشرهم) قرأ حفص بالياء والآخرون بالنون (كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) قال الضحاك كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار وقال ابن عباس كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة وفي بعض الآثار أن الانسان يعرف يوم القيامة من بحنبه ولا يكلمه هيبة وخشية (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين) والمراد من الخسران خسران النفس ولا شيء أعظم منه قوله تعالى (وإما نرينك بعض الذي نعدهم) يا محمد في حياتك من العذاب (أو نتوفينك) قبل تعذيبهم (فالينا مرجعهم) في الآخرة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيجزيهم به وثم بمعنى الواو تقديره والله شهيد قال مجاهد فكان البعض الذي أراه قتلهم ببدر وسائر أنواع العذاب بعد موتهم قوله عز وجل (ولكل أمة) خلت (رسول فاذا جاء رسولهم) وكذبوه (قضي بينهم بالقسط) أي عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب يعني قبل مجيء الرسول لا ثواب ولا عقاب وقال مجاهد ومقاتل فاذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قضي بينه وبينهم بالقسط (وهم لا يظلمون) لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (ويقولون) أي المشركون (متى هذا الوعد) الذي تعدنا به يا محمد من العذاب وقيل قيام الساعة (إن كنتم صادقين) أنت يا محمد وأتباعك (قل لا أملك لنفسي) لا أقدر لها على شيء (ضرا ولا نفعا) أي دفع ضر ولا جلب نفع

النهار (يتعارفون بينهم) يعرف

ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب وإن كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله سبحانه وتعالى (ويوم يحشرهم) يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وإزعاجهم من مكانهم (كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا إلا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار والوجه الأول أولى لأن حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور إلى وقت الحشر فتعين حمله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا بأعمارهم في الدنيا استقلوها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا أعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لأن مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعني يعرف بعضهم بعضا إذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم إذا عاينوا أهل يوم القيامة وفي بعض الآثار أن الانسان يوم القيامة يعرف من بجنبه ولا يقدر ان يكلمه هيبة وختية وقيل أن أحوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون في ذلك اليوم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) يعني أن من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لأنه ائر الفاني على الباقي (وما كانوا مهتدين) يعني إلى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (وإما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذاك (أو نتوفينك) قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك سنراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فالينا مرجعهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على أن الله يرى رسوله ﷺ أنواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد أراه ذلك في يوم بدر وغيره من الأيام وسيريه ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة * قوله عز وجل (ولكل أمة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد ﷺ مع قومه بين ان حال الأنبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل أمة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا إليهم يدعو إلى الله وإلى طاعته والايمان به (فاذا جاء رسولهم) في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما أرسل به إليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون (قضي بينهم بالقسط) يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما انه في الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل إلى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة وإقامة الحجة وازالة المعذرة فاذا كذبوا رسلهم وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسلهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسلهم والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لأن قبل مجيء الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك أن الله إذا جمع الأمم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جيء بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في إظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني من جزاء أعمالهم شيئا ولكن يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (ويقولون) يعني هؤلاء الكفار (متى هذا الوعد) يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (إن كنتم صادقين) يعني فيما تعدونا به وإنما قالوا بلفظ الجمع لأن كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى إن كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد اوذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) أي قل لهم يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا)

(إلا ماشاء الله) أن أملكه (لكل أمة أجل) مدة مضروبة (إذا جاء أجلهم) وقت فناء أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أى لا يتأخرون ولا يتقدمون قوله تعالى (قل أرأيتم ان اتاكم عذابه بياتا) ليلا (أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون) أى ماذا يستعجل من الله المشركون وقيل ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى أنهم كانوا يستعجلون العذاب فيقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة (١٥٨) من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فيقول الله تعالى ما يستعجل يعنى ليس يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحا ماذا جنيت على نفسك (ثم إذا ما وقع) قيل معناه اهنالك وحينئذ وليس بحرف عطف إذا ما وقع نزل العذاب (وامنتم به) اى بالله فى وقت اليأس وقيل امنتم به اى صدقتم بالعذاب وقت نزوله (الان) فيه اضمار اى يقال لكم الان تؤمنون حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء قرأ ورش عن نافع الان بحذف الهمزة التى بعد اللام الساكنة والقاء حركتها على اللام ويمد الهمزة الاولى على وزن عالان وكذلك الحرف الاخر وروى زمعة بن صالح الان على مثل علان بغير مد ولا همزة بعد اللام وقرأ الباقون الان بهمزة ممدودة فى الاول وإثبات همزة بعد اللام وكذلك قالون واسمعيل عن نافع (ثم قيل للذين ظلموا) اشركوا (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون) فى الدنيا (ويستنبؤنك) أى يستخبرونك يا محمد (احق هو) اى ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة (قل إى وربى) اى نعم وربى (انه لحق) لاشك فيه (وما انتم بمعجزين) اى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شىء لغيره فقد فاته (ولو ان لكل نفس ظلمت) اى اشركت (ما فى الارض لافتدت به) يوم القيامة والافتداء ههنا بذل ما ينجو به من العذاب (واسروا الندامة) قال ابو عبيدة معناه اظهروا الندامة لانه ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا اى اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفا من ملامتهم وتعييرهم (لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط) فرغ من عذابهم (وهم لا يظلمون ألا إن لله ما فى السموات والارض

يعنى لا أملك لنفسى دفع ضر أو جلب نفع ولا أقدر على ذلك (إلا ماشاء الله) يعنى ان أقدر عليه أو أملكه والمعنى ان انزال العذاب على الأعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه إلا الله فتعيين الوقت إلى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم إذا حضر الوقت الذى وقته الله لحدوث هذه الأشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل أمة أجل) أى مدة مضروبة ووقت معين (إذا جاء أجلهم) يعنى إذا انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يتاخرون عن ذلك الأجل الذى أجل لهم ولا يتقدمونه (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك (أرأيتم ان أتاكم عذابه بيانا) يعنى ليلا يقال بات يفعل كذا إذا فعله بالليل والسبب فيه أن الانسان فى الليل لا يكون إلا فى البيت غالبا لجمل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أو نهارا) يعنى فى النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعنى ما الذى يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعنى أى شىء يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا اجنيت على نفسك (أثم إذا ما وقع) يعنى إذا ما أنزل العذاب ووقع (أمنتم به) يعنى امنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم لتوبيخ والتقريع (الان) فيه اضمار وتقديره يقال لهم الان تؤمنون أى حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون) يعنى فى الدنيا من الأعمال قوله سبحانه وتعالى (ويستنبؤنك أحق هو) يعنى ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة (قل إى وربى) أى قل لهم يا محمد نعم وربى (انه لحق) يعنى ان الذى اعدكم به حق لا شك فيه (وما أنتم بمعجزين) يعنى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شىء فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) يعنى اشركت (ما فى الارض) يعنى من شىء (لافتدت به) يعنى يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجوا به من العذاب إلا انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسروا الندامة) يعنى يوم القيامة وإنما جاء بلفظ الماضى والقيامة من الأمور المستقبلة لأن أحوال يوم القيامة كما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضى والاسرار يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا فى قوله وأسروا الندامة فقال ابو عبيدة معناه وأظهروا الندامة لأن ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا يعنى اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم (لما رأوا العذاب) يعنى حين عاينوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعنى فى الحكم لهم وعليهم بأن يخفف من عذاب المظلوم ويشدد من عذاب الظالم (ألا إن لله ما فى السموات والأرض) يعنى أن كل شىء فى السموات والأرض لله ملكا له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شىء يفتدى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا ملك لله فكيف يفتدى من هو مملوك

إلا أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون) قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة) تذكرة (من ربكم وشفاء لما في الصدور) أي دواء لما في الصدور من داء الجهل وقيل لما في الصدور أي شفاء لعمى القلوب والصدر موضع القلب هو أعز موضع في الإنسان لجوار القلب (وهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) والرحمة هي النعمة على المحتاج فانه لو اهدى ملك إلى ملك شيئا لا يقال قد رحمه وان كان ذلك نعمة فانه لم يضعها في محتاج قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) قال مجاهد وقتادة فضل الله الإيمان ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في القلب وقال خالد بن معدان فضل الله الاسلام ورحمته السنن وقيل فضل الله الايمان ورحمته الجنة (فبذلك فليفرحوا) أي ليفرح المؤمنون ان جعلهم الله من أهله (هو خير مما يجمعون) أي مما يجمعه الكفار من الأموال وقيل كلاهما خبر عن الكفار وقيل عن المؤمنين وقرأ ابو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء وتجمعون بالتاء وقرأ يعقوب كلاهما بالتاء ووجه هذه القراءة ان المراد فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه من الاموال مختلف عنه خطابا للمؤمنين (قل) يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) عبر عن الخلق بالانزال لان ما في الأرض

لغيره بشيء لا يملكه (ألا ان وعد الله حق) يعني ما وعد الله به على لسان نبيه ﷺ من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني حقيقة ذلك (هو يحيي ويميت) يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحياء والإماتة لا يتعذر عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) يعني بعد الموت للجزاء. قوله عز وجل (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) قيل أراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الأصح وهو اختيار الطبري وقد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما في الصدور) يعني ان القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لأن داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الأمراض كلها لأن فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية وإنما خص الصدر بالذكر لأنه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه (وهدى) يعني وهو هدى من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) يعني ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء في بفضل الله متعلقة بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الاية على هذا يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم وإرادته الخير لكم ثم قال سبحانه وتعالى (فبذلك فليفرحوا) أشار بذلك إلى القرآن لأن المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار إلى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا إشارة إلى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر ٥ فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي ٥ فالفاء في قوله فاجزعي زائدة وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط فكأنه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا إذا أدركت المأمول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه الخيرات ومعنى الاية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته اي ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وثلج اليقين بالإيمان وسكون النفس إليه (هو خير مما يجمعون) يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الآية واما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الإسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الإسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القران ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعد تقديره قل فليفرحوا بفضل الله ورحمته (قل) اي قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) يعني من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السماء (فجعلتم منه) يعني من ذلك الرزق (حراما وحلالا) يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا (قل آلله اذن لكم) يعني

من خير فما انزل الله من رزق من زرع وضرع (فجعلتم منه حراما وحلالا) هو ما حرموا من الحرث ومن الانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وقال الضحاك هو قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا (قل آلله اذن لكم) في هذا التحريم والتحليل

قل لهم يا محمد الله أذن لكم في هذا التحريم والتحليل (أم على الله تفترون) يعني بل أنتم كاذبون على الله في ادعائكم ان الله أمر نا بهذا (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعني إذا لقوه يوم القيامة أيحسبون انه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب (إن الله لذو فضل على الناس) يعني ببعثه الرسل وإنزال الكتب لبيان الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان. قوله سبحانه وتعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قران) الخطاب للنبي ﷺ وحده والشأن الخطب والحال والأمر الذي يتفق ويصلح ولا يقال إلا فيم يعظم من الأحوال والامور والجمع الشؤن تقول العرب ما شأن فلان أي ما حاله والشان اسم إذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا إذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد في شان يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شؤون الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعني قصد الشيء وما تتلوا منه من قران اختلفوا في الضمير في منه إلى ماذا يعود فقيل يعود إلى الشأن إذ تلاوة القران شأن من شؤون النبي ﷺ بل هو أعظم شؤونه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله تعالى وما تكون في شأن إلا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القران لأنه قد تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وتلو من القران من قران يعني من سورة وشيء منه لأن لفظ القران يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى وما تتلو من الله من قران نازل عليك وأما قوله سبحانه وتعالى (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبي ﷺ وأمته داخلون فيه ومرادون به لأن من المعلوم انه إذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم داخلون في الخطابين الاولين قوله سبحانه وتعالى (إلا كنا عليكم شهودا) يعني شاهدين لأعمالكم وذلك لأن الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه لا محدث ولا خالق ولا موجود إلا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه (إذ تفيضون فيه) يعني أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانتصاب إليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه إذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدمع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث إذا انتشروا فيه (وما يعزب عن ربك) يعني وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه على شيء لأنه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلام عازب إذا كان بعيد المطلب (من مثقال ذرة) يعني وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي خفيفة الوزن جدا (في الارض ولا في السماء) فان قلت لم قدذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبأ وما فائدة ذلك. قلت كان حق السماء تقدم على الارض كما في سورة سبأ إلا انه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك وما يعزب من ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضوع لهذه الفائدة (ولا اصغر من ذلك) يعني من الذرة (ولا أكبر) يعني منها (إلا في كتاب مبين) يعني اللوح المحفوظ. قوله سبحانه وتعالى (الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اعلم انا نحتاج أولا في تفسير هذه الاية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل النبي ﷺ عن اولياء الله فقال هم الذين إذا رؤوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان إلا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال النبي ﷺ ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا بشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء

لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه (إن الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون) قوله عز وجل (وما تكون) يا محمد (في شان) عمل من الاعمال وجمعه شؤن (وما تتلوا منه) من الله (من قران) نازل وقيل منه اي من الشان من قران نزل فيه ثم خاطبه وامته فقال (ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) اي تدخلون وتخوضون فيه الها. عائدة إلى العمل والافاضة الدخول في العمل وقال ابن الانباري تندفعون فيه وقيل تكثرون والافاضة الدفع بكثرة (وما يعزب عن ربك) يغيب عن ربك وقرا الكسائي يعزب بكسر الزاي وكذلك في سورة سبا وقرا الآخرون بضمها وهما لغتان (من مثقال ذرة) اي مثقال ذرة ومن صلة والذرة هي النملة الحمراء الصغيرة (في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك) اي من الذرة (ولا اكبر) قرا حمزة ويعقوب برفع الراء فيهما عطفا على موضع المثقال قبل دخول من وقرا الاخرون بنصبها اراد للكسر عطفا على الذرة في الكسر (إلا في كتاب مبين) وهو اللوح المحفوظ قوله تعالى (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اختلفوا فيمن يستحق هذا الاسم قال بعضهم هم الذين ذكرهم الله فقال

الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال قوم هم المتحابون في الله أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أبي مالك الاشعري قال كنت عند النبي ﷺ فقال إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم إعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه النبي ﷺ البشر فقال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا ذنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يخافون ويروى عن النبي ﷺ قال قال الله تبارك وتعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ ان من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد إلا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه وقال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة إليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وإن سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة وإليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو ان الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعني في الاخرة اذ خاف غيرهم ولا يحزنون يعني على شيء فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم إنما يحصل لهم في الاخرة لأن الدنيا لا تخلو من هم وغم وانكاد وحزن قال بعض العارفين أن الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله وإذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لأن مقام الولاية والمعرفة منعته من ان يخاف او يحزن وأما قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وأنه صفة لأولياء الله * وقوله سبحانه وتعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له اخرجه

الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة وقيل البشرى في الدنيا هي الثناء

الحسن وفى الاخرة اخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحى انا عبدالرزاق بن ابى شريح أنا أبو القاسم البغوى حدثنا على ابن الجعد أنا شعبة عن ابى عمران الجونى قال سمعت عبدالله ابن الصامت قال قال أبو ذر يارسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن واخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن يحيى بن يحيى عن حماد بن زيد عن ابى عمران وقال الزهرى وقتادة هى نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى فى الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفى الاخرة عند خروج نفس المؤمن يعرج بها إلى الله ويبشر برضوان الله وقال الحسن هى مابشر الله المؤمنين فى كتابه من جنته وكريم ثوابه كقوله وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبشر المؤمنين وأبشروا بالجنة وقيل بشرهم فى الدنيا بالكتاب والرسول انهم أولياء الله ويبشرهم فى القبور وفى كتب أعمالهم بالجنة (لاتبديل لكلمات الله) لاتغيير لقوله ولاخلف لوعده (ذلك هو الفوز العظيم ولايحزنك قولهم) يعنى قول المشركين قرأ نافع ولايحزنك بضم الياء وكسر الزاى وقرأ الاخرون يحزنك بفتح الياء وضم الزاى عليهم وهما لغتان تقال حزنه الشىء يحزنه وأحزنه ثم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (إن العزة لله) يعنى الغلبة والقدرة لله (جميعا)

الترمذى وله عن رجل من اهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الاية لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ماسألنى عنها أحد منذ سألت النبى ﷺ عنها وقال ماسألنى عنها أحد غيرك منذ أنزلت هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أوترى له قال الترمذى حديث حسن (خ) عن ابى هريرة أن النبى ﷺ قال لم يبق بعدى من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن ابى هريرة أن النبى ﷺ قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا من المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة لفظ البخارى ولمسلم إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول انا إذا حملنا قوله سبحانه وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى ان لاتحمل هذه الحالة إلا لهم وذلك لأن ولى الله هو الذى يكون مستغرق فى القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لايبقى فى قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله فى القلب لاتفيد الا الحق والصدق فاذا رأى الولى رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولى قال الخطابى فى هذه الأحاديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها وإنما كانت جزءا من أجزاء النبوة فى حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى إليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال الخطابى قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتى على موافقة النبوة لا انها جزء من النبوة قال الخطابى وغيره فى معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة اقام النبى ﷺ فى النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى فى المنام الوحى فهى جزء من ستة وأربعين جزءا وقيل إن المنام لعل ان يكون فيه إخبار بغيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير فى جانب النبوة لانه لايجوز ان يبعث الله بعد محمد ﷺ نبيا يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولايخبر بغيب ابدا فاذا وقع لأحد فى المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لانه نبى وإذا وقع ذلك لاحد فى المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل فى تفسير الاية إن المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا هى الثناء الحسن وفى الاخرة الجنة ويدل على ذلك ماروى عن ابى ذر قال قيل للنبى ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيى الدين النووى قال العلماء معنى هذا البشرى المعجلة له بالخير وهى دليل للبشرى المؤخرة له فى الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله عنه ومحبته له وتحبيبه إلى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول فى الأرض هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهرى وقتادة فى تفسير البشرى هى نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى فى الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفى الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يعرج بها إلى الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هى مابشر الله به المؤمن فى كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله تعالى (لاتبديل لكلمات الله) يعنى لاخلف لوعد الله الذى وعد به أولياءه وأهل طاعته فى كتابه وعلى ألسنة رسله ولاتغيير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعنى ماوعدهم به فى الاخرة (ولايحزنك قولهم) يقول الله لنبيه محمد ﷺ ولايحزيك يامحمد قول هؤلاء المشركين لك ولاينمك تخويفهم اياك (إن العزة لله جميعا) يعنى ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك

هو ناصرك وناصر دينك والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب أن العزة لله جميعا يعني أن الله يعز من يشاء كما قال في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله (هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) هو اما استفهام معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وقيل وما يتبعون حقيقة لانهم يعبدونها على ظن أنهم شركاء فيشفعون لنا وليس على ما يظنون) ان يتبعون الا الظن) يظنون أنها تقربهم الى الله (وان هم الا يخرصون) يكذبون (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) مضيئا يبصر فيه كقولهم ليل نائم وعيشة راضية قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ظلمة وضياء وبصر (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سمع الاعتبار أنه مما لا يقدر عليه الا عالم قادر (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) وهو قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه هو الغني) عن خلقه (له ما في السموات وما في الارض) عبيد وملكا (ان عندكم) ما عندكم (من سلطان) حجة وبرهان ومن صلة تقديره ما عندكم سلطان (بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجون وقيل لا يبقون في الدنيا ولكن

عليهم والمنتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب أن العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول ﷺ وعزة المؤمنين باعزاز الله إياهم فثبت بذلك أن العزة لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فاخبر الله سبحانه وتعالى أن جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع) لاقوالكم ودعائكم (العليم) بجميع احوالكم لا تخفى عليه خافية ٭ قوله سبحانه وتعالى (الا ان لله من في السموات ومن في الارض) إلا كلمة تنبيه معناه إنه لا ملك لأحد في السموات ولا في الأرض إلا الله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن الأرض في هذه الاية بلفظه من فما فائدة ذلك ٭ قلت ان لفظة ما تدل على ما لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع من في السموات ومن في الأرض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل أن لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء ومن في الأرض الإنس والجن وهم العقلاء أيضا وإنما خصهم بالذكر لشرفهم وإذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الأولى ان يكونوا في ملكه إذا ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدها المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الأصنام شركاء لله معبودة دونه (وما يتبع الذين يعبدون من دون الله شركاء) لفظة ما استفهامية معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعني أنهم ليسوا على شيء لانهم يعبدونها على أنها شركاء لله تشفع لهم وليس الأمر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (إن يتبعون إلا الظن) يعني أن فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع لهم وأنها تقربهم إلى الله وذلك ظن منهم لا حقيقة له (وإن هم إلا يخرصون) يعني أنهم إلا يكذبون في دعواهم ذلك ٭ قوله عز وجل (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضيئا تهتدوا فيه لحوائجكم وأسباب معايشكم وأضاف الأبصار إلى النهار وإنما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ٭ وتمت ما ليل المطي بنائم

فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وإنما عنى نفسه وانه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب إلى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وأبصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء ٭ قوله تعالى (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) يعني به قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغني) يعني انه سبحانه وتعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وإنما يتخذ الولد من هو يحتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الأشياء محتاجة إليه وهو غني عنها (له ما في السموات وما في الارض) يعني أنه مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى (إن عندكم من سلطان بهذا) يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى (اتقولون على الله ما لا تعلمون) يعني أتقولون على الله وأنتم لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) اي قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا (لا يفلحون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول

(متاع) قليل يتمتعون به وبلاغ يتفعون به إلى انقضاء آجالهم وهو متاع رفع بإضمار أي وهو متاع (في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) قوله تعالى (واتل عليهم نبأ نوح) أي اقرأ يا محمد على أهل مكة خبر نوح (إذ قال لقومه) وهم ولد قابيل (يا قوم إن كان كبر عليكم) عظم وثقل عليكم (مقامي) طول عمري ومكثي فيكم (وتذكيري) ووعظي إياكم (بآيات الله) بحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي (فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم) أي احكموا أمركم واعزموا عليه (وشركاءكم) أي وادعوا شركاءكم أي الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وقال الزجاج معناه فاجمعوا أمركم مع شركائكم فلا تترك مع انتصب وقرأ يعقوب وشركاؤكم رفع أي فاجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم وقرأ رويس عن يعقوب فاجمعوا بوصل الألف وفتح الميم والوجه من جمع يجمع والمراد فاجمعوا ذوي أمركم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والمعنى اجمعوا رؤساءكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أي خفيا بما من قولهم غم الهلال على الناس أي اشكل عليهم وخفي (ثم اقضوا إلي) أي امضوا ما في أنفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان إذا مات ومضى وقضى دينه إذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا إلي بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون وهذا مثل قول السحر لفرعون فاقض ما أنت قاض أي اعمل ما أنت عامل (ولا تنظرون) ولا تؤخرون وهذا على طريق التعجيز أخبر الله نوح أنه كان واثقا بنصر الله تعالى غير خائف من كيد قومه عالما منه بأنهم وأن أمرهم ليس فيه نفع ولا ضر إلا أن يشاء الله (فإن توليتم) أعرضتم عن قولي وقبول نصحي (فما سألتكم) على تبليغ الرسالة والدعوة (من أجر) من جعل وعوض (إن أجري) ما أجري وثوابي (إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي من المؤمنين وقيل من المستسلمين لأمر الله (فكذبوه) يعني نوحا (فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف) أي جعلنا الذين معه في الفلك سكان الأرض خلفا عن الهالكين

السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني قوله لا يفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى (متاع في الدنيا) وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة بالنسبة إلى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم إلينا مرجعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله ه قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله ﷺ أسوة بمن سلف من الأنبياء وتسلية له ليخفف عليه ما يلقى من أذى قومه وأن الكفار من قومه إذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الأمم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم إلى الإيمان ولما كان قوم نوح أول الأمم هلاكا وأعظمهم كفرا وجحدوا ذكر الله قصتهم وأنه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى واتل عليهم نبأ نوح يعني واقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح (إذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قابيل (إن كان كبر) يعني ثقل (عليكم مقامي) يعني فيكم (وتذكيري آيات الله) يعني ووعظي إياكم بآيات الله وقيل معناه إن كان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيري بآيات الله يعني ووعظي بآيات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي (فعلى الله توكلت) يعني فهو حسبي وثقتي (فاجمعوا أمركم) يعني فاحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء الإجماع الإعداد والعزيمة على الأمر وقال ابن الأنباري المراد من الأمر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من أمركم شيئا إلا أحضرتموه (وشركاءكم) يعني وادعوا شركاءكم يعني الهتكم فاستعينوا بها لتجمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وإنما حثهم على الاستعانة بالأصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم أنها تضر وتنفع مع اعتقاده أنها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتكيت والتوبيخ لهم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) يعني لا يكن أمركم عليكم خفيا مبهما ولكن ليكن أمركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم إذا خفي واشتبس على الناس (ثم اقضوا) ثم امضوا (إلي) بما في أنفسكم من مكروه وما تتوعدوني به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان إذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما أنتم قاضون (ولا تنظرون) أي ولا تؤخروني ولا تمهلوني بعد اعلامكم إياي ما أنتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام أنه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وأنه كان واثقا بنصره غير خائف من كيدهم عالما منه بأنهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وأن مكرهم لا يصل إليه (فإن توليتم) يعني أعرضتم عن قولي وقبول نصحي (فما سألتكم من أجر) يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فإذا لم يؤخذ على تبليغ الدعوة إلى الله شيئا كان أقوى تأثيرا في النفس (إن أجري إلا على الله) أي ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة إلا على الله (وأمرت أن أكون من المسلمين) يعني أني أمرت بدين الإسلام وأنا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت أن أكون من المستسلمين لأمر الله ولكل مكروه يصل إلي منكم لأجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعني فكذبوا نوحا عليه السلام (فنجيناه ومن معه في الفلك) يعني في السفينة (وجعلناهم خلائف) يعني

(وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعدهم رسلا) أى من بعد نوح رسلا (إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات) بالدلالات الواضحات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أى بما كذب به قوم نوح من قبل (كذلك نطبع) أى نختم (على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملئه) يعنى اشراف قومه (بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم) يعنى جاء فرعون وقومه (الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) تقدير الكلام أتقولون للحق لما جاءكم سحر أسحر هذا الحذف السحر الأول اكتفا. بدلالة الكلام عليه (ولا يفلح الساحرون قالوا) يعنى فرعون وقومه لموسى (جئتنا لتلفتنا) لتصرفنا وقال قتادة لتلوينا (عما وجدنا عليه (١٦٥) اباءنا وتكون لكما الكبرياء) الملك السلطان (وفى الأرض) أرض مصر وقرأ أبو بكر ويكون بالياء (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) قرا ابو عمرو وأبو جعفر آلسحر بقطع الالف والمد على الاستفهام وما فى هذه القراءة للاستفهام وليست بموصولة وهى مبتدأة وجئتم به خبرها والمعنى أى شىء جئتم به وقوله آلسحر بدل عنها وقرأ الباقون ما جئتم به السحر بوصل الألف من غير مد وما فى هذه القراءة موصولة بمعنى الذى وجئتم به صلتها وهى مع الصلة فى موضع الرفع بالابتداء وقوله السحر خبره اى الذى جئتم به السحر وتقوى هذه القراءة قراءة ابن مسعود ما جئتم به سحر بغير الالف واللام (إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته بايانه (ولو كره المجرمون فما امن لموسى) لم يصدق موسى مع ما اتاهم به من الآيات (إلا ذرية من قومه) اختلفوا فى الهاء التى فى قومه قيل هى راجعة إلى موسى واراد بهم مؤمنى بنى إسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه قال مجاهد كانوا اولاد الذين ارسل إليهم موسى من بنى اسرائيل هلك الاباء وبقى الابناء وقال الاخرون الهاء راجعة إلى فرعون وروى عطية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امراة فرعون ومؤمن ال فرعون وخازن فرعون وامراة خازنه وماشطة ابنته وعن ابن عباس رواية اخرى انهم كانوا سبعين الف بيت من القبط من ال فرعون وامهاتهم من بنى اسرائيل فجعل الرجل يتبع امه واخواله وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما امر بقتل ابناء بنى اسرائيل كانت المراة من بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا من القتل فنشاء

وجعلنا الذين نجيناهم معه فى الفلك سكان الأرض بعد الهالكين (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى فانظر يا محمد يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعنى من بعد نوح (رسلا إلى قومهم) لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل (فجاؤوهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التى تدل على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) يعنى أن أولئك الأقوام والامم التى جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعنى مثل أغرقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب * قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعنى من بعد الرسل (موسى وهرون إلى فرعون وملئه) يعنى اشراف قومه (بآياتنا فاستكبروا) يعنى عن الايمان بما جاء به موسى وهرون وكانوا قوما مجرمين) يعنى مستكسبين للاثم (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء موسى من عند الله (قالوا إن هذا لسحر مبين) يعنى أن هذا الذى جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا) فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر اسحر هذا الحذف السحر الأول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح الساحرون) يعنى حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح ابدا (قالوا) يعنى قال قوم فرعون لموسى (اجئتنا لتلفتنا) يعنى لتصرفنا وتلوينا (عما وجدنا عليه اباءنا) يعنى من الدين (وتكون لكما الكبرياء) يعنى الملك والسلطان (فى الأرض) يعنى فى ارض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمى الملك كبرياء لأنه اكبر ما يطلب من امر الدنيا (وما نحن لكما بمؤمنين) يعنى بمصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) يعنى ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى بأنواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به موسى سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون) إنما امرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد (فلما القوا) يعنى ما معهم من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم (إن الله سيبطله) يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه (بكلماته) يعنى بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون) * قوله سبحانه وتعالى (فما امن لموسى إلا ذرية من قومه) لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة

عند القبط وأسلموا فى اليوم الذى غلبت فيه السحرة قال الفراء سموا ذرية لأن آباءهم كانوا من القبط وأمهاتهم من بنى إسرائيل يقال كالأولاد
أهل فارس الذين سقطوا إلى اليمن الابناء لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم (على خوف من فرعون وملئهم) قيل اراد بفرعون آل فرعون
أى على خوف من ال فرعون (١٦٦) وملئهم كما قال واسئل القرية أى أهل القرية وقيل إنما قال وملئهم وفرعون واحد لأن الملأ
اذ ذكر يفهم منه هو واصحابه
كما يقال قدم الخليفة يراد هو
ومن معه وقيل اراد ملأ
الذرية فان ملأهم كانوا
من قوم فرعون (ان يفتنهم)
اى يصرفهم عن دينهم ولم
يقل يفتنوهم لانه اخبر
عن فرعون وكان قومه
على مثل ما كان عليه
فرعون (وان فرعون لعال)
لمتكبر (فى الارض وانه لمن
المسرفين) المجاوزين الحد
لانه كان عبدا فادعى
الربوبية (وقال موسى
لقومه) لمؤمنى قومه (ياقوم
ان كنتم امنتم بالله فعليه
توكلوا ان كنتم مسلمين
فقالوا على الله توكلنا)
اعتمدنا ثم دعوا فقالوا (ربنا
لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين
اى لا تظهرهم علينا ولا
تهلكنا بايديهم فيظنوا انا لم
نكن على الحق فيزدادوا
طغيانا وقال مجاهد لا تعذبنا
بعذاب من عندك فيقول قوم
فرعون لو كانوا على الحق
لما عذبوا ويظنوا انهم خير
منا فيفتنوا (ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين) قوله
تعالى (واوحينا إلى موسى
واخيه) هرون (ان تبوا
لقومكما بمصر بيوتا (يقال
بوا فلان لنفسه بيتا ومضجعا
اذا اتخذه وبواته انا اذا
اتخذته له (واجعلوا بيوتكم قبلة) قال اكثر المفسرين كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا فى كنائسهم وبيعهم اراد
وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة فامروا ان يتخذوا مساجد فى بيوتهم ويصلوا فيها خوفا
من فرعون هذا قول ابراهيم وعكرمة عن ابن عباس وقال مجاهد خاف موسى ومن معه من فرعون ان يصلوا فى الكنائس
الجامعة فامروا ان يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا معناه واجعلوا وجوه بيوتكم الى القبلة وروى

الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى أنه مع مشاهدة هذه المعجزات ما امن لموسى إلا ذرية من قومه وإنما ذكر
الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد ﷺ لأنه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب أعراضهم عن
الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى أن له اسوة بالأنبياء عليهم الصلاة
والسلام لأن الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمرا عظيما ومع ذلك فما امن معه إلا ذرية
والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد
واختلفوا فى هاء الكناية فى قومه فقيل أنها راجعة إلى موسى وأرادهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذى
كانوا معه بمصر من اولاده قال مجاهدهم أولاد يعقوب الذين أرسل إليهم موسى هلك الاباء وبقى الأبناء
وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك أن فرعون لما امر بقتل ابناء بنى اسرائيل كانت المرأة فى بنى
اسرائيل إذا ولدت إبنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذى غلب موسى
السحرة فيه امنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى
الاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امرأة
فرعون ومؤمن ال فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطة ابنته قال الفراء سموا ذرية لأن اباءهم كانوا من
القبط من ال فرعون وامهاتهم من بنى اسرائيل فكان الرجع يتبع ابنه واخواله فى الايمان وذلك كما يقال
لأولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لأن أمهاتهم من غير جنس الاباء (على خوف من فرعون
وملئهم) الملا الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية على خوف من فرعون ومن اشرافهم وهم ملا الذرية
لانه كان اباؤهم من القبط وامهاتهم من بنى اسرائيل وقيل أراد بالملأ ملأ فرعون وانما قال سبحانه
وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له (أن يفتنهم) اى يصرفهم ويصدهم عن الايمان
وانما قال ان يفتنهم ولم يقل ان يفتنوهم لأن قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لأمره (وان فرعون
لعال فى الارض) يعنى انه لغالب قهار متكبر فيها (وانه لمن المسرفين) يعنى من المجاوزين الحد لانه كان عبدا
فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل (وقال موسى) يعنى لقومه (ياقوم ان كنتم امنتم
بالله فعليه توكلوا) يعنى فيه فثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر اوليائه ومهلك اعدائه (ان كنتم مسلمين)
يعنى ان كنتم مستسلمين لأمره قيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله لاراده ان
كنتم موصوفين بالايمان القلبى وبالاسلام الظاهرى ودلت الاية على ان التوكل على الله والتفويض لامره
من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره (فقالوا) يعنى قال قوم موسى
مجيبين له (على الله توكلنا) يعنى عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين) يعنى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا
وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا
فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) يعنى وخلصنا
برحمتك من ايدى قوم وفرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاعمال الشاقة قوله
عز وجل (واوحينا الى موسى واخيه) هرون (ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا) يعنى اتخذوا لقومكما بمصر
بيوتا للصلاة فيها يقال تبوا فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة أى وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون
اليها للصلاة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف اهل التفسير فى معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال

ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه (وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) يا محمد قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة) من متاع الدنيا (وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا فى هذه اللام قيل هى لام كى معناه آتيتهم كى تفتنهم فيضلوا ويضلوا عن سبيلك كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقيل هى لام العاقبة يعنى ليضلوا فيكون عاقبة أمرهم الضلال كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قوله (ربنا اطمس على أموالهم) قال مجاهد أهلكها والطمس المحو وقال أكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة صارت أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم كلها حجارة وقال محمد بن كعب جعل صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارت حجرا قال ابن عباس رضى الله عنه بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا ودعا عمر ابن عبد العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة

أراد بالبيوت المساجد التى يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذى يستقبل فى الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لأجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم إلى القبلة واختلفوا فى هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها إلا أنه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد أيضاً قال ابن عباس قالت بنو إسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم وأن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة إلى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أى مقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا فى بيوتكم قبلة تصلون إليها ٭ فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب فى أول الاية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه ٭ قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهرون أن يتبوآ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الأنبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (وأقيموا الصلاة) يعنى فى بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى إسرائيل من فرعون وقومه إذا صلوا فى الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذيهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا فى بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا فى الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمروا أن يتخذوا مساجد فى بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون واظهرهما على فرعون امرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر المؤمنين) يعنى بأنه لا يصل إليهم مكروه ٭ قوله سبحانه وتعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا) لما اتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى ان القوم مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به اخذ فى الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر أولا سبب إقدامه على الجرائم التى كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها الا جرم ان موسى لما اخذ فى الدعاء قدم هذه المقابلة فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان واناث البيت الفاخر والأشياء الجميلة والمال مازاد على هذه الأشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا فى هذه اللام فقال الفراء هى لام كى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الأموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطغوا فى الأرض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش إنما هى لما يؤل اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملأه زينة فى الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هى لام العاقبة يعنى فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانبارى هى لام الدعاء وهى لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا إنك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك (ربنا اطمس على اموالهم) الطمس ازالة اثر الشىء بالمحو ومعنى اطمس على اموالهم ازل صورها وهيآتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظى صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع اهله فى فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شىء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهى حجارة مشقوقة انها لحجر قال السدى مسخ الله اموالهم حجارة والنخيل والثمار والدقيق والأطعمة فكانت احدى الايات التسع

الصلاة وبشر المؤمنين) يا محمد قوله

(واشدد على قلوبهم) أى اقسها واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان (فلا يؤمنوا) قيل هو نصب بجواب الدعاء بالفاء وقيل هو عطف على قوله ليضلوا أى ليضلوا فلا يؤمنوا وقال الفراء هو دعاء ومحله جزم فكأنه قال اللهم فلا يؤمنوا (حتى يروا العذاب الأليم) وهو الغرق قال السدى معناه أمتهم على الكفر (قال) الله تعالى لموسى وهرون (قد أجيبت دعوتكما) إنما نسب إليهما والدعاء كان من موسى لأنه روى أن موسى كان يدعو وهرون يؤمن (١٦٨) والتأمين دعاء. وفى بعض القصص كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة (فاستقيما) على الرسالة والدعوة امضيا لامرى الى ان يأتيهم العذاب (ولا تتبعان) نهى بالنون الثقيلة ومحله جزم ويقال فى الواحد لا تتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين وبكسر النون فى التثنية لهذه العلة وقرأ ابن عامر بتخفيف النون وقد اختلف الروايات عنه فبعضهم روى عنه تتبعان بتخفيف التاء الثانية وفتح الباء وتشديد النون وبعضهم روى عنه تتبعان بتشديد التاء الثانية وكسر الباء وتخفيف النون وبعضهم روى عنه كقراءة الجماعة والوجه فى تخفيف النون ان نون التاكيد تثقل وتخفف (سبيل الذين لا يعلمون) يعنى ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعيدى نازل بفرعون وقومه (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) عبرناهم (فاتبعهم) لحقهم (فرعون وجنوده) يقال اتبعه وتبعه اذا ادركه ولحقه واتبعه بالتشديد اذا سار خلفه واقتدى به وقيل هما واحد (بغيا وعدوا) اى ظلما واعتداء وقيل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل

وقال السدى مسخ الله أموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والأطعمة وهذا الطمس هو أحد الايات التسع التى أوتيها موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) يعنى اربط على قلوبهم واطبع عليها واقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) يعنى الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه قال موسى قبل أن يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاءه فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء إنما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم فى الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل لموسى وهرون (قد اجيبت دعوتكما) انما نسب الدعاء اليهما وان الداعى هو موسى وحده لأن هرون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال ايضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى فى الدعاء فلذلك قال تعالى قد اجيبت دعوتكما (فاستقيما) يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لامرى الى ان يأتيهم العذاب (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعيدى نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قبل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعون سنة قال الامام فخر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه * قوله عز وجل (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) اى وقطعنا ببنى إسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فاتبعهم فرعون وجنوده) يعنى لحقهم وادركهم (بغيا وعدوا) اى ظلما وعدوانا وقيل البغى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل قال اهل التفسير اجتمع بعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة الف وذلك انه لما اجاب الله دعاء موسى وهرون امرهما بالخروج ببنى اسرائيل من مصر فى الوقت الذى امرهما ان يخرجا فيه بهم ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما ادركهم قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فاوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وايس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة الف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أنثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم اولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق اتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا ادركه الغرق قال) يعنى فرعون (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند

وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه فلما وصل فرعون بجنوده الى البحر هابوا دخوله فتقدمهم جبريل على فرس وديق وخاض البحر فاقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج اطبق عليهم الماء قوله تعالى (حتى اذا ادركه الغرق) اى غمره الماء وقرب هلاكه (قال آمنت انه) قرأ حمزة والكسائى انه بكسر الالف اى آمنت وقلت انه وقرأ الاخرون انه بالفتح على وقوع آمنت عليها واضمار حرف الجر أى آمنت بانه فحذف الباء وأوصل الفعل بنفسه فهو فى موضع النصب (لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) قدس

نزول

نزول العذاب به وقد كان في مهل قال العلماء إيمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقيل أنه قال هذه الكلمة ليتوصل بها إلى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكر لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لا إله إلا الذي امنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في إيمانه ولما رجع فرعون إلى الايمان والتوبة حين أغلق بابهما بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له (الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعني الان تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وأثرت دنياك الفانية على الاخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الأرض ويدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فاليوم ننجيك ببدنك والقول الأول أشهر ويعضده ماروى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال امنت انه لا اله إلا الذي امنت به بنو إسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وانا أخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل عليه السلام جعل يدس في فم فرعون الطين خشية أن يقول لا إله إلا الله فيرحمه الله أو خشية أن يرحمه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ﴿ فصل في الكلام على هذا الحديث ﴾ لانه في الظاهر مشكل فيحتاج إلى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفتين عن ابن عباس فني الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وهو وإن كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وإنما يخشى من حديثه إذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لأن في الطريق الاخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وإن كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه كلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وإن كان فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره ٥ فان قلت في الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم * قلت ليس بشك في رفعه إنما هو جزم بأن أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من حال البحر اي من طين البحر كما في الرواية الاخرى

﴿ فصل ﴾ ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل يصح ان جبريل اخذ يملأ فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والجواب الاقرب انه لا يصح لان في تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل كان ثابتا ام لا فان كان ثابتا لا يجوز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وإن كان التكليف زائلا عن فرعون ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر ايضا فكيف يليق بجلال الله فهذا يبطله قول جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل إلا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذي اورده الامام على هذا الحديث في كلام اكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتا في تلك الحالة ام لا فان كان ثابتا لم يجز لجبريل ان يمنعه من

جبريل في فيه من حمأة البحر وقال (الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذي امنت به بنو إسرائيل فقال جبريل عليه السلام يا محمد فلو رأيتني وأنا اخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو اسرائيل ما مات فرعون فامر الله البحر فالقى فرعون على الساحل أحمر قصيرا كانه ثور فرآه بنو إسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا فذلك قوله

التوبة فان هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال قلو أن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء. وهذا قول أهل السنة والمثبتين للقدر فانهم يقولون إن الله يحول بين الكافر والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولا قدس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الأفعال من اعترف ايضا أن الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه أن يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الإيمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه أن الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ الأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه إعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه انه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال إن جبريل عليه السلام إما أن يتصرف بامر الله فلا يفعل إلا ما أمر الله به وإما أن يفعل ما شاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه إعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه إنما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر أنه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وإن كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذى نسب إلى جبريل فائدة فجوابه أن يقال أن للناس في تعليل أفعال الله قولين أحدهما أن افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني إن أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لأجلها فعلها وكذا أوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لأجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير فقد يقال لما قال فرعون امنت أنه لا إله إلا الذى امنت به بنو إسرائيل وقد علم جبريل أنه ممن حقت عليه كلمة العذاب وأن إيمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له كان قالها في وقت لا ينفعه فدس الطين فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ أو لا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعا ربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم والإيمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين في فيه ليياس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق إجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد أجيب دعوتكما فيكون سعى جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعله فيكون سعى جبريل في مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذا لما امره به وقدره وقضاه على فرعون وأما قوله لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من انه أن يضل من يشاء ويهدى من يشاء. وجبريل إنما يتصرف بامر الله ولا يفعل إلا ما أمره الله به وإذا كان جبريل قد فعل ما امره الله به ونفذه فانما رضى بالأمر لا المأمور به فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر إنما يكون كفرا في حقنا لانا مامورون بازالته بحسب الامكان فاذا قررنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس مأمورا كأمرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه فانه إذا نفذ ما امره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير

فان جبريل لما دس الطين فى فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذا لقضاء الله وقدره فى فرعون من الكفر وهو ساخط غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وأما قوله وإن قيل ان جبريل إنما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انه إنما فعل ذلك بأمر الله منفذا لأمر الله والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله سبحانه وتعالى (فاليوم ننجيك ببدنك) أى نلقيك على نجوة من الأرض وهى المكان المرتفع قال اهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنو إسرائيل ما مات فرعون وإنما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل فى قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله ببدنك يعنى نلقيك وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة إنما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رأوه فى درعه ذلك عرفوه (لتكون لمن خلفك آية) يعنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت أبدا فاظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لأنه كان فى غاية العظمة فصار إلى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه أحد (وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) * قوله عز وجل (ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق) يعنى اسكناهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وإنما وصف المكان بالصدق لأن عادة العرب إذا مدحت شيئا أضافته إلى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشىء إذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفى المراد بالمكان الذى بوؤا قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورث بنى إسرائيل جميع ما كان تحت أيدى فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثانى انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعنى تلك المنافع والخيرات التى رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعنى فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى إسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبى ﷺ مقرين به محمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا ﷺ واختلفوا فيه فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذى كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد ﷺ وإنما سماه علما لأنه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفى كون القران سببا لحدوث الاختلاف وجهان الأول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد ﷺ وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وإيثارا لبقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثانى ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القران فلما نزل على محمد ﷺ آمن به طائفة وكفر به اخرون * وقوله تعالى (إن ربك) يعنى يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى من أمرك وأمر نبوتك فى الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار * قوله سبحانه وتعالى (فان كنت فى شك مما أنزلنا إليك) الشك فى موضع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود أمارتين أو لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان شك فى هذا الامر فمعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه وظاهر هذا الخطاب فى قوله فان كنت فى شك أنه للنبى ﷺ والمعنى فان كنت يا محمد فى شك مما أنزلنا إليك يعنى من حقيقة ما أخبرناك به

(فاليوم ننجيك) أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع وقرأ يعقوب ننجيك بالتخفيف (ببدنك) بجسدك لا روح فيه وقيل ببدنك بدرعك وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر فرأوه فى درعه فصدقوا موسى (لتكون لمن خلفك آية) عبرة وموعظة (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بنى إسرائيل) أنزلنا بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون (مبوأ صدق) منزل صدق يعنى مصر وقيل الأردن وفلسطين وهى الأرض المقدسة التى كتب الله ميراثا لابراهيم وذريته وقال الضحاك هى مصر والشام (ورزقناهم من الطيبات) الحلالات (فما اختلفوا) يعنى اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ فى تصديقه وانه نبى (حتى جاءهم العلم) يعنى القرآن والبيان بأنه رسول الله صدق ودينه حق وقيل حتى جاءهم معلومهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق خلق قال الله تعالى هذا خلق الله ويقال هذا الدرهم ضرب الأمير أى مضروبه (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من الدين قوله تعالى (فان كنت فى شك مما انزلنا إليك) يعنى القران

وأنزلناه يعنى القرآن (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعنى علماء أهل الكتاب يخبرونك أنك مكتوب عندهم فى التوراة والانجيل وانك نبى يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعترض وهو ان يقال هل شك النبى ﷺ فيما انزل عليه او فى نبوته حتى يسأل اهل الكتاب عن ذلك وإذا كان شاكا فى نبوة نفسه كان غيره اولى بالشك منه ، قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضى عياض فى كتابه الشفاء فانه اورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبتك الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من إثبات شك النبى ﷺ فيما اوحى اليه فانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه ﷺ جملة بل قال ابن عباس لم يشك النبى ﷺ ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبى ﷺ قال ما اشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا ثم كلام القاضى عياض رحمه الله ثم اختلفوا فى معنى الاية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب للنبى ﷺ فى الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبى ﷺ لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب « اياك اعنى واسمعى ياجاره » فعلى هذا يكون معنى الاية قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك إن كنت فى شك مما انزلنا إليك على لسان رسولنا محمد ﷺ فاسأل الذين يقرؤن الكتاب يخبروك بصحته ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى فى آخر هذه السورة قل يا ايها الناس إن كنتم فى شك من دينى الاية فبين ان المذكور فى هذه الاية على سبيل الرمز هو المذكور فى تلك الاية على سبيل التصريح وايضا لو كان النبى ﷺ شاكا فى نبوته لكان غيره أولى بالشك فى نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل إن الله سبحانه وتعالى علم ان النبى ﷺ لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه ﷺ إذا سمع هذا الكلام يقول لا اشك يارب ولا اسأل اهل الكتاب بل اكتفى بما انزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول ﷺ فى قوله فان كنت فى شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبى إذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول ﷺ داخلا فى هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا وقيل ان لفظه فى قوله فان كنت فى شك للنفى ومعناه وما انت فى شك مما انزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثانى ان هذا الخطاب ليس هو للنبى ﷺ البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا فى زمنه على ثلاث فرق فرقة مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون فى امره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تمجدو تعالى فان كنت ايها الانسان فى شك مما انزلنا إليك من الهدى على لسان محمد ﷺ فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وإنما وحد الله الضمير فى قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما فى قوله تعالى يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم لم يرد فى الاية إنسانا معينا بل اراد الجمع واختلفوا فى المسئول عنه فى قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم هم الموثوق باخبارهم وقيل المراد كل اهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد ﷺ او انه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل المقصود والأول أصح وقال الضحاك يعنى اهل التقوى واهل الايمان من أهل الكتاب ممن ادرك رسول الله ﷺ (لقد جاءك الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك (فلا تكونن من الممترين) يعنى من الشاكين فى صحة ما انزلنا إليك (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة (فتكون من الخاسرين) يعنى الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ماتقدم من ان ظاهره خطاب للنبى ﷺ والمراد به غيره ممن عنده شك

للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فانهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره كقوله تعالى يا ايها النبى اتق الله خاطب النبى ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل انه قال ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل وقال يا ايها النبى إذا طلقتم النساء وقيل كان الناس على عهد النبى ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب مع اهل الشك معناه ان كنت ايها الانسان فى شك مما انزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال ابن عباس ومجاهد والضحاك يعنى من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه فيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته قال الفراء علم الله سبحانه وتعالى ان رسوله غير شاك لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم لعبد ان كنت عبدى فاطعنى ويقول لولده افعل كذا وكذا إن كنت ابنى ولا يكون بذلك على وجه الشك (لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (من الشاكين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) وهذا كله خطاب مع النبى ﷺ والمراد منه غيره

قوله تعالى (إن الذين حقت عليهم) وجبت عليهم (كلمة ربك) قيل لعنته وقال قتادة سخطه وقيل الكلمة هي قوله هؤلاء في النار ولا أبالي (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية) دلالة (حتى يروا العذاب الأليم) قال الأخفش انث فعل كل لأنه مضاف الى المؤنث وهي قوله اية ولفظ كل للمذكر والمؤنث سواء قوله تعالى (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) ومعناه فلم تكن قرية لأن في الاستفهام ضربا من الجحد أي أهل قرية (امنت) عند معاينة العذاب (فنفعها إيمانها) في حال اليأس (إلا قوم يونس) فانهم نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت وقوم نصب على الاستثناء المنقطع تقديره ولكن قوم يونس (لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) وهو وقت انقضاء اجالهم واختلفوا في انهم هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب والاكثرون على انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قرب (وقصة الآية) على ماذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بنينوى من أرض الموصل فأرسل الله إليهم يونس يدعوهم إلى الايمان فدعاهم فأبوا فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قدر ميل وقال وهب غامت السماء غيما اسودها ثلاثة يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا يونس نبيهم فلم يجدوه وقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات واختلطت أصواتها بأصواتهم وعجوا وتضرعوا إلى الله عز وجل وقالوا امنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم وذلك يوم عاشوراء.

وارتياب فان النبي ﷺ لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا أن المراد به غيره والله أعلم قوله سبحانه وتعالى (إن الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كلمة ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وقال قتادة سخطربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ماقدره عليهم وقضاه في الأزل (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الأليم) حينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء قوله سبحانه وتعالى (فلولا) يعني فهلا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لأن في الاستفهام معنى الجحد والمراد هل كانت قرية (امنت) يعني عند معاينة العذاب (فنفعها إيمانها) يعني في حال اليأس (إلا قوم يونس) هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم إيمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما امنوا) يعني لما أخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) يعني إلى وقت انقضاء اجالهم واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون إلا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه

(ذكر القصة في ذلك)

على ماذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فأرسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم

وكان يونس قد خرج فأقام ينتظر العذاب وهلاك قومه فلم يرشيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل فقال يونس كيف ارجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق عاتبا على ربه مغاضبا لقومه حتى اتى البحر فاذا قوم يركبون سفينة فعرفوا انه هارب فلما حاذى الساحل وقف السفينة فلما دخلها وتوسطت بهم ولجت وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم قال اهل السفينة ان لسفينتنا لشانا قال يونس قد عرفت شانها ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة قالوا ومن هو قال انا اقذفوني في البحر فانه كما لتطرحن من يبتاحتى نعذر في شأنك واستهموا فاقترعوا ثلاث مرات فاصابت السهام كل مرة يونس فقام ليلقي نفسه في البحر فلما رأى ذلك علم انه هو المطلوب فلم يشعر الا والحوت عند رجل السفينة فاغر فاه ينتظر امر ربه فيه فقال يونس لهم والله لتسكن جميعا او لتطرحن فيه فقذفوه فيه واطبق واخذه الحوت وروى ان الله تعالى اوحى الى الحوت دقيم حتى تصدر السفينة فصار اهل السفينة مثل الجبل العظيم وهم في ذعر فاذا ينظر الى مزق في السفينة كانه يطلب شيئا خافوا منه ولما راه يونس زج نفسه في الماء وعن ابن عباس انه خرج مغاضبا لقومه فاتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها فلما لجت السفينة تكفأت حتى كادوا ان يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل قاصر او عبد ابق وهكذا رسم السفينة اذا كان فيها ابق لا تجري ومن رسمنا ان نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة القينا في البحر ولان يغرق واحد خير من ان تغرق السفينة بمافيها فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها على يونس فقال يونس انا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في الماء فابتلعه حوت ثم جاء حوت اخر اكبر منه وابتلع هذا الحوت وامر الله الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعاما لك وروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال نودي الحوت انا لم نجعل يونس لك قوتا انما جعلنا بطنك له حرزا ومسجدا وروى انه لما قبل القرعة فقال انا العبد العاصي والآبق

قالوا من أنت قال أنا يونس بن متى فعرفوه فقالوا لا نلقيك يا رسول الله ولكن نساهم فخرجت القرعة عليه فألقى نفسه فى الماء. قال ابن مسعود رضى الله عنه ابتلعه الحوت فاهوى به إلى قرار الارض السابعة وكان فى بطنه اربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى فى الظلمات ان لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فأجاب الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممعط فانبت الله عليه شجرة من يقطين وهو الدباء فجعل يستظل تحتها وكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه تبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة الف أو يزيدون وأردت ان اهلكهم فخرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال من انت يا غلام قال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انى لقيت يونس فقال الغلام قد تعلم انه ان لم تكن لى بينة قتلت قال يونس عليه السلام تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة فقال له الغلام فمرهما فقال يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم فرجع الغلام فقال للملك انى لقيت يونس فامر الملك بقتله فقال ان لى بينة فارسلوا معى فاتى البقعة والشجرة فقال أنشدكما اهل اشهدكما يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهد له الشجرة والارض فاخذ الملك بيد الغلام واجلسه فى مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان منى فاقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة قوله تعالى (ولو شاء ربك)

بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشىء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤوسهم قال ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثنى ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسودها ثلا يدخن دخانا شديدا فهبطا حتى غشى مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فقذف الله سبحانه وتعالى فى قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم فلبسوا المسوح واظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض إلى البعض فحن الاولاد إلى الامهات والامهات إلى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا إلى الله وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا إلى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعد ما أظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتى إلى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبرى بسنده عن ابى الجلد خيلان قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا ياحى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا إله إلا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا إلى حين وقال الفضيل بن عياض أنهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل له ارجع إلى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدونى كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فلا تصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستأتى القصة فى سورة والصافات إن شاء الله تعالى ٭ فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته ٭ قلت أجاب العلماء عن هذا بأجوبة أحدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثانى ان فرعون ما آمن إلا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض بخلاف فرعون فانه ما صدق فى إيمانه ولا أخلص فلم يقبل منه إيمانه والله أعلم ٭ قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا) يقول الله عزوجل لنبيه محمد ﷺ ولو شاء ربك يا محمد لامن بك وصدقك من فى الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأ ان يصدقك ويؤمن بك إلا من سبقت له السعادة فى الازل قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله عزوجل انه لا يؤمن به إلا من سبقت له من السعادة فى الذكر الاول ولم يضل إلا من سبق له من الله الشقاء فى الذكر الاول وفى هذا تسلية للنبى ﷺ لانه كان حريصا على إيمانهم كلهم فأخبره الله انه لا يؤمن به إلا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على إيمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يعنى ليس إيمانهم اليك حتى تكرههم عليه أو تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئتنا وقضائنا وقدرنا ليس ذلك لاحد سوانا (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) يعنى وما كان ينبغى لنفس خلقها الله تعالى ان تؤمن وتصدق إلا بقضاء الله لها بالإيمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بأمر الله وقال عطاء بمشيئة الله ٭ قوله تعالى (ويجعل)

يا محمد (لامن من فى الارض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) هذه تسلية للنبى ﷺ وذلك انه قرى.

كان حريصا على ان يؤمن جميع الناس فاخبره الله جل ذكره انه لا يؤمن الا من سبق له السعادة ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاوة (وما كان لنفس) وما ينبغى لنفس وقيل ما كانت نفس (ان تؤمن الا باذن الله) قال ابن عباس بامر الله وقال عطاء بمشيئة الله وقيل بعلم

الله (ويجعل الرجس) قرأ أبو بكر ونجعل بالنون والباقون بالياء أي ويجعل الله الرجس أي العذاب وهو الرجز (على الذين لا يعقلون) عن الله أمره ونهيه (قل انظروا) أي قل للمشركين الذين يسألونك الآيات انظروا (ماذا في السموات والأرض من الآيات

قرىء بالنون على سبيل التعظيم أي ونجعل نحن وقرىء بالياء ومعناه ويجعل الله (الرجس) يعني العذاب) وقال ابن عباس يعني السخط (على الذين لا يعقلون) يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ٭ قوله عز وجل (قل انظروا) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر (ماذا في السموات والارض) يعني ماذا خلق الله في السموات والأرض من الآيات الدالة على وحدانيته في السموات والشمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم سخرها طالعة وغاربة وأنزل المطر من السماء وفي الأرض الجبال والبحار والمعادن والأنهار والأشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالقها كما قال الشاعر وفي كل شيء له آية ٭ تدل على أنه واحد (وما تغني الآيات والنذر) يعني الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا في حق أقوام علم الله أنهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الأزل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعني مشركي مكة (إلا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) يعني من مضى من قبلهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالأمم السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب فـ(قل فانتظروا) يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (إني معكم من المنتظرين) يعني هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه إذا وقع ذلك بهم أنجى الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) يعني من العذاب والهلاك (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) يعني كما انجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين امنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب وقال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لأن تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب واجيب عن هذا بأنه حق واجب من حيث الوعد والحكم لا أنه واجب بسبب الاستحقاق لأنه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا ٭ قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس) الخطاب للنبي ﷺ اي قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلناك اليهم فشكوا في أمرك ولم يؤمنوا بك (ان كنتم في شك من ديني) يعني الذي ادعوكم اليه وإنما حصل الشك لبعضهم في امره ﷺ لما رأى الآيات التي كانت تظهر على يدي النبي ﷺ فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم اليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لأنه دين إبراهيم عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكوا فيه وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا أصل لها البتة فان أصررتم على ما انتم عليه (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) يعني هذه الاوثان وإنما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لأخس الأشياء وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم) والحكمة في وصف الله سبحانه وتعالى في هذا المقام بهذه الصفة ان المراد ان الذي يستحق العبادة فاعبده انا وأنتم هو الذي خلقكم أولا ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الأشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع وقيل أنهم لما استعجلوا بطلب العذاب اجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي هو قادر على إهلاككم ونصري عليكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعني وأمرني ربي ان اكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة التي هي من أعمال الجوارح اتبعها بذكر الايمان لانه من أعمال القلوب (وان اقم وجهك للدين حنيفا) الواو في قوله وان أقم واو عطف معناه وامرت ان اقيم وجهي يعني اقم وجهك على دين الاسلام حنيفا

والدلائل والعبر في السموات والشمس والقمر النجوم وغيرها وفي الأرض الجبال والبحار والانهار والاشجار وغيرها (وما تغني الآيات والنذر) الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون (فهل ينتظرون) يعني مشركي مكة (الا مثل ايام الذين خلوا) مضوا (من قبلهم) من مكذبي الأمم قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب أياما والنعم أياما كقوله وذكرهم بايام الله وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو ايام (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا) قرأ يعقوب ننجي خفيف مختلف عنه (والذين امنوا) معهم عند نزول العذاب معناه نجينا مستقبل بمعنى الماضي (كذلك) كما نجيناهم (حقا) واجبا (علينا ننجي المؤمنين) قرأ الكسائي وحفص ويعقوب ننجي بالتخفيف والاخرون بالتشديد ونخاوانجى بمعنى واحد قوله تعالى (قل يا ايها الناس إن كنتم في شك من ديني) الذي ادعوكم اليه فان قيل كيف قال ان كنتم في شك وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به قيل كان فيهم شاكون فهم المراد بالاية أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ قوله عز وجل (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) من الاوثان (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم) يميتكم ويقبض ارواحكم (وامرت ان اكون من المؤمنين) قوله (وان اقم وجهك للدين حنيفا)

قال ابن عباس عملك وقيل استقم على الدين حنيفا (ولا تكونن من المشركين (ولا تدع) ولا تعبد (من دون الله مالا ينفعك) ان أطعته (ولا يضرك) ان عصيته (فان فعلت) فعبدت غير الله (فانك إذا من الظالمين) الضارين لانفسهم الواضعين العبادة فى غير موضعها (وإن يمسسك الله بضر) أى يصبك بشدة وبلاء (فلا كاشف له) فلا دافع له (إلا هو وان يردك بخير) رخاء ونعمة وسعة (فلا راد لفضله) فلا مانع لرزقه (يصيب به) بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى القرآن والاسلام (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أى على نفسه ووباله عليه (وما انا عليكم بوكيل) بكفيل أحفظ أعمالكم قال ابن عباس نسختها آية القتال (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله) بنصرك وقهر عدوك وإظهار دينه (وهو خير الحاكمين) الحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون

يعنى مستمسكا عليه غير معوج عنه إلى دين آخر وقيل معناه أقم عملك على الدين الحنيفى وقيل أراد بقوله وأن أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته إلى طلب الدين الحنيفى غير مائل عنه (ولا تكونن من المشركين) يعنى ولا تكونن ممن يشرك فى عبادة ربه غيره فيهلك وقيل ان النهى عن عبادة الأوثان تقدم فى الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى على معنى زائد هو أن من عرف الله عز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغى له ان يلتفت إلى غيره بالكلية وهذا هو الذى يسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك) يعنى إن عبدته ودعوته (ولا يضرك) يعنى إن تركت عبادته (فان فعلت) يعنى ما نهيتك عنه فعبدت غيرى أو طلبت النفع ودفع الضر من غيرى (فانك إذا من الظالمين) يعنى لنفسك لأنك وضعت العبادة فى غير موضعها وهذا الخطاب وإن كان فى الظاهر للنبى ﷺ فالمراد به غيره لانه ﷺ لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع أيها الانسان من دون الله مالا ينفعك الآية هو قوله تعالى (وإن يمسسك الله بضر) يعنى وإن يصبك الله بشدة وبلاء (فلا كاشف له) يعنى لذلك الضر الذى أنزل بك (إلا هو لا غيره (وإن يردك بخير) يعنى بسعة ورخاء (فلا راد لفضله) يعنى فلا دافع لرزقه (يصيب به) يعنى واحدا من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل إن الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان وبين أنها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى أنه هو القادر على ذلك كله وأن جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لأنه هو القادر على كل شىء وأنه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفى الآية لطيفة أخرى وهى أن الله سبحانه وتعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك أنه تعالى لما ذكر امساس الضر بين انه لا كاشف له إلا هو وذلك يدل على أنه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لأن الاستثناء من النفى إثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعنى أن جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لأنه هو الذى يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعنى الساتر لذنوب عباده الرحيم بهم ثم قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد ﷺ جاء بالحق من الله عز وجل (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لأن نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) اى على نفسه لأن وباله راجع إليه فمن حكم الله له بالاهتداء فى الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشىء ابد (وما انا عليكم بوكيل) يعنى وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم وقال ابن عباس هذه الاية منسوخة بآية السيف (واتبع ما يوحى اليك) يعنى الامر الذى يوجبه الله إليك يا محمد (واصبر) يعنى على أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعنى ينصرك عليهم باظهار دينك (وهو خير الحاكمين) يعنى انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم والله تعالى اعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام ﴾

وهى مكية فى قول ابن عباس وقال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن يزيد وقتادة وفى رواية عن ابن عباس أنها مكية غير اية وهى قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفى النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هى مكية إلا قوله سبحانه فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى إن الحسنات يذهبن السيئات وهى مائة وثلاث وعشرون اية والف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل إليك الشيب قال شيبتنى هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبة ﷺ من هذه السور المذكورة فى الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ

مكية إلا قوله وأقم الصلاة طرفى النهار وهى مائة وثلاث وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الركتاب أحكمت اياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت هي الكتب والشرائع (ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال احكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت اياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت اياته سورة سورة وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والأخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليست هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه ايات محكمات * قلت إن الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق إلى اياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالأحكام الخاص المذكور في قوله منه ايات محكمات ان بعض اياته منسوخة نسخها بايات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل احكمت اياته أي معظم اياته محكمة وإن كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لأن الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وإنما اكلت بعضه * وقوله تعالى (من لدن حكيم) يعني احكمت ايات الكتاب من عبد حكيم في جميع أفعاله (خبير) يعني باحوال عباده وما يصلحهم (ألا تعبدوا إلا الله) هذا مفعول له معناه كتاب احكمت اياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والأصنام وما كانوا يعبدون والرجوع إلى الله تعالى وإلى عبادته والدخول في دين الاسلام (إنني لكم منه) أي قل لهم يا محمد إنني لكم من عند الله (نذير) ينذركم عقابه إن ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعني وابشر بالثواب الجزيل لمن امن بالله ورسوله واطاع وأخلص العمل لله وحده (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لأن الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية إلى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لأن الإستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد (يمتعكم متاعا حسنا) يعني إنكم اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في امن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور (الى اجل مسمى) يعني يمتعكم متاعا حسناً الى حين الموت ووقت انقضاء اجالكم * فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى * قلت اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما اعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يقضي الى ذلك المعد له واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الأليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما اعد الله له في الآخرة وأما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الأوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيآت وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله وقوله سبحانه وتعالى (ويؤت كل ذي فضل فضله) اي ويعط كل ذي عمل صالح في الجنة ومن زادت سيآته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيآته كان من الاعراف ثم يدخل الجنة بعد وقيل يؤت كل ذي فضل فضله يعني من عمل لله عز وجل وفقه الله فيما يستقبل على طاعة

أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض وقال مجاهد فصلت أي فسرت وقيل فصلت أي أنزلت شيئا فشيئا (من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله) أي في ذلك الكتاب الا تعبدوا الا الله ويكون محل ان رفعا وقيل محله خفض تقديره بأن لا تعبدوا إلا الله (إنني لكم منه) أي من الله (نذير) للعاصين (وبشير) للطيعين (وإن) عطف على الأول (استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) أي ارجعوا اليه بالطاعة قال الفراء ثم هنا بمعنى الواو وتوبوا اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار وقيل ان استغفروا ربكم في الماضي ثم توبوا اليه في المستأنف (يمتعكم متاعا حسنا) يعيشكم عيشا حسنا في خفض ودعة وامن وسعة قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور (إلى أجل مسمى) إلى حين الموت (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الاخرة قال أبو العالية من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في الاخرة في الجنة لأن الدرجات تكون بالأعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيآته دخل

(وإن تولوا) أعرضوا (فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) وهو يوم القيامة (إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير) قوله تعالى (ألا إنهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره قوله يثنون صدورهم أي يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة وقال عبد الله بن شداد نزلت هذه الآية في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره حتى ظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي ﷺ وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي يسمعوا كتاب الله تعالى (١٧٨) ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني وقيل يعطفون ومنه ثني الثوب وقرأ ابن عباس يثنوني على وزن يحلولي جعل الفعل للصدور ومعناه المبالغة في الثني (ليستخفوا منه) أي من رسول الله ﷺ وقال مجاهد ليستخفوا من الله إن استطاعوا (ألا حين يستغشون ثيابهم) يغطون رؤسهم بثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه علیم بذات الصدور) قال الأزهري معنى الآية من أولها إلى آخرها إلا الذين أضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا الحسن بن محمد بن صباح ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني محمد بن عباد ابن جعفر أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ ألا إنهم يثنون صدورهم فقال سألته عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن مستقرها يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم قوله تعالى (وما من دابة في الأرض) أي ليس دابة من صلة وانداية كل حيوان يدب على وجه الأرض وقوله (إلا على الله رزقها) أي هو المتكفل بذلك تفضلا وهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق وقيل على بمعنى من أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل وربما يرزقها حتى تموت جوعا (ويعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن مقسم ويروى ذلك عن ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي إليه وتستقر فيه ليلا ونهارا ومستودعها الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت وقال عبد الله بن مسعود رضي عنه الله المستقر أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقال عطاء المستقر حام أر

الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لأن الدرجات تكون على الأقدر الأعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يتول ابن مسعود هلك من غلبت أحاده أعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته (وإن تولوا) يعني وإن أعرضوا عما جئتم به من الهدى (فإني أخاف عليكم) أي فقل لهم يا محمد إني أخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعني عذاب النار الآخرة (إلى الله مرجعكم) يعني في الآخرة فيثيب المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته (وهو على كل شيء قدير) يعني من إيصال الرزق إليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (ألا إنهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب إذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله ﷺ وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني (ليستخفوا منه) يعني من رسول الله ﷺ وقال مجاهد من الله عز وجل إن استطاعوا (حين يستغشون ثيابهم) يعني يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه علیم بذات الصدور) ومعنى الآية على ما قاله الأزهري إن الذين اضمروا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي أنه سمع ابن عباس يقرأ ألا إنهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضحوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم * وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة في الأرض) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الأرض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل الآدمي وغيره من جميع الحيوانات (إلا على الله رزقها) يعني هو المتكفل برزقها تفضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق وقيل ان لفظه على بمعنى أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا (ويعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود

مستقرها أرحام الأمهات والمستودع المكان الذى تموت فيه وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر (كل فى كتاب مبين) أى كل ذلك مثبت فى اللوح المحفوظ قبل خلقها * قوله عز وجل (وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) يعنى قبل خلق السموات والأرض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء قال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وخلق القلم فكتب به ماخلق وماهو خالق وماهو كائن من خلقه إلى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على اى شىء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات فى يومين ثم اخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الأرض منها ثم خلق الأقوات فى يومين والسموات فى يومين والأرض فى يومين ثم فرغ آخر الخلق وفى اليوم السابع قال بعض العلماء وفى خلق جميع الأشياء وجعلها على الماء مايدل على كمال القدرة لأن البناء الضعيف إذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبى ﷺ وعقلت ناقتى بالباب فاتى ناس من بنى تميم فقالوا اقبلوا البشرى يابنى تميم فقالوا ابشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى ياأهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يارسول الله ثم قالوا جئناك لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شىء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب فى الذكر كل شىء ثم اتانى رجل فقال ياعمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت أنها ذهبت ولم اقم عن ابى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان فى عماء مافوقه هواء وماتحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذى وقال قال احمد يريد بالعماء انه ليس معه شىء قال ابو بكر البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات له قوله ﷺ كان الله ولم يكن شىء قبله يعنى لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعنى وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب فى كل شىء وقوله فى عماء وجدته فى كتاب عماء مقيدا بالمد فان كان فى الأصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله فى عماء اى فوق سحاب مدبر اله وعالياً عليه كما قال سبحانه وتعالى أأمنتم من فى السماء يعنى من فوق السماء وقال تعالى لاصلبنكم فى جذوع النخل يعنى على جذوعها وقوله مافوقه هواء أى مافوق السحاب هواء وكذلك قوله وماتحته هواء أى ماتحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور العمى وإذا كان مقصورا أفعناه لاشىء ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شىء فكانه قال فى جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شىء غيره ثم قال مافوقه هواء وماتحته هواء أى ليس فوق العمى الذى هو لاشىء موجود هواء ولاتحته هواء لان ذلك اذا كان غير شىء فليس يثبت له هواء بوجه والله اعلم وقال الهروى صاحب الغريبين قال بعض أهل العلم معناه اين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقى وقال ابن الأثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولابد فى الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى العمى المقصور انه قال هو كل أمر لايدركه الفطن وقال الأزهرى قال ابو عبيد إنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم وإلا فلا ندرى كيف كان ذلك العماء قال الأزهرى فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله

الأمهات والمستودع اصلاب الآباء ورواه سعيد بن جبير وعلى بن طلحة وعكرمة عن ابن عباس وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر لقوله تعالى فى صفة الجنة والنار حسنت مستقرا ومقاما وساءت مستقراً ومقاماً (كل فى كتاب مبين) أى كل مثبت فى اللوح المحفوظ قبل أن خلقها قوله تعالى (وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) قبل أن خلق السماء والأرض وكان ذلك الماء على متن الريح قال كعب خلق الله عز وجل ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة أن الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وماهو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه

(ليبلوكم) ليختبركم وهو اعلم (أيكم أحسن عملا) عمل بطاعة الله واورع عن محارم الله تعالى (ولئن قلت) يا محمد (إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) يعنون القرآن وقرأ حمزة والكسائي ساحر يعنون محمدا ﷺ (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) الى اجل محدود وأصل الأمة الجماعة فكانه قال الى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى (ليقولن ما يحبسه) أى أى شيء يحبسه يقولونه استعجالا للعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشيء قال الله تعالى (الا يوم يأتيهم) يعنى العذاب (ليس مصروفا عنهم) لا يكون مصروفا عنهم (وحاق بهم) نزل بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى وبال استهزائهم قوله تعالى (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة) نعمة وسعة (ثم نزعناها منه) أى سلبناها منه (انه ليؤس) قنوط فى الشدة (كفور) النعمة (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) بعد بلاء أصابه (ليقولن ذهب السيئات عنى) زالت الشدائد عنى (انه لفرح فخور) اشر بطر والفرح لذة فى القلب بنيل المشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه (الا الذين صبروا) قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا (وعملوا الصالحات) فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا (اولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) وهو الجنة (فلعلك يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) فلا تبلغه اياهم وذلك أن كفار مكة لما قالوا ائت بقران غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبى ﷺ أن يترك ذكر المهتم ظاهرا فأنزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى سب الآلهة (وضائق به صدرك) أى فلعلك يضيق صدرك

ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفى رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ يريد إتمام خلق المقادير لا أنه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما امره إذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ٭ قوله سبحانه وتعالى (ليبلوكم) يعنى ليختبركم وهو اعلم بكم منكم (أيكم أحسن عملا) يعنى بطاعة الله واورع عن محارم الله (ولئن قلت) يعنى ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (إنكم مبعوثون من بعد الموت) يعنى للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) يعنون القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) يعنى إلى أجل محدود وأصل الأمة فى اللغة الجماعة من الناس فكانه قال سبحانه وتعالى إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى (ليقولن ما يحبسه) يعنى أى شيء يحبس العذاب وإنما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشيء قال الله عز وجل (ألا يوم يأتيهم) يعنى العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى لا يصرفه عنهم شيء (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤون) يعنى ونزل بهم وبال استهزائهم ٭ قوله سبحانه وتعالى (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) يعنى رخاء وسعة فى الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا (ثم نزعناها منه) يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به (انه ليؤس كفور) يعنى يظل قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور أى جحود لنعمتنا عليه اولا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من امن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فان نزعت عنك فينبغى لك ان تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعنى ولئن نحن انعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعنى الذى اصابه الخير والسعة (ذهب السيئات عنى) يعنى ذهب الشدائد والعسر والضيق وإنما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراءة عليه لأنه لم يضف الأشياء كلها إلى الله وإنما أضافها إلى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال (انه لفرح فخور) أى أنه أشر بطر والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا عليها (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (لهم مغفرة) يعنى لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة ٭ قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) الخطاب للنبى ﷺ بقول الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك أن تبلغه الى من امرك أن تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعنى ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبى ﷺ أن يترك ذكر المهتم ظاهر فانزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى من ذكر المهتم هذا ماذكره المفسرون فى معنى هذه الاية واجمع المسلمون على أنه ﷺ فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الأخبار عن شيء منه بخلاف ماهو به لا خطأ ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه ﷺ بلغ جميع ما انزل الله عليه الى أمته ولم يكتم منه شيئا وأجمعوا على أنه لا يجوز على رسول الله ﷺ حياته فى الوحى والانذار ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول أحد لأن تجويز ذلك يؤدى الى الشك فى أداء الشرائع والتكاليف لأن المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبى ﷺ معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب أن يكون

المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيا آخر سوى ماذكره المفسرون والعلماء من ذلك اجوبة أحدها قال ابن الأنبارى قد علم الله سبحانه وتعالى أن النبى ﷺ لا يترك شيا مما يوحى اليه اشفاقا من موجده احدو غضبه ولكن الله تعالى اكد على رسوله ﷺ فى متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية الثانى أن هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ وتحريضه على أداء ما انزله إليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك فى عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله ﷺ يضيق صدره لذلك وأن يلقى اليهم مالا يقبلونه ويستهزؤون به فأمره الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما اوحى اليه وان لا يلتفت إلى استهزائهم وان تجمل هذا الضرر اهون من كتم شيء من الوحى والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لأن الانسان إذا علم أن كل واحد من طرفى الفعل الترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر فى باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل أن الله سبحانه وتعالى مع علمه بأن رسول الله ﷺ لا يترك شيا من الوحى هيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فعلك تارك بعض ما يوحى إليك أى لعلك تترك ان تنقيه إليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك اى بأن تتلوه عليهم (أن يقولوا) يعنى مخافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كنز) يعنى يستغنى به وينفقه (او جاء معه ملك) يعنى يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن امنة المخزومى والمعنى انهم قالوا لرسول الله ﷺ ان كنت صادقا فى قولك بانك رسول الله الذى تصفه بالقدرة على كل شيء وانت عزيز عنده مع انك فقير فلا انزل عليك ما تستغنى به انت واصحابك وهل انزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فنزول الشبهة فى امرك فأخبر الله عزوجل أنه ﷺ نذير بقوله عزوجل (إنما أنت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشر بالثواب لمن اطاعك وامن بك وصدقك (والله على كل شيء وكيل) يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ اقوالهم واعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة ٥ قوله سبحانه وتعالى (ام يقولون افتراه) يعنى بل يقول كفار مكة اختلقه يعنى ما اوحى اليه من القران (قل) اى قل لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) لما قالوا له افتريت هذا القران واختلقته من نفسك وليس هو من الله تحداهم وارخى لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال ﷺ هبوا إنى اختلقته من عند نفسى ولم يوح إلى شيء وان الامر كما قلتم وانتم عرب مثلى من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة واصحاب اللسان فاتوا انتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون على مثل ما اقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه وتعالى فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فى مقابلة قولهم افتراه ٥ فان قلت قد تحداهم بان ياتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قالوا فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة اعجز ٥ قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم اولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله فى سورة يونس فاتوا بسورة يعنى مثله فى الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وفى قوله سورة هود فاتوا بعشر سور مثله يعنى فى مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام امره بأن يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (إن كنتم صادقين) يعنى فى قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما اشتملت الاية المتقدمة على امرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبى ﷺ وهو قوله سبحانه وتعالى قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات والثانى امر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم اتبعه بقوله تبارك وتعالى فلن لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار فى المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون فى معنى الاية على قولين احدهما انه

(أن يقولوا) أى لان يقولوا (لولا انزل عليه كنز) ينفقه (أو جاء معه ملك) يصدقه قاله عبد الله بن امية المخزومى قال الله تعالى (إنما أنت نذير) ليس عليك إلا البلوغ (والله على كل شيء وكيل) حافظ (ام يقولون افتراه) بل يقولون اختلقه (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فان قيل قد قال فى سورة يونس فاتوا بسورة مثله وقد عجزوا عنه فكيف قال فاتوا بعشر سور فهو كرجل يقول لآخر اعطنى درهما فيعجز فيقول اعطنى عشرة دراهم الجواب قد قيل سورة هود نزلت اولا وانكر المبرد هذا وقال بل نزلت سورة يونس اولا وقال معنى قوله فى سورة يونس فأتوا بسورة مثله اى مثله فى الخبر عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم فى سورة هود إن عجزتم عن الأتيان بسورة مثله فى الأخبار والاحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد وإنما هى مجرد البلاغة (وادعوا من استطعتم) (واستعينوا بمن استطعتم) (من دون الله إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم) يا اصحاب محمد وقيل لفظه جمع والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وحده

خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين وذلك أن النبي ﷺ والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم إليه من المعارضة وعجزوا عنه (فاعلموا أنما انزل بعلم الله) يعني فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين بانه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي ﷺ وحده إنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له ﷺ القول الثاني ان قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الاية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الاية فان لم يستجيبوا لكم ايها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا أنما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو انزله على رسوله ﷺ (وأن لا إله إلا هو) يعني الذي أنزل القران هو الله الذي لا إله إلا هو لا من تدعون من دونه (فهل انتم مسلمون) فيه معنى الامر اى اسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الاية على أنه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل انتم مسلمون الترغيب اى دوموا على ما انتم عليه من الاسلام ٥ قوله عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) يعني بعمله الذي يعمله من اعمال البر نزلت في كل من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل (نوف اليهم اعمالهم فيها) يعني اجور اعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره في الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يبخسون) يعني انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم كاملة موفرة (اولئك الذين ليس لهم في الاخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها) يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الاية فروى قتادة عن انس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى من اهل الشرك اعطي على ذلك اجرا في الدنيا وهو أن يصل رحما او يعطي سائلا او يرحم مضطرا او نحو هذا من اعمال البر فيجعل ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الاخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله اولئك الذين ليس لهم في الاخرة إلا النار الاية وهذه حالة الكافر في الاخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله ﷺ الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حمل على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي ياتي بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الاية هم اهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى اولئك الذين ليس لهم في الاخرة إلا النار لا يليق بحال المؤمن إلا إذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ماروي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه اخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول ﷺ من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها اخرجه ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم الف مرة قيل يارسول الله من يدخله قال القراء المراؤن باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا ان النبي ﷺ قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه بغير سند والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها او ليعتقدوا فيه الصلاح او ليتصدوه بالعطاء فهذا العمل هو الذي لغير الله نعوذ بالله

(فاعلموا) قيل هذا خطاب مع المؤمنين وقيل مع المشركين (إنما أنزل بعلم الله) يعني القرآن وقيل أنزله وفيه علمه (وأن لا إله إلا هو) اى فاعلموا أن لا إله إلا هو (فهل أنتم مسلمون) لفظه استفهام ومعناه أمر اى أسلموا قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا) أي من كان يريد بعمله الحياة الدنيا (وزينتها) نزلت في كل من عمل عملا يريد به غير الله عز وجل (نوف اليهم أعمالهم فيها) اى نوف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبهها (وهم فيها لا يبخسون) أي في الدنيا لا ينقص حظهم (أولئك الذين ليس لهم في الاخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها) أي في الدنيا (وباطل) ما حق (ما كانوا يعملون) اختلفوا في المعنى بهذه الاية فقال مجاهد أهل الرياء وروينا أن النبي ﷺ قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء وقيل هذا في الكفار وأما المؤمن فيريد الدنيا والاخرة وارادته الاخرة غالبة فيجازى بحسناته في الآخرة وروينا عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى به في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الاخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا

قوله تعالى (أفمن كان على بينة) بيان (من ربه) قيل فى الآية حذف ومعناه أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها أو من كان على بينة من ربه كمن هو فى الضلالة والجهالة والمراد بالذى هو على بينة من ربه النبى ﷺ

من الحذلان قال البغوى وقيل هذا فى الكفار يعنى قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أما المؤمن فيريد الدنيا والاخرة وإرادته الاخرة غالبة فيجازى بحسناته فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله ﷺ قال أن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خير أخرجه البغوى بغير سنده قوله سبحانه وتعالى (فمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الاية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر فى هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفمن كان على بينة من ربه أى كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم فى الاخرة إلا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبى ﷺ وأصحابه كمن هو فى ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذى أمر الله به نبيه ﷺ وقيل المراد بالبينة اليقين يعنى أنه على يقين من ربه أنه على الحق (ويتلوه شاهد منه) يعنى ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا فى الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين أنه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبى ﷺ ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبى ﷺ وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبى يعنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنت التالى قال وما معنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت أنى هو ولكنه لسان رسول الله ﷺ ووجه هذا القول أن اللسان لما كان يعرب عما فى الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لأن اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبى ﷺ ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لأن إعجازه وبلاغته وحسن نظامه يشهد للنبى ﷺ بنبوته ولأنه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد ﷺ ووجه هذا القول أن من نظر إلى رسول الله ﷺ بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال على بن أبى طالب ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الاية والايتان فقال له رجل وأنت اى آية نزلت فيك فقال على ما تقرأ الاية التى فى هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن أبى طالب وقوله يعنى من رسول الله ﷺ والمراد تشريف هذا الشاهد وهو على لاتصاله بالرسول ﷺ وقيل يتلوه شاهد منه يعنى الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى أن الإنجيل يتلوا القران فى التصديق بنبوة محمد ﷺ والأمر بالإيمان به وإن كان قد نزل قبل القران ٥ وقوله سبحانه وتعالى (ومن قبله) يعنى ومن قبل نزول القران وإرسال محمد ﷺ (كتاب موسى) يعنى التوراة (إماما ورحمة) يعنى أنه كان إماما لهم يرجعون إليه فى أمور الدين والأحكام والشرائع وكونه رحمة لأنه الهادى من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى (أولئك يؤمنون به) يعنى أن الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم هم المشار إليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعنى بمحمد ﷺ وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعنى بمحمد ﷺ (من الأحزاب) يعنى من جميع الكفار وأصحاب الأديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الأنبياء (فالنار موعده) يعنى فى الاخرة روى البغوى بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه فى

(ويتلوه شاهد منه) أى يتبعه من يشهد له بصدقة واختلفوا فى هذا الشاهد فقال ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر أهل التفسير أنه جبريل عليه السلام وقال الحسن وقتادة هو لسان رسول الله ﷺ وروى ابن جريج عن مجاهد قال هو ملك يحفظه ويسدده وقال الحسين بن الفضل هو القرآن ونظمه وإعجازه وقيل هو على بن أبى طالب رضى الله عنه قال على ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من القران فقال له رجل وانت أى شىء نزل فيك قال ويتلوه شاهد منه وقيل شاهد منه هو الانجيل (ومن قبله) أى ومن قبل مجىء محمد ﷺ وقيل من قبل نزول القران (كتاب موسى) أى كان كتاب موسى (إماما ورحمة) لمن اتبعها يعنى التوراة وهى مصدقة للقران شاهدة للنبى ﷺ (أولئك يؤمنون به) يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب (ومن يكفر به) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقران (من الأحزاب) من الكفار من أهل الملل

كلها (فالنار موعده) أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى أبا أبو طاهر الزيادى أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمى أنا عبد الرازق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى احد من هذه

الامة ولايهودى ولانصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار قوله تعالى (فلاتك فى مرية منه) أى فى شك منه (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لايؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم أن له ولدا أو شريكا اى لااحد أظلم منه (اولئك) يعنى الكاذبين والمكذبين (يعرضون على ربهم) (١٨٤) فيسألهم عن اعمالهم (ويقول الاشهاد) يعنى الملائكة الذين كانوا يحفظون اعمالهم

قاله مجاهد وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو قول الضحاك وقال قتادة الخلائق كلهم وروينا عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم اى رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه قد هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله) يمنعون عن دين الله (ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون واولئك لم يكونوا معجزين) قال ابن عباس سابقين قال قتادة هاربين وقال مقاتل فائتين (فى الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يعنى انصارا أو اعوانا يحفظونهم من عذابنا (يضاعف لهم العذاب (اى يزاد فى عذابهم قيل يضاعف العذاب عليهم لاضلالهم الغير واقتداء الاتباع بهم قرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف مشددة خير العين بغير الف وقرا الباقون يضاعف بالالف مخففة العين (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) الهدى قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعونه وما كانوا يبصرون الهدى قال ابن عباس رضى الله عنهما اخبر الله عز وجل انه حال بين اهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا قال ما كانوا يستطيعون السمع وهو طاعته وفى الاخرة قال فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم

كتاب الله عز وجل حتى بلغنى هذا الحديث لا يسمع بى احد من هذه الأمة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا فى كتاب الله حتى اتيت على هذه الاية ومن قبله كتاب موسى إلى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب اهل الملل كلها ثم قال سبحانه وتعالى (فلاتك فى مرية منه انه الحق من ربك) فيه قولان احدهما ان معناه فلاتك فى شك من صحة هذا الدين ومن كون القران نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى ام يقولون ان افتراه والقول الثانى انه راجع إلى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده يعنى فلاتك فى شك من ان النار موعد من كفر من الأحزاب والخطاب فى قوله فلاتك فى مرية للنبى ﷺ والمراد به غيره لأن النبى ﷺ لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) يعنى لايصدقون بما اوحينا إليك اومن ان موعد الكفار النار قوله عز وجل (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى اى الناس اشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا وولدا وفى الاية دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ورد فى معرض المبالغة (اولئك) يعنى المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعنى يوم القيامة فيسألهم عن اعمالهم فى الدنيا (ويقول الاشهاد) يعنى الملائكة الذين يحفظون اعمال بنى ادم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) (يعنى فى الدنيا وهذه الفضيحة تكون فى الاخرة لكل من كذب على الله (الا لعنة الله على الظالمين) يعنى يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز المازنى قال بينا ابن عمر يطوف بالبيت إذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرنى ما سمعت من رسول الله ﷺ فى النجوى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وانا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفى رواية فينادى بهم على رؤوس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعنى يمنعون الناس من الدخول فى دين الله الذى هو دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعنى ويطلبون لها الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الإسلام وهم بالاخرة هم كافرون) يعنى وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت وينكرونه (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (لم يكونوا معجزين فى الارض) قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين فى الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله إذا ارادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه إذا طلبهم (وما كان لهم من دون الله اولياء) يعنى وما كان لهؤلاء المشركين من انصار يمنعونهم من دون الله إذا ارادهم سوأ او عذابا (يضاعف لهم العذاب) يعنى فى الاخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وإنكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) قال قتادة صموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون

(أولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يزعمون من شفاعة الملائكة والأصنام (لاجرم) أى حقا وقيل بلى وقال الفراء لامحالة (أنهم فى الآخرة هم الاخسرون) يعنى من غيرهم وإن كان الكل فى الخسار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا) قال ابن عباس خافوا وقال قتادة اتابوا وقال مجاهد اطمانوا وقيل خشعوا وقوله (إلى ربهم) أى لربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين) المؤمن والكافر (كالاعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا) قال الفراء لم يقل هل يستوون لأن الأعمى والأصم فى حيز كانهما واحد لانهما من وصف الكافر والبصير والسميع فى حيز كانهما واحد لانهما من وصف المؤمن (أفلا تذكرون) أى تتعظون قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه انى لكم نذير مبين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ويعقوب أنى بفتح الهمزة أى بأنى وقرأ الباقون بكسرها أى فقال انى لأن فى الارسال معنى القول انى لكم نذير مبين (ان لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم اليم) أى مؤلم قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل بعث

خيرا فيأخذون به وقال ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون واما فى الاخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعنى أن هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملائكة والأصنام تشفع لهم (لاجرم) يعنى حقا وقال الفراء لامحالة (أنهم فى الاخرة هم الأخسرون) لأنهم باعوا منازلهم فى الجنة واشتروا عوضها منازل من النار وهذا هو الخسران المبين * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا إلى ربهم) لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار فى الدنيا وخسرانهم فى الاخرا تبعه بذكر أحوال المؤمنين فى الدنيا وربحهم فى الاخرة والاخبات فى اللغة هو الخشوع والخضوع وطمانينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت اخبت فلان كذا فمعناه اطمأن اليه وإذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة إلى جميع أعمال الجوارح وقوله واخبتوا إشارة إلى أعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله عز وجل يعنى ان هذه الأعمال الصالحة لا تنفع فى الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهى والخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالأعمال الصالحة مطمئنين إلى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك مطمئنين إلى ذكر الله سبحانه وتعالى وإذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع (أولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) اخبر عن حالهم فى الاخرة بأنهم من أهل الجنة لا انقطاع لنعيمها ولا زال * قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعنى فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالأعمى وهو الذى لا يهتدى لرشده والأصم وهو الذى لا يسمع شيئا البتة والبصير وهو الذى يبصر الأشياء على ماهيتها والسميع وهو الذى يسمع الأصوات ويجيب الداعى فمثل المؤمنين كمثل الذى يسمع ويبصر وهو الكامل فى نفسه ومثل الكافر كمثل الذى لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص فى نفسه (هل يستويان مثلا) قال الفراء لم يقل هل يستوون لأن الأعمى والأصم فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن (أفلا تذكرون) يعنى فتتعظون * قوله عز وجل (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين) يعنى ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم انى لكم أيها القوم نذير مبين يعنى بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى (أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم اليم) يعنى مؤلم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا واربعمائة وخمسين سنة (فقال الملا الذين كفروا من قومه) يعنى الاشراف والرؤساء من قوم نوح (ما نراك) يا نوح (الا بشرا مثلنا) يعنى آدميا مثلنا لا فضل لك علينا لأن التفاوت الحاصل بين احاد البشر يمتنع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم

وهو ابن خمسين سنة وقيل بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة قال الله تعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما اى فلبث فيهم داعيا (فقال الملا الذين كفروا من قومه) والملاهم الاشراف والرؤساء (ما نراك) يا نوح (الا بشرا) آدميا (مثلنا

وما نراك اتبعك إلا الذين هم اراذلنا) سفلتنا والرذل الدون من كل شيء والجمع ارذل ثم يجمعهم على أراذل مثل كلب وأكلب وكالب وقال في سورة الشعراء واتبعك الارذلون يعني السفلة وقال عكرمة الحاكة والاساكفة (بادي الرأي) قرأ أبو عمرو بادي بالهمز أي أول الرأي يريدون أنهم اتبعوك في أول الرأي (١٨٦) من غير روية وتفكر ولو تفكروا لم يتبعوك وقرأ الاخرون بغير همز أي ظاهر الرأي

من قولهم بدا الشيء اذا ظهر معناه اتبعوك ظاهرا من غير ان يتدبروا ويتفكروا باطنا قال مجاهد رأي العين (وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال) نوح (ياقوم ارايتم ان كنت على بينة) بيان (من ربي وآتاني رحمة) اي هدى ومعرفة (من عنده فعميت عليكم) اي خفيت والتبست عليكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم اي شبهت ولبست عليكم (أنلزمكموها) اي انلزمكم البينة والرحمة (وأنتم لها كارهون) لا تريدونها قال قتادة لو قدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ان يلزموا قومهم لالزموا ولكن لم يقدروا قوله (ويا قوم لا اسألكم عليه مالا) اي على الوحي وتبليغ الرسالة كناية عن غير مذكور (ان اجري) ما ثوابي (الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا) هذا دليل على انهم طلبوا منه طرد المؤمنين (انهم ملاقوا ربهم) اي صائرون إلى ربهم في المعاد فيجزي من طردهم

وإنما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لأن من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدعوة إلى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يأتي ذلك إلا من أحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله إلى عباده ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح (وما نراك اتبعك إلا الذين هم اراذلنا) يعني سفلتنا والرذل الدون من كل شيء قيل هم الحاكة والاساكفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وإنما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لأن الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الحاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صناعتهم إذا حسنت سيرتهم في الدين (بادي الرأي) يعني أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأي يعني أنهم اتبعوك ظاهرا من غير أن يتفكروا باطنا (وما نرى لكم علينا من فضل) يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لأن الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل نظنكم كاذبين) قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعني نوحا (ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذركم به (وآتاني رحمة من عنده) يعني هديا ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم) يعني خفيت والبست عليكم (أنلزمكموها) الهاء عائدة إلى الرحمة والمعنى انلزمكم أيها القوم قبول الرحمة يعني أنا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند أنفسنا (وأنتم لها كارهون) وهذا استفهام معناه الانكار أي لا أقدر على ذلك والذي أقدر عليه أن ادعوكم إلى الله وليس لي أن اضطركم إلى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك (ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا) يعني لا أسألكم ولا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا (إن اجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) وذلك أنهم طلبوا من نوح أن يطرد الذين آمنوا وهم الأرذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لأنهم يعتقدون (أنهم ملاقوا ربهم) فلا اطردهم (ولكني اراكم قوما تجهلون) يعني عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه أنكم تجهلون أن هؤلاء المؤمنين خير منكم (ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم) يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم عني لأنهم مؤمنون مخلصون (أفلا تذكرون) يعني فتتعظون (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) هذا عطف على قوله لا اسألكم عليه مالا والمعنى لا اسألكم عليه مالا ولا اقول لكم عندي خزائن الله يعني التي لا يفنيها شيء فادعوكم إلى اتباعي عليها لأعطيكم منها وقال ابن الانباري الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطو عن الخلق وإنما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لأنهم قالوا وما نراك اتبعك إلا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وادعوا ان المؤمنين انما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا اقول لكم عندي خزائن الله التي يعلم منها ما ينطوي عليه عباده وما يظهرونه إلا هو وانما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الأول اولى ليحصل الفرق بين قوله ولا اقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله (ولا اعلم الغيب) يعني ولا ادعي علم ما يغيب عني مما يسرونه في نفوسهم فسبيل قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمائرهم الا الله (ولا اقول اني ملك) وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اي لا ادعي اني من الملائكة بل انا بشر مثلكم ادعوكم الى ما ابلغكم ما ارسلت به اليكم ﴿فصل﴾ استدل بعضهم بهذه الاية على تفضيل الملائكة على الأنبياء قال لأن نوحا عليه السلام قال ولا اقول اني ملك لأن الإنسان اذا قال انا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشيء اشرف وافضل

(ولكني اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله) من يمنعني من عذاب الله (ان طردتهم افلا تذكرون) تتعظون احوال (ولا اقول لكم عندي خزائن الله) فاتي منها ما تطلبون (ولا اعلم الغيب) فاخبركم بما تريدون وقيل انهم لما قالوا لنوح ان الذين آمنوا بك انما اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم قال نوح مجيبا لهم لا اقول لكم عندي خزائن غيوب الله التي يعلم منها ما يضمر الناس ولا اعلم الغيب فاعلم ما يسرونه في نفوسهم فسبيلي قبول ما ظهر من ايمانهم (ولا أقول اني ملك) هذا جواب قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا

(ولا أقول للذين تزدري أعينكم) أي تحتقرهم وتستصغرهم أعينكم يعني المؤمنين وذلك أنهم قالوا هم أراذلنا (لن يؤتيهم الله خيراً) أي توفيقاً وإيماناً وأجراً (الله أعلم بما في أنفسهم) من الخير والشر مني (إني إذاً لمن الظالمين) لو قلت هذا (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء) يعني بالعذاب (وما أنتم بمعجزين) بفائتين (ولا ينفعكم نصحي) أي نصيحتي (إن أردت أن أنصح لكم إن كان يريد أن يغويكم) يضلكم (هو ربكم) (١٨٧) له الحكم والأمر (وإليه ترجعون) فيجزيكم بأعمالكم (أم يقولون افتراه) قال ابن عباس رضي الله عنه يعني نوحاً عليه السلام وقال مقاتل يعني محمداً ﷺ (قل إن افتريته فعلي إجرامي) أي إثمي ووبال جرمي والإجرام كسب الذنب (وأنا بريء مما تجرمون) لا أؤاخذ بذنوبكم قوله تعالى (وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) روى الضحاك عن ابن عباس أن قوم نوح عليه السلام كانوا يضربون نوحاً حتى يسقط فيلقونه في لبد ويلقونه في قعر بيت يظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله عز وجل روي أن شيخاً منهم جاء متوكئاً على عصى ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال له يا أبت أمكني من العصى فأخذ العصى من أبيه فضرب نوحاً حتى شجه شجة منكرة فأوحى الله عز وجل إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) فأني مهلكهم ولا منقذ منهم حينئذ دعا نوح

من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب أن نوحاً عليه السلام إنما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا لما كان في ظنهم أن الرسل لا يكونون من البشر إنما يكونون من الملائكة فأعلمهم أن هذا ظن باطل وأن الرسل إلى البشر إنما يكونون من البشر فلهذا قال سبحانه وتعالى ولا أقول إني ملك ولم يرد أن درجة الملائكة أفضل من درجة الأنبياء والله أعلم * وقوله سبحانه وتعالى (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) يعني تحتقر وتستصغر أعينكم يعني المؤمنين وذلك لما قالوا أنهم أراذلنا من الرزالة وهي الخسة (لن يؤتيهم الله خيراً) يعني توفيقاً وهداية وإيماناً وأجراً (الله أعلم بما في أنفسهم) يعني من الخير والشر (إني إذاً لمن الظالمين) يعني أن طردتهم مكذباً لظاهرهم ومبطلاً لإيمانهم يعني إن فعلت هذا فأكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فأنا من الظالمين (قالوا يا نوح قد جادلتنا) يعني خاصمتنا (فأكثرت جدالنا) يعني خصومتنا (فأتنا بما تعدنا) يعني من العذاب (إن كنت من الصادقين) يعني في دعواك أنك من عند الله إلينا (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء) يعني قال نوح لقومه حين استعجلوه بإنزال العذاب ان ذلك ليس إلي إنما هو الى الله ينزله متى شاء على من يشاء إن أراد انزال العذاب بكم (وما أنتم بمعجزين) يعني وما أنتم بفائتين ان اراد الله نزول العذاب بكم (ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم) يعني ولا ينفعكم إنذاري وتحذيري إياكم عقوبته ونزول العذاب بكم (ان كان الله يريد ان يغويكم) يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى ليس بتفسير لأن الاغواء يؤدي الى الهلاك (هو ربكم) يعني انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه (وإليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم (أم يقولون افتراه) اي اختلقه جاء به من عند نفسه والضمير يعود إلى الوحي الذي جاءهم به (قل ان افتريته) اي اختلقته (فعلي إجرامي) اي اثم إجرامي والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم واجرم بمعنى أنه اكتسب الذنب وافتعله (وأنا بريء مما تجرمون) يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح قومه فهي من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمد ﷺ واختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الاية معترضة في قصة نوح ثم رجع إلى القصة فقال سبحانه وتعالى (وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله ويروى أن شيخا منهم جاء متكئا على عصا ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبت أمكني من العصا فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (فلا تبتئس) يعني فلا تحزن عليهم إني مهلكهم (بما كانوا يفعلون) يعني بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن عمير الليثي أنه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان انحس من الذي قبله ولقد كان يأتي القرن الاخر فيقول قد كان هذا الشيخ مع اباءنا وأجدادنا هكذا مجنونا

عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبيد بن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى إذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان اخبث من الذي قبله حتى ان كان الاخر منهم يقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا فشكا الى الله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا إلى ان قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله تعالى إليه

(واصنع الفلك بأعيننا) قال ابن عباس بمرأى منا وقال مقاتل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) أي بأمرنا (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) بالطوفان قيل معناه لا تخاطبني في إهمال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وفي القصة ان جبريل اتى نوحا عليه السلام فقال ان ربك عز وجل يأمرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنع ولست بنجار فقال ان ربك يقول اصنع فانك بعيني فأخذ القدوم وجعل يصنع ولا يخطىء وقيل أوحى الله إليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر قوله تعالى (ويصنع الفلك) فلما امره الله تعالى ان يصنع الفلك اتبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيىء عدة الفلك من القار وغيره وجعل قومه (١٨٨) يمرون به وهو في عمله ويسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله ارحام نسائهم فلا يولد لهم ولد وزعم اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يصنعه من ازور وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع إلى المنكب وان يجعله ثلاثة أطباق سفلي ووسطى وعليا ويجعل فيه كوى ففعله نوح كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وقال قتادة كان بابها في عرضها وروي عن الحسن

فلا يقبلون منه شيئا فشكا نوح إلى الله عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه (واصنع الفلك) يعني السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (بأعيننا) قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) يعني بأمرنا (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) يعني بالطوفان والمعنى لا تخاطبني في إمهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له إن ربك يأمرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول اصنع فانك بأعيننا فاخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطىء فصنعها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (ويصنع الفلك) يعني كما امره الله سبحانه وتعالى قال اهل السير لما امر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة اقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيىء القار وكل ما يحتاج إليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع إلى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلي ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى ففعله نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الثاني الاوسط الدواب والانعام وركب ومن معه في البطن الاعلى وجعل ما يحتاج إليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفا وماتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول اشهر وهو ان طولها ثلثمائة ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة ثلاثين سنة وروى أنها ثلاثة أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح عليه السلام ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفار فأقبلوا على الروث فأكلوه فلما أفسد الفار في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله سبحانه وتعالى ان اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخريه سنور وسنورة وهي القطة والقط فأقبلا على الفار فأكلاه * قوله سبحانه وتعالى (وكلما مر عليه ملأ من قومه) اي جماعة من قومه (سخروا منه) يعني استهزؤا به وذلك انهم قالوا ان هذا كان يزعم انه نبي قد صار نجارا

كان طولها ألفا وماتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والمعروف هو الأول ان طولها ثلثمائة ذراع وعن زيد بن أسلم قال مكث نوح وقيل عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة سنة يعمل الفلك وقيل غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة وعن كعب الأحبار ان نوحا عمل السفينة في ثلاثين سنة وروى أنها كانت ثلاث طبقات الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى فيها للانس والطبقة العليا فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب شكا ذلك إلى الله عز وجل فأوحى الله الى نوح ان اغمز الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه فلما وقع الفار بجوف السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله تعالى إليه ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار فأكلاه قوله تعالى (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) وذلك انهم كانوا يقولون ان هذا الذي يزعم انه نبي قد صار نجارا وروى انهم كانوا يقولون له يا نوح ماذا تصنع فيقول اصنع بيتا يمشي على الماء فيضحكون منه

(قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم) اذا عاينتم عذاب الله (كما تسخرون) فان قيل كيف تجوز السخرية من النبي قيل هذا على ازدواج الكلام يعني ان تستجهلونى فانى استجهلكم إذا نزل العذاب بكم وقيل معناه ان تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يهينه (ويحل عليه) يجب عليه (عذاب مقيم) دائم (حتى إذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التنور) اختلفوا فى التنور قال عكرمة والزهرى هو وجه الأرض وذلك انه قيل لنوح إذا رأيت الماء فاروجه الارض فاركب (١٨٩) السفينة وروى عن على رضى الله عنه انه قال فار التنور الصبح طلع الفجر و نور الصبح وقال الحسن ومجاهد والشعبى انه التنور الذى يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عطية عن ابن عباس قال الحسن كان تنورا من حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار إلى نوح عليه السلام فقيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب السفينة انت واصحابك واختلفوا فى موضعه قال مجاهد والشعبى كان فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء منه علما لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك تنور ادم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند والفوران الغليان قوله تعالى (قلنا احمل فيها) اى فى السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر يقال لكل واحد منهما زوج يقال زوج خف وزوج نعل والمراد بالزوجين هنا الذكر والانثى قرأ حفص ههنا وفى سورة المؤمنين من كل بالتنوين اى من كل صنف زوجين اثنين ذكره تاكيداً وفى القصة ان نوحا عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه الوحوش والسباع والهوام والطير فجعل يضرب بيديه فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فيحملها فى السفينة (واهلك) اى واحمل اهلك أى ولدك وعيالك (إلا من سبق عليه القول) بالهلاك يعنى امرأته واعلة وابنه كنعان (ومن امن) يعنى من امن بك كما قال الله تعالى

وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قال أصنع بيتا يمشى على الماء فضحكوا منه (قال) يعنى نوحا لقومه (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) يعنى ان تستجهلونا فى ضعفنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه * فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * قلت إنما سمى هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج فى مشاكلة الكلام كما فى قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا إذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون) يعنى فسترون (من يأتيه) يعنى اينا يأتيه نحن أو أنتم (عذاب يخزيه) يعنى يهينه (ويحل عليه عذاب مقيم) يعنى فى الاخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثانى عذاب الاخرة وهو عذاب النار الذى لا انقطاع له * قوله عز وجل (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) يعنى وغلى والفور الغليان وفارت القدر إذا غلت والتنور فارسى معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء فى القرآن بهذا اللفظ خوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربى وعجمى وقيل ان لفظ التنور أصله أعجمى فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا فى المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام إذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الأمر العظيم وقال على فار التنور أى طلع الفجر و نور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبى ان التنور هو الذى يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس أيضا وهذا القول أصح لأن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة فى اسم الموضع الذى يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه * فان قلت الألف واللام فى لفظ التنور للعهد وليس ههنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الأمر والمعنى إذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك * قلت لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار إلى نوح وقيل له إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت وأصحابك واختلفوا فى موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته وكان ذلك فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف بالله ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة قال الشعبى اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور ادم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان (قلنا احمل فيها) يعنى قلنا لنوح احمل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنان لا يستغنى احدهما عن الآخر كالذكر والأنثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه فى كل جنس منها فيقع الذكر فى يده اليمنى والأنثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة (وأهلك) أى واحمل أهلك وولدك وعيالك (إلا من سبق عليه القول) يعنى بالهلاك وأراد به امرأته واعلة وولده كنعان (ومن امن) يعنى واحمل

(وما آمن معه إلا قليل) واختلفوا في عددهم قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة إلا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن إسحق كانوا عشرة سوى نسائهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وبنيه الثلاثة ونسائهم فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان سفينة نوح ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم (١٩٠) فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس رضي الله عنها أول ماحمل نوح الذرة وآخر ماحمل الحمار فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس بذنبه فلم يستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فهمض فلم تستطع حتى قال نوح ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك علي يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله فقال مالك بد من أن تحملني معك فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا احملنا فقال انكما سبب الضرر والبلاء فلا أحملكما فقالتا له احملنا ونحن نضمن لك ان لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين ماضرتاه قال الحسن لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد ويبيض فأما ما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض والذباب فلم يحمل منها شيئا * قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة (بسم الله مجريها ومرساها) أنه

معك من امن بك من قومك (وما امن معه إلا قليل) اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة إلا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الأعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر امنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم قال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما امن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقلة ولم يحدد عددا بمقدار فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى إذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله ﷺ قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ماحمل نوح الذرة وآخر ماحمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه فلم تثقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك خل سبيلي الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك علي يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال لا بد من أن تحملني معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي وقال الامام فخر الدين الرازي وأما الذي يروى ان إبليس دخل السفينة فبعيد لأنه من الجن وهو جسم ناري أو هوائي فكيف يفر من الغرق وأيضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروى عن بعضهم أن الحية والعقرب اتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال إنكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ولا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة إلا ما يلد ويبيض وأما سوى ذلك مما يتولد من الطين حشرات الارض كالبق والبعوض والذباب فلم يحمل منها شيئا * قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة (بسم الله مجريها ومرساها) (ان ربي لغفور رحيم) يعني بسم الله إجراؤها وإرساؤها قال الضحاك قال نوح إذا أراد أن تجري السفينة قال بسم الله فتجري وكان إذا أراد أن ترسو يعني تقف قال بسم الله فترسوا أي تقف وهذا تعليم من الله لعباده أنه من أراد أمرا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح في سائر الأمور (وهي تجري بهم في موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الأرض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني صار الماء نصفا من السماء ونصفا من الأرض وارتفع الماء على أعلى جبل وطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شيء وروى

كالبق والبعوض والذباب فلم يحمل منها شيء (وقال اركبوا فيها) أي وقال لهم نوح اركبوا فيها أي في السفينة (بسم الله مجريها ومرساها) قرأ حمزة والكسائي وحفص مجريها بفتح الميم ومرساها بضمها وقرأ محمد بن محيص مجريها ومرساها بفتح الميمين من جرت ورست أي بسم الله جريها ورسوها وهما مصدران وقرأ الآخرون مجراها ومرساها بضم الميمين من اجريت وارسيت اي بسم الله اجراؤها وإرساؤها وهما ايضا مصدران كقوله انزلني منزلا مباركا وادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والمراد منها الانزال والادخال والاخراج (إن ربي لغفور رحيم) قال الضحاك قال نوح إذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله جرت وإذا اراد ان يرسو قال بسم الله رست (وهي تجري بهم في موج كالجبال) واللوح ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمته وارتفاعه على الماء.

ونادى نوح ابنه) كنعان وقال عبيد بن عمير سام وكان كافرا (وكان فى معزل) عنه لم يركب السفينة (يا بنى اركب معنا) قرأ نافع وابن عامر وحمزة والبزى عن ابن كثير وأبو بكر عن عاصم ويعقوب اركب باظهار الباء والاخرون يدغمونها فى الميم (ولا تكن مع الكافرين) فتهلك (قال) له ابنه (سآوى) سأصير وألتجىء (إلى جبل يعصمنى من الماء) يمنعنى من الغرق (قال) له نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله) اى من عذاب الله (إلا من رحم) قيل من فى محل الرفع أى لا مانع من عذاب الله إلا الله الراحم وقيل من فى محل النصب معناه لا معصوم إلا من رحمة الله كقوله فى عيشة راضية اى مرضية (وحال بينهما الموج فكان) فصار (من المغرقين) ويروى ان الماء علا على رؤس الجبال قدر

انه لما كثر الماء فى السكك خافت ام الصبى على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء إلى رقبتها رفعت الصبى بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم احد الرحم ام الصبى (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافرا (وكان فى معزل) يعنى عن نوح لم يركب معه (يا بنى اركب معنا) يعنى فى السفينة (ولا تكن مع الكافرين) يعنى فتهلك معهم (قال) يعنى قال كنعان (سآوى) يعنى سألتجىء واصير (إلى جبل يعصمنى) يعنى يمنعنى (من الماء قال) يعنى قال له نوح (لا عاصم) يعنى لا مانع (اليوم من امر الله) يعنى من عذابه (إلا من رحم) يعنى إلا من رحمه الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) يعنى كنعان (وقيل) يعنى بعدما تناهى الطوفان واغرق الله قوم نوح (يا ارض ابلعى ماءك) اى اشربيه (ويا سماء أقلعى) اى امسكى (وغيض الماء) اى نقص ونضب يقال غاض الماء إذا نقص وذهب (وقضى الأمر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) يعنى هلاكا (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون فى منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التى فى عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تألف البيوت وروى ان نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقى موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل ابى قبيس وهبط نوح ومن معه فى السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهى اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل إلى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج إلى خشب ساج لأجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشام إلى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك. فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الأطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم * قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك ايضا اهلاك أطفال الامم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافى عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون. قوله عز وجل (ونادى نوح ربه) اى دعاه وسأله (فقال رب ان ابنى من اهلى) يعنى وقد وعدتنى ان تنجينى واهلى (وإن وعدك الحق) يعنى الصدق الذى لا خلف فيه (وانت احكم الحاكمين)

أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا ويروى انه لما كثر الماء فى السكك خشيت ام الصبى عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبى بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحدا لرحم ام الصبى (وقيل) يعنى بعدما تناهى أمر الطوفان (يا أرض ابلعى) تشربى (ماءك ويا سماء اقلعى) امسكى (وغيض الماء) نقص ونضب يقال غاض الماء يغيض غيضا إذا نقص وغاضه الله أى انقصه (وقضى الأمر) فرغ من الامر وهو هلاك القوم (واستوت) يعنى السفينة استقرت (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) هلاكا (للقوم الظالمين) وروى ان نوحا عليه السلام بعث الغراب ليأتيه بخبر الأرض فوقع على جيفة فلم يرجع فبعث حمامة فجاءت بورق زيتون فى منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد نضب فقيل انه دعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة الخضرة التى فى عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تألف البيوت وروى ان نوحا ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق وبقى موضعه وهبطوا به يوم عاشوراء فصام نوح وامر جميع من معه بالصوم شكرا لله عز وجل وقيل ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء إلى حجزته وكان سبب نجاته ان نوحا احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج اليه من الشام فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك قوله تعالى (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى) اوقد وعدتنى ان تنجينى واهلى (وإن وعدك الحق) لا خلف فيه (وانت احكم الحاكمين) حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك

يعنى أنك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك (قال) يعنى قال الله تعالى (يانوح انه) يعنى هذا الابن الذى سألتنى نجاته (ليس من أهلك) اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من اهلى ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا هو القول الصحيح والقولان الأولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امرأة نبى قط ولأن الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح عليه السلام أيضا نص عليه بقوله يابنى اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة ولا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لأنه استبعد أن يكون ولد نبى كافر وهذا خطأ ممن قاله لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريق فى الجنة وهم المؤمنون وفريق فى السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق فى ذلك بين الأنبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبى وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم من صلب آزر وهو نبى وكان آزر كافرا فكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبى فهو المتصرف فى خلقه كيف يشاء * فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير انه يعلم كفره إنما حمله على أن ناداه رقة الأبوة ولعله إذا رأى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فأجابه الله عزوجل بقوله انه ليس من اهلك يعنى انه ليس من فعل دينك لأن اهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب او دين أو يجرى مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب فى كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح انه ليس فى أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائى ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياى ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لأن طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح يجوز أن يعود الضمير فى انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء * فانما هى اقبال وادبار * قال الواحدى وهذا قول ابى اسحق يعنى الزجاج وابى بكر بن الانبارى وابى على الفارسى قال ابو على ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان إذا كثر منه فعلى هذا لا حذف (فلا تسألن ما ليس لك به علم) وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه إنجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم أن ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألنى ما ليس لك به علم بجواز مسئلته (انى اعظك) يعنى انهاك (ان تكون من الجاهلين) يعنى لمثل هذا السؤال (قال) يعنى قال نوح (رب انى أعوذ بك) يعنى ألجأ اليك واعتذر اليك (ان اسألك ما ليس لى به علم) يعنى انك انت علام الغيوب وأنا لا اعلم ما غاب عنى فاعتذر اليك من مسئلتى ما ليس لى به علم (وإلا تغفر لى) يعنى جهلى وإقدامى على سؤال ما ليس لى به علم (وترحمنى) يعنى برحمتك التى وسعت كل شىء (اكن من الخاسرين) ﴿ فصل وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الأنبياء ﴾ وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محظور فنهاه عنه بقوله فلا تسألنى ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى أعظك ان تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد

(قال) الله عز وجل (يانوح أنه ليس من هلك انه عمل غير صالح) أقرأ الكسائى ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بنصب الراء على الفعل أى عمل الشرك والتكذيب وقرأ الاخرون بفتح الميم ورفع اللام وتنوينه غير برفع الراء معناه ان سؤالك إياى ان انجيه عمل غير صالح (فلا تسألن) يانوح (ما ليس لك به علم) قرأ اهل الحجاز والشام فلا تسألنى بفتح اللام وتشديد النون ويكسرون النون غير ابن كثير فانه يفتحها وقرأ الاخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة ويثبت ابو جعفر وأبو عمرو وورش الياء فى الوصل دون الوقف واثبتها يعقوب فى الحالين (إنى أعظك ان تكون من الجاهلين) واختلفوا فى هذا الاين قال مجاهد والحسن كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم بذلك نوح ولذلك قال ما ليس لك به علم وقرأ الحسن فخانتاهما وقال أبو جعفر الباقر كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح ولذلك قال من اهلى ولم يقل منى وقال ابن سعيد وعكرمة وسعيد ابن جبير والضحاك والاكثرون انه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه وقال ابن عباس ما بغت امرأة نبى قط وقوله انه ليس من اهلك أى من اهل دينك لانه كان مخالفا لنوح فى الدين وقوله فخانتاهما اى فى الدين والعمل لا فى الفراش وقوله انى أعظك ان تكون من الجاهلين يعنى تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر (قال) نوح (رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين) وطلب

قيل يا نوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام منا) أى بأمن وسلامة منا (وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ومنه بروك البعير وقيل البركة ههنا هى أن الله تعالى جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيامة (وعلى أمم ممن معك) أى على ذرية أمم ممن كان معك فى السفينة يعنى على قرون تجىء بعدك من ذرية من معك فى السفينة يعنى من ولدك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة (وأمم سنمتعهم) هذا ابتداء أى أمم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب أليم) وهم الكافرون وأهل الشقاوة (تلك من أنباء الغيب) من أخبار الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) من قبل نزول القران (فاصبر) على القيام بامر الله وتبليغ الرسالة وما تلقى من أذى الكفار كما صبر نوح (إن العاقبة) آخر الأمر بالسعادة والنصرة (للمتقين) لاهل التقوى قوله تعالى (وإلى عاد) أى وأرسلنا إلى عاد (اخاهم هودا) فى النسب لا فى الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من إله غيره إن انتم إلا مفترون) ما انتم فى إشراككم إلا كاذبون (ياقوم لا اسئلكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (أجرا) جعلا (إن اجرى) ماثوابى (إلا على الذى فطرنى) خلقنى (افلا تعقلون وياقوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به فالاستغفار ههنا بمعنى الايمان (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) اى يرسل المطر عليكم متتابعا مرة بعد أخرى فى أوقات الحاجة (ويزدكم قوة إلى قوتكم) أى شدة مع شدتكم وذلك أن الله عز وجل حبس عنهم المطر ثلاث سنين وأعقم أرحام نسائهم فلم يلدن فقال لهم هود عليه السلام إن آمنتم أرسل الله عليكم المطر فتزدادون مالا وبنين وأرحام الامهات إلى ما كانت فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد قيل تزدادون قوة فى الدين إلى قوتكم فى البدن

وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك فى وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من أهله الذى وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح واعلمه الله سبحانه وتعالى انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من إقدامه على سؤال ربه فلم يؤذن له فيه فيخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ إلى ربه عز وجل وخشع له وعاد به وسأل المغفرة والرحمة لأن حسنات الابرار سيئات المقربين وليس فى الايات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله وإقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم * قوله سبحانه وتعالى (قيل يا نوح اهبط) اى انزل السفينة او من الجبل إلى الارض (بسلام) اى بامن وعلامة (منا وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيامة فكل العالم من ذرية اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه فى السفينة غيرهم (وعلى امم ممن معك) يعنى وعلى ذرية امم ممن كانوا معك فى السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجىء ممن يعدك من ذرية اولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فى هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة (وامم سنمتعهم) هذا ابتداء كلام أى وأمم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم يعنى فى الدنيا إلى منتهى اجالهم (ثم يمسهم منا عذاب أليم) يعنى فى الاخرة (تلك من انباء الغيب) هذا خطاب للنبى ﷺ يعنى ان هذه القصة التى اخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أنباء الغيب يعنى من اخبار الغيب (نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) يعنى من قبل نزول القران عليك فان قلت إن قصة نوح كانت مشهورة معروفة فى العالم فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها بجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب اخر وهو انه ﷺ كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القران بها (فاصبر) يا محمد على اذى مشركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة) يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية (للمتقين) يعنى للمؤمنين * قوله عز وجل (وإلى عاد) يعنى وأرسلنا إلى عاد (اخاهم هودا) يعنى اخاهم فى النسب لا فى الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئا فى العبادة (مالكم من إله غيره) يعنى انه تعالى هو إلهكم لا هذه الاصنام التى تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع (إن انتم إلا مفترون) يعنى ما انتم إلا كاذبون فى عبادتكم غيره (ياقوم لا اسئلكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة (أجرا) يعنى جعلا اخذه منكم (ان اجرى) يعنى ماثوابى (الا على الذى فطرنى) يعنى خلقنى فانه هو الذى رزقنى فى الدنيا ويثيبنى فى الاخرة (أفلا تعقلون) يعنى فتتعظون (وياقوم استغفروا ربكم) اى امنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب اولا (ثم توبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة فى اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم امنوا بالله وصدقوه ارسل الله اليهم المطر فاحيا به بلادهم كما كانت أول مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان امنتم بقوتكم بالاموال والاولاد وذلك

(ولا تتولوا مجرمين) أى لا تدبروا مشركين (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى ببرهان وحجة واضحة على ما تقول (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) أى بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى لست تتعاطى ما تعاطاه من مخالفتنا وسب الهتنا إلا أن بعض الهتنا اعتراك أى أصابك بسوء بخبل وجنون وذلك أنك سببت الهتنا فانتقموا منك بالتخبيل لانحمل أمرك إلا على هذا (قال) لهم هود (إنى اشهد الله) على نفسى (واشهدوا) ياقوم (إنى برى مما تشركون من دونه) يعنى الأوثان (فكيدونى جميعا) فاحتالوا فى مكركم وضرى انتم وأوثانكم (١٩٤) (ثم لا تنظرون) لا تؤخرون ولا تمهلون (إنى توكلت) اى اعتمدت (على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها) قال الضحاك محييها وممتيها قال الفراء مالكها والقادر عليها وقال بعض العلماء اخذ بناصيتها لا توجه إلا الى حيث يلهمها وقال القتيبى يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته وقيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك اذا وصفت انسانا بالذلة فتقول ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا انسانا وارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك فخر اعليه فخاطبهم الله بما يعرفون (ان ربى على صراط مستقيم) يعنى ان ربى وان كان قادرا عليهم فانه لا يظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسىء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربى صراط مستقيم وقيل فيه اضمار اى ان ربى يحثكم ويحملكم على صراط مستقيم (فان تولوا) اى تتولوا يعنى تعرضوا عما دعوتكم اليه (فقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربى اهلكت قوما غيركم) اى ان اعرضتم يهلككم الله عز وجل ويستبدل قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه (ولا تضرونه شيئا) بتوليكم واعراضكم إنما تضرون انفسكم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربى على كل شىء حفيظ) اى لكل شىء حافظ يحفظنى من ان تنالونى بسوء. قوله تعالى (ولما جاء امرنا) عذابنا (نجينا هودا والذين امنوا معه) وكانوا اربعة الاف (برحمة) بنعمة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) وهو الريح التى اهلك بها عادا وقيل العذاب الغليظ عذاب يوم القيامة اى كما نجيناهم

أنه سبحانه وتعالى اعقم ارحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان امنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات إلى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والأولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين إلى قوة الابدان (ولا تتولوا مجرمين) يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصحى حال كونكم مشركين (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى ببرهان وحجة واضحة على صحة ما تقول (وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك) يعنى وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان نقول إلا اعتراك بعض الهتنا بسوء) يعنى انك يا هود لست تتعاطى ما تعاطاه من مخالفتنا وسب الهتنا إلا ان بعض الهتنا أصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا تحمل امرك إلا على هذا (قال) يعنى هود مجيبا لهم (انى اشهد الله) يعنى على نفسى (واشهدوا) يعنى واشهدوا انتم ايضا على (انى برى مما تشركون من دونه) يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها (فكيدونى جميعا) يعنى احتالوا فى كيدى وضرى انتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع (ثم لا تنظرون) يعنى ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فما قال لهم هذه المقالة لم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت إلا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (إنى توكلت على الله ربى وربكم) يعنى انه فوض امره إلى الله واعتمد عليه (ما من دابة) يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى ادم والحيوان لانهم يدبون على الارض (إلا هو اخذ بناصيتها) يعنى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل إنما خص الناصية بالذكر لأن العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا إنسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا إذا اسروا أسيرا وأرادوا إطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتدوا بذلك فخر اعليه فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم (إن ربى على صراط مستقيم) يعنى إن ربى وإن كان قادرا وأنتم فى قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل إلا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسىء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربى هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربى يحملكم على صراط مستقيم (فان تولوا) بمعنى تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم (فقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم) يعنى أنى لم يقع منى تقصير فى تبليغ ما ارسلت به اليكم إنما التقصير منكم فى قبول ذلك (ويستخلف ربى قوما غيركم) يعنى انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه إشارة إلى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضرونه شيئا) يعنى بتوليكم إنما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا إذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربى على كل شىء حفيظ) يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شىء فيحفظنى من ان تنالونى بسوء. قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء امرنا) يعنى باهلاكهم وعذابهم (نجينا هودا والذين امنوا معه) وكانوا اربعة الاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب إذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما انجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعنى الريح التى

فى الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم فى الآخرة (وتلك عاد) رده إلى القبيلة (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) يعنى هودا وحده ذكره بلفظ الجمع لان من كذب رسولا واحدا كان كمن كذب جميع الرسل (واتبعوا امر كل جبار عنيد) أى واتبع السفلة والسقاط اهل التكبر والعناد والجبار المتكبر والعنيد الذى لا يقبل الحق يقال عند الرجل يعند عنودا إذا ابى ان يقبل الشىء وان عرفه وقال ابو عبيدة العنيد والعاند والعنود والمعاند المعارض لك بالخلاف (واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة) اى اردفوا لعنة تلحقهم (١٩٥) وتنصرف معهم واللعنة هى الابعاد والطرد عن الرحمة (ويوم القيامة) اى وفى يوم القيامة ايضا لعنوا كما لعنوا فى الدنيا والاخرة (الا ان عادا كفروا ربهم) اى بربهم يقال كفرته وكفرت به كما يقال شكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له (ألا بعدا لعاد قوم هود) قيل بعدا من رحمة الله وقيل هلاكا والبعد له معنيان احدهما ضد القرب يقال منه بعد يبعد بعدا والاخر بمعنى الهلاك يقال منه بعد يبعد بعدا وبعدا قوله تعالى (وإلى ثمود اخاهم صالحا) اى وارسلنا إلى ثمود اخاهم صالحا فى النسب لا فى الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله عز وجل (ما لكم من إله غيره هو انشأكم) ابتدا خلقكم (من الارض) وذلك انهم من ادم وادم خلق من الأرض (واستعمركم فيها) اى جعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال عمركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة إلى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من العمرى اى جعلها لكم ماعشتم (فاستغفروه) يعنى من ذنوبكم (ثم توبوا اليه) يعنى من الشرك (ان ربى قريب) يعنى من المؤمنين (مجيب) لدعائهم (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا القول اى كنا نرجو ان تكون سيدا فينا وقيل كنا نرجو ان تعود إلى ديننا وذلك انهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته فلما اظهر دعاءهم إلى الله عز وجل وترك الاصنام زعموا ان رجاءهم انقطع عنه فقالوا (اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا) من الالهة (وإننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب) موقع للريبة والتهمة يقال اربته ارابة إذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة (قال ياقوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى

اهلكت بها عادا وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهى الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرهم شيئا وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) فلما فرغ من قصة عاد خاطب امة محمد ﷺ فقال وتلك عاد ردده إلى القبيلة وفيه إشارة إلى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا بايات ربهم يعنى المعجزات التى اتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعنى هودا وحده وانما اتى به بلفظ الجمع إما للتعظيم اولان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يعنى ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع فى نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذى لا يقبل الحق ولا يتبعه (واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة) يعنى اردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللغة الطرد والابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) يعنى وفى يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم فى الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذى استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى (الا ان عادا كفروا ربهم) اى كفروا بربهم (الا بعدا لعاد) يعنى هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة • فان قلت اللعنة معناه الابعاد والهلاك فما الفائدة فى قوله الا بعدا لعاد لان الثانى هو الاول بعينه • قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان لعاد • فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة فى قوله قوم هود • قلت ان عادا كانوا قبيلتين عادا الاولى القديمة التى هم قوم هود وعاد الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فاتى بقوله قوم هود لزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة فى التنصيص تدل على تقوية التأكيد • قوله عز وجل (وإلى ثمود اخاهم صالحا) يعنى وارسلنا إلى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعنى فى النسب لا فى الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) اى وحدوا الله وخصوه بالعبادة (مالكم من إله غيره) يعنى هو الحكم المستحق للعبادة لا هذه الأصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال تعالى (هو انشاكم من الأرض) يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الأرض وذلك انهم من بنى ادم وادم خلق من الأرض (واستعمركم فيها) يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة إلى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من العمرى اى جعلها لكم ماعشتم (فاستغفروه) يعنى من ذنوبكم (ثم توبوا اليه) يعنى من الشرك (ان ربى قريب) يعنى من المؤمنين (مجيب) لدعائهم (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا القول الذى جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغنى فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع ان تعود إلى ديننا فلما اظهر دعاءهم إلى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه (أتنهانا أن نعبد ما يعبد اباؤنا) يعنى الالهة (وانا لفى شك مما تدعونا اليه) يعنى من عبادة الله (مريب) يعنى انا مرتابون فى قولك من أراد به إذا اوقعه فى الريبة وهى قلق النفس ووقوعها فى التهمة (قال) يعنى قال صالح مجيبا لقومه (ياقوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى) يعنى على يقين وبرهان (واتانى

اسكنكم فيها (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) من المؤمنين (مجيب) لدعائهم (قالوا) يعنى ثمود (ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا)

منه رحمة) نبوة وحكمة (فمن ينصرنى من الله) أى من يمنعنى من عذاب الله (إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير) قال ابن عباس معناه ما تزيدونني غير بصارة فى خسارتكم قال الحسين بن الفضل لم يكن صالح عليه السلام فى خسارة حتى قال فما تزيدونني غير تخسير وإنما المعنى ما تزيدونني بما تقولون من الفحش إلا نسبتى إياكم إلى الخسارة والتفسيق والتفجير فى اللغة هو النسبة إلى الفسق والفجور وكذلك التخسير هو النسبة إلى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية) نصب على الحال والقطع وذلك ان قوما طلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة وأشاروا إلى صخرة فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت فى الحال ولدا مثلها وقد بيناه فى سورة الأعراف فهذا معنى قوله هذه ناقة الله لكم اية (فذروها تأكل فى ارض الله) من العشب والنبات فليست عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تصيبوها بعقر (فيأخذكم) ان قتلتموها (عذاب قريب فعقروها فقال) لهم صالح (تمتعوا) عيشوا (فى داركم) اى فى دياركم (ثلاثة ايام) ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) اى غير كذب روى انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة ايام فتصبحون اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى محمرة وفى اليوم الثالث مسودة فكان كما قال واتاهم العذاب اليوم الرابع قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا (بنعمة منا) (ومن خزى يومئذ) اى من عذابه وهو انه قرأ ابو جعفر ونافع والكسائى خزى يومئذ وعذاب يومئذ بفتح الميم وقرأ الباقون بالكسر) ان ربك هو القوى العزيز وأخذ الذين ظلموا) كفروا (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل انتهم صيحة من السماء فهاصوت كل صاعقة وصوت كل شىء فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وإنما قال اخذوا الصيحة مؤنثة لان الصيحة بمعنى الصياح فأصبحوا فى الجمع ديارهم جاثمين) صرعى هلكى (كان لم يغنوا فيها) يقيموا ويكونوا (ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) قرأ حمزة وحفص ويعقوب ثمود غير منون وكذلك فى سورة الفرقان والعنكبوت والنجم ووافق ابو بكر فى النجم وقرأ الباقون بالتنوين وقرأ الكسائى لثمود بخفض الدال والتنوين والباقون بنصب الدال فمن جره فلانه اسم مذكور ومن لم يجره جعله اسما للقبيلة قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اراد بالرسل الملائكة عليهم السلام واختلفوا فى عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظى كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال السدى كانوا احد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لأن اقل

منه رحمة) يعنى نبوة وحكمة (فمن ينصرنى من الله) اى فمن يمنعنى من عذاب الله (إن عصيته) يعنى إن خالفت امره (فما تزيدونني غير تخسير) قال ابن عباس معناه غير بصارة فى خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح فى خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وإنما المعنى فما تزيدونني بما تقولون إلا نسبتى إلى الخسارة (ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية) وذلك ان قومه طلبوا ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم اية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فذروها تأكل) يعنى من العشب والنبات (فى ارض الله) يعنى فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يعنى بعقر (فيأخذكم) يعنى إن قتلتموها (عذاب قريب) يعنى فى الدنيا (فعقروها) يعنى فخالفوا أمر ربهم فعقروها (فقال) يعنى فقال لهم صالح (تمتعوا) يعنى عيشوا (فى داركم) اى فى بلدكم (ثلاثة أيام) يعنى ثم تهلكون (ذلك) يعنى العذاب الذى اوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب) اى هو غير كذب روى انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة ايام فتصبحون فى اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى محمرة وفى اليوم الثالث مسودة فكان كما قال واتاهم العذاب فى اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاء امرنا) يعنى العذاب (نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا) أى بنعمة منا بان هديناهم إلى الايمان فامنوا (ومن خزى يومئذ) يعنى ونجيناهم من عذاب يومئذ سمى خزيا لان فيه خزى الكافرين (إن ربك) الخطاب للنبى ﷺ يعنى إن ربك يا محمد (هو القوى) يعنى هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزيز) يعنى القاهر الذى لا يغلبه شىء ثم اخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى (واخذ الذين ظلموا) يعنى انفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل انتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شىء فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) يعنى صرعى هلكى (كان لم يغنوا فيها) يعنى كان لم يقيموا فى تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت المكان إذا اتيته واقمت به (الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود) وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة فى تفسير سورة الاعراف * قوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اراد بالرسل الملائكة واختلفوا فى عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظى كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال السدى كانوا احد عشر ملكا على صورة الغلمان الوضاء وجوههم بالبشرى بالبشارة باسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط

(قالوا سلاما) أى سلموا سلاما (قال) إبراهيم (سلام) أى عليكم سلام وقيل هو رفع على الحكاية كقوله تعالى وقولوا حطة وقرأ حمزة والكسائى سلم هنا وفى سورة الذاريات بكسر السين بلا ألف قيل هو بمعنى السلام كما يقال حل وحلال ورم وحرام وقيل هو بمعنى الصلح أى نحن سلم أى صلح لكم غير حرب (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) والحنيذ المحنوذ وهو المشوى على الحجارة فى خد من الأرض وكان سمينا يسيل دما كما قال فى موضع آخر فجاء بعجل سمين قال قتادة كان عامة مال ابراهيم البقر (١٩٧) (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه) أى إلى العجل

الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعنى بالبشارة باسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) يعنى أن الملائكة سلموا سلاما (قال) يعنى لهم ابراهيم (سلام) اى عليكم أو أمركم سلام (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) يعنى مشويا والمحنوذ هو المشوى على الحجارة المحماة فى حفر من الارض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث إبراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل إلا معه فلما جاءت الملائكة رأى أضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوى (فلما رأى أيديهم) يعنى أيدى الأضياف (لا تصل إليه) يعنى إلى العجل المشوى (نكرهم) يعنى أنكرهم وأنكر حالهم وإنما أنكر حالهم لامتناعهم من الطعام (وأوجس منهم خيفة) يعنى ووقع فى قلبه خوف منهم والوجع هو رعب القلب وإنما خاف إبراهيم ﷺ منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل إن إبرهيم عرف انهم ملائكة وإنما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والأقرب ان إبراهيم عليه السلام لم يعرف أنهم ملائكة فى أول الامر ويدل على صحة هذا أنه عليه السلام قدم إليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدمه إليهم لعلمه أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولأنه خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف إبراهيم عليه السلام (قالوا لا تخف) يا إبراهيم (إنا) ملائكة الله (أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته) يعنى سارة زوجة إبراهيم وهى ابنة هاران بن ناحورا. وهى ابنة عم إبراهيم (قائمة) يعنى من وراء الستر تستمع كلامهم وقيل كانت قائمة فى خدمة الرسل وإبراهيم جالس معهم (فضحكت) اصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل فى السرور المجرد وفى التعجب المجرد أيضا وللعلماء فى تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا فى سبب هذا الضحك فقال السدى لما قرب ابراهيم الطعام إلى أضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال ألا تأكلون فقالوا إنا لا نأكل طعاما قط إلا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة وقالت ياعجبا لاضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك أنها خافت لخوفه فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون فى الاية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحق فضحكت يعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لإبراهيم اضمم إليك ابن أخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثانى فى معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد أى حاضت فى الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب

(نكرهم) أنكرهم (وأوجس منهم خيفة) خوفا قال مقاتل وقع فى قلبه واصل الوجوس الدخول كان الخوف دخل قلبه وقال قتادة وذلك انهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وإنما جاء بشر (قالوا لا تخف) يا إبراهيم (إنا) ملائكة الله (أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته) سارة بنت هاران ابن احور وهى ابنة عم إبراهيم (قائمة) من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس معهم (فضحكت) قال مجاهد وعكرمة ضحكت أى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب أى حاضت والاكثرون على أن المراد منه الضحك المعروف واختلفوا فى ضحكها فقيل ضحكت لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين قالوا لا تخف وقال السدى لما قرب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا خاف ابراهيم وظنهم لصوصا فقال لهم ألا تأكلون

قالوا إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن قال ابراهيم فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل عليه الصلاة والسلام وقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت ياعجبا لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة فى بيته وهو فيما بين خدمه وحشمه وقيل ضحكت سروراً بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وعلى هذا القول تكون الاية على التقديم والتأخير تقديره وامرأته قائمة فبشرناها باسحق

ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقالت ياويلتى أألد وأنا عجوز قوله تعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق) أى من بعد اسحق (يعقوب) اراد به ولد الولد فبشرت انها تعيش حتى ترى ولد ولدها قرأ ابن عامر وحمزة وحفص يعقوب بنصب الباء أى ومن وراء اسحق يعقوب وقيل باضمار فعل اى ووهبنا له (١٩٨) يعقوب وقرأ الباقون بالرفع على حذف حرف الصفة وقيل ومن بعد إسحق يحدث يعقوب فلما بشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها اى ضربت وجهها تعجبا (قالت ياويلتا) نداء ندبة وهى كلمة يقولها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه اى ياعجبا والاصل ياويلتاه (أألد وانا عجوز) وكانت ابنة تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد تسعا وتسعين سنة (وهذا بعلى) اى زوجى سمى بذلك لأنه قيم أمرها (شيخا) نصب على الحال وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة (ان هذا لشىء عجيب) قالوا (يعنى الملائكة) اتعجبين من امر الله (معناه لا تعجبى من امر الله فان الله عز وجل إذا أراد شيئا كان (رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) اى بيت ابراهيم عليه السلام قيل هذا على معنى الدعاء من الملائكة وقيل هذا على معنى الخير والرحمة والنعمة والبركات جمع البركة وهى ثبوت الخير وفيه دليل على أن الازواج من اهل البيت (إنه حميد مجيد) فالحميد المحمود فى أفعاله والمجيد الكريم وأصل المجد الرفعة

وقول من قال حاضت ليس ذلك تفسير لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وإنما ذكر ذلك تنصيصا لحالها فان جعل ذلك إمارة لما بشرت به لحيضها فى الوقت لتعلم ان حملها ليس بمنكر لأن المرأة مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشىء ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانبارى قد انكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

قال أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث فى هذه الاية فضحكت أى طمثت وحكى الازهرى عن بعضهم فى قوله فضحكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحاك الطلعة إذا أنشقت قال وقال الأخطل فيه بمعنى الحيض

تضحك الضبع من دماء سليم * إذ رأتها على الحراب نمور

وقال فى المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكا حاضت حيضا قال

وضحك الأرانب فوق الصفا * كمثل دم الجوف يوم اللقا

يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب على هذا من أنكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كثرها علم انها تحيض وإنما أراد الشاعر تكثر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لأنه جعل كثرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتهز بعضها على بعض لجعل هزيزها ضحكا وقيل لانها تسرهم فجعل سرورها ضحكا * فان قلت أى القولين اصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها أنها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالله أعلم أى ذلك كان وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء إسحق يعقوب) يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها اى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وإنما فعلت ذلك تعجبا (قالت ياويلتا) نداء ندبة وأصلها ياويلتاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل ياعجباه (أألد وأنا عجوز) وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن إسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا بعلى) يعنى زوجى والبعل وهو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قائما بأمرها سمى بعلا لذلك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (إن هذا لشىء عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وإنما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما (قالوا) يعنى قالت الملائكة لسارة (أتعجبين من امر الله) معناه لا تعجبى من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء فاذا أراد شيئا كان سريعا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعنى بيت إبراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من أهل بيته (انه حميد) يعنى هو المحمود الذى يحمد على أفعاله كلها وهو المستحق لأن يحمد فى السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال (مجيد) ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطابى المجيد الواسع الكرم واصل المجد فى كلامهم السعة يقال رجل ماجد إذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءته وهى البشارة بالولد (يجادلنا) فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا أو جعل يجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (فى قوم لوط) لأن العبد لا يقدر ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا فى قوم لوط ولو كانت

(فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف (وجاءته البشرى) مجادله

باسحق ويعقوب (يجادلنا فى قوم لوط) فيه إضمار رأى أخذ وظل يجادلنا قيل معناه يكلمنا لأن إبراهيم عليه السلام لا يجادل ربه عز وجل إنما يسأله ويطلب إليه وقال أهل التفسير معناه يجادل رسلنا وكانت مجادلته أنه قال للملائكة أرأيتم لو كان فى مدائن

لوط خمسون من المؤمنين أتهلكونهم قالوا لا قال أو أربعون قالوا الاقال أو ثلاثون قالوا حتى بلغ خمسة قالوا الاقال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا الاقال لهم ابراهيم عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين فذلك قوله اخبارا عن إبراهيم عليه السلام يجادلنا في قوم لوط (إن إبراهيم لحليم اواه منيب) قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة الاف الف فقالت الرسل عند ذلك لابراهيم (يا ابراهيم اعرض عن هذا) أي اعرض عن هذا المقال ودع عنك الجدال (انه قد جاء امر ربك) أي عذاب ربك وحكم ربك (وانهم اتيهم) نازل بهم (عذاب غير مردود) أي غير مصروف عنهم (١٩٩) قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا) يعني هؤلاء الملائكة (لوطا) على صورة غلمان مرد حسان الوجوه (سيء بهم) أي حزن لوط بمجيئهم سوءته فساءه كما يقال سررته فسر (وضاق بهم ذرعا) أي قلبا يقال ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه ان يقصدوهم بالفاحشة وعلم انه سيحتاج إلى المدافعة عنهم (وقال هذا يوم عصيب) أي شديد كانه عصب به الشر والبلاء أي شد قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام نحو قرية قوم لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوطا أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم ما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما امرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات وكلما قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول وقال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل أن الملائكة جاؤا إلى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه

مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرأيتم لو كان في مدائن قوم لوط خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا الاقال فاربعون قالوا الاقال فثلاثون قالوا الاقال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا الاقال أرأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا الاقال إبراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين وقيل إنما طلب إبراهيم تاخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج كان في قرى قوم لوط أربعة آلاف مقاتل (ان إبراهيم لحليم اواه منيب) تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لإبراهيم (يا ابراهيم اعرض عن هذا) يعني أعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال (إنه قد جاء أمر ربك) يعني ان ربك قد حكم بهذا بهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم اتيهم عذاب غير مردود) يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم وهو قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطا) يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه (سيء بهم) يعني احزن لوطا بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه (وضاق بهم ذرعا) قال الازهري الذي يوضع، وضع الطاقة والأصل فيه أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومد عنقه لحمل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذرعا إذ لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف أصله إلا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لأن الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك أن لوطا عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكروه أو فاحشة وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم (وقال) يعني لوطا (هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديد مأخوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما امرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل أنه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول وقال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل أن الملائكة جاؤا إلى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وروى أنه حمل الحطب وتبعت الملائكة فمر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله ثم مر على قوم اخرين فتغامزوا فقال مثله ثم مر بقوم اخرين فقال مثله فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا حتى اتى منزله وروى ان الملائكة جاؤا إلى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن مشى بين مشيتين قال شمر بن عطية بين الهرولة والجز

(ومن قبل) أى من قبل مجيئهم إلى لوط (كانوا يعملون السيآت) كانوا يأتون الرجال فى ادبارهم (قال) لهم لوط حين قصدوا أضيافه وظنوا انهم غلمان (ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم) يعنى بالتزويج وفى أضيافه ببناته وكان فى ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جائزا كتزوج النبى ﷺ ابنته من عتبة بن أبى لهب وابى العاص بن الربيع قبل الوحى وكانا كافرين وقال الحسين الفضل عرض بناته عليهم بشرط الإسلام وقال مجاهد وسعيد بن (٢٠٠) جبير قوله هؤلاء بناتى هن اطهر لكم أزاد نساءهم وأضاف إلى نفسه لأن كل نبى أبو امته وفى قراءة أبى بن كعب النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم وهو اب لهم وقيل ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق فلم يرضوا هذا القول (فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى) أى خافوا الله ولا تخزون فى ضيفى أى لا تسوؤنى ولا تفضحونى فى أضيافى (أليس منكم رجل رشيد) صالح سديد وقال عكرمة رجل يقول لا إله الا الله وقال ابن اسحاق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت) يا لوط (ومالنا فى بناتك من حق) أى لسن أزواجا لنا فنستحقهن بالنكاح وقيل معناه مالنا فيهن من حاجة وشهوة (وإنك لتعلم مانريد) من اتيان الرجال (قال) لهم لوط عند ذلك (لو أن لى بكم قوة) أى بنفسى أو بعشيرتى (أو آوى إلى ركن شديد) أى أنضم إلى عشيرة مانعة وجواب لو مضمر أى لقتلناكم وحلنا بينكم وبينهم قال ابو هريرة ما بعث الله بعده نبيا إلا فى منعة من عشيرته أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنبأنا أبو اليمان أنبأنا شعيب بن أبى حمزة انبأنا أبو الزناد عن الأعرج أن النبى ﷺ قال يغفر الله للوط ان كان ليأوى إلى ركن شديد قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط بابه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رأت الملائكة ما يلقى لوط بسببهم

وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجز (ومن قبل) يعنى ومن قبل مجىء الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم إلى لوط (كانوا يعملون السيآت) يعنى الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهى اتيان الرجال فى ادبارهم (قال) يعنى قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا انهم غلمان من بنى ادم (ياقوم هؤلاء بناتى) يعنى أزوجكم اياهن وفى اضيافه ببناته قيل انه كان فى ذلك الوقت وفى تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد ببناته نساء قومه واضافهن إلى نفسه لأن كل نبى ابو امته وهو كالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب إن شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروءة ان يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الأنبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل إنما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفى قوله (هن أطهر لكم) سؤال وهو أن يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب افعل التفضيل فيقتضى أن يكون الذى يطلبونه من الرجال طاهرا أو معلوم انه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله ذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها كقوله ﷺ لما قال يوم احد اعل هبل قال الله أعلا واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم وإنما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة * وقوله (فاتقوا الله) يعنى خافوه وراقبوه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون فى ضيفى) يعنى ولا تسوؤنى فى اضيافى ولا تفضحونى معهم (أليس منكم رجل رشيد) أى صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا إله إلا الله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) يعنى ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليست بناتك لنا بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه مالنا فى بناتك من حاجة لأنك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الإيمان ولا نريد ذلك (وانك لتعلم مانريد) يعنى من اتيان الرجال فى ادبارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو ان لى بكم قوة) أى لو انى أقدر ان أقوى عليكم (أو آوى إلى ركن شديد) يعنى أو انضم إلى عشيرة يمنعونى منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة لانضممت اليهم قال ابو هريرة ما بعث الله نبيا بعده إلا فى منعة من عشيرته (ق) عن ابى هريرة قال رسول الله ﷺ يرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم اتانى الداعى لأجبته قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه أشد الأركان واقواها وأمنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال فى تلك الحال لو ان لى بكم قوة فى الدفع بنفسى أو آوى إلى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط إظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتى فى موضعه من سورة يوسف إن شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه فى الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار

(قالوا يالوط) انركنك لشديد (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) فافتح الباب ودعنا إياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه إلى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعمى أبصارهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء. فان في بيت لوط اسحر قوم في الأرض سحرونا وجعلوا يقولون يالوط كما أنت حتى تصبح فسترى ما تلقى مناغدا يوعدونه فقالت الملائكة لا تخف إنا أرسلنا لإهلاكهم متى موعد إهلاكهم فقالوا الصبح قال أريد أسرع من ذلك فلو اهلكتوهم الآن فقالوا أليس الصبح بقريب ثم قالوا (فاسر) يالوط (باهلك) قرا اهل الحجاز فاسر وا ان اسر بوصل الألف حيث وقع في القرآن من سرى يسرى وقرأ الباقون بقطع الالف من (٢٠١) اسرى يسرى ومعناهما واحد وهو مسير بالليل (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية وقال قتادة بعد مضى اوله وقيل إنه السحر الاول (ولا يلتفت منكم احد إلا امرأتك) قرأ ابن كثير وابو عمر امرأتك برفع التاء على الاستثناء من الالتفات اى لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فانها تلتفت فتهلك وكان لوط قد أخرجها معه ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته فانها لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت ياقوماه فادركها حجر فقتلها وقرا الاخرون بنصب التاء على الاستثناء من الاسراء اى فاسر باهلك إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها فان هواها اليهم وتصديقه قراءة ابن مسعود فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ولا يلتفت منكم احد (إنه مصيبها ما

فلما رأت الملائكة ما لقي لوط بسببهم (قالوا يالوط) ركنك شديد (إنا رسل ربك لن يصلوا اليك) بمكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فتحول إلى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وعلى رأسه حبك مثل المرجان كأنه كالثلج بياضا وقدماه إلى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء. في بيت لوط اسحر قوم في الأرض قد سحرونا وجعلوا يقولون يالوط كما أنت حتى تصبح وسترى ما تلقى مناغدا يوعدونه بذلك (فاسر باهلك) يعني ببيتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل انه السحر الأول (ولا يلتفت منكم أحد) يعني ولا يلتفت منكم احد إلى ورائه ولا ينظر إلى خلفه (إلا امرأتك) فانها من الملتفات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى (إنه مصيبها ما اصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (إن موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد اريد اسرع من ذلك فقالوا له (اليس الصبح بقريب) فلما خرج لوط من قريته اخذ اهله معه وامرهم الا يلتفت منهم احد فقبلوا منه إلا امرأته فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم (فلما جاء امرنا) يعني امرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس مدائن اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها اربعمائة الف وقيل اربعة آلاف الف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفأها إناء ولم يثبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها (وامطرنا عليها) يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعدما قلبها امطر عليهم (حجارة من سجيل) قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك كل فارسي معرب لان العرب إذا تكلمت بشيء من الفارسي صارت لغة للعرب ولا يضاف إلى الفارسي مثل قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية فتكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن اصل الحجارة طين فشدت وقال الضحاك يعني الاجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض

اصابهم) من العذاب (إن موعدهم الصبح) أي موعد هلاكهم وقت الصبح فقال لوط أريد أسرع من ذلك فقالوا (اليس الصبح بقريب) قوله (فلما جاء امرنا) عذابنا (جعلنا عاليها سافلها) وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات وهي خمس مدائن وفيها اربعمائة الف وقيل اربعة آلاف الف فرفع المدائن كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفأها إناء ولم يثبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها (وامطرنا عليها) اى على شذاذها ومسافريها وقيل بعدما قلبها امطر عليها (حجارة من سجيل) قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير سنك كل فارسي معرب وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله عز وجل لترسل عليهم حجارة من طين قال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشدت وقال الضحاك يعني الاجر وقيل السجيل اسم السماء الدنيا وقيل هو جبال في السماء. قال الله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد قوله تعالى (منضود) قال ابن عباس رضي الله عنهما متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض

(مسومة) من نعت الحجارة وهي نصب على الحال ومعناها معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الأرض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع قال الحسن والسدى كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رمى به (عند ربك وما هي) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) أي من مشركي مكة (ببعيد) وقال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما أجار الله منها ظالما بعد وفي بعض الاثار ما من ظالم إلا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فأهلكه ﴿ قوله عز وجل (وإلى مدين) يعني وأرسلنا إلى مدين (أخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا إلى اهل مدين لحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله مالكم من إله غيره ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا الكيل والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصانا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلذلك نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (إني اراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النقمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (وإني اخاف عليكم عذاب يوم محيط) يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الاخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين (ويا قوم اوفوا المكيال والميزان) اي اتموهما ولا تطففوا فيهما (بالقسط) اي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) اي ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعني اموالهم فان قلت فقد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين ما تقدم فما الفائدة في هذا التكرار ؟ قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الامر والنهي واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير ايضا لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهي عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الاشياء التي يجب ايفاء الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله اعلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الارض مفسدين) يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقاه لكم من الثواب في الاخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام

(مسومة عند ربك) صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدى كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها اى على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمي به (وما هي) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) يعني مشركي مكة (ببعيد) قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الأمة والله ما أجار الله منها ظالما بعد وفي بعض الاثار ما من ظالم إلا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فأهلكه ﴿ قوله عز وجل (وإلى مدين) يعني وأرسلنا إلى مدين (أخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا إلى اهل مدين لحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله مالكم من إله غيره ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا الكيل والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصانا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلذلك نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (إني اراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النقمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (وإني اخاف عليكم عذاب يوم محيط) يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الاخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين (ويا قوم اوفوا المكيال والميزان) اى اتموهما ولا تطففوا فيهما (بالقسط) اى بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) اى ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعني اموالهم فان قلت فقد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين ما تقدم فما الفائدة في هذا التكرار ؟ قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الامر والنهي واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير ايضا لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهي عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الاشياء التي يجب ايفاء الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله اعلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الارض مفسدين) يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقاه لكم من الثواب في الاخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام

بكم فيهلككم (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما

(بالقسط) بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان (ولا تبخسوا) لا تنقصوا (الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم

إن كنتم مؤمنين) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقيت الله اى طاعة الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ان ما عندكم من رزق الله وعطائه (وما أنا عليكم بحفيظ) بوكيل وقيل إنما قال ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم (قالوا ياشعيب اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) من الأوثان قال ابن عباس رضى الله عنهما كان شعيب

(إن كنتم مؤمنين) يعنى مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به ونهيتكم عنه (وما انا عليكم بحفيظ) يعنى احفظ أعمالكم قال بعضهم إنما قال لهم شعيب ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم (قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) يعنى من الأصنام (او ان نفعل فى أموالنا ما نشاء) يعنى من الزيادة والنقصان وقال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقال انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلى فيستهزؤن به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش اقراءتك لأن الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعنى أدينك يامرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو ان نفعل فى أموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وإنما ذكر الصلاة لأنها من اعظم شعائر الدين (إنك أنت الحليم الرشيد) قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوى لأن العرب قد تصف الشىء بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك أنت الحليم الرشيد فى زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك ياشعيب فينا حليم رشيد فلا يحمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم فى دينهم (قال) يعنى قال لهم شعيب (ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى) يعنى على بصيرة وهداية وبيان (ورزقنى منه رزقا حسنا) يعنى حلالا قيل كان شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف تقديره أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعنى مع هذه النعمة أن أخون فى وحيه أو أن أخالف امره واتبع الضلال او ابخس الناس اشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم ان يخالف أمور به وله عليه نعم كثيرة وقوله (وما أريد ان اخالفكم إلى ما انهاكم عنه) قال صاحب الكشاف يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده وانت مول عنه وخالفنى عنه إذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى إلى الماء يريد انه قد ذهب اليه وارد وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد ان أخالفكم إلى ما انهاكم عنه اى ان اسبقكم إلى شهواتكم التى نهيتكم عنها لاستبدها دونكم قال الامام فخر الدين الرازى وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بأنه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الأصوب الأصح فكانه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلى فاعلموا ان الذى اخترته لنفسى هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة إلى توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك لها فاسلموا ان هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها إلا ما اتم عليه وقال الزجاج معناه انى لست انهاكم عن شىء واخل فيه إنما اختار لكم ما اختار لنفسى وقال ابن الانبارى بين ان الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه وهو لا ينطوى إلا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم (إن اريد) يعنى ما اريد فيما امركم به وانهاكم عنه (إلا الاصلاح) يعنى فيما بينى وبينكم (ما استطعت) يعنى ما استطعت إلا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك إلى الله فانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء (وما توفيقى إلا بالله) التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقى إلا بالله (عليه توكلت) يعنى على الله اعتمدت فى جميع ما روى (واليه أنيب) يعنى واليه ارجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه ارجع فى معادى روى ان رسول الله ﷺ كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه * وقوله تعالى

عليه السلام كثير الصلاة لذلك قالوا هذا وقال الأعمش يعنى اقراءتك (او ان نفعل فى أموالنا ما نشاء) أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان وقيل كان شعيب عليه السلام قد نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم زعم انه محرم عليهم فقالوا أو ان نفعل فى أموالنا ما نشاء من قطعها (إنك لأنت الحليم الرشيد) قال ابن عباس رضى الله عنهما أرادوا السفيه الغاوى والعرب تصف الشىء بضده فتقول للديغ سليم وللفلاة مفازة وقيل قالوه على وجه الاستهزاء وقيل معناه الحليم الرشيد بزعمك وقيل هو على الصحة اى انك ياشعيب فينا حليم رشيد لا يحمل بك شق عصا قومك ومخالفة دينهم وهذا كما قال قوم صالح عليه السلام قد كنت فينا مرجوا قبل هذا (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة) بصيرة وبيان (من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) حلالا وقيل كثيرا وكان شعيب عليه السلام كثير المال وقيل الرزق الحسن العلم والمعرفة

(وما أريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) اى ما اريد ان انهاكم عن شىء ثم ارتكبه (ان اريد) ما اريد فيما آمركم به وانهاكم عنه (الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله) والتوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة (عليه توكلت) اعتمدت (واليه انيب) ارجع فيما ينزل بى من من النوائب وقيل فى المعاد

(ويا قوم لا يجرمنكم) لا يحملنكم (شقاقى) خلافى (أن يصيبكم) أى على فعل ما أنتم عليه (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح (أو قوم صالح) من الصيحة (وما قوم لوط منكم ببعيد) وذلك أنهم كانوا حديثى عهد بهلاك قوم لوط وقيل معناه ومادار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود) والودود له معنيان احدهما انه محب للمؤمنين وقيل هو بمعنى الودود اى محبوب المؤمنين وجاء فى الخبر ان شعيبا عليه السلام كان خطيب الانبياء عليهم السلام (قالوا ياشعيب ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا) وذلك انه كان ضرير البصر فارادوا ضعف البصر (ولولا رهطك) عشيرتك وكان فى منعة من قوم (لرجمناك) لقتلناك والرجم اقبح القتل (وما أنت علينا) عندنا (بعزيز قال ياقوم ارهطى أعز عليكم من الله) ان كان رهطى اهيب عندكم من الله أى إن تركتم قتلى لمكان رهطى فالاولى ان تحفظونى فى الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) اى نبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه إن ربى بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم) اى على تؤدتكم وتمكنكم يقال فلان يعمل على مكانته إذا عمل على تؤدة وتمكن (انى عامل) على تمكنى (سوف تعلمون) اينا الجانى على نفسه والمخطىء فى فعله فذلك قوله (من يأتيه عذاب يخزيه) يذله (ومن هو كاذب) قيل من فى محل النصب اى فسوف تعلمون المراقب الكاذب وقيل محله رفع تقديره ومن هو كاذب يعلم كذبه ويذوق وبال امره (وارتقبوا) وانظروا العذاب (إنى معكم رقيب) منتظر

(ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى) أى لا يحملنكم خلافى وعداوتى (أن يصيبكم) يعنى عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة (مثل ما اصاب قوم نوح) يعنى الغرق (او قوم هود) يعنى الريح التى اهلكتهم (او قوم صالح) يعنى ما اصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا (وما قوم لوط منكم ببعيد) وذلك انهم كانوا حديثى عهد بهلاكهم وقيل معناه ومادار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا ربكم) يعنى من عبادة الاصنام (ثم توبوا اليه) يعنى من البخس والنقصان فى الكيل والوزن (ان ربى رحيم) يعنى بعباده اذا تابوا واستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده إذا احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله وإحسانه اليهم وقال الحليمى هو الواد لأهل طاعته اى الراضى عنهم باعمالهم والمحسن إليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمان الخطابى وقد يكون معناه من تودد إلى خلقه (قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) يعنى ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تعى ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون (وإنا لنراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال ان حيرا كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال ابو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا به زمانه وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعنى جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة (لرجمناك) يعنى لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة اسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا لك القول (وما أنت علينا بعزيز) يعنى بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا فى صدورهم وانهم إنما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله (قال ياقوم ارهطى اعز عليكم من الله) يعنى اهيب عندكم من الله وامنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى ان تحفظونى فى الله ولا لاجل الله لا لرهطى لأن الله اعز واعظم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) يعنى ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشىء الملقى الذى لا يلتفت إليه (إن ربى بما تعملون محيط) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شىء فيجازيكم بها يوم القيامة (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) يعنى على تؤدتكم وتمكنكم من اعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر (إنى عامل) يعنى ما اقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر فى قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أينا الجانى على نفسه المخطىء فى فعله. فان قلت اى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى قوله سوف تعلمون. قلت ادخال الفاء فى قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فما يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه) يعنى بسبب عمله السىء أو أينا الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه (ومن هو كاذب) يعنى فيما يدعيه (وارتقبوا) يعنى وانتظروا العاقبة وما يؤل اليه امرى وامركم (إنى معكم رقيب) اى منتظر والرقيب بمعنى

(ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) قيل ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وقيل اتتهم صيحة من السماء فاهلكتهم (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) ميتين (كان لم يغنوا) أي كان لم يقيموا ولم يكونوا (فيها ألا بعدا) هلاكا (لمدين كما بعدت) هلكت (ثمود) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) حجة بينة (إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) بسديد (يقدم قومه) يتقدمهم (يوم القيامة فاوردهم) فادخلهم (النار وبئس الورد المورود) أي بئس المدخل المدخول فيه (وأتبعوا في هذه) أي في هذه الدنيا (لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) أي العون المعان وقيل العطاء المعطى وذلك أنهم ترادفت عليهم اللعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة (ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم) عامر (وحصيد) خراب وقيل منها قائم بقيت الحيطان وسقطت السقوف وحصيد أي انمحى أثره وقال مقاتل قائم يرى له أثر وحصيد لا يرى له أثر وحصيد بمعنى محصود (وما ظلمناهم) بالعذاب والهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) عذاب ربك (وما زادوهم غير تتبيب) أي غير تخسير وقيل تدمير (وكذلك) وهكذا (اخذ ربك إذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد) انا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا صدقة بن الفضل انبأنا ابو معاوية انبأنا يزيد بن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنهم قال قال النبي ﷺ ان الله ليملي للظالم حتى إذا اخذه لم يفلته قال ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الاية

المراقب (ولما جاء أمرنا يعني بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعني بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة (وأخذت الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس (الصيحة) وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل اتتهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير إذا قعد ولطأ بالأرض (كأن لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان إذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (ألا بعدا) يعني هلاكا (لمدين كما بعدت ثمود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم وقوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعني بحججنا والبراهين التي أعطيناه الدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعني ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطانا لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لأنه حجة الله في الأرض (إلى فرعون وملئه) يعني اتباعه واشراف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى (وما أمر فرعون برشيد) يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو إلى خير (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم في النار (وبئس الورد المورود) يعني وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الوارد إلى الماء وشبه أتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لأنه يكسر العطش قال في حق فرعون وأتباعه فاوردهم النار وبئس الورد المورود لأن الأصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة (وأتبعوا في هذه) يعني في هذه الدنيا (لعنة) يعني طردا وبعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) يعني وأتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا (بئس الرفد المرفود) يعني بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة في الاخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك أنه ترادف عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة * وقوله تعالى (ذلك من أنباء القرى) يعني من أخبار أهل القرى وهم الأمم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب (منها) يعني من القرى التي أهلكنا أهلها (قائم وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محى أثره بالكلية شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضهم قد حصد وذهب اثره والحصيد بمعنى المحصود (وما ظلمناهم) يعني بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك) يعني بعذابهم اي لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب (وما زادوهم غير تتبيب) يعني غير تخسير وقيل غير تدمير (وكذلك اخذ ربك) يعني وهكذا اخذ ربك (إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الضمير في وهي عائد على القرى والمراد اهلها (إن اخذه اليم شديد) (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ ان الله ليملي للظالم حتى إذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك إذا اخذ

قوله عز وجل (إن في ذلك لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس) يعني يوم القيامة (وذلك يوم مشهود) أي يشهده أهل السماء والأرض (وما نؤخره) أي (٢٠٦) وما نؤخر ذلك اليوم فلا نقيم عليكم القيامة وقرأ يعقوب وما يؤخره بالياء (إلا لأجل معدود) معلوم عند الله (يوم يأت) بإثبات الياء وحذفها (لا تكلم) أي لا تتكلم (نفس إلا باذنه فمنهم شقي وسعيد) أي فمنهم من سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة انا أبو سعيد ابن عبد الله بن احمد الطاهري انبأنا جدي ابو سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انبأنا ابو بكر محمد بن زكريا العذافري انبأنا إسحق بن ابراهيم بن عباد الدبري انبأنا عبد الرازق انا معمر عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال خرجنا على جنازة فبينا نحن بالبقيع إذ خرج النبي ﷺ وبيده مخصرة فجاء فجلس ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها من الجنة او النار إلا وقد كتبت شقية او سعيدة قال فقال رجل افلا نتكل على كتابنا يارسول الله وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل الشقاء فسييسرون لعمل اهل الشقاء واما اهل السعادة فسييسرون لعمل اهل السعادة قال ثم تلا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قوله (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) قال ابن عباس رضي الله عنهما الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول نهيق الحمار

القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد فالاية الكريمة في الحديث دليل على أن من قدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق إلى أهلها إن كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن أن هذه الاية حكمها مختص بظالمي الأمم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله أعلم * قوله عز وجل (إن في ذلك لاية) يعني ما ذكر من عذاب الأمم الخالية وإهلاكهم لعبرة وموعظة (لمن خاف عذاب الاخرة) يعني ان إهلاك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الاخرة لأنه إذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار في الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعدلهم في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله (ذلك يوم مجموع له الناس) يعني يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الأولين والاخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعني يشهده أهل السماء وأهل الأرض (وما نؤخره إلا لأجل معدود) يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة إلا إلى وقت معلوم محدود ذلك الوقت لا يعلمه أحد إلا الله تعالى (يوم يأت) يعني ذلك اليوم (لا تكلم نفس إلا باذنه) قيل ان جميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه إلا باذن الله تعالى * فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله إخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام في ذلك اليوم * قلت يوم القيامة يوم طويل وله أحوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة ففي بعض الأحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الأهوال وفي بعض الأحوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس إلا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس شيئا إلا ان يأذن الله لها في الشفاعة (فمنهم) يعني فمن أهل الموقف (شقي وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الأمور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة أخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ أما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المخصرة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه الاية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهؤلاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها) أي في النار من العذاب والهوان (زفير وشهيق) أصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس إلى الصدر أو الزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك

والشهيق آخره إذا رددده في جوفه وقال أبو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر (خالدين فيها) لابثين مقيمين فيها (مادامت السموات والأرض) قال الضحاك مادامت سموات الجنة والنار وأرضها وكلما علاك وأظلك فهو سماء وكلما استقرت عليه قدمك فهو أرض وقال اهل المعاني هذا عبارة عن التأبيد على عادة العرب يقولون لا اتيك مادامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار يعنون أبدا قوله (إلا ماشاء ربك) اختلفوا في هذين الاستثناءين فقال بعضهم الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء استثناهم الله من جملة الاشقياء وهذا كما أخبرنا عبد الواحد بن احمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا (٢٠٧) محمد بن إسمعيل ثنا حفص بن عمر ثنا هشام عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ قال ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون وأخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي قال أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل انا مسدد اخبرنا يحيى عن الحسن بن ذكوان أنبأنا ابو رجاء حدثني عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين واما الاستثناء في اهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة وقيل إلى ماشاء ربك من الفريقين من تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ مابين الموت والبعث قبل مصيرهم إلى الجنة او النار يعني هم خالدون في الجنة أو النار لا هذا المقدار وقيل معنى إلا ماشاء ربك سوى ماشاء ربك معناه خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى ماشاء الله من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والارض وذلك هو الخلود فيها كما تقول لفلان على الف إلا الا لفين اى سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل إلا بمعنى الواو اى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا اى ولا الذين ظلموا وقيل معناه لو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود وقال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقولك والله لاضربنك إلا ان ارى غير ذلك وعزيمتك ان تضربه (إن ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا) قرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا بضم السين وكسر العين اى رزقوا السعادة وسعد واسعد بمعنى واحد وقرأ الاخرون بفتح السين قياسا على شقوا (ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك) قال الضحاك إلا ما مكثوا في النار حتى ادخلوا الجنة قال قتادة الله اعلم بثنياه

الضحاك ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره إذا رده إلى صدره وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف (خالدين فيها) يعني لابثين مقيمين في النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك يعني مادامت سموات الجنة والنار وارضهما ولا بد لاهل الجنة واهل النار من سماء تظلهم وارض تقلهم فكل ما علاك فاظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض وقال اهل المعاني هذه عبارة عن التأبيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا اتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التابيد * وقوله سبحانه وتعالى (إلا ماشاء ربك) اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في اهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين اخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن جابر قال قال رسول الله ﷺ ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري ومسلم عن انس ان رسول الله ﷺ قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال لهم الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين ان رسول الله ﷺ قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما الاستثناء الثاني المذكور في اهل السعادة فيرجع إلى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (إن ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك) ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثناءين يرجع كل واحد منهما إلى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل ان الاستثناءين يرجعان إلى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت إلى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار إلا لهذا المقدار وقيل معنى إلا ماشاء ربك سوى ماشاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان علي ألف إلا الفين أي سوى الفين وقيل إلا بمعنى الواو بمعنى وقد شاء

(عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله ومعناه عند أهل السنة أن ثبت أن لا يبقى فيها (٢٠٨) أحد من أهل الإيمان وأما مواضع الكفار فممتلئة أبدا (فلا تك في مرية) في شك

ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا أي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لم يشأ لأنه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقوله والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزمه أن يضربه فهذه الأقوال في معنى الاستثناء ترجع إلى الفريقين والصحيح هو القول الأول ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى إن ربك فعال لما يريد يعني من إخراج من أراد النار وإدخالهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين فأما على التفصيل فقوله إلا ما شاء ربك في جانب الأشقياء يرجع إلى الزفير والشهيق وتقريره أن يفيد حصول الزفير والشهيق مع خلود لأنه إذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعني إلا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل إن الاستثناء الأول في جانب الاشقياء معناه إلا ما شاء ربك من أن يخرجهم من حر النار إلى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه إلا ما شاء ربك أن يرفع بعضهم إلى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول الأول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة في الجنة أن الامة مجتمعة على من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها ﴿وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعني غير مقطوع قال ابن زيد أخبر الله سبحانه وتعالى بالذي يشاء لأهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه وهذا إن صح عن ابن مسعود وأبي هريرة فمحمول عند أهل السنة على إخلاء أماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد إخراجهم منها لانه بالدليل الصحيح القاطع إخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون محمولا على إخراج الكفار من حر النار إلى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام التي يعبدها هؤلاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعني أنه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند لانهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم (وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) يعني وإنا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في الاخرة كاملا موفرا غير ناقص ﴿قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فاختلف فيه) يعني في الكتاب فمنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبي ﷺ (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (لقضي بينهم) يعني لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وإنهم لفي شك منه) يعني من القرآن ونزوله عليك يا محمد (مريب) يعني أنهم قد وقعوا في الريب والتهمة (وإن كلا) يعني من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم في القيامة فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار (إنه بما يعملون خبير) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده وإن دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذبين الكافرين ﴿قوله سبحانه وتعالى (فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبي ﷺ يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرك ربك

(مما يعبدون هؤلاء) أنهم ضلال (ما يعبدون إلا كما يعبد) فيه اضمار اى كما كان يعبد (آباؤهم من قبل) انا لموفوهم نصيبهم) حظهم من الجزاء (غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) فمن مصدق وبه ومكذب كما فعل قومك بالقرآن ويعزى نبيه ﷺ (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عنهم (لقضي بينهم) اى لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفي شك منه مريب) موقع في الريبة والتهمة (وإن كلا) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر وإن كلا ساكنة النون على تخفيف ان الثقيلة والباقون بتشديدها (لما) مشدد هنا وفي يس والطارق ابن عامر وعاصم وحمزة وافق أبو جعفر ههنا وفي الطارق وفي الزخرف بالتشديد عاصم وحمزة والباقون بالتخفيف فمن شدد قال الاصل فيه وإن كلا لمن ما فوصلت من الجارة بما فانقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت احداهن فبقيت لما بالتشديد وما هنا بمعنى من هو اسم لجماعة من الناس كما قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم أي من طاب لكم والمعنى وإن كلا لمن والامر جماعة ليوفينهم ومن قرأ بالتخفيف قال ما صلة زيدت بين اللامين ليفصل بينهما كراهة اجتماعهما والمعنى وإن كلا ليوفينهم وقيل ما بمعنى من تقديره لمن ليوفينهم واللام في لما لام التاكيد التي تدخل على خبر ان وفي ليوفينهم لام القسم والقسم مضمر تقديره من الله (ليوفينهم ربك اعمالهم) اى جزاء أعمالهم (انه بما يعملون خبير) قوله عز وجل (فاستقم كما امرت) اى استقم على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرت

(ومن تاب معك) أي ومن امن معك فليستقيموا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب اخبرنا الامام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أنا والدي املاء ثنا أبو بكر محمد بن اسحق ثنا محمد بن العلاء ابن كريب ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم (ولا تطغوا) لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه (إنه بما تعملون بصير) لا يخفى عليه من أعمالكم شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتني هود وأخواتها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبيد السلام بن مطهر ثنا عمرو بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ان الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله عز وجل (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو العالية لا ترضوا بأعمالكم قال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا إلى الذين ظلموا (فتمسكم النار) يعني فتصيبكم النار بحرها (وما لكم من دون الله من أولياء) يعني أعوانا وأنصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن إلى الظلمة أو رضي بأعمالهم أو احبهم فكيف حال الظلمة في أنفسهم نعوذ بالله من الظلم ﴿ قوله عز وجل (وأقم الصلاة طرفي النهار) سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر قال اتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احداً فلم اصبر فاتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال اختلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم إلا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله ﷺ طويلا حتى اوحى الله اليه واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إلى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها رسول الله ﷺ فقال اصحابه يارسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فاتى النبي ﷺ فذكرت ذلك له فنزلت واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال يارسول الله إلي من هذه الآية قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية فقال رجل من القوم يانبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي ﷺ رجل فقال يارسول الله ارايت رجلا لقي امرأة ليس يبنهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا إلا قد اتى هو اليها إلا انه لم يجامعها قال فأنزل الله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت

والأمر في فاستقم للتأكيد لأن النبي ﷺ كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى اتيك اي دم على ما انت عليه من القيام حتى اتيك (ومن تاب معك) يعني ومن امن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ منه روغان الثعلب (م) عن بن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم (ولا تطغوا) يعني ولا تجاوزوا امري الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه (إنه بما تعملون بصير) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت اية على رسول الله ﷺ هي اشد عليه من هذه الاية ولذلك قال شيبتني هود وأخواتها (خ) عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر واراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا اي اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والرواح الرجوع عشية والمراد منه اعملوا اطراف النهار وقتا وقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل ايضا وقوله وشيء من الدلجة إشارة إلى تقليله ﴿ وقوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالية لا ترضوا بأعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا إلى الذين ظلموا (فتمسكم النار) يعني فتصيبكم النار بحرها (وما لكم من دون الله من اولياء) يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن إلى الظلمة او رضي باعمالهم أو احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم ﴿ قوله عز وجل (واقم الصلاة طرفي النهار) سبب نزول هذه الاية ما رواه الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احداً فلم اصبر فاتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال اختلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم إلا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله ﷺ طويلا حتى اوحى الله اليه واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إلى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها رسول الله ﷺ فقال اصحابه يارسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فاتى النبي ﷺ فذكرت ذلك له فنزلت واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال يارسول الله إلي من هذه الآية قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية فقال رجل من القوم يانبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي ﷺ رجل فقال يارسول الله ارايت رجلا لقي امرأة ليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا إلا قد اتى هو اليها إلا انه لم يجامعها قال فأنزل الله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت

والميل بالقلب وقال ابو العالية لا ترضوا بأعمالكم قال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل لا تسكنوا إلى الذين ظلموا (فتمسكم) فتصيبكم (النار وما لكم من دون الله من اولياء) اي اعوان يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) قوله عز وجل (واقم الصلاة طرفي النهار) اي الغداة والعشي قال مجاهد طرفا النهار صلاة الصبح والظهر والعصر

(وزلفا من الليل) صلاة المغرب والعشاء. وقال مقاتل صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء. وقال الحسن طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما طرفا النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قوله وزلفا من الليل أي ساعاته واحدتها زلفة وقرأ أبو جعفر زلفا بضم اللام (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات وروي انها نزلت في أبي اليسر وهو عمرو بن غزية الانصاري قال اتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت لها ان في البيت تمرا أطيب منه فدخلت معي في البيت فاهويت اليها فقبلتها ثم ندمت فاتيت أبا بكر رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فاتيت عمر رضي الله عنه (٢١٠) فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم اصبر فاتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم إلا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار فأطرق رسول الله ﷺ حتى أوحى الله إليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقراها رسول الله ﷺ فقال اصحاب رسول الله ﷺ ألهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنبأنا قتيبة بن سعيد ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا اصاب من امراة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل يارسول الله إلى هذا قال لجميع امتي كلهم واخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي على أنبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني أبو طاهر وهرون بن سعيد الايلي قالا حدثنا ابن وهب عن أبي صخر ان عمر بن اسحق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة ان النبي ﷺ كان يقول الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد الحسين بن احمد الخلدي أنبأنا أبو العباس محمد بن إسحق أنبأنا قتيبة أنبأنا الليث وبكر بن مضر عن ابن الهادي عن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا قوله عز وجل (ذلك) اي ذلك الذي ذكرنا وقيل هو إشارة إلى القرآن (ذكرى) عظة (للذاكرين) أي لمن ذكره (واصبر) يا محمد على

ذلك ذكرى للذاكرين فأمره النبي ﷺ أن يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يارسول الله أهي له خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتصل لأن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر زلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء. وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء. وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء. وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والأشهر أن الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لأن أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الأول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لأنها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر (وزلفا من الليل) وأقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعاته واحدتها زلفة واصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (إن الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن زاد في رواية مالم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر (ق) عن أبي هريرة انه سمع رسول الله ﷺ يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله ﷺ مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها إلا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام ان لا يعود إليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة إن شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والقول الأول أصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في إحدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجمهور المفسرين (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو إشارة إلى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعني عظة للمؤمنين المطيعين (واصبر) الخطاب لرسول الله ﷺ يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر

ماتلقى من الاذى وقيل على الصلاة نظيره وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) فى أعمالهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى المصلين قوله عز وجل (فلولا) فهلا (كان من القرون) التى أهلكناهم (من قبلكم) الاية للتوبيخ (أولوا بقية) أى أولوا تمييز وقيل أولوا طاعة وقيل أولوا خير يقال فلان ذو بقية إذا كان فيه خير معناه فهلا كان من القرون من (٢١١) قبلكم من فيه خير ينهى عن الفساد فى

على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى أعمالهم قال ابن عباس يعنى المصلين ٥ قوله سبحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعنى فهلا كان من القرون التى اهلكناهم (من قبلك) يعنى يا امة محمد (أولوا بقية) يعنى أولوا تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية إذا كان فيه خير وقيل معناه أولوا بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة (ينهون عن الفساد فى الارض) يعنى يقومون بالنهى عن الفساد فى الارض والاية للتقريع والتوبيخ يعنى لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد فى الارض فلذلك اهلكناهم (إلا قليلا) هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا (ممن انجينا منهم) يعنى من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد فى الارض (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) يعنى واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى ما تنعموا فيه والترف التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وإيثار اللذات على الاخرة ونعيمها (وكانوا مجرمين) يعنى كافرين (وما كان ربك) يعنى وما كان ربك يا محمد (ليهلك القرى بظلم) يعنى لا يهلكهم بظلم منه وأهلها مصلحون) يعنى فى اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل فى معنى الاية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين يعنى يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال فى الدنيا اما عذاب الاخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضييق والتشديد ٥ قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) يعنى كلهم على دين واحد وشريعة واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعنى على اديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان قد اختلفوا فى دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال تفرق اليهودى على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام رسول الله ﷺ فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة اخرجه ابو داود وقال الخطابى قوله ﷺ وستفترق امتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين إذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول ﷺ فى أقواله وأفعاله ٥ وقوله سبحانه وتعالى (إلا من رحم ربك) يعنى لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق إلى الحق وهداه إلى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم قال اشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الاية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لأن يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فحاصل الاية ان الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم إلى النار وحكم على بعضهم

الأرض وقيل معناه اولوا بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة (ينهون عن الفساد فى الارض) أى يقومون بالنهى عن الفساد ومعناه جحدا ى لم يكن فيهم اولوا بقية (إلا قليلا) هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا (ممن انجينا منهم) وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد فى الأرض (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا) نعموا (فيه) والمترف المنعم وقال مقاتل ابن حيان خولوا وقال الفراء عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا اى واتبع الذين ظلموا ما عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الاخرة (وكانوا مجرمين) كافرين (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) أى لا يهلكهم بشركهم (واهلها مصلحون) فيما بينهم يتعاطون الانصاف ولا يظلم بعضهم بعضا وإنما يهلكهم إذا تظالموا وقيل لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون فى اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس) كلهم (امة واحدة) على دين واحد (ولا يزالون مختلفين)

على أديان شتى من بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك (إلا من رحم ربك) معناه لكن من رحم ربك فهداهم إلى الحق فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم وقال اشهب سألت مالكا عن هذه الاية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابو عبيدة الذى اختاره فقول من قال خلق فريقا لرحمته وفريقا لعذابه وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين رحمهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للاختلاف ومحصول الاية ان اهل

الباطل مختلفون وهل الحق متفقون فخالق الله أهل الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف (وتمت كلمة ربك) وأتم حكم ربك (لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) معناه وكل الذى تحتاج إليه من أنباء الرسل أى من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها عليك لنثبت به فؤادك لنزيدك يقينا ونقوى قلبك وذلك أن النبى ﷺ إذا سمعها كان فى ذلك تقوية لقلبه على الصبر اذى قومه (وجاءك فى هذه الحق) قال الحسن وقتادة فى هذه الدنيا وقال غيرهما فى هذه السورة وهذا قول الاكثرين خص هذه السورة تشريفا وإن كان قد جاءه الحق فى جميع السور (وموعظة) أى وجاءتك موعظة (وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) امر تهديد ووعيد (إنا عاملون وانتظروا) مايحل بنا من رحمة الله (إنا منتظرون) مايحل بكم من نقمة الله (ولله غيب السموات والارض) أى ماغاب عن العباد فيهما (واليه يرجع الامر كله) فى المعاد قرأ نافع وحفص يرجع بضم الياء وفتح الجيم أى يردو قرأ الاخرون بفتح الياء وكسر الجيم أى يعود الامر كله اليه حتى لا يكون للخلق امر (فاعبده وتوكل عليه) وثق به (وما ربك بغافل عما تعملون) قرأ أهل المدينة والشام وحفص ويعقوب تعملون بالتاء ههنا وفى اخر سورة النمل وقرأ الاخرون بالياء فيهما قال كعب خاتمة التوراة خاتمة سورة هود

بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم إلى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تبارك وتعالى (وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة والرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية * قوله سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة قصص الأمم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه ﷺ بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل يعنى من اخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك يعنى ما نقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتاسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لأن النبى ﷺ إذا سمع هذه القصص وعلم أن حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (فى هذه الحق) اختلفوا فى الضمير إلى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك فى هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا حتى يعود الضمير اليها وقيل فى هذه الاية وقيل فى هذه السورة وهو الاقرب هو قول الاكثرين فان قلت جاءه الحق فى سورة القران فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر أن لا يكون قد جاءه الحق فى غيرها من السور بل القران كله حق وصدق وإنما خصها بالذكر تشريفا لها (وموعظة وذكرى للمؤمنين) أى وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنين إذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) فيه وعيد وتهديد يعنى اعملوا ما انتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ماشئتم (إنا عاملون) يعنى ما امرنا به ربنا (وانتظروا) يعنى ما يعدكم به الشيطان (إنا منتظرون) يعنى ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه إما فى الدنيا وإما فى الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعنى يعلم ما غاب عن العباد فيهما يعنى ان علمه سبحانه وتعالى نافذ فى جميع الأشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء (واليه يرجع الامر كله) يعنى إلى الله يرجع امر الخلق كلهم فى الدنيا والاخرة (فاعبده) يعنى ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) يعنى وثق به فى جميع أمورك فانه يكفيك (وما ربك بغافل عما تعملون) قال أهل التفسير هذا خطاب للنبى ﷺ ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها شىء فيجزى المحسن باحسانه والمسىء باساءته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله اعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)

وهى مكية باجماعهم وهى مائة وإحدى عشرة اية والف وستمائة كلمة وسبعة الاف ومائة وستون حرفا قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى وفى سبب نزولها قولان احدهما روى عن سعيد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال لما انزل القران على رسول الله ﷺ تلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى الر تلك ايات الكتاب المبين إلى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثانى رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبى ﷺ فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين الايات الكريمة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تبارك وتعالى خاتمة سورة هود أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنبأنا أبو القاسم على بن احمد الخزاعى أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب حدثنا ابو عيسى الترمذى ثنا ابو كريب محمد بن العلاء ثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن ابى إسحق عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله قد شبت فقال ﷺ شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت ويروى شيبتنى هود واخواتها من المفصل

(سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة واحدى عشرة اية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب المبين) أى البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه قال قتادة مبين والله بركته وهداه ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر (إنا أنزلناه) يعنى الكتاب (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) أى أنزلناه بلغتكم لكى تعلموا معانيه وتفهموا مافيه (نحن نقص عليك) أى نقرأ (أحسن القصص) والقاص هو الذى يتبع الآثار ويأتى بالخبر على وجهه معناه نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل (٢١٣) المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التى تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم عليهم السلام يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون إلا استراح إليها قوله عز وجل (بما أوحينا إليك) ما المصدر أى بايحائنا اليك (هذا القرآن وإن كنت) وقد كنت (من قبله) أى من قبل وحينا (لمن الغافلين) لمن الساهين عن هذه القصة لا تعلمها قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فأنزل عز وجل ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل (إذ قال يوسف لابيه) اى اذكر يامحمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب بن إسحق بن إبراهيم صلى الله عليه وعليهم اجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله

• قوله عز وجل (الر) تقدم تفسيره فى أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام (تلك) إشارة إلى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التى أنزلت إليك فى هذه السورة المسماة بالر هذه (آيات الكتاب المبين) وهو القرآن أى البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل أنه يبين فيه قصص الأولين وشرح احوال المتقدمين (إنا أنزلناه) يعنى هذا الكتاب (قرآنا عربيا) أى أنزلناه بلغتكم لكى تعلموا معانيه وتفهموا مافيه وقيل لما قالت اليهود لمشركى مكة سلوا محمدا ﷺ عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويفهموا معانيها والتقدير إنا انزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز إطلاق اسم القران بعضه لأنه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال أن القران شىء بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن فى القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول واحتج بهذه الاية إنا أنزلناه قرانا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لأن هؤلاء أعلم من أبى عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب إن شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما أن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وإن كانت غير عربية فى الأصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت إليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما (لعلكم تعقلون) يعنى تفهمون أيها العرب لأنه نازل بلغتكم قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الأصل فى معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذى يأتى بالخبر على وجهه وأصله فى اللغة من قص الأثر إذا تتبعه وإنما سميت الحكاية قصة لأن الذى يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يامحمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وإنما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التى تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة فى هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها وقوله تعالى (بما اوحينا اليك) يعنى بايحائنا إليك يامحمد (هذا القرآن وإن كنت) اى وقد كنت (من قبله) يعنى من قبل وحينا إليك (لمن الغافلين) يعنى هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن ابى وقاص انزل القران على رسول الله ﷺ فتلاه علينا زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فانزل عز وجل الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل (إذ قال يوسف لابيه) اى اذكر يامحمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب بن إسحق بن إبراهيم صلى الله عليه وعليهم اجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله

احسن القصص فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فانزل الله عز وجل الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل (إذ قال يوسف لابيه) اى اذكر إذ قال يوسف لابيه ويوسف إسم عبرى ولذلك لا يجرى عليه الصرف وقيل هو عربى سئل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف فى اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمع فى يوسف عليه السلام فسمى به اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انبأنا احمد بن عبد الله النعيمى انبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل قال قال عبد الله بن محمد ثنا عبد الصمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن ابيه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم

(يا أبت) قرأ أبو جعفر وابن عمر يا أبت بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير يا أبتاه والوجه أن اصله يا ابتا بالالف وهي بدل عن ياء الاضافة فحذفت الالف كما تحذف التاء فبقيت الفتحة تدل على الالف كما بقي الكسرة تدل على الياء عند حذف الياء وقرأ الاخرون يا ابت بكسر التاء في كل القرآن والوجه ان اصله يا ابتي فحذفت الياء تخفيفا واكتفاء بالكسرة لان باب النداء حذف يدل على ذلك قوله يا عباد فاتقون وقرأ الاخرون يا ابت بكسر التاء لان اصله يا ابت والجزم يحرك إلى الكسر (إني رايت احد عشر كوكبا) اي نجما من نجوم السماء ونصب الكواكب على التفسير (والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين) ولم يقل رايتها لي ساجدات والهاء والميم والياء والنون من كنايات من يعقل لانه لما اخبر عنها بفعل من عبر عنها بكناية (٢١٤) من يعقل كقوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكان النجوم في التأويل اخوته كانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس ابوه والقمر امه قال قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل كانت قد ماتت وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشر سنة حين راى هذه الرؤيا وقيل راها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قصها على ابيه (قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك) وذلك ان رؤيا الانبياء عليهم السلام وحي فعلم يعقوب ان اخوته إذا سمعوها حسدوه فامره بالكتمان (فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا في اهلاكك لانهم لا يعلمون تأويلها فيحسدونك واللام في قوله لك صلة كقوله تعالى لربهم يرهبون وقيل هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) أي يزين لهم الشيطان ويحملهم على الكيد لعداوته القديمة اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي الشيطان انبأنا عبد الرحمن بن ابي شريح انبأنا ابو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد انبأنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد قال سمعت ابا سلمة قال كنت ارى الرؤيا فتهمني حتى سمعت ابا قتادة يقول كنت ارى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول الرؤيا الصالحة من الله تعالى والحلم من الشيطان فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب واذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها احدا فانها لن تضره واخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انبأنا عبد الرحمن ابن ابي شريح انبأنا ابو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد انبأنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة جزء من اربعين او ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت واحسبه قال لا تحدث بها إلا حبيبا او لبيبا

عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه الصرف وقيل هو عربي سئل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف اشد الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به (يا ابت إني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين) معناه قال اهل التفسير راى يوسف في منامه كان احد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التأويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس ابوه واليم امه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل قد ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر ابوه والشمس لامه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشر سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين واراد وا بالسجود توضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود * فان قلت الكواكب جماد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رايتهم ولم يقل رايتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات * قلت لما اخبرنا عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون ان الكواكب احياء نواطق حساسة فيجوز ان يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشيء والاول اصح * فان قلت قد قال إني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤيا ثانيا فقال رايتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار * قلت معنى الرؤيا الاولى انه راى اجرام الكواكب والشمس والقمر معنى الرؤيا الثانية انه اخبر بسجودها بعضهم معنا له وقال انه لما قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رايت فقال رايتهم لي ساجدين وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على سائر الكواكب قال اهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد الحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما راى يوسف هذه الرؤيا وكان تاويلها ان اخوته وابويه يخضعون له فلهذا (قال) يعقوب (يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك) يعني لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تاويلها (فيكيدوا لك كيدا) اي فيحتالوا في اهلاكك فامره بكتمان رؤياه على اخوته لان رؤيا الانبياء وحي وحق واللام في فيكيدوا لك كيدا تاكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) يعني انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان اقدموا على الكيد كان ذلك مضافا إلى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن ابي قتادة قال كنت ارى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من

الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب وإذا رأى احدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن أبي رزين العقيلي قال قال النبي ﷺ رؤيا المؤمن جزء من أربعين وفي رواية جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال واحسبه قال ولا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا أخرجه الترمذي ولابي داود نحوه قال الشيخ محي الدين النووي قال المازري مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علما على أمور اخر يجعلها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان فاذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب إلى الشيطان مجازا وإن كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي ﷺ الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيئا والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره إضافة الرؤيا المحبوبة إلى الله تعالى إضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وإن كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وإرادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها فيستحب إذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول إلى جنبه الاخر فانها لا تضره فان الله تعالى جعل هذه الأسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء والله اعلم * قوله تعالى (وكذلك يجتبيك ربك) يعني يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد تخصيصه إياه بفيض الهي تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالأنبياء أو ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الأحاديث) يعني به تعبير الرؤيا سمي تأويلا لأنه يؤل أمره إلى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الأنبياء والأمم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة قاله ابن عباس لأن منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الأنبياء فهذا من اتمام النعمة عليهم لأن جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب (وعلى ال يعقوب) المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا انبياء وهو المراد من إتمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بان جعلهما نبيين وهو المراد من إتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم ﷺ بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشيء والقول الأول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (إن ربك عليم) يعني بمصالح خلقه (حكيم) يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا إلا بحكمة وقيل أنه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم ﷺ قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له أخوته حتى يسجد له ابوه وأمه فذلك قوله عز وجل (لقد كان في يوسف وإخوته) يعني في خبره وخبر اخوته

يجتبيك ربك) يصطفيك يقول يعقوب ليوسف عليهما السلام اي كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ربك (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يريد تعبير الرؤيا سمي تاويلا لانه يؤل أمره إلى ما رأى في منامه والتأويل ما يؤل اليه عاقبة الأمر (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة (وعلى ال يعقوب) أي على أولاده فان أولاده كلهم كانوا أنبياء (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق) فجعلهما نبيين (ان ربك عليم حكيم) وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم الخلة وقيل انجاؤه من الذبح وقيل باخراج يعقوب والاسباط من صلبه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصير أبويه وإخوته اليه أربعون سنة وهو قول اكثر اهل التفسير وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان تسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فبغوه وحسدوه يقول الله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته) أي في خبره وخبر إخوته وأسمائهم روبيل وقيل روبين بالنون وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون

وقيل زبلون وآشر وامهم ليا بنت لابان وهي ابنة خال يعقوب عليه السلام ولد له من سريتين له من اسم احداهما زلفة والأخرى بلهة أربعة أولاد دان ونفتالي وقيل نفتولي وجاد وأشير ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل وابن يامين فكان بنو يعقوب عليه السلام اثني عشر رجلا (آيات) قرأ ابن كثير آية على التوحيد أي عظة وعبرة وقيل عجب وقرأ الاخرون آيات على الجمع (للسائلين) وذلك أن اليهود سألوا (٢١٦) رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر فذكر لهم قصة يوسف جميعها فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منها فهذا معنى قوله ايات للسائلين اي دلالة على نبوة النبي ﷺ وقيل ايات للسائلين ولمن لم يسأل كقوله سواء للسائلين وقيل معناه عبرة للمعتبرين فانها تشتمل على حسد اخوة يوسف وما ال اليه امرهم في الحسد وتشتمل على رؤياه وما حقق الله منها وتشتمل على صبر يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة وعلى الرق وعلى اللبث في السجن وما ال اليه امره من الملك وتشتمل على حزن يعقوب وصبره على فراق يوسف وما ال اليه امره من الوصول إلى المراد وغير ذلك من الايات (إذ قالوا ليوسف) اللام فيه جواب القسم تقديره والله ليوسف (واخوه) بنيامين (احب الى ابينا منا) كان يوسف واخوه بنيامين من ام واحدة وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام وكان اخوته يرون منه من الميل اليه مالا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة (ونحن عصبة) أي جماعة وكانوا عشرة قال الفراء

قادحة

العصبة هي العشرة فما زادوقيل العصبة ما بين الواحد إلى العشرة وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقال مجاهد ما بين العشرة إلى خمسة عشر وقيل ما بين العشرة إلى الاربعين وقيل جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط (إن أبانا لفي ضلال مبين) أي خطأ بين في ايثاره يوسف وأخاه علينا وليس المراد من هذا الضلال الضلال عن الدين ولو ارادوه لكفروا به بل المراد منه الخطأ في تدبير امر الدنيا يقولون نحن انفع في امر الدنيا واصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه من يوسف فنحن اولى بالمحبة منه فهو مخطيء في صرف محبته اليه

وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وزبلون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد يعقوب من سريتين اسم إحداهما زلفة والأخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفتالي وجاد وآشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب وهم الأسباط وعددهم اثنا عشر نفرا (آيات للسائلين) وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من ارض كنعان إلى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع إخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله ﷺ لأنه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيئا فدل ذلك على ان ما اتى به وحي سماوي وعلم قدسي أوحاه الله اليه وشرفه به ومعنى ايات للسائلين اي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما ال اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على إخوته وبلواه مثل القائه في الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما ال اليه أمره من الملك ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما ال اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الايات التي إذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ (إذ قالوا) يعني إخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعني بنيامين وهما من أم واحدة (أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة) إنما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد إلى العشرة وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشر إلى خمسة عشر وقيل إلى الأربعين وقيل الأصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر (إن ابانا لفي ضلال مبين) يعني لفي خطا بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه وإصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين إذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطيء في صرف محبته اليه لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الأعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الأخوة إلا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب إنما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لأن أمه ماتت وهو صغير ولأنه رأى فيه من ايات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر أخوته * فان قلت الذي فعله إخوة يوسف ببيوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم إلى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك قادح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه * قلت هذه الأفعال إنما صدرت من أخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبرة في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال

اقتلوا يوسف) اختلفوا فى قائل هذا القول فقال وهب قاله شمعون وقال كعب قاله دان وقال مقاتل روبيل مبين اقتلوا بضم التنوين قرأها ابن كثير ونافع والكسائى قرأ الباقون مبين اقتلوا بكسر التنوين (او اطرحوه أرضا) أى الى أرض تبعد عن أبيه وقيل فى أرض تأكله السباع (يخل لكم) يخلص لكم ويصف لكم (وجه أبيكم) عن شغله بيوسف (وتكونوا من بعده) من بعد قتل يوسف (قوما صالحين) تائبين أى تو بوا بعد ما فعلتم هذا يغفر الله عنكم وقال مقاتل صالحين يصلح الله أمركم فيما بينكم وبين أبيكم (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف) وهو يهوذا وقال قتادة روبيل وكان ابن خالة يوسف وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا (٢١٧) فيه والأول أصح انه يهوذا

قادحة فى عصمة الأنبياء * قوله تعالى حكاية عن أخوة يوسف (اقتلوا يوسف او اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال إخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين اما القتل مرة واحدة او التغريب إلى ارض يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه بأن تفترسه الاسد والسباع او يموت فى تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة فى ذلك وهى قوله يخل لكم وجه أبيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف اقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم (وتكونوا من بعده) يعنى من بعد قتل يوسف أو ابعاده عن ابيه (قوما صالحين) يعنى تائبين فتوبوا إلى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذى عزموا عليه من الذنوب والكبائر قالوا توب إلى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين فى المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم * فان قلت كيف يليق ان تصدر هذه الافعال منهم وهم أنبياء * قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا أنبياء فى ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادحة فى عصمة الأنبياء وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذى أشار بقتل يوسف كان اجنبيا شاوروه فى ذلك فأشار عليهم بقتله (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف) يعنى قال قائل من أخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لأنه كان أقربهم إليه سنا (والقوه فى غيابت الجب) يعنى القوه فى اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئا وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمى بذلك لأنه جب اى قطع ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه فى موضع من الجب مظلم لا يراه أحد واختلفوا فى مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو فى أرض الأردن وقال مقاتل هو فى الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وإنما عينوا ذلك الجب للعلة التى ذكروها وهى قولهم (يلتقطه بعض السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ الشىء من الطريق او من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يعنى يأخذه بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى فتستريحوا منه (إن كنتم فاعلين) فيه إشارة إلى ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر إن كنتم فاعلين ذلك قال البغوى كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء إلا بعده وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض اهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم الله فلما اجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) بدؤا بالانكار عليه فى ترك

نهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة (وألقوه فى غيابت الجب) قرأ أبو على جعفر ونافع غيابات الجب الجمع فى الحرفين وقرأ الباقون غيابت الجب على الواحد اى فى اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر عنك الشىء وغيبه والجب البئر غير المطوية لأنه جب اى قطع ولم يطو (يلتقطه) ياخذه والالتقاط أخذ الشىء من حيث لا يحتسبه الانسان (بعض السيارة) أى بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى فتستريحوا منه (إن كنتم فاعلين) أى إن عزمتم على فعلكم وهم كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء بعد وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له وقال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم على جرائم من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة

الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس احد من رحمة الله وقال بعض اهل العلم انهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة لهم ولو فعلوا لهلكوا أجمعون وكل ذلك كان قبل ان نبأهم الله تعالى وسئل ابو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء قال كان ذلك قبل ان نبأهم الله تعالى فلما اجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضروب من الحيل (قالوا) ليعقوب (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) قرأ ابو جعفر تأمنا بلا شمة وهو رواية عن نافع وقرأ الباقون باشمام الضمة فى النون الأولى المدغمة وهو إشارة إلى الضمة من غير المحاض ليعلم ان اصله لا تأمننا بنونين على تفعلنا فأدغمت النون الأولى فى الثانية بدؤا بالإنكار عليه فى ترك إرساله معهم كانهم قالوا انك لا ترسله معنا اتخافنا عليه

(وإنا له لناصحون) قال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم أرسله معنا فقال ابوهم إني ليحزنني أن تذهبوا به فحينئذ قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون النصح ههنا هو القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف معناه إنا عاطفون عليه قائمون بمصلحته نحفظه حتى نرده إليك (أرسله معنا غدا) (٢١٨) إلى الصحراء (يرتع ويلعب) قرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وجزم العين في نرتع وقرأ يعقوب نرتع بالنون ويلعب بالياء وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين في يرتع يعني يوسف وقرأ الآخرون نرتع بالنون ويلعب بالياء والرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان ماله إذا أنفقه في شهواته والأصل في الرتع أكل البهائم في الخصب من الربيع ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير (ويلعب) اللعب معروف وقال الراغب يقال لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا انلعب وهم الأنبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء ويحتمل ان يكون المراد باللعب ههنا الاقدام على المباحات لأجل انشراح الصدور ومنه قوله ﷺ لجابر رضي الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران والحرب بدليل قوله نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في صورة اللعب وقيل في معنى نرتع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو ونتنشط (وإنا له لحافظون) يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده إليك سالما (قال) يعني قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (إني ليحزنني أن تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الاية أنهم لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه يحزنه لأنه كان لا يقدر أن يصبر عنه ساعة والثاني قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يعني إذا غفلوا برعيهم ولعبهم وذلك أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى في المنام أن ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب في أرضهم كثيرة (قالوا) يعني قال إخوة يوسف مجيبين ليعقوب (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أي جماعة عشرة رجال (إنا إذا لخاسرون) يعني عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا أن يدعوا عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه إذا لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن إذا خاسرون * قوله عز وجل (فلما ذهبوا به) فيه إضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) يعني وعزموا على أن يلقوه في غيابة الجب ﴿ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام﴾ قال وهب وغيره من أهل السير والأخبار إن إخوة يوسف قالوا له ما تشتاق أن تخرج معنا إلى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا أنسأل أباك أن يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا إلى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا أبت إني أرى من اخوتي اللين والعطف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فأذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر إليهم فلما بعدوا عنه وصاروا إلى الصحراء ألقوه على الأرض وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء إلى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف ومانزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فأخذه روبيل وجلد به الأرض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الأحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه

إرسال يوسف معهم كانهم قالوا أتخافنا عليه إذا أرسلته معنا (وإنا له لناصحون) المراد بالنصح ههنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وإنا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك انهم قالوا لأبيهم أرسله معنا فقال يعقوب إني ليحزنني أن تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعني إلى الصحراء (يرتع) الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان ماله إذا أنفقه في شهواته والاصل في الرتع أكل البهائم في الخصب من الربيع ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير (ويلعب) اللعب معروف وقال الراغب يقال لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا انلعب وهم الأنبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء ويحتمل ان يكون المراد باللعب ههنا الاقدام على المباحات لأجل انشراح الصدور ومنه قوله ﷺ لجابر رضي الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران والحرب بدليل قوله نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في صورة اللعب وقيل في معنى نرتع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو ونتنشط (وإنا له لحافظون) يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده إليك سالما (قال) يعني قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (إني ليحزنني أن تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الاية أنهم لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه يحزنه لأنه كان لا يقدر أن يصبر عنه ساعة والثاني قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يعني إذا غفلوا برعيهم ولعبهم وذلك أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى في المنام أن ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب في أرضهم كثيرة (قالوا) يعني قال إخوة يوسف مجيبين ليعقوب (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أي جماعة عشرة رجال (إنا إذا لخاسرون) يعني عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا أن يدعوا عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه إذا لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن إذا خاسرون * قوله عز وجل (فلما ذهبوا به) فيه إضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) يعني وعزموا على أن يلقوه في غيابة الجب ﴿ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام﴾ قال وهب وغيره من أهل السير والأخبار إن إخوة يوسف قالوا له ما تشتاق أن تخرج معنا إلى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا أنسأل أباك أن يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا إلى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا أبت إني أرى من اخوتي اللين والعطف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فأذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر إليهم فلما بعدوا عنه وصاروا إلى الصحراء ألقوه على الأرض وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء إلى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فأخذه روبيل وجلد به الأرض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الأحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه

قرأ يعقوب نرتع بالنون ويلعب بالياء وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين في يرتع يعني يوسف وقرأ الآخرون نرتع بالنون ويلعب بالياء والرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان ماله إذا أنفقه في شهواته يريد وتنعم ونأكل ونشرب ونلهو ونتنشط وقرأ أهل الحجاز يرتع بكسر العين وهو يفتعل من الوعي ثم ابن كثير قرأ بالنون فيهما اي نتحارس ويحفظ بعضنا بعضا وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء إخبارا عن يوسف اي يرعى الماشية كما نرعى نحن (وإنا له لحافظون قال) لهم يعقوب (إني ليحزنني ان تذهبوا به) أي يحزنني ذهابكم به والحزن ههنا الم القلب بفراق المحبوب (واخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) وذلك ان يعقوب كان رأى في المنام ان ذئبا شد على يوسف فكان يخاف من ذلك ثم قال اخاف ان يأكله الذئب قرأ ابن كثير واسمعيل وقالون عن نافع وعاصم وابن عامر الذئب بالهمزة وكذلك ابو عمرو اذا لم يدرج وحمزة اذا لم يقف وقرأ الكسائي وورش عن نافع وابو عمرو في الدرج وحمزة في الوقف الذيب بترك الهمزة في الهمز انه هو الاصل لأنه من قولهم تذايبت الريح فاستغاث اذا جاءت من كل وجه ويجمع الذئب اذؤبا وذئابا بالهمز قوا الوجه في ترك الهمز ان الهمزة خففت فقلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة) عشرة (انا اذا لخاسرون) عجزة ضعفاء (فلما ذهبوا به واجمعوا) اي عزموا (ان يجعلوه) يلقوه في غيابة الجب

وأوحينا اليه) هذه الواو زائدة تقديره أوحينا اليه كقوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين وناديناه (لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) أي أوحينا إلى يوسف عليه السلام لتصدقن رؤياك لتخبرن أخوتك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحي الله واعلامه إياه ذلك قاله مجاهد وقيل معناه وهم لا يشعرون يوم تخبرهم انك يوسف وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم منكرون وذكر وهب غيره انهم أخذوا يوسف عليه السلام بغاية الاكرام وجعلوا يحملونه فلما برزوا إلى البرية القوه (٢١٩) وجعلوا يضربونه فاذا ضربه واحد منه استغاث بالآخر فضربه الآخر لجعل لا يرى منهم رحما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا ان يقتلوه قال لهم يهوذا اليس قد أعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فيه وكان ابن اثنتي عشرة سنة وقيل ثمانية عشرة سنة فجاؤا به إلى بئر على غير الطريق واسعة الأسفل ضيقة الرأس قال مقاتل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام قال كعب بين مدين ومصر وقال وهب بارض الأردن وقال قتادة هي بئر بيت المقدس فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي لاستتر به في الجب فقال ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال اني لم أر شيئا فالقوه فيها ثم قام لهم يا اخوتاه اتدعوني فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه واخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رحمة أدركته فاجابهم فأرادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وقيل أن يعقوب لما بعثه مع أخوته أخرج له قميص إبراهيم الذي كساه الله إياه من الجنة حين ألقي في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك إياه حين ألقي في الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما ألقي يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فامسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك إذا خرجت استوحشت فقال إذا رهبت شيئا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من امري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقي يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه فما بات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم ألقي في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة ايام وكان أخوته يرعون حوله وكان يهوذا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا) يعني لتخبرن أخوتك قال اكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يونسه ويبشره بالخروج ويخبره انه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا إلا ان الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام * فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لأن فائدة النبوة والرسالة تبليغها إلى من أرسل اليه * قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه بعد ذلك يامره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحي الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى أم موسى والقول الأول أولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعني بايحائنا اليك وانت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي انهم إذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى إلى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام وانسه يخلص مما هو

فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي فادركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتي ما على هذا عاهدتموني الا ادلكم علي ما هو اهون لكم وارفق به فقالوا وما هو قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به إلى بئر هنا على غير الطريق واسع الأسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه في البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي لاستتر به في الجب فقال ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال اني لم أر شيئا فالقوه فيها ثم قام لهم يا اخوتاه اتدعوني فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه واخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رحمة أدركته فاجابهم فأرادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وقيل أن يعقوب لما بعثه مع أخوته أخرج له قميص إبراهيم الذي كساه الله إياه من الجنة حين ألقي في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك إياه حين ألقي في الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما ألقي يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فامسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك إذا خرجت استوحشت فقال إذا رهبت شيئا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من امري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقي يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه فما بات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم ألقي في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة ايام وكان أخوته يرعون حوله وكان يهوذا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا) يعني لتخبرن أخوتك قال اكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يونسه ويبشره بالخروج ويخبره انه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا إلا ان الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام * فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لأن فائدة النبوة والرسالة تبليغها إلى من أرسل اليه * قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه بعد ذلك يامره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحي الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى أم موسى والقول الأول أولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعني بايحائنا اليك وانت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي انهم إذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى إلى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام وانسه يخلص مما هو

فكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها وقيل أنهم لما ألقوه فيها جعل يبكي فنادوه فظن انه رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا ان يرضخوه بصخرة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وبقي فيها ثلاث ليال وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا والا كثرون على ان الله تعالى اوحى اليه بهذا وبعث اليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره ينبئهم بما فعلوه ويجازيهم عليه وهم لا يشعرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف عليه السلام

(وجاؤا أباهم عشاء يبكون) قال أهل المعانى جاءوا فى ظلمة العشاء ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب وروى أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال مالكم يا بنى هل أصابكم فى غنمكم شىء قالوا لا قال فأصابكم وابن يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أى نترامى ونتناضل وقال السدى نشتد على أقدامنا (وتركنا يوسف عند متاعنا) أى عند ثيابنا وأقمشتنا (فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا) (صادقين) فإن قيل كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق قيل معناه انك تتهمنا فى هذا الأمر لأنك خفتنا عليه فى الابتداء واتهمتنا فى حقه وقيل معناه (٢٢٠) لا تصدقنا لأنه لا دليل لنا على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله (وجاءوا على قميصه بدم كذب) أى بدم كذب لأنه لم يكن دم يوسف وقيل بدم مكذوب فيه فوضع المصدر موضع الإسم وفى القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب عليه السلام كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم (قال بل سولت) زينت (لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) معناه فأمرى وقيل فصبر جميل اختاره والصبر الجميل الذى لا شكوى فيه ولا جزع (والله المستعان على ما تصفون) أى استعين بالله على الصبر على ما تكذبون وفى القصة انهم جاءوا بالذئب وقالوا هذا الذى أكله فقال له يعقوب يا ذئب انت أكلت ولدى وثمرة فؤادى فانطقه الله عز وجل فقال تالله ما رأيت وجه ابنك قط فقال كيف وقعت بأرض كنعان قال جئت لصلة قرابة فصادفنى هؤلاء فكث يوسف فى البئر ثلاثة أيام (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سموا سيارة لأنهم يسيرون فى الأرض كانت رفقة من مدين تريد مصر فأخطأوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب وكان الجب فى قفر بعيد من العمران للرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا يتقدم فعذب حين ألقى يوسف عليه السلام فيه فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر لطلب الماء فذلك قوله عز وجل (فأرسلوا واردهم) والوارد الذى يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيىء الارشية والدلاء (فأدلى دلوه) أى أرسلها فى البئر يقال ادليت الدلو إذا أرسلتها فى البئر ودلوتها إذا أخرجتها فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون قال النبى صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن وقال ابن إسحق ذهب يوسف وأمه بثلثى

فيه من المحنة ويصير مستولياً عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره قوله تعالى (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) قال المفسرون لما طرحوا يوسف فى الجب رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء ليكونوا فى الظلمة أجرأ على الاعتذار بالكذب فتقاربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال يا بنى مالكم أصابكم شىء فى غنمكم قالوا لا قال فأصابكم وابن يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) قال ابن عباس يعنى نتناضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا فى الرمى والأصل فى السبق الرمى بالسهم وهو التناضل أيضا وسمى المترامیان بذلك يقال تسابقوا واستبقوا إذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أبعد سهما وقال السدى يعنى نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الأقدام ليتبين اينا أسرع عدوا وأخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق إلى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعنى عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعنى فى حال استباقنا وغفلتنا عنه (وما أنت بمؤمن لنا) يعنى وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعنى فى قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا فى قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لا تصدقنا لأنه لم تظهر عندك امارة تدل على صدقنا (وجاؤا على قميصه) يعنى قميص يوسف (بدم كذب) أى مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاؤا اباهم وفى القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم اتوه بذئب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدى وثمرة فؤادى فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا ان نأكل لحوم الأنبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهى قرابة لى فاخذونى واتوا بى اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) يعنى بل زينت لكم أنفسكم امرا واصل التسويل تقديم معنى فى النفس مع الطمع فى إتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء أى سهلت لكم أنفسكم امرا عظيما ركبتموه من يوسف وهو تتموه فى أنفسكم واعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد لقولهم فأكله الذئب كأنه قال ليس الأمر كما تقولون أكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون (فصبر جميل) أى فشأنى صبر جميل وقيل معناه فصبرى صبر جميل والصبر الجميل الذى لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تتحدث بمصيبتك ولا تزكين نفسك (والله المستعان على ما تصفون) يعنى من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون ٥ قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سموا سيارة لمسيرهم فى الأرض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذى كان فيه يوسف وكان فى قفرة بعيدة من العمار ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا فلما القى يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قال والوارد هو الذى

الحسن فلما رآه مالك بن ذعر (قال يا بشرى) قرأ الاكثرون هكذا بالألف وفتح الياء والوجه ان بشرا ى مضافة إلى ياء المتكلم وهو منادى مضاف فوضعه نصب وقرأ الكوفيون يا بشرى بغير ياء الاضافة على فعلى وامال الراء حمزة والكسائى وفتحها عاصم والوجه فى افرادها عن ياء المتكلم هو ان بشرى نكرة ههنا فناداها كما تنادى النكرات نحو قولك يا رجلا ويا راكبا إذا جعلت النداء شائعا فيكون موضعه نصبا مع التنوين إلا ان فعلى لا سبيل اليها للتنوين ويجوز ان تكون بشرى منادى تعرف بالقصد نحو (٢٢١) يا رجل يريد نادى المستق رجلا من أصحابه اسمه بشرى فتكون بشرى فى موضع رفع وقيل بشر المستقى أصحابه يقول أبشروا (هذا غلام) وروى ابن مجاهد عن أبيه ان جدران البئر كانت تبكى على يوسف حين أخرج منها (وأسروه) اى اخفوه (بضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هذا بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة ان يطلبوا منهم فيه المشاركة وقيل أراد أن أخوة يوسف أسروا شأن يوسف وقالوا هذا عبدنا أبق منا فقال الله تعالى (والله عليم بما يعملون) فاتى يهوذا يوسف بالطعام فلم يجده فى البئر فاخبر بذلك اخوته فطلبوه فاذاهم بمالك واصحابه نزول فاتوهم فاذاهم بيوسف فقالوا هذا عبد ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله وقال مثل قولهم ثم باعوه فذلك قوله عز وجل (وشروه) اى باعوه (بثمن بخس) قال الضحاك ومقاتل والسدى حرام لان ثمن الحر حرام وسمى الحرام بخسا لانه مبخوس البركة وعن ابن عباس وابن مسعود بخس أى زيوف وقال عكرمة والشعبى بثمن قليل (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) ذكر العدد عبارة عن قلتها وقيل إنما قال معدودة لانهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان اقل من أربعين درهما إنما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغت أوقية وزنوها واختلفوا فى عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ اخوه من امه وابيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين لانهم كانوا

يتقدم الرفقة إلى الماء فهيء الارشية والدلاء يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها فى البئر ودلوتها إذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوى بسند متصل أن النبى ﷺ قال اعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمه بثلثى الحسن وحكى الثعلبى عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم رأيت النور من ضواحكه وإذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصوره قبل ان يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف وراء مالك بن ذعر كما حسن ما يكون من الغلمان (قال) يعنى الوارد وهو مالك بن ذعر (يا بشرى) يعنى يقول الوارد لاصحابه ابشروا (هذا غلام) وقرىء يا بشرى بغير إضافة ومعناه أن الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال ان جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها (واسروه بضاعة) قال مجاهد اسره مالك بن ذعر واصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل المال إلى مصر وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل إن اخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعنى انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبدنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر واصحابه والقول الأول اصح لان مالك بن ذعر هو الذى اسره بضاعة واصحابه (والله عليم بما يعملون) يعنى من إرادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه أن يصير مالك مصر بعد أن كان عبدا قال اصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام فاتاه فلم يجده فى الجب فاخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذاهم بمالك ابن ذعر واصحابه نزولا قريبا من البئر فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) أى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وإنما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير فى وشروه وفى وكانوا فيه من الزاهدين يرجع إلى شيء واحد وذلك ان إخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير فى وشروه يعود على مالك بن ذعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه (بثمن بخس) قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدى بخس أى حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعنى منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اى زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بخس أى ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه إذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبى بخس أى قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس فى اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبخس والباخس الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه إشارة إلى قلة تلك الدراهم لانهم فى ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من اربعين درهما إنما كانوا يأخذون ما دونها عددا فاذا بلغت اربعين درهما وهى اوقية وزنوها واختلفوا فى عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ اخوه من امه وابيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين لانهم كانوا

(وكانوا) يعني اخوة يوسف (فيه) أي في يوسف (من الزاهدين) لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله وقيل كانوا في الثمن من الزاهدين لأنهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن إنما كان قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه ثم انطلق مالك بن ذعر واصحابه بيوسف فتبعهم إخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق فذهبوا به حتى قدموا مصر وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وقال قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر يسمى العزيز وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن شروان من العمالقة وقيل إن هذا الملك لم يمت حتى امن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف حي قال ابن عباس رضي الله عنهما لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن ذعر فابتاع منه يوسف بعشرين دينار وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه (٢٢٢) قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعة قناطير وهو ابن ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطفير من مالك بن ذعر بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته) واسمها راعيل وقيل زليخا (اكرمي مثواه) اي منزله ومقامه والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه في المطعم والملبس والمقام وقال قتادة وابن جريج منزلته (عسى ان ينفعنا) اي نبيعه بالربح ان أردنا البيع أو يكفينا إذا بلغ بعض أمورنا (او نتخذه ولدا) اي نتبناه قال ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا وابنة شعيب عليه السلام حيث قالت لأبيها في موسى عليه السلام يا ابت استأجره وابو بكر في عمر رضي الله عنهما حيث استخلفه (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) اي في أرض مصر أي كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكناه في الأرض فجعلناه على الكلي خزائنها (ولنعلمه من تاويل الاحاديث) اي مكناه في الارض لكي نعلمه من تاويل الاحاديث وهي عبارة عن الرؤيا (والله غالب على امره) قيل الهاء في أمره كناية عن الله تعالى يقول إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ولا يراد عليه حكم راد وقيل هي راجعة إلى يوسف عليه السلام معناه ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والحياطة لا يكله إلى احد حتى يبلغ منتهى علمه فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ما الله به صانع (ولما بلغ أشده) منتهى شبابه وشدته وقوته ومعرفته قال مجاهد هم ثلاثين سنة وقال السدي ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وسئل مالك رحمه الله عن الاشد قال هو الحلم

أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) يعني وكان إخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا إذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله يوسف من الزاهدين ان قلنا انه يرجع إلى إخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا إبعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وإن قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع إلى معنى واحد وهو أن الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه إظهار قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به إلى مصر وتبعهم إخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن شروان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به إلى السوق يعرضونه للبيع فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه أربعة قناطير وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قطفير من اهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (اكرمي مثواه) يعني اكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه في المطعم والملبس والمقام (عسى ان ينفعنا) يعني إن أردنا ربحه بعناه بربح أو يكفينا بعض امورنا ومصالحنا إذا قوي وبلغ (او نتخذه ولدا) يعني نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لابيها استأجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر في عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) يعني كما منا على يوسف بان انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكناه في الارض يعني ارض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تاويل الاحاديث) اي مكناه في الارض لكي نعلمه من تاويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على امره) قيل الكناية في امره راجعة إلى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة إلى يوسف ومعناه أن الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله إلى احد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ اشده) يعني منتهى شبابه وشدته وقوته وقال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال

(اتيناه حكما وعلما) فالحكم النبوة والعلم الفقه فى الدين وقيل حكما يعنى اصابة فى القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذى يعلم الاشياء والحكيم الذى يعمل بما يوجبه العلم (وكذلك نجزى المحسنين) قال ابن عباس رضى الله عنهما المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام (وراودته التى هو بيتها عن نفسه) يعنى امرأة العزيز والمراودة طلب الفعل والمراد ههنا انها دعته إلى نفسها ليواقعها (وغلقت الابواب) أى اطبقتها وكانت سبعة (وقالت هيت لك) أى هلم واقبل قرأ أهل الكوفة والبصرة هيت لك بفتح الهاء والتاء جميعا وقرأ أهل المدينة والشام هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بفتح الهاء وضم التاء والوجه ان فى هذه الكلمة ثلاث لغات هيت وهيت وهيت والكل بمعنى هلم وقرأ السلمى وقتادة هئت لك بكسر الهاء وضم التاء مهموزا على مثال جئت يعنى تهيأت لك وأنكره أبو عمر والكسائى وقالا لم يحك هذا عن العرب والاول هو المعروف عند العرب قال ابن مسعود رضى الله عنه اقرانى النبى ﷺ هيت لك قال أبو عبيدة كان الكسائى يقول هى لغة لاهل حوران وقعت إلى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة هى أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث وإقبال على الشىء قال ابو عبيدة أن العرب لا تثنى هيت ولا تجمع وتؤنث وانها صورة واحدة فى كل حال (قال) يوسف لها عند ذلك (معاذ الله) اى (٢٢٣) أعوذ بالله واعتصم بالله مما دعوتنى اليه (انه ربى) يريد أن زوجك قطفير سيدى (أحسن مثواى) اى أكرم منزلى هذا قول اكثر المفسرين وقيل الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد ان الله تعالى ربى احسن مثواى اى اوانى ومن بلاء الجب عافانى (انه لا يفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا فخنته فى اهله بعد ما اكرم مثواى فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل لا يفلح الظالمون اى لا يسعد الزناة (ولقد همت به وهم بها) والهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه فهما عزما على المعصية والزنا واما همه فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وعن مجاهد قال حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه إلى جيد يوسف وباليد الاخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال ابو عبيد القاسم بن سلام قد انكر قوم هذا القول وقالوا هذا لا يليق بحال الانبياء والقول ما قال متقدموا هذه الأمة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا فى الأنبياء من غير علم وقال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما يتناثر من جسدى قالت ما أحسن عينيك قال هى أول ما تسيل على وجهى فى قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل أنها قالت إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتى قال إذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهى امرأة حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به وهم بها ثم أن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذى ذكر وزعم بعض المتأخرين أن هذا لا يليق بحال الانبياء عليهم السلام وقال تم الكلام عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ الخبر عن يوسف عليه السلام فقال وهم بها لولا أن رأى برهان ربه على التقديم والتأخير أى لولا أن رأى برهان ربه لهم

الكلبى الاشد ما بين ثمان عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم (اتيناه حكما وعلما) يعنى اتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها فى الدين وقيل حكما واصابة فى القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذى يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغى والعلم هو العلم النظرى (وكذلك يعنى وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (نجزى المحسنين) قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) يعنى ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته إلى نفسها ليواقعها (وغلقت الابواب) اى اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون إلا فى ستر وخفية أو أنها أغلقتها لشدة خوفها (وقالت هيت لك) أى هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائى يقول هى لغة لأهل حوران رفعت إلى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث وإقبال على الشىء. وقيل هى بالعبرانية واصلها هيتا لج اى تعالى فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت اصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى التنور ولغة العرب الترك فى الغساق ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب إذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرىء هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك (قال) يعنى يوسف (معاذ الله) أى أعوذ بالله واعتصم به والجأ اليه فيما دعوتنى اليه (إنه ربى) يعنى ان العزيز قطفير سيدى (أحسن مثواى) اى اكرم منزلتى فلا اخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة إلى الله تعالى والمعنى يقول إن الله ربى احسن مثواى يعنى انه اوانى ومن بلاء الجب نجانى (إنه لا يفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة ٥ قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها

بها ولكنه رأى البرهان فلم يهم وأنكره النحاة وقالوا إن العرب لا تؤخر لولا عن الفعل فلا تقول لقد قمت لولا زيد وهو يريد لولا زيد لقمت وقيل همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يوسف أي تمنى أن تكون له زوجة وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم وقال بعضهم إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر والصغائر تجوز على الانبياء عليهم السلام وروى أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج من السجن وأقرت المرأة قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرىء نفسي الاية وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يذكر ذنوب الانبياء عليهم السلام في القرآن ليعيرهم ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم ولئلا ييأس أحد من رحمته وقيل انه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية وقيل ليجعلهم أئمة لاهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الاياس من المغفرة والعفو وقال بعض اهل الحقائق الهم همان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز والعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير ماخوذ به مالم يتكلم أو يعمل أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرازق ثنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة مالم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له مالم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها سيئة قوله عز وجل (لولا أن رأى برهان ربه) اختلفوا في ذلك البرهان قال قتادة واكثر المفسرين أنه رأى صورة يعقوب وهو يقول له يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف

لولا أن رأى برهان ربه) هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر أقوال المفسرين في هذه الاية قال المفسرون الهم هم المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر همت بالشيء إذا أردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به أي أردته وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن ضابىء البرجمي

همت ولم أفعل وكدت وليتني ٭ تركت على عثمان تبكي حلائله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أي وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها قال البغوي وأما همه بها فروى عن ابن عباس أنه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده إلى جيد يوسف وبيده الاخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما يتناثر عن جسدي قالت ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل على خدي في قبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل أنها قالت له إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال إذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امرأة حسناء جميلة حتى لان لها ما يريد من كلفها به فهم بها ثم أن الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسيأتي الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الآية أما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرزيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التي ينسب إليها قال بعض المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وتصد وعقيدة رضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به مالم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يقول الله تبارك وتعالى إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له عشرة لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عليه سيئة واحدة زاد في رواية أو محاها ولن يهلك على الله إلا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء المحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف إذا وأما

على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم إذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما مالم توطن عليه النفس من هموسها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرىء نفسى الاية أى ما ابرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرىء فكيف وحكى ابو حاتم عن أبى عبيدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أى ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الاية وقيل فى قوله وهم بها أى بزجرها وعظها وقيل هم بها أى همها امتناعه وقيل هم بها أى نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم مازال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضى عياض رحمه الله وأما الامام فخر الدين فذكر فى هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام فخر الدين الرازى أن يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه تقول وعنه نذب فان الدلائل قد دلت على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت إلى ما نقله بعض المفسرين عن الأئمة المتقدمين فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام فى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الاية وقال فى حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيئا من ذلك فى هذه الواقعة لأنه لو صدر منه شىء لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه فى كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علنا براءته عما قيل فيه ولم يصدر عنه شىء كما نقله أصحاب الأخبار ويدل على ذلك أيضا أن كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتى قطعن أيديهن والمولود الذى شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان يوسف ادعى براءته عما نسب اليه فقوله هى راودتنى عن نفسى وقوله رب السجن أحب إلى مما يدعونني اليه اما بيان ان المراة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقولها أنا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف فقوله إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين واما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الاية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لأحد ان يقول ذلك واما ما روى عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخائن الخاش ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض اصحاب القصص واصحاب الاخبار وضعوه عن ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره ايضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وما صدر من انبيائه عليهم الصلاة والسلام * فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه فائدة * قلت فيه اعظم الفوائد وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان ان الامتناع من ضربها اولى صونا للنفس عن الهلاك الوجه الثانى انه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان فى ذلك ان يتمزق ثوبه من قدام وكان فى علم الله ان الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن وإذا تمزق من خلف كانت

فضرب بيده فى صدره فخرج شهوته من أنامله وقال السدى نودى يا يوسف تواقعها إنما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جوف السماء لا يطاق ومثلك ان تواقعها مثله إذا مات ووقع فى الأرض لا يستطيع ان يدفع نفسه ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثل الثور يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله وهم بها قال حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امراته فاذا بكف قد بدت بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهرت تلك الكف مكتوبا عليها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهر ورأى تلك الكف مكتوبا عليها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام عاضا على اصبعه يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب

عند الله في الأنبياء وروى أنه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله وقال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين هم بها فرأى كتابا في حائط البيت لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا وروى عطية عن ابن عباس في البرهان أنه رأى مثال الملك وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت استحييت منه ان يراني على المعصية فقال يوسف أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه فانا احق ان استحي من ربي وهرب قوله عز وجل لولا ان رأى برهان ربه جواب لولا محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لواقع المعصية (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) فالسوء الاثم وقيل السوء القبيح والفحشاء الزنا (انه من عبادنا المخلصين) قرأ اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام حيث كان اذا لم يكن بعده ذكر الدين زاد الكوفيون مخلصا في سورة مريم عليها السلام ففتحوا ومعنى المخلصين المختارين للنبوة دليله انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وقرأ الاخرون بكسر اللام اي المخلصين لله الطاعة والعبادة (واستبقا الباب) وذلك ان يوسف لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا الى باب البيت هاربا وتبعته المراة لتمسك الباب حتى لا يخرج

هي الحائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فاثبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين أن يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الأنبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف أتواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثله إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعتها كمثله إذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل أنه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام ادرك عبدي يوسف قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الأنبياء وقيل أنه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فرأى كتابا في حائط فيه ولا تقربوا الزنا أنه كانا فاحشة وساء سبيلا وفي رواية عن ابن عباس أنه رأى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته بثوب فقال له يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يراني على معصية فقال لها يوسف أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فانا احق ان استحي من ربي فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الأول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها الله تعالى في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله (كذلك) يعني كما أريناه البرهان كذلك (لنصرف عنه السوء) يعني الاثم (والفحشاء) يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله (أنه) يعني يوسف (من عبادنا المخلصين) قرىء بفتح اللام ومعناه أنه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرىء بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل * قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا إلى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وادركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقدت قميصه من دبر) يعني شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه (وألفيا سيدها لدى الباب) يعني فلما خرج وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول (قالت) يعني لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوأ) يعني الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل

يوسف فسبق يوسف وادركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها حتى لا يخرج (وقدت قميصه) اي شقته وذلك (من دبر) اي من خلفه فلما خرجا لقيا العزيز وهو قوله (وألفيا سيدها لدى الباب) اي وجدا زوج المراة قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لها يقال فلما رأته هابته (قالت) سابقة بالقول لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوأ) يعني الزنا ثم خافت عليه أن يقتله فقالت

(إلا أن يسجن) أي يحبس (أو عذاب أليم) أي ضرب بالسياط فلما سمع يوسف مقالتها (قال هي راودتني عن نفسي) يعني طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها وقيل ما كان يريد يوسف أن يذكرها فلما قالت المرأة ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ذكره فقال هي راودتني عن نفسي (وشهد شاهد) وحكم حاكم (من أهلها) اختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله عز وجل

وذلك لشدة حيائه فقالت (إلا أن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو عذاب أليم) يعني الضرب بالسياط وإنما بدأت السجن دون العذاب لأن المحب لا يشتهي إيلام المحبوب وإنما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها أراد أن يبرهن عن نفسه (قال) يعني يوسف (هي راودتني عن نفسي) يعني طلبت مني الفحشاء فأبيت وفررت وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي (وشهد شاهد من أهلها) يعني وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله عز وجل وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال تكلم في المهد أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما إذا رأى وقال السدي هو ابن عم المرأة فحكم فقال (إن كان قميصه قد من قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين فلما رأى قميصه قد من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وإنما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها أنه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يبسط يديه إلى سيدته ومنها أنهم شاهدوا يوسف يعدو هاربا منها والطالب لا يهرب ومنها أنهم رأوا المرأة قد تزينت بأكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها أنهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب إقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا (فلما قميصه قد من دبر) يعني فلما رأى قطفير زوج المرأة قميص يوسف عليه الصلاة والسلام قد من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام (قال) يعني لها لزوجها قطفير (إنه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) يعني من حيلكم ومكركن (إن كيدكن عظيم) فإن قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم من قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة إلى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والأرض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لأن لهن من المكر والحيل والكيد في إتمام مرادهن مالا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل أن قوله إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعني يا يوسف (أعرض عن هذا) يعني اترك هذ الحديث فلا تذكره لأحد حتى لا يفشو ويشيع ويتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث بهذا الأمر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت إلى المرأة فقال لها (واستغفري لذنبك) يعني توبي إلى الله مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو بريء منها وقيل أن هذا من قول الشاهد يقول للمرأة سلي زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذلك (إنك كنت من الخاطئين) يعني من المذنبين حين خنت

(إنك كنت من الخاطئين) من المذنبين وقيل أن هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعيل وأراد بقوله واستغفري لذنبك أي سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك أنك كنت من الخاطئين من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لأنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل به الخبر عمن يفعل ذلك تقديره من القوم الخاطئين كقوله تعالى وكانت من القانتين بيانه قوله تعالى إنها كانت من قوم كافرين

قوله عز وجل (وقالت نسوة فى المدينة) الاية يقول شارع أمر يوسف والمرأة فى المدينة مدينة مصر وقيل مدينة عين شمس وتحدثت النساء بذلك وقلن وهن خمس نسوة وامرأة حاجب الملك وامرأة صاحب الدواب وامرأة الخباز وامرأة الساقى وامرأة صاحب السجن قاله مقاتل وقيل هن نسوة من اشراف مصر (امرأة العزيز تراود فتاها) أى عبدها الكنعانى (عن نفسه) اى تطلب من عبدها الفاحشة (قد شغفها حباً) أى علقها حبا قال الكلبى حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه وقيل أحبته حتى دخلها حبه شغاف قلبها أى داخل قلبها قال السدى الشغاف جلدة رقيقة على القلب يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب وقرأ الشعبى والأعرج شغفها بالعين غير المعجمة معناه ذهب الحب بها كل مذهب ومنه شغف الجبال وهو (٢٢٨) رؤسها (إنا لنراها فى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر وقيل معناه أنها تركت ما يكون على أمثالها من العفاف والستر (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) بقولهن وحديثهن قال قتادة والسدى وقال ابن اسحق إنما قلن ذلك مكرا بها لترين يوسف وكان وصف لهن حسنه وجماله وقيل إنها أفشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك فلذلك سماه مكرا (ارسلت إليهن) قال وهب اتخذت مأدبة ودعت اربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتى عيرتها (واعتدت) اى اعدت (لهن متكأ) أى ما يتكأ عليه وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ اى طعاما سماه متكأ لأن اهل الطعام إذا جلسوا يتكئون على الوسائد فسمى الطعام متكأ على الاستعارة يقال اتكأنا عند فلان اى طعمنا ويقال المتكأ ما اتكأت عليه الشراب او الحديث او لطعام ويقرأ فى الشواذ متكا بسكون التاء واختلفوا فى معناه فقال ابن عباس هو الأترج وقد روى عن مجاهد مثله وقيل هو الاترج بالحبشة وقال الضحاك هو الرطب وورد وقال عكرمة يعنى هو كل شىء يقطع بالسكين وقال ابو زيد الانصارى كل ما يحز بالسكين فهو عند العرب متك والمتك والبتك بالميم والباء القطع فزينت المأدبة بالوان الفواكه والأطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة (وآتت) اعطت (كل واحدة منهن سكينا) فكن يأكلن اللحم حزا بالسكين (وقالت) ليوسف (اخرج عليهن) وذلك انها كانت اجلسته فى مكان آخر فخرج عليهن يوسف قال عكرمة كان فضل يوسف على سائر الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ رايت ليلة اسرى بى إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر قال اسحق بن ابى فروة كان يوسف إذا سار فى ازقة مصر يرى تلألأ وجهه على الجدران (فلما راينه اكبرنه) اعظمنه قال ابو الغالبة فى امره وهيئته وقيل اكبرنه اى حضن لأجله من جماله ولا يصح

زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو برىء وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل إنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل ما يفعل هذا الفعل تقديره إنك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين ه قوله عز وجل (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعنى وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة فى مدينة مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من أشراف مصر امرأة العزيز يعنى زليخا تراود فتاها عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعنى قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى أن حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه قد احاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبى حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيئا سواه (إنا لنراها فى ضلال مبين) يعنى فى خطأ بين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وإنما سمى قولهن ذلك مكرا لأنهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجماله فقصدن ان يرينه وقيل ان امرأة العزيز أفشت إليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا (ارسلت إليهن) يعنى أنها لما سمعت بأنهن يلمنها على محبتها ليوسف أرادت ان تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مأدبة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت اربعين امراة من اشراف مدينتها فمن هؤلاء اللاتى عيرنها (واعتدت لهن متكأ) يعنى ووضعت لهن نمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكئا يعنى طعاما وإنما سمى الطعام متكئا لأن كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت له وسائد يجلس ويتكىء عليها فسمى الطعام متكئا على الاستعارة ويقال اتكأنا عند فلان أى طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهى عنه فى الحديث وهو قوله ﷺ لا اكل متكئا وقيل المتكأ الأترج وقيل هو كل شىء يقطع بالسكين او يحز بها قال ان المرا قد زينت البيت بالوان الفواكه والأطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتى عيرنها بحب يوسف (وآتت كل واحدة منهن سكينا) يعنى واعطت كل واحدة من النساء سكينا لتأكل بها وكان من عادتهن ان يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت زينته وخبأته فى مكان آخر (فلما راينه) يعنى النسوة (اكبرنه)

(وقطعن) أى حززن بالسكاكين التى معهن (أيديهن) وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما احسن إلا بالدم وقال قتادة انهن ابن أيديهن حتى ألقينها والأصح انه كان قطعا بلا إبانة وقال وهب ماتت جماعة منهن (وقلن حاش لله ماهذا بشراً) أى معاذ الله ان يكون هذا بشرا حاشا لله باثبات الألف فى الحرفين قرأهما أبو (٢٢٩) عمرو فى الوصل على الأصل وقرأ الاخرون بحذف الألف فى الحرفين لكثرة دورها على الألسن واتباع الكذب وقوله ماهذا بشراً نصب بنزع حرف الصفة أى يبشر (إن هذا) أى ماهذا (إلا ملك) من الملائكة (كريم) على الله (قالت) يعنى راعيل (فذلكن الذى لمتننى فيه) أى فى حبه ثم صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى امتنع وإنما صرحت لأنها علمت ان لاملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته فقلن له اطع مولاتك فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما آمره) ولئن لم يطاوعنى فيما دعوته اليه (ليسجنن) أى ليعاقبن بالحبس (وليكونا من الصاغرين) من الأذلاء ونون التوكيد تنقل وتخفف الوقوف على قوله ليسجنن بالنون لأنها مشددة وعلى قوله وليكونا بالألف لأنها مخففة وهى شبيهة نون الاعراب فى الأسماء كقوله رأيت رجلا وإذا وقفت رأيت رجلا بالألف ومثله لنسفعا بالناصية فاختار يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المراة (قال رب) اى يارب (السجن احب إلى مما يدعوننى اليه) قيل كان الدعاء منها خاصة ولكنه اضاف الهن خروجا من التصريح إلى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه إلى انفسهن قرا يعقوب وحده السجن بفتح السين وقرا الاخرون بكسرها واتفقوا على كسر السين فى قوله ودخل معه السجن وقيل لو لم يقل السجن احب إلى لم يبتل بالسجن والأولى بالمرء ان يسأل الله العافية

يعنى أعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوى بغير سند وقال إسحق بن أبى فروة كان يوسف إذا سار فى أزقة مصر تلألأ وجهه على الجدران ويقال أنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالية هالهن أمره وبهتن اليه وفى رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أى حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكر اكثر أهل اللغة هذا قول أهل الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة فى اللغة والهاء فى اكبرنه تمنع من هذا لأنه لا يجوز ان يقال النساء قد حضنه لأن حضن لا يتعدى إلى مفعول قال الأزهرى ان صحت هذه اللفظة فلها مخرج وذلك أن المراة إذا حاضت اول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار إلى حد الكبار فيقال لها اكبرت اى حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلنا له وجعلنا الهاء فى قوله اكبرنه هاء الوقف لا هاء الكناية وقيل ان المراة إذا خافت او فزعت فربما اسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وماهالهن من امر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازى وعندى انه يحتمل وجها آخر وهو انهن إنما اكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهى عدم الالتفات إلى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلاجرم اكبرنه واعظمنه ووقع الرعب والمهابة فى قلوبهن قال وحمل الاية على هذا الوجه اولى (وقطعن ايديهن) يعنى وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التى معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما احسن إلا بالدم وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والأصح انه كان قطع من غير ابانة وقال وهب ماتت جماعة منهن (وقلن) يعنى النسوة (حاش لله ماهذا بشرا) اى معاذ الله ان يكون هذا بشرا (إن هذا إلا ملك كريم) يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لأنه قد ركز فى النفوس ان لا شىء احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الافات والحوادث التى تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك * قوله تعالى (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) يعنى قالت امراة العزيز للنسوة لما راين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذى لمتننى فى محبته وإنما قالت ذلك لأقامة عذرها عندهن حين قلن ان امراة العزيز قد شغفها فتاها الكنعانى حبا وإنما قالت فذلكن الذى الخ بعدما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق ان يحب ويفتن به ويجوز ان يكون اشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى يقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى انفسكن ثم لمتننى فيه ثم إن امراة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعنى فامتنع من ذلك الفعل الذى طلبته منه وإنما صرحت بذلك لأنها علمت ان لاملامة عليها منهن وأنهن قد اصبن ما اصابها عند رؤيته ثم ان امراة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما آمره) يعنى ان لم يطاوعنى فيما دعوته اليه (ليسجنن) اى ليعاقبن بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعنى من الأذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن عند المعصية حين توعدته المراة بذلك (قال رب) اى يارب (السجن احب إلى مما يدعوننى اليه

قوله تعالى (وإلا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن) أمل اليهن وأتابعهن يقال صبا فلان إلى كذا يصبو صبوا وصبوة إذا مال واشتاق اليه (وأكن من الجاهلين) فيه دليل على ان المؤمن إذا ارتكب ذنبا يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) السميع لدعائه العليم بمكرهن (ثم بدالهم) يعنى للعزيز وأصحابه فى الرأى وذلك انهم أرادوا ان يقتصروا من أمر يوسف على الأمر بالاعراض ثم بدالهم أن يحبسوه (بعدما رأوا الايات) الدالة على براءة يوسف من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء ايديهن وذهاب عقولهن (ليسجننه حتى حين) إلى مدة يرون فيها رأيهم وقال عطاء إلى ان تنقطع مقالة الناس قال عكرمة سبع سنين وقال الكلبى خمس سنين قال السدى وذلك ان المرأة قالت (٢٣٠) لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يخبرهم انى راودته عن نفسه فاما ان تأذن لى أن اخرج فاعتذر إلى الناس وأما ان تحبسه فحبسه وذكر ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف عليه السلام من همه بالمراة قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرنى عند ربك فلبث فى السجن بضع سنين وحين قال لاخوته إنكم لسارقون فقالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قوله تعالى (ودخل معه السجن فتيان) هما غلامان كانا للريان بن الوليد بن شروان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه والاخر ساقيه وصاحب شرابه غضب الملك عليهما فحبسهما وكان السبب فيه جماعة من اهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسما الملك فى طعامه وشرابه فاجاباهم ثم ان الساقى نكل عنه وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما احضر الطعام والشراب قال الساقى لا تاكل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب الشراب مسموم فقال الملك على الساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام على دابة فاكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى اعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبرانى فتراءيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رأيا شيئا وإنما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا رأيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شانهما فذكرا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا على ما رأيتما فقصا عليه

قيل أن الدعاء كان منها خاصة وإنما أضافه الهن جميعا تخرجا من التصريح إلى التعويض وقيل انهن جميعا دعونه إلى انفسهن وقيل انهن لما قلن له اطع مولاتك صحت اضافة الدعاء الهن جميعا اولانه كان بحضرتهن قال بعضهم لو لم يقل السجن أحب إلى لم يبتل بالسجن والأولى بالعبد ان يسأل الله العافية (وإلا تصرف عنى كيدهن) يعنى ما أردن منى (اصب اليهن) أى امل اليهن يقال صبا فلان إلى كذا إذا مال اليه واشتاقه (واكن من الجاهلين) يعنى من المذنبين وقيل معناه اكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا إنما يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعنى فاجاب الله تعالى دعا يوسف (فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع) يعنى لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعنى بحاله وفى الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما اظلته البلية بكيد النساء ومطالبتهن إياه بما لا يليق بحاله لجا إلى الله وفرغ إلى الدعاء رغبة إلى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بأنه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على انه لا يقدر احد عن الانصراف عن المعصية إلا بعصمة الله ولطفه به قوله عز وجل (ثم بدالهم) يعنى للعزيز وأصحابه فى الرأى وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض وكتم الحال وذلك ان المراة قالت لزوجها إن ذلك العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم بانى قد راودته عن نفسه فاما ان تأذن لى فأخرج واعتذر إلى الناس وإما ان تحبسه فرأى حبسه (من بعد ما رأوا الايات) يعنى الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجننه) أى ليحبسن يوسف فى السجن (حتى حين) يعنى إلى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء إلى ان تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة إلى سبع سنين وقال الكلبى خمس سنين حبسه قال السدى جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمراة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن شروان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه والاخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب فى ذلك أن جماعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك فى طعامه وشرابه فاجابا إلى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبرانى فتراءيا له رؤيا فسالاه من غير ان يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رايا شيئا إنما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رايا رؤيا حقيقة فرآها يوسف وهما مهمومان فسالهما عن شانهما فذكر انهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا على ما رأيتما فقصا عليه

(قال أحدهما) وهو صاحب الشراب (إني أراني أعصر خمرا) اى عنبا سمى العنب خمرا باسم مايؤل اليه كما يقال فلان يطبخ الاجر أى يطبخ اللبن للآجر وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك أنه قال إني رأيت كأني في بستان فاذا أنا بأصل حبلة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الاخر) وهو الخباز (إني اراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) وذلك أنه قال إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والألوان من الأطعمة وسباع الطير ينهشن وينهبن منه (نبئنا بتأويله) أخبرنا بتفسيره وتعبيره ومايؤل إليه أمر هذه الرؤيا (انا نراك من المحسنين) اى العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان بمعنى العلم وروى أن الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله انا نراك من المحسنين ما كان إحسانه قال كان اذا مرض انسان في السجن عاده وقام (٢٣١) عليه اذا ضاق عليه المجلس وسع له وإذا احتاج الى شيء جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد في العبادة ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم لجعل يسليهم وجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فيقول بارك الله فيك يافتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أين أنت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأرفق بك واحسن جوارك واختار اى بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك فقال لهما يوسف أنشدكما بالله لاتحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل على من ذلك بلاء واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قص عليه رؤياهما كره يوسف ان يعبر لهما حين سألاه لما علم مافي ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ان درجته في العلم اعلى واعظم مما اعتقدوا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان احدهما سيصلب فأراد ان يدخله في الإسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) قيل اراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا اخبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه الا نبأتكما تأويله يعني اخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما فيه (قبل ان يأتيكما) يعني قبل ان يصل اليكما واى طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم

على ما رايتم فقص عليه ما رآياه فذلك قوله تعالى (قال احدهما) وهو صاحب شراب الملك (إني اراني اعصر خمرا) يعني عنبا سمى العنب خمرا باسم مايؤل اليه يقال فلان يطبخ الاجر اى يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك أنه قال إني رايت في المنام كأني في بستان وإذا فيه اصل حبلة وعليها ثلاث عناقيد عنب فجنيتها وكان كأس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الاخر) وهو صاحب طعام الملك (إني اراني أحمل فوق راسي خبزا تأكل الطير منه) وذلك انه قال اني رايت في المنام كأني فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها (نبئنا بتأويله) اى اخبرنا بتفسير ما رايتنا وما يؤل إليه امر هذه الرؤيا (إنا نراك من المحسنين) يعني من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال كان إذا مرض إنسان في الحبس عاده وقام عليه وإذا ضاق على احد وسع عليه واذا احتاج احد جمع له شيئا وكان جمع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم لجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يافتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن اين انت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك فتمكن في اى بيوت السجن حيث شئت وروى أن الفتيين لما رايا يوسف قالا له لقد احببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف انشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما احبني أحد قط إلا دخل على من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل على بلاء ثم احبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امرأة العزيز فحبست فلما قص عليه الرؤيا كره يوسف ان يعبر لهما ما سالا مما علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض عن سؤالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة والدعاء الى التوحيد (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) قيل اراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في يومكما (الا نبأتكما بتأويله) في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه تطعمانه وتاكلانه الا نبأتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه اليكما (قبل ان يأتيكما) قبل ان يصل اليكما واى طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا هذا من فعل العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن وانما

فقال ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وإنما ذلك إشارة الى المعجزة والعلم الذى اخبرهما (ذلكما مما علمنى ربى) يعنى أن هذا الذى أخبرتكما به وحى من الله أوحاه إلى وعلم علمنيه (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) ه فان قلت ظاهر قوله إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله أنه عليه الصلاة والسلام كان داخلا فى هذه الملة ثم تركها وليس الأمر كذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا إلى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك فى قوله تركت ه قلت الجواب من وجهين الأول أن الترك عبارة عن عدم التعرض للشىء لا التفات اليه بالمرة وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عند الوجه الثانى وهو الاقرب أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله إن تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالاخرة هم كافرون) فترك ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم فى قوله وهم بالاخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة وأظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان اباءه كلهم كانوا انبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا فى الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة فى الاخرة اظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من اولادهم وانه من أهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغى لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التى اختصنا بها قال الواحدى لفظة من فى قوله من شىء زائدة مؤكدة كقولك ما جاءنى من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الأنبياء ان نشرك بالله من شىء اى شىء كان من ملك او جنى او انسى فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعنى ذلك التوحيد وعدم الإشراك والعلم الذى رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعنى بما نصب لهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) يعنى ان اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التى أنعم بها عليهم لأنهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما إلى الإسلام فقال (ياصاحبى السجن) يريد ياصاحبى فى السجن فاضافهما إلى السجن كما تقول ياسارق الليلة لأن الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد ساكنى السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة (ارباب متفرقون) يعنى آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون فى الصفة وهى مع ذلك لا تضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعنى ان هذه الاصنام اعظم صفة فى المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة ام الله الواحد القهار قال الخطابى الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الاحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها إلى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذى لا مثل له ولا يشبهه شىء من خلقه القهار قال الخطابى القهار هو الذى قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شىء وذلله فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التى تعبدونها ذليلة مقهورة إذا اراد الإنسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد فى ملكه القهار لعباده الذى لا يغلبه شىء وهو الغالب لكل شىء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانها لا شىء البتة فقال (ما تعبدون من دونه) يعنى من دون الله وإنما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدا بالتثنية فى المخاطبة لانه اراد جميع من فى السجن من المشركين (إلا اسماء سميتموها) يعنى سميتموها (الهة واربابا وهى حجارة جمادات خالية عن المعنى لا حقيقة لها (أنتم وآباؤكم) يعنى من قبلكم سموها الهة ما انزل الله بها من سلطان) يعنى ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا

(ذالكما) العلم (مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون) وتكرارهم على التأكيد (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) اظهر انه من اولاد الانبياء (ما كان لنا) ما ينبغى لنا (ان نشرك بالله من شىء) معناه ان الله قد عصمنا من الشرك (ذلك) التوحيد والعلم (من فضل الله علينا وعلى الناس) ما بين لهم من الهدى (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) ثم دعاهما إلى الاسلام فقال (ياصاحبى السجن) جعلهما صاحبى السجن لكونهما فيه كما يقال لسكان الجنة اصحاب الجنة ولسكان النار اصحاب النار (أأرباب متفرقون) اى آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة وهذا من حديد وهذا أعلى وهذا اوسط وهذا ادنى متباينون لا تضر ولا تنفع (خير ام الله الواحد القهار) الذى لا ثانى له القهار الغالب على الكل ثم بين عجز الاصنام فقال (ما تعبدون من دونه) اى من دون الله وإنما ذكر بلفظ الجميع وقد ابتدا الخطاب للاثنين لانه اراد جميع اهل السجن وكل من هو على مثل حالهما من اهل الشرك (الا اسماء سميتموها) الهة وارباب خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الاسماء (انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان

(إن الحكم) ما القضاء والأمر والنهي (إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم فسر رؤياهما فقال (ياصاحبي السجن أما احدكما) وهو صاحب الشراب (فيسقي ربه) يعني الملك (خمرا) والعناقيد الثلاثة ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام ويرد إلى منزلته التي كان عليها (واما الآخر) يعني صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام والسلال الثلاث الثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرجه فيأمر به (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود لما سمعا قول يوسف قالا ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب قال يوسف (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) اي فرغ من الامر الذي عنه تسألان ووجب حكم الله عليكما الذي اخبرتكما به رأيتم أو لم تروا (وقال) يعني يوسف عند ذلك (للذي ظن) علم (انه ناج منهما) وهو الساقي (اذكرني عند ربك) يعني سيد الملك وقال له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما طال حبسه (فانساه الشيطان ذكر ربه) قيل انسى الشيطان الساقي ذكر يوسف للملك تقديره فانساه الشيطان ذكره لربه وقال ابن عباس وعليه الاكثرون انسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين (٢٣٣) ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان (فلبث) فمكث (في السجن بضع سنين) واختلفوا في معنى البضع فقال مجاهد ما بين الثلاث إلى السبع وقال قتادة ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس ما دون العشرة وأكثر المفسرين على ان البضع في هذه الاية سبع سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وعذب بختنصر نحول في السباع سبع سنين قال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب انسى

بهذه التسمية فردالله عليهم بقوله ما أنزل بها من سلطان (إن الحكم إلا لله) يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لاشريك له في ذلك (امر ان لا تعبدوا إلا إياه) لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سميتموها الهة (ذلك الدين القيم) يعني عبادة الله هي الدين المستقيم (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء إلى الله وعبادته رجع إلى تعبير رؤياهما فقال (ياصاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا) يعني ان صاحب شراب الملك يرجع إلى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه اولا والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يدعو به الملك ويرده إلى منزلته التي كان عليها (واما الاخر فيصلب) يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعو به الملك فيصلبه (فتأكل الطير من راسه) قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما سمعا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالا ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب قال يوسف (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) يعني فرغ من الامر الذي سالتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما به رأيتما شيئا أم لم تريا (وقال) يعني يوسف (للذي ظن) يعني علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (انه ناج منهما) يعني ساقي الملك (اذكرني عند ربك) يعني سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه (فانساه الشيطان ذكر ربه) في هاء الكناية فانساه إلى من تعود قولان احدهما انه ترجع إلى الساقي وهو قول عامة المفسرين والمعنى فانسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقي حتى انساه ذكر يوسف اولى من صرفها إلى يوسف والقول الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع إلى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضر جائزة إلا انه لما كان مقام يوسف اعلى المقامات ورتبته اشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيئات المقربين * فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى انساه ذكر ربه * قلت بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه * وقوله سبحانه وتعالى (فلبث في السجن بضع سنين) اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث إلى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الاية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين

(٣٠ - خازن - لث) قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة لن أعود وقال الحسن دخل جبريل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يا اخي المنذرين مالي اراك بين الخاطئين فقال له جبريل ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني ان استشفعت بالادميين فوعزتي وجلالي لا لبثنك في السجن بضع سنين فقال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال إذا لا ابالي وقال كعب قال جبريل ليوسف أن الله تعالى يقول من خلقك قال الله عز وجل قال فمن حببك إلى ابيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تاويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله فكيف استشفعت بآدمي مثلك فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذا السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف راى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك انه راى سبع بقرات سمان خرجن من البحر ثم خرج عقبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن ولم يرى منهن شيئا ولم يتبين على العجاف منهاشي * ثم رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخرى يابسات قد استحصدت

فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب انسى قلبي ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي ﷺ رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل إن جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني أن استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لأبتلينك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال إذا لا أبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حبب إليك أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل إخراجه من السجن رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك أنه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيء ولم يتبين على العجاف منهن شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شيء فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التي رآها فذلك قوله تعالى (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ افتوني في رؤياي) يعني يا أيها الاشراف أخبروني بتأويل رأياي (إن كنتم لرؤيا تعبرون) يعني ان كنتم تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمي هذا العلم تعبيرا لأن المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها إلى باطنها ليستخرج معناها وهذا اخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعني اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى قهره وغلبه فاراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه واخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذي نجا منهما) يعني وقال الساقي الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (واذكر بعد أمة) يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك بعد أمة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمي الحين من الزمان أمة لأنه جماعة الايام والأمة الجماعة (أنا أنبئكم) يعني اخبركم (بتأويله) وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع أما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقي جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عالما بعبر الرؤيا (فارسلون) فيه اختصار تقديره فارسلني أيها الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن السجن في المدينة (يوسف) اي يا يوسف (أيها الصديق) إنما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلي

وقص عليهم رؤياه فذلك قوله تعالى (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فقال لهم (يا أيها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام) أخلاط أحلام مشتبهة أهاويل واحدها ضغث وأصله الحزمة من أنواع الحشيش والاحلام جمع الحلم وهو الرؤيا والفعل منه حلمت احلم بفتح اللام في الماضي وضمها في الغابر حلما وحلما مثلثا ومخففا (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا) من القتل (منهما) من الفتيين وهو الساقي (وادكر) أي تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك (بعد أمة) أي بعد حين وهو سبع سنين (أنا أنبئكم بتأويله) وذلك أن الغلام جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا يعبر الرؤيا (فأرسلون) وفيه اختصار تقديره فارسلني ايها الملك اليه فارسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن السجن في المدينة فقال (يوسف) يعني يا يوسف (ايها الصديق) والصديق الكثير الصدق (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلي

ارجع إلى الناس) أهل مصر (لعلهم يعلمون) تأويل الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم فقال لهم يوسف معبراً ومعلماً أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب والبقرات العجاف والسنبلات اليابسات فالسنون المجدبة فذلك قوله تعالى إخباراً عن يوسف (قال تزرعون سبع سنين دأباً) هذا خبر بمعنى الأمر يعني ازرعوا سبع سنين على عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل بجد واجتهاد وقرأ عاصم برواية حفص دأبا بفتح الهمزة وهما لغتان يقال دأبت في الأمر أدأب دأبا ودأبا إذا اجتهد فيه (فما حصدتم فذروه في سنبله) أمرهم بترك الحنطة في السنبلة لتكون ابقى على الزمان ولا تفسد (إلا قليلا مما تأكلون) أي تدرسون قليلا للاكل أمرهم بحفظ الأكثر والاكل بقدر الحاجة (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) سمي السنين المجدبة شداد لشدتها على الناس (يأكلن) أي يفنين ويهلكن (ما قدمتم لهن) اي يؤكلن فيهن ما أعددتم لهن من الطعام أضاف الاكل إلى السنين على طريق التوسع (إلا قليلا مما تحصنون) تحرزون وتدخرون للبذر (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) أي يمطرون من الغيث وهو المطر وقيل ينقذون من قول العرب استغثت فلانا فاغاثني وفيه (يعصرون) قرأ حمزة والكسائي تعصرون بالتاء لأن الكلام كله على الخطاب وقرأ الآخرون بالياء رداً إلى الناس ومعناه يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا وأراد به كثرة النعيم والخير وقال أبو عبيدة يعصرون أي ينجون من الكروب والجدب والعصر والعصرة النجا والملجأ (وقال الملك ائتوني به) وذلك أن الساقي لما رجع إلى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه وعرف الملك ان الذي قاله كائن قال ائتوني به (فلما جاءه الرسول) وقال له أجب الملك ابى ان يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته ثم (قال) للرسول (ارجع إلى ربك) يعني سيدك الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما قال النبي ﷺ لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي (ان ربي بكيدهن عليم) اي ان الله بصنيعهن عالم وإنما أراد يوسف بذكرهن بعد طول المدة حتى لا ينظر إليه الملك بعين التهمة والخيانة ويصير اليه بعد زوال الشك عن أمره فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز

أرجع إلى الناس) يعني ارجع بتأويل هذه الرؤيا إلى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعني بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم (قال) يعني يوسف معبرا تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الأمر أي ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فما حصدتم فذروه في سنبله) إنما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان (إلا قليلا مما تأكلون) يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدبة محلة شديدة على الناس (يأكلن) يعني يفنين (ما قدمتم لهن) يعني يؤكل فيهن كل ما أعددتم وادخرتم لهن من الطعام وإنما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام (إلا قليلا مما تحصنون) يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو إبقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد هذه السنين المجدبة (عام فيه يغاث الناس) أي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب * قوله عز وجل (وقال الملك ائتوني به) وذلك ان الساقي لما رجع إلى الملك واخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كائن لا محالة فقال ائتوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقي إلى يوسف وقال له اجب الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فابى ان يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع إلى ربك) يعني إلى سيدك وهو الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما لها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا إلى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وأرسل الملك في كشف امره الذي سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف علية الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله (إن ربي بكيدهن عليم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف إلى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة

وامرأة العزيز معهن و(قال) لهن (ماخطبكن) أى شأنكن وأمركن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) إنما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون استرها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة امرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعنى النسوة جميعا مجيبات للملك (حاش لله) يعنى معاذ الله (وما علمنا عليه من سوء) يعنى من خيانة فى شىء من الأشياء (قالت امرأة العزيز الان حصحص الحق) يعنى ظهر وتبين وقيل أن النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعزرتها وقيل خافت ان يشهدن عليها فاقرت فقالت (انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) يعنى فى قوله هى راودتنى عن نفسى واختلفوا فى قوله (ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول أن هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف انى لم أخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وإن كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته ثم بالغت فى تأكيد هذا القول فقالت (وان الله لا يهدى كيد الخائنين) يعنى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم انى افتضحت لأن الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول انه لا يبعد وصل كلام إنسان بكلام آخر إذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بالغ يوسف قول المرأة أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك اى الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم يعنى العزيز انى لم أخنه فى زوجته بالغيب يعنى فى حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لأنه ذكر كلام إنسان ثم اتبعه بكلام إنسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملأ فاذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا اين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما انه كان فى السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو فى السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وهذه رواية ابى صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثانى أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهى إشارة للغائب مع حضوره عندهم * قلت قال ابن الانبارى قال اللغويون هذا وذلك يصلحان فى هذا الوضع لقرب الخبر من أصحابه فصار كالمشاهد الذى يشار اليه بهذا وقيل ذلك إشارة إلى ما فعله يقول ذلك الذى فعلته من ردى الرسول ليعلم أنى لم اخنه بالغيب اى لم اخن العزيز فى حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدى كيد الخائنين يعنى انى لو كنت خائنا لما خلصنى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لأن الله لا يهدى أى لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا فى قوله (وما أبرئ نفسى) من قولى من على قولين أيضا احدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسى من مراودتى يوسف عن نفسه وكذبوعليه والقول الثانى هو الأصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسى وهذه رواية عن ابن عباس ايضا وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسى لأن الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم فى قوله وما ابرئ نفسى هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس فى مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فأراد إزالة ذلك عن نفسه فان حسنات الأبرار سيئات المقربين (إن النفس لأمارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل ما يهم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية

قال) لهن (ماخطبكن) ماشأنكن وأمركن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) خاطبهن والمراد امرأة العزيز وقيل ان امرأة العزيز روادته عن نفسه وسائر النسوة امرته بطاعتها فلذلك خاطبهن جميعا (قلن حاش لله) معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) خيانة (قالت امرأة العزيز الان حصحص الحق) ظهر وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امرأة العزيز فعزرتها فاقرت وقيل خافت ان يشهدن عليها فاقرت وقالت (انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى فلما سمع ذلك الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه (ليعلم) العزيز (انى لم اخنه) فى زوجته (بالغيب) اى فى حال غيبته (وان الله لا يهدى كيد الخائنين) بقوله ذلك ليعلم من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تميز لمعرفة السامعين وقيل فيه تقديم وتأخير تقدم معناه ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ان ربى بكيدهن عليم ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قيل لما قال يوسف هذه المقالة قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسى قال السدى إنما قالت له امرأة العزيز ولا حين حللت سراويلك يا يوسف فقال يوسف (وما ابرئ نفسى) من الخطأ والزلل فازكيها (إن النفس لأمارة بالسوء) بالمعصية

(إلا ما رحم ربي) أي إلا من رحم ربي فعصمه وما بمعنى من كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم أي من طاب لكم وهم الملائكة عصمهم الله عز وجل فلم يركب فيهم الشهوة وقيل إلا ما رحم ربي إشارة إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان (إن ربي غفور رحيم) فلما تبين للملك عذر يوسف عليه السلام وعرف أمانته وعلمه اشتاق لرؤيته وكلامه وذلك معنى قوله تعالى إخبارا عنه (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) أي اجعله خالصا لنفسي (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فجاء الرسول يوسف فقال له أجب الملك الآن روى أنه قام ودعا لأهل السجن فقال اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا قبر الأحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل وتنظف من دون السجن ولبس ثيابا حسنا وقصد الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ثم دخل الدار فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعاله بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان قال هذا لسان آبائي ولم يعرف الملك هذين اللسانين قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما تكلم بلسان اجابه يوسف بذلك اللسان وزاد عليه بلسان العربية والعبرانية فاعجب الملك ما رأى منه مع حداثة سنه وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة فاجلسه و (قال إنك اليوم لدينا مكين) المكانة في الجاه (أمين) أي صادق وروى ان الملك قال له إني احب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال له يوسف نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت تنظر اليهن ويعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حماته سبع بقرات عجاف شعث غبر متلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن السمان افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن فبينما انت تنظر وتعجب إذا سبع سنابل خضر وسبع أخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما أنت تقول في نفسك أي شيء هؤلاء

والآخرة والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس الأمارة بالسوء ما هي فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هي صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس إلى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل إن النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تركت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة * وقوله (إلا ما رحم ربي) قال ابن عباس معناه إلا من عصم ربي فتكون ما بمعنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (إن ربي غفور) يعني غفور لذنوب عباده (رحيم) بهم * قوله تعالى (وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي) وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسي أي اجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طالب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وإنما طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من الناس وإنما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره وإحسانه إلى اهل السجن وحسن ادبه وثباته على المحن كلها فهذا حسن اعتقاد الملك فيه وإذا اراد الله تعالى امرا هيأ أسبابه فألهم الملك ذلك فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول إلى يوسف فقال له اجب الملك الآن بلا معاودة فأجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من دون السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ثم دخل الدار فلما ابصر الملك قال اللهم إني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر إليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعاله بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان ايضا قال يوسف هذا لسان ابائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما راى الملك منه ذلك اعجبه ما راى مع حداثة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فأجلسه إلى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدا بالكلام فيها وإنما يبدا فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقي ايها الملك هذا الذي علم بتاويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها

خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت أواحد وصولهن فى الماء إذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحترقن فصرن سودا فهذا مارأيت فانتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ماشأن هذه الرؤيا وإن كانت عجيبة بأعجب مما سمعت منك فاترى فى رؤياى أيها الصديق فقال يوسف عليه السلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتجعل الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله ليكون القصب علفا للدواب والحب طعاما للناس وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذى جمعته لأهل (٢٣٨) مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحى للميرة فتبيع منهم الطعام وتأخذ ثمنه فيجتمع عندك من الكنوز مالم يجتمع لاحد فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفينى الشغل فيه فـ(قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) الخزائن جمع خزانة واراد خزائن الطعام والاموال والارض ارض مصر اى خزائن ارضك وقال الربيع بن انس اى على خراج مصر ودخله (إنى حفيظ عليم) اى حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل حفيظ عليم اى كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن اعلم لغة من يأتينى وقال الكلبى حفيظ بتقديره فى السنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال له الملك ومن احق به منك فولاه ذلك وقال له انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين على الخزائن اخبرنا ابو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى اخبرنى ابو عبدالله الحسين بن الفنجوى ثنا مخلد بن جعفر البقرجى ثنا الحسن بن عوية ثنا اسماعيل بن عيسى ثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخره لذلك سنة فاقام فى بيته سنة مع الملك وباسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما انصرمت السنة من اليوم الذى سأل الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه ووضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب عليه حلة من استبرق وطول السرير ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع عليه ثلاثون فراشا وستون مفرمة ثم أمر أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فى صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض

مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت إليه وقوله مكين كلمة جامعة لكل ما يحتاج إليه من الفضائل والمناقب فى أمر الدين والدنيا روى أن الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام احب ان اسمع تاويل رؤياى منك شفاها فقال نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شيب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فظلعن من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترس السمان كافتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فبينما انت تنظر وتعجب كيف غلبتهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن إذ سبع سنبلات خضريات ناعمات ممتلئات حبا وماء وإلى جانبهن سبع اخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينا انت تقول فى نفسك اى شىء هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن فى الثرى والماء إذ هبت الريح فذرت اوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقهن فصرن سودا فهذا مارايت ايها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات منها شيأ فاشان هذه الرؤيا وان كان عجبا فاهو باعجب مما سمعت منك وماترى فى تاويل رؤياى ايها الصديق قال يوسف عليه الصلاة والسلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتجعل مايتحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحى للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال مالا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك (قال) يعنى يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) يعنى على خزائن الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اى اجعلنى على خزائن ارضك التى تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلنى على خزائن خراج مصر ودخلها (إنى حفيظ عليم) اى حفيظ الخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم اعلم لغة من ياتينى وقال الكلبى حفيظ بتقديره فى السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن احق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى باسناده الثعلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يرحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة * فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ماورد من النهى عنها مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال لى رسول الله ﷺ ياعبدالرحمن لاتسأل الامارة فانك إن أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اوتيتها من غير مسئلة اعنت عليها اخرجاه فى الصحيحين * قلت إنما يكره طلب الامارة إذا لم يتعين عليه

طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لأنه مرسل من الله تعالى والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره وإذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك إلا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل أنه لما علم أنه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحى من الله أو بغيره وربما افضى ذلك إلى هلاك معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة إلى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب . فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله إنى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم . إنما يكره تزكية النفس إذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوسل به إلى غير مايحل فهذا القدر المزموم فى تزكيه النفس إذا قصد بتزكية النفس ومدحها إيصال الخير والنفع إلى الخير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف أنه عالم بمصالح الدين ولم يعلم أنه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله إنى حفيظ عليم على أنه عالم بما يحتاج اليه فيه مصالح الدنيا أيضا مع كمال علمه بمصالح الدين . قوله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكذلك إشارة إلى ما تقدم يعنى وكما انعمنا على يوسف بأن انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه فى عين الملك حتى قربه وأدنى منزلته كذلك مكنا له فى الأرض يعنى ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لاينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله (يتبوأ منها حيث يشاء) لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سرير امن ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون ماريا وضرب له عليه كلة من استبرق وامره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها إلى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل امره وقضاءه نافذا فى مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لاتلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين إفرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل واحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف فى ملكه دبر فى جميع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة ودخلت السنين المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل أنه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اول اوان القحط فهلك فى السنة الاولى من اول سنين القحط كل ما اعدوه فى السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا اخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر فى ايدى الناس منها شىء وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى والانعام حتى لم تبق دابة ولا ماشية إلا احتوى كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق بايدى الناس عبد ولا أمة وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى اتى عليها كلها وباعهم فى السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال اهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الملك الراى رايك ونحن لك تبع فانى اشهد الله واشهدك انى قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق وقال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل أمره وقضاءه نافذا قالوا ثم ان قطفير هلك فى تلك الليالى فزوج الملك ليوسف راعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت أيها الصديق لاتلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وجمالك وهيئتك فغلبتنى نفسى وقويت على شهوتى ولم أتمالك عقلى فى محبتى فيك فقرب منها يوسف فوجدها عذراء فاصابها فولدت له ولدين افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل وأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) يعنى أرض مصر ملكناه (يتبوأ) أى ينزل أى (منها حيث يشاء) ويصنع فيها مايشاء قرأ ابن كثير وحده نشاء بالنون ردا على قوله مكنا وقرأ الاخرون بالياء ردا على قوله تبوأ

(نصيب برحمتنا) أي بنعمتنا (من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) قال ابن عباس ووهب يعني الصابرين قال مجاهد وغيره فلما نزل يوسف عليه السلام بدعو الملك إلى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فهذا في أمر الدنيا (ولاجر الاخرة) ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام بأحسن التدبير وبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام السنين المجدبة وانفق بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول لم يعهد الناس بمثله وروى أنه كان قدر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذه الجوع هو الملك في نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا أول القحط ففي السنة الأولى من سنين الجدب هلك كل شيء اعدوه في السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم إلا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق في يد أحد عبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى استرقهم ولم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبدا له فقال الناس ما رأينا يوما كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من هذا ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فانظر في ذلك فقال له الملك الرأي رأيك والأمر اليك ونحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك انى قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وروى ان يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الأرض فقال اخاف ان شبعت (٢٤٠) ان انسى الجائع وامر يوسف عليه السلام طباخي الملك ان يجعلوا غداءه نصف النهار واراد بذلك بأن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال وقصد الناس مصر من كل النواحي يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وإن كان عظيما اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتزاحم الناس عليه فاصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة ونزل بيعقوب ما نزل بالناس فارسل بنيه إلى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه بالقرب من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشاء فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال يا بني بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له فاذهبوا التشتروا منه الطعام فارسلهم فقدموا مصر (فدخلوا عليه) على يوسف (فعرفهم) يوسف عليه السلام قال ابن عباس ومجاهد وعرفهم بأول ما نظر اليهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه (وهم له منكرون) أي لم يعرفوه قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في البئر وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه وقال عطاء إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وعلى راسه تاج الملك وقيل لأنه كان يزي ملوك مصر عليه ثياب من حرير وفي عنقه طوق من ذهب فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني انكرت شأنكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله فقال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكان احبنا إلى ابينا قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال واين الاخر قالوا عند ابينا لأنه اخو الذي هلك من امه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق وصدق قالوا ايها الملك انا بلاد لا يعرفنا فيها احد من اهلها فقال لهم يوسف فاتوني بأخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين وانا ارضي بذلك قالوا فان ابانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه اباه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم الذي من ابيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله عز وجل

وروى ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الأرض فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجائع وامر يوسف طباخي الملك ان يجعلوا غداءه نصف النهار واراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) يعني نخص بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا (ولا نضيع اجر المحسنين) قال ابن عباس يعني الصابرين (ولأجر الاخرة) يعني ولثواب الاخرة (خير) يعني افضل من اجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون) يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الذي اعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الأجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله في الدنيا من الملك * قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم جميع البلاد حتى وصل إلى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطي احدا اكثر من حمل بعير وإن كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه إلى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه

وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء إخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين والعربات ثغور الشام وكانوا أهل بادية وإبل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغني ان بمصر رجل صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون إليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد بأول نظرة نظر إليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين ان قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطاء إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لأنه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الأسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان إنما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فيه وإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجئنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قال وكم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكا أحبنا إلى أبينا قال فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال واين الآخر قالوا هو عند أبينا لأنه أخو الذي هلك لأمه فما بونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك إنا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فائتوني باخيكم الذي من ابيكم إن كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم فالوا إن آبانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزا إذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون إليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام واكرمهم في النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم قال (ائتوني باخ لكم من ابيكم) يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين (ألا ترون اني اوفي الكيل) يعني اني أتمه ولا انخس منه شيئا وازيدكم حمل بعير اخر لاجل اخيكم اكرمكم بذلك (وانا خير المنزلين) يعني خير المضيفين لأنه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انهم انهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا ان يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم من هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف (فان لم تأتوني به) يعني باخيكم الذي من ابيكم (فلا كيل لكم عندي) يعني لست اكيل لكم طعاما (ولا تقربون) يعني ولا ترجعون ولا تقربوا بلادي وهذا هو نهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله إلا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك (قالوا) يعني إخوة يوسف (سنراود عنه اباه) يعني سنجتهد ونحتال حتى ننزعه من عنده (وانا لفاعلون) يعني ما امرتنا به ● قوله عز وجل (وقال لفتيانه) يعني وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانه واتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) اراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره (لعلهم يعرفونها) يعني يعرفون بضاعتهم (إذا انقلبوا إلى اهلهم) يعني إذا رجعوا إلى أهلهم (لعلهم يرجعون) الينا واختلفوا في السبب الذي

(ولما جهزهم بجهازهم) أي حمل لكل واحد بعيرا بعدتهم (قال ائتوني باخ لكم من أبيكم) يعني بنيامين (ألا ترون أني أوفي الكيل) اني أتمه ولا انخس الناس شيئا فازيدكم حمل بعير لاجل أخيكم وأكرم منزلتكم واحسن اليكم (وأنا خير المنزلين قال مجاهد أي خير المضيفين وكان قد أحسن ضيافتهم (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) اي ليس لكم عندي طعام اكتاله (ولا تقربون) أي لا تقربوا داري وبلادي بعد ذلك وهو جزم على النهي (قالوا سنراود عنه أباه) اي نطلبه ونسأله أن يرسله معنا (وانا لفاعلون) ما أمرتنا به (وقال لفتيانه) قرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه بالألف والنون وقرأ الباقون لفتيته بالتاء من غير ألف يريد لغلمانه وهما لغتان مثل الصبيان والصبيه (اجعلوا بضاعتهم) ثمن طعامهم وكانت بدارهم وقال الضحاك عن ابن عباس كانت النعال والادم وقيل كانت ثمانية جرب من سويق المقل والاول اصح (في رحالهم) أوعيتهم وهي جمع رحل (لعلهم يعرفون إذا انقلبوا) انصرفوا (الى أهلهم لعلهم يرجعون) واختلفوا في السبب الذي فعله يوسف من اجله فقيل أراد ان يريهم كرمه في رد البضاعة وتقديم الضيافة في البر والاحسان ليكون أدعى لهم إلى العود لعلهم يعرفونها اي كرامتهم علينا وقيل رأى فيما أخذ الطعام من ابيه وإخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وقال الكلبي ان لا يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم

تحملهم على رد البضاعة نفيا للغلط ولا يستحلون إمساكها (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا) إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب إذا أتيتم ملك مصر فاقرؤه مني السلام وقولوا له إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال اين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر وأخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه قالوا انه أخذنا وقال أنتم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية وقصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا (منع منا الكيل) قال الحسن معناه يمنع منا الكيل إن لم تحمل أخانا معنا وقيل معناه اعطى باسم كل واحد منا حمل ويمنع منا الكيل لبنيامين والمراد بالكيل الطعام لأنه كان يكال (فارسل معنا اخانا) بنيامين (نكتل) قرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء يعني يكيل لنفسه كما نحن نكتل وقرأ الاخرون نكتل بالنون يعني نكتل نحن وهو الطعام وقيل نكتل له (وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه) يوسف (من قبل) اي كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم (فالله خير حافظا) قرأ حمزة والكسائي وحفص حافظا بالألف على التفسير كما يقال هو خير رجل وقرأ الاخرون حفظا بغير الف على المصدر يعني خير كم حفظاً يقول حفظه خير من حفظكم (وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم) الذي حملوه من مصر (وجدوا بضاعتهم) ثمن الطعام (ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي) اي ماذا نبغي واي شيء نطلب وذلك انهم ذكروا ليعقوب عليه السلام احسان الملك اليهم وحثوه على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا يعني المتاع ووجدوا البضاعة قالوا يا ابانا ما نبغي (هذه بضاعتنا ردت الينا) اي شيء نطلب بالكلام فهذا هو العيان من الاحسان والاكرام اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن ارادوا تطييب نفس ابيهم (ونمير اهلنا) اي تشتري لهم الطعام فنحمله اليهم يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا حمل إليهم الطعام من بلد آخر ومثله امتار يمتار امتيارا (ونحفظ اخانا) بنيامين اي مما تخاف عليه

من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل انهم إذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم عرفوا أن ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع إليه سريعا وقيل انه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لأن الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤم لشدة حاجتهم إليه وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه وإحسانه إليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك أدعى إلى العودة إليه وقيل إنما فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه إذا وجدوها في رحالهم لأنهم أنبياء وأولاد أنبياء. وقيل أراد برد البضاعة اليهم أن يكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا) إنا قدمنا على خير رجل وأنزلنا اكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب إذا رجعتم الى ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال لهم اين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده واخبروه بالقصة ثم قالوا يا أبانا (منع منا الكيل) وفيه قولان أحدهما أنهم لما أخبروا يوسف بأخيهم من ابيهم طلبوا منه الطعام لابيهم واخيهم المتخلف عند أبيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل إشارة إليه واراد بالكيل الطعام لأنه يكال والقول الثاني أنه سيمنع منا الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم تحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (فارسل معنا أخانا) يعني بنيامين (نكتل) قرىء بالياء يعني يكتل لنفسه وقرىء بالنون يعني نكتل لنفسه وقرىء بالنون يعني نكتل جميعا واياه معنا (وانا له لحافظون) يعني نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة (قال) يعني يعقوب (هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل) يعني كيف امنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه وقلتم انا له لحافظون فما فعلتم فلم امن الا ان يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال (الله خير حافظا يعني ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الأمور (وهو ارحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على أنه أرسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لأنه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف او ان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم وان شدة القحط وضيق الوقت احوجه الى ذلك * قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام واوعية الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) يعني انهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس في متاعهم (قالوا يا أبانا ما نبغي) يعني ماذا نبغي واي شيء نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا اي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن واراد بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم (هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا) ثم يقال مار أهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر والمعنى انا نشتري لأهلنا الطعام ونحمله اليهم (ونحفظ اخانا)

(ونزداد) على أحمالنا (كيل بعير) أى حمل بعير يكال لنا من أجله لأنه كان يعطى باسم كل رجل حمل بعير (ذلك كيل يسير) أى ما حملناه قليل لا يكفينا وأهلنا وقيل معناه نزداد كيل بعير ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه ولا مشقة وقال مجاهد البعير هاهنا الحمار كيل بعير أى

يعنى بنيامين مما تخاف عليه حتى نرده اليك (ونزداد كيل بعير) يعنى ونزداد لأجل أخينا احمالنا حمل بعير من الطعام (ذلك كيل يسير) يعنى ان ذلك الحمل الذى نزداد من الطعام هين على الملك لأنه قد أحسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذى حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا واهلنا (قال) يعنى قال لهم يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) يعنى لن ارسل معكم بنيامين حتى تؤتون عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه (لتأتننى به) دخلت اللام هنا لأجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (إلا ان يحاط بكم) قال مجاهد إلا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندى لأن العرب تقول احيط بفلان إذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة إلا ان تهلكوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعنى فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له (وقال الله على ما نقول وكيل) يعنى قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كان الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الأحبار لما قال يعقوب بالله لتأتننى به (إلا ان يحاط بكم) قال مجاهد إلا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندى لأن العرب تقول احيط بفلان إذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة إلا ان تهلكوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعنى فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له (وقال الله على ما نقول وكيل) يعنى قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كان الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الأحبار لما قال يعقوب بالله خير حافظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاردن عليك كليهما بعد ما توكلت على وفوضت امرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الأمر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا امره اليه ﴿قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب (وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بنى لا تدخلوا يعنى مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدى اراد الطرق لا الأبواب يعنى من طرق متفرقة وإنما امرهم بذلك لأنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا قد أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا فى دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ان العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال العين حق ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين اخرجه ابو داود قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى قال المازرى اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقال العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا فى نفسه ولا يؤدى إلى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول وإذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وإنكاره وليل لا بد من فرق بين وتكذيبهم بهذا تكذيبهم بما يخبر به من امور الاخرة وقال وقد زعم بعض الطبائعيين مثبتين للعين تأثيرا ان العين تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الأفعى والعقرب تتصل بالملدوغ فيهلك وإن كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازرى وهذا غير مسلم لانبنائه على كتب علم الكلام انه لا فاعل إلا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبائع وبينا ان المحدث لا يفعل فى غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم يقول هذا المبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون رضا لأنه لا يقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لأن الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعض بأولى من عكسه فبطل ما قالوه واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان ينبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الجأت الفعل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين إنما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا اخر وهل

حمل حمار وهى لغة يقال للحمار بعير وهم كانوا أصحاب حمر والأول أصح انه البعير المعروف (قال) لهم يعقوب (لن ارسله معكم حتى تؤتون) تعطون (موثقا) اى ميثاقا وعهدا (من الله) والموثق العهد المؤكد بالقسم وقيل المؤكد باشهاد الله على نفسه (لتأتننى به) وأدخل اللام فيه لأن معنى الكلام اليمين (إلا ان يحاط بكم) قال مجاهد إلا ان تهلكوا جميعا وقال قتادة إلا ان تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك وفى القصة ان الأخوة ضاق الأمر عليهم وجهدوا اشد الجهد فلم يجد يعقوب بدا من إرسال بنيامين معهم (فلما آتوه موثقهم) اعطوه عهودهم (قال) يعنى يعقوب (الله على ما نقول وكيل) شاهد وقيل حافظ قال كعب لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين قال الله عز وجل وعزتى لأردن عليك كليهما بعد ما توكلت على (وقال) لهم يعقوب لما أرادوا الخروج من عنده (يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا

أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد فأمرهم ان يتفرقوا فى دخولهم لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وجاء فى الاثر ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن ابراهيم النخعى انه قال ذلك لانه كان يرجو ان يروا يوسف فى التفرق والأول اصح ثم قال

(وما أغنى عنكم من الله من شيء) معناه ان كان الله قضى فيكم قضاء فيصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن والحذر لا ينفع عن القدر (إن الحكم) ما الحكم (إلا لله) هذا تفويض يعقوب أموره إلى الله (عليه توكلت) اعتمدت (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) أي من الأبواب المتفرقة وقيل كانت المدينة مدينة الفرماء ولها أربعة ابواب فدخلوها من أبوابها (ما كان يغنى) يدفع (عنهم من الله من شيء) صدق الله تعالى يعقوب فيما قال (إلا حاجة) مرادا (فى نفس يعقوب قضاها) أشفق عليهم اشفاق الآباء على أبنائهم وجرى الأمر عليه (وإنه) يعنى يعقوب (٢٤٤) عليه السلام (لذو علم) يعنى كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل (لما علمناه) أى لتعليمنا إياه وقيل انه لعامل بما علم قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما وقيل انه لذو حفظ لما علمناه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ما يعلم يعقوب لأنهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف) قالوا هذا اخونا الذى امرتنا ان نأتيك به قد جئناك به فقال احسنتم واصبتم وستجدون جزاء ذلك عندى ثم انزلهم فاكرم منزلتهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لآجلسنى معه فقال يوسف لقد بقى احدكم هذا وحيدا فاجلسه معه على مائدته لجعل يواكله فلما كان الليل امر لهم بمثل وقال لينم كل اخوين منكم على مثال فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام معى على فراشى فقام معه ليجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح وجعل روبين يقول ما رأينا مثل هذا فلما اصبح قال لهم إنى ارى هذا الرجل ليس معه ثان فسأضمه إلى فيكون فراش منزله معى ثم انزلهم منزلا واجرى عليهم الطعام وانزل اخاه لأمه فذلك قوله تعالى (آوى اليه اخاه) اى ضم اليه اخاه فلما خلا به قال ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المنكل وذلك انه لما ولدها هلكت امه قال وما اسم امك قال راحيل قال راحيل بنت من قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال نعم عشرة بنين قال فهل لك من اخ لأمك قال كان لى اخ فهلك قال يوسف احب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عند ذلك وقام اليه وعانقه وقال

ثم جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الأمرين وإنما يقطع بنفى الفعل عنها وإضافته إلى الله تعالى فمن قطع من أطباء الإسلام باتباعات الجواهر فقد اخطأ فى قطعه وإنما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الأصول واما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الأمر فى حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك فى الموطأ وأما صفة وضوء العائن فمذكور فى كتب شرح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله اعلم وقال وهب بن منبه فى قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة انه خاف ان يتناولوا الماظهر لهم فى أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزى عنه وقيل إن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام إلا أن الله تعالى لم يأذن له فى إظهاره ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين إلى أخيه يوسف فى وقت الخلوة قبل إخوته والقول الأول الأصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع إلى علمه وفوض امره إلى الله تعالى بقوله (وما أغنى عنكم من الله من شيء) يعنى إن كان قد الله قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (إن الحكم إلا لله) يعنى وما الحكم إلا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب فى أموره كلها إلى الله تعالى (عليه توكلت) يعنى عليه اعتمدت فى أمورى كلها لا على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) يعنى من الأبواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماء أربعة أبواب فدخلوا من ابوابها كلها (ما كان يغنى عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب قال فيما وما أغنى عنكم من الله شيء (إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء منقطع ليس من الأول فى شيء ومعناه لكن حاجة فى نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الأبناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسد اهل مصر أو خاف ان لا يروا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه (وانه) يعنى يعقوب (لذو علم) يعنى صاحب علم (لما علمناه) يعنى لتعليمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشيء الذى علمناه والمعنى انا لما علمناه هذه الأشياء حصل له العلم بتلك الأشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) يعنى لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لأنهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله أولياءه قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) قال المفسرون لما دخل إخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذى امرتنا ان نأتيك به فقد جئناك به فقال احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندى ثم انزلهم واكرم نزلهم ثم انه اضافهم واجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لآجلسنى معه فقال لهم يوسف لقد بقى هذا وحيدا فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا أجلسه معى فاخذه فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل امرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على

(قال إني أنا أخوك فلا تبتئس) أي لا تحزن (بما كانوا يعملون) بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن إلينا ولا تعلمهم شيئا مما أعلمتك ثم أوفى يوسف لأخوته الكيل وحمل لهم بعيرا بعيرا ولبنيامين بعيرا باسمه ثم أمر بسقاية الملك (فجعلت في رحل بنيامين قال السدي

فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم إني اري هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وسأضمه إلي فيكون معي في منزلي ثم أنه انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما رأينا مثل هذا فذلك قوله آوى إليه أخاه يعني ضمه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من اخ لأمك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف اتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام إليه وعانقه و (قال) له (اني أنا أخوك) يعني يوسف (فلا تبتأس) يعني لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعني لا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن إلينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فأراد ان يجعل قلب أخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لأخيه بنيامين لا تعلم اخوتك شيئا مما اعلمتك به ثم انه اوفى لاخوتك الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف إني انا اخوك فلا بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي علي فاذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك إلى ما لا يحمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة ليتيسر لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن إسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد وجعلت في وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين إلى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) يعني نادى مناد له اعلم معلم والاذن في اللغة الاعلام (ايتها العير) وهي القافلة التي فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير والبغال وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهي عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الإبل التي تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله ايتها العير اراد اصحاب العير (إنكم لسارقون) فقفوا والسرقة اخذ ما ليس له اخذه في خفاء * فان قلت هل كان هذا النداء بامر يوسف ام لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم اقواما وينسبهم إلى السرقة كذبا مع علمه انه بيرأتهم عن ذلك وإن كان ذلك النداء بغير امره فهل لا اظهر إبراءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا إليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه انه اخوه قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك إلا بتدبير حيلة انسبك فيها إلى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضي به فلا يكون ذنبا الثاني ان يكون المعنى إنكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل ان يكون المنادي ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الاقرب إلى ظاهر الحال لانهم

جعلت السقاية في رحل أخيه والاخ لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني أنا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي بي وإذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد ان أشهرك بأمر فظيع وانسبك إلى ما لا يحمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فاني لا أفارقك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة ليتيسر لي ردك بعد تسريحك قال فافعل كما تريد فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب منها والسقاية والصواع واحد جعلت في وعاء طعام بنيامين ثم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم اذن مؤذن) نادى مناد (ايتها العير) وهي القافلة

التي فيها الاحمال قال مجاهد كانت العير حميرا وقال الفراء كانوا أصحاب إبل (انكم لسارقون) قفوا قال قالوه من غير امر يوسف وقيل قالوه بأمره وكان هفوة منه وقيل قالوه على تأويل انهم سرقوا يوسف من أبيه فلما انتهى اليهم الرسول قال لهم الم تكرم ضيافتكم

ونحسن منزلتكم ونوفكم كيلكم ونفعل بكم مالم نفعل بغيركم قالوا يلى قالوا وماذاك قالوا استقاية الملك فقدناها ولا تهم عليها غيركم فذلك قوله عز وجل (قالوا واقبلوا عليهم) عطفوا على المؤذن وأصحابه (ماذا تفقدون) ما الذى ضل عنكم والفقدان ضد الوجدان (قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام (وأنا به زعيم) كفيل يقوله المؤذن (قالوا) يعنى اخوة يوسف (تالله) أى والله وخصت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء فى اليمين دون (٢٤٦) سائر أسماء الله تعالى (لقد علتم ما جئنا لنفسد فى الارض) لنسرق فى أرض مصر فان قيل كيف قالوا لقد علتم ومن أين علموا ذلك قيل قالوا قد علتم ما جئنا لنفسد فى الارض فانا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرزأ أحدا شيئا فاسألوا عنا من مررنا به هل ضررنا احدا وقيل لانهم ردوا البضاعة التى جعلت فى رحالهم قالوا فلو كنا سارقين ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم وكانوا إذا دخلوا مصر كموها أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئا من حروث الناس (وما كنا سارقين) (قالوا) يعنى المنادى وأصحابه (فما جزاؤه) يعنى ما جزاء السارق (إن كنتم كاذبين) فى قولكم وما كنا سارقين (قالوا) يعنى إخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) اى فالسارق جزاؤه أن يسلم السارق بسرقته إلى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة ال يعقوب فى حكم السارق وكان حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفى قيمة المسروق فاراد يوسف أن يحبس اخاه عنده فردا لحكم اليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم لا (كذلك نجزى الظالمين) الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش امتعتكم فاخذ فى تفتيشها وروى انه ردهم إلى يوسف فامر بتفتيش اوعيتهم بين يديه (فبدأ بأوعيتهم) لازالة التهمة (قبل وعاء اخيه) فكان يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر فى وعاء إلا استغفر الله تأثما مما ذفهم به حتى إذا لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن هذا اخذه فقال اخوته والله لا نترك حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك ولا نفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه فذلك قوله تعالى

طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل إلى إخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم مالم نفعل بغيركم قالوا يلى وماذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا تهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن واصحابه ماذا اى الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعنى المؤذن وأصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولمن جاء به) يعنى بالصواع (حمل بعير) يعنى من الطعام (وانا به زعيم) أى كفيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول الله ﷺ بها فى قوله الحميل غارم والحميل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع أن السارق لا يستحق شيئا • قلت لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعالة أو لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعنى أخوة يوسف (تالله) التاء بدل من الواو ولا تدخل إلا على اسم الله فى اليمين خاصة تقديره والله (لقد علتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) قال المفسرون أن أخوة يوسف حلفوا على أمرين أحدهما أنهم ما جاؤا لأجل الفساد فى الأرض والثانى انهم ما جاؤا سارقين وإنما قالوا هذه المقالة لأنه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو أنهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم انهم شدوا أفواه دوابهم لئلا تؤذى زرع الناس فمن كانت هذه صفته فالفساد فى حقه ممتنع وأما الثانى وهو أنهم ما كانوا سارقين فلانهم قد كانوا ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلأجل ذلك قالوا لقد علتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فلما تبينت براءتهم من هذه التهمة (قالوا) يعنى أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعنى فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين فى قولكم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين (قالوا) يعنى إخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله) يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله أن يسلم برقبته إلى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب فى حكم السارق وكان فى حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفى قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان يجرى مجرى القطع فى شرعنا أراد يوسف ان يأخذ بحكم أبيه فى السارق فلذلك رد الحكم إليهم والمعنى أن جزاء السارق أن يستعبد سنة جزاء له على جرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعنى هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزى الظالمين) يعنى مثل هذا الجزاء وهو أن يسترق السارق سنة نجزى الظالمين ثم قيل إن هذا الكلام من بقية كلام أخوه يوسف وقيل هو من كلام اصحاب يوسف فعلى هذا أن إخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزى الظالمين يعنى السارقين • قوله عز وجل (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال اهل التفسير ان اخوة يوسف لما أقروا أن جزاء السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف لابد من تفتيش رحالكم فردوهم إلى يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا أنه كان

(ثم استخرجها من وعاء أخيه) وإنما أنث الكناية في قوله استخرجها والصواع مذكر بدليل قوله ولمن جاء به حمل بعير لأنه رد الكناية ههنا إلى السقاية وقيل الصواع يذكر ويؤنث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين وقالوا ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل مازال لنا منكم البلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية والله فوضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فاخذوا بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه برقبته ورددوه إلى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو إشارة إلى الحكم الذي ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق اي مثل ذلك الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله عز وجل محال فيجب تاويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد ههنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف بان حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل اخيه ليضمه إليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الأعرابي الكيد التدبير بالباطل ويحق فعل هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معناه في اوصاف المخلوقين فانه إذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل الله معرى من المعاني المذمومة ويخلص بانه وقع ممن يكيده تدبيره ما يريده به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالذي يكون من اجل ان المخلوق إذا كان المخلوق في ستر عنه ما ينويه ويضمره له من الذي يقع به من الكيد فهو من الله تعالى استدراج وهو ما ختم الله به عاقبته والذي وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى إليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة وحيث جرى الأمر على غير ما قدر من إهلاكه وخلوص ابهم له بعده وكل ذي جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لأنه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائدا إلى جميع ما اعطاه الله وانعم به عليه على خلاف تدبيره اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله تعالى (وما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى الهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل إلى ذلك (إلا أن يشاء الله) يعني ان ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لأن ذلك كله كان إلهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الأمر على وفق المراد (نرفع درجات من نشاء) يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية دلالة على ان العلم الشريف اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الاية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الأنباري يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع

لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء إلا استغفر تأثما مما قذفهم به حتى لم يبق إلا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئا قال أخوته والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) إنما انث الكناية لانه ردها إلى السقاية وقيل إن الصواع يذكر ويؤنث فلما اخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤوسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ما صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل مازال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه برقبته ورددوه إلى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو إشارة إلى الحكم الذي ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق اي مثل ذلك الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله عز وجل محال فيجب تاويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد ههنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف بان حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل اخيه ليضمه إليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الأعرابي الكيد التدبير بالباطل ويحق فعل هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معناه في اوصاف المخلوقين فانه إذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل الله معرى من المعاني المذمومة ويخلص بانه وقع ممن يكيده تدبيره ما يريده به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالذي يكون من اجل ان المخلوق إذا كان المخلوق في ستر عنه ما ينويه ويضمره له من الذي يقع به من الكيد فهو من الله تعالى استدراج وهو ما ختم الله به عاقبته والذي وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى إليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة وحيث جرى الأمر على غير ما قدر من إهلاكه وخلوص ابهم له بعده وكل ذي جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لأنه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائدا إلى جميع ما اعطاه الله وانعم به عليه على خلاف تدبيره اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله تعالى (وما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى الهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل إلى ذلك (إلا أن يشاء الله) يعني ان ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لأن ذلك كله كان إلهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الأمر على وفق المراد (نرفع درجات من نشاء) يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية دلالة على ان العلم الشريف اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الاية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الأنباري يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع

مراد يوسف بمشيئة الله تعالى (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على أخوته وقرأ يعقوب يرفع ويشاء بالياء فيهما وإضافة درجات إلى من في هذه السورة والوجه ان الفعل فيهما مسند إلى الله تعالى وقد تقدم ذكره في قوله إلا أن يشاء الله أي يرفع الله درجات من يشاء وقرأ الباقون فيهما إلا ان الكوفيين قرؤا درجات بالتنوين ومن سواهم بالاضافة أن ترفع به نحن والرافع أيضا هو الله تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فان الله تعالى فوق كل عالم

(قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يرون اعماله من أمه يعنون به يوسف واختلفوا فى السرقة التى وصفوا بها يوسف فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابن أمه صنم يعبده فاخذه سرا وكسره والقاه فى الطريق لئلا يعبد وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها السائل وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير التى كانت فى بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء. وذكر محمد بن اسحق أن يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأتاها وقال يا اختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة قالت لا والله فقال والله ما أنا بتاركه فقالت دعه عندى أياما انظر إليه لعل ذلك يسلينى ففعل ذلك فعمدت إلى منطقة لاسحق كانوا يتوارثونها بالكبر فكانت عندها لانها كانت اكبر ولد اسحق فحزمت المنطقة على يوسف (٢٤٨) تحت ثيابه وهو صغير ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق اكشفوا اهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لسلم لى فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته حتى ماتت فذلك الذى قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل (فأسرها) أضمرها (يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) وإنما أتت الكناية لانه عين بها الكلمة وهى قوله (قال أنتم شر مكانا) ذكرها سرا فى نفسه ولم يصرح بها يريد انتم شر مكانا اى منزلا عند الله ممن رميتموه بالسرقة فى صنيعكم بيوسف لانه لم يكن من يوسف سرقة حقيقة وخيانتكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) تقولون قالوا يا ايها العزيز إن له ابا شيخا كبيرا) فى القصة انهم غضبوا غضبا شديدا لهذه الحالة وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل إذا غضب لم يقم لغضبه شىء واذا صاح ألقت كل امرأة حامل سمعت صوته ولدها وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب سكن غضبه وقيل كان هذا صفة شمعون من ولد يعقوب الصلاة

لم اهبر به تعالى ولا يطمع نفسه فى الغلبة لأنه لا يخلو عالم فوقه ٭ قوله تعالى (قالوا) يعنى أخوة يوسف (ان يسرق) يعنى بنيامين الصواع (فقد سرق اخ له من قبل) يعنى يوسف ظاهر الاية يقتضى ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه الذى هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام أخرى غير امنا واختلفوا فى السرقة التى نسبوها إلى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابى امه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف وكسره والقاه فى الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناوله اياه وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذى كان فى بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء. وذكر محمد بن اسحق أن يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا اختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما اقدر على ان يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال لها والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندى اياما انظر اليه لعل ذلك يسلينى عنه ففعل ذلك فعمدت إلى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لى يعنى يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانبارى وليس فى هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب (فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) فى هاء الكناية ثلاثة أقوال أحدها أن الضمير يرجع إلى الكلمة التى بعدها وهى قوله تعالى (قال) يعنى يوسف (أنتم شر مكانا) روى هذا المعنى العوفى عن ابن عباس والثانى أن الضمير يرجع إلى الكلمة التى قالوها فى حقه وهى قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابى صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التى قالوها فى حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع إلى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم فى ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا يعنى منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة فى الحقيقة وخيانتكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) يعنى بحقيقة ما تقولون ٭ قوله عز وجل (قالوا) يعنى أخوة يوسف (يا أيها العزيز) يخاطبون بذلك الملك (إن له أبا شيخا كبيرا) قال أصحاب الأخبار والسير أن يوسف عليه

وروى انه قال لاخوته كم عدد الأسواق بمصر فقالوا عشرة فقال اكفونى انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفونى انتم الملك وانا أكفيكم الأسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل لتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل إلا القت ولدها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم إلى جنب روبيل فمسه وروى خذ بيده فاتنى به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل انها لهاهنا لبذرا من بذر يعقوب فقال يوسف من يعقوب وروى انه غضب ثانيا فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين تظنون ان لا احد

أشد منكم فلما صار أمرهم إلى هذا اورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز إن له أباشيخا كبيرا يحبه (فخذ أحدنا مكانه) بدلا منه (إنا نراك من المحسنين) في أفعالك وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة وقيل يعنون ان فعلت ذلك كنت من المحسنين (قال) يوسف (معاذ الله) أعوذ بالله (ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا (٢٤٩) عنده) ولم يقل إلا من سرق تحرزا من الكذب (إنا إذا لظالمون) إن اخذنا بريئا بمجرم (فلما استيأسوا منه) أي ايسوا من يوسف ان يجيبهم إلى ماسألوه وقال أبو عبيدة استيأسوا استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) أي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يخالطهم غيرهم والنجي يصلح للجماعة كما قال ههنا ويصلح للواحد كقوله وقربناه نجيا وإنما جاز للواحد والجمع لأنه مصدر جعل نعتا كالعدل والزور ومثله النجوى يكون إسما ومصدرا قال الله تعالى واذهم نجوى أي متناجون وقال ما يكون من نجوى ثلاثة وقال في المصدر انما النجوى من الشيطان (قال كبيرهم) يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكلبي هو يهوذا وهو اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم في السن وهو الذي نهى الاخوة عن قتل يوسف (ألم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا) عهدا (من الله

الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل اخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه ثم قال إن صواعي هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لأب واحد انكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد رؤيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح القت كل حامل حملها سمعت صوته وكان من هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى الأخوة واشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الأسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم الأسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الأسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فسه او خذ بيده فأتى فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الأرض وقال انتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم وراوا ان لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز إن له اباشيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لأنه نبي من اولاد الانبياء (فخذ احدنا مكانه) يعني بدلا عنه لأنه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك (إنا نراك من المحسنين) يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعني قال يوسف أعوذ بالله معاذا (ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل سرق تحرزا عن الكذب لأنه يعلم ان أخاه ليس بسارق (إنا إذا لظالمون) يعني ان أخذنا بريئا بذنب غيره. فان قلت كيف استجاز يوسف ان يعمل مثل هذه الأعمال بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجد أبيه عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها وأصحها انه إنما فعل ذلك بامر الله تعالى له لا عن امره وإنما امره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الأجر على البلاء ويلحقه بدرجة آبائه الماضين والله تعالى اسرار لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشاء وهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد ان يدبر فيهم والله أعلم بأحوال عباده * قوله عز وجل (فلما استيأسوا منه) يعني أيسوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه وقيل أيسوا من أخيهم ان يرد عليهم وقال أبو عبيدة استيأسوا أي استيقنوا ان الأخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) يعني خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له في الرئاسة على أخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا في يوسف لأنه نهاهم عن قتله (ألم تعلموا ان أباكم) يعني يعقوب (قد أخذ عليكم موثقا) يعني عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم) قصرتم (في يوسف) واختلفوا في محل ما قيل هو نصب

بإيقاع العلم عليه يعني ألم تعلموا من قبل تفريطكم في يوسف وقيل هو في محل الرفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله من الله ثم قال ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف وقيل ما صلة أي ومن قبل هذا فرطتم في يوسف (فلن أبرح الأرض) التي أنا بها وهي مصر

(حتى يأذن لى أبى) بالخروج منها ويدعونى (أو يحكم الله لى) برد أخى إلى أو بخروجى وترك أخى وقيل أو يحكم الله لى بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخى (وهو خير الحاكمين) أعدل من فصل بين الناس (ارجعوا إلى أبيكم) يقول الأخ المحتبس بمصر لإخوته ارجعوا إلى أبيكم (فقولوا يا أبانا ان ابنك) بنيامين (سرق) وقرأ ابن عباس والضحاك بضم السين وكسر الراء وتشديدها يعنى نسب الى السرقة كما يقال خونته أى نسبته إلى الخيانة (وما شهدنا الا بما علمنا) يعنى ما قلنا هذا الا بما علمنا فانا رأينا إخراج الصواع من متاعه وقيل معناه وما شهدنا إلا بما علمنا اى ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شىء الا بما علمنا (٢٥٠) وليست هذه شهادة منا انما هو خبر عن صنيع ابنك زعمهم وقيل قال لهم يعقوب عليه السلام ما يدرى هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم فقالوا ما شهدنا عند يوسف بان السارق يسترق الا بما علمنا وكان الحكم ذلك عند يعقوب وبنيه (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة ما كنا نعلم ان ابنك سيسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا الى حفظه منه سبيل وعن ابن عباس ما كنا بالليل ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقال عكرمة وما كنا للغيب حافظين فلعلها دست بالليل فى رحله (واسأل القرية التى كنا فيها) أى أهل القرية وهى مصر قال ابن عباس هى قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها الى مصر (والعير التى أقبلنا فيها) أى القافلة التى كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب قال ابن اسحق عرف الأخ المحتبس بمصر ان اخوته أهل تهمة عند أبيهم لما كانوا صنعوا فى أمر يوسف فامرهم أن يقولوا هذه المقالة لأبيهم (وانا لصادقون) فان قيل كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه بل مع علمه بشدة وجد أبيه عليه وقيل معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة قيل قد اكثر الناس فيه والصحيح أنه عمل ذلك بامر الله سبحانه وتعالى امره به ليزيد فى بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر ويلحقه فى الدرجة بآبائه الماضين وقيل انه لم يظهر نفسه لاخوته لأنه لم يامن أن يدبروا فى أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه ولاول أصح (قال بل سولت لكم) زينت (أنفسكم أمراً) وفيه اختصار معناه فرجعوا الى أبيهم وذكروا لابيهم ما قال كبيرهم فقال يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمراً أى حمل أخيكم الى مصر لطلب نفع عاجل

هذه السورة (حتى يأذن لى أبى) يعنى فى الخروج من ارض مصر فيدعونى اليه (او يحكم الله لى) برد اخى على او بخروجى معكم وترك اخى او يحكم الله لى بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخى (وهو خير الحاكمين) لأنه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى الله تعالى فى إقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى ابيكم) يعنى يقول الأخ الكبير الذى عزم على الإقامة بمصر لأخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب) فقولوا) له (يا ابانا ان ابنك سرق) انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه قد سرق فلذلك نسبوه الى السرقة فى ظاهر الامر لا فى حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا الا بما علمنا) يعنى ولم نقل ذلك الا بعد ان رأينا اخراج الصواع وقد اخرج من متاعه وقيل معناه ان كانت منا شهادة فى عمرنا على شىء الا بما علمناه وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى أن ابنك سرق فى زعم الملك واصحابه لا انا نشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها اى نسب إلى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج إلى تاويل ومعناها أن القوم نسبوه إلى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هى الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعنى وما قلنا هذا الا بما علمنا فانا رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شىء الا بما علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه سرق فما يدرى هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق إلا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الأنبياء قبله ويعقوب وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب إخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا إذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كافر (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعنى ما كنا نعلم ان ابنك سرق ويصير أمرنا إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا بالليل ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه إلا الله فلعل الصواع دس فى رحله ونحن لا نعلم بذلك (واسئل القرية التى كنا فيها) يعنى واسأل أهل القرية إلا أنه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور فى كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هى قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير التى أقبلنا فيها) يعنى واسأل القافلة التى كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وانا لصادقون) يعنى فيما قلناه وإنما أمرهم أخوهم الذى أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة فى إزالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم لأنهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً) فيه اختصار تقديره فرجعوا الى أبيهم فأخبروه بما جرى لهم فى سعرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لأبيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب

بل سولت يعنى بل زينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم معكم إلى مصر لطلب نفع عاجل قال امركم إلى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق (فصبر جميل) تقدم تفسيره فى اول السورة ٥ وقوله (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) يعنى بيوسف وبنيامين والاخ الثالث الذى اقام بمصر وإنما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه إذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع إلى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجرى عليه وعلى بنيه من اول الامر وهو رؤيا يوسف وقوله يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدون لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله ان يأتينى بهم جميعاً (إنه هو العليم) يعنى بحزنى ووجدى عليهم (الحكيم) فيما يدبره ويقضيه * قوله تعالى (وتولى عنهم) يعنى واعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم (وقال يا اسفا على يوسف) الاسف اشد الحزن وإنما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك

يقول ابكى كل قبر رأيته ٥ لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى ٥ فدعنى فهذا كله قبر مالك

فاجاب بأن الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام فى قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية وإظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا إلى الله لا منه فقوله يا اسفا على يوسف معناه يا رب ارحم اسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ وتلخيصه يا إلهى ارحم اسفى أو انت تراى اسفى او هذا اسفى فنادى الاسف فى اللفظ والمنادى سواء فى المعنى ولا مأثم إذا لم ينطلق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك إلا إلى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفا على يوسف شكوى إلى ربه كان غير ملوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا اسفا على يوسف اى اشكو إلى الله شدة اسفى على يوسف ولم يشكه إلى احد من الخلق بدليل قوله إنما اشكو بثى وحزنى إلى الله (وابيضت عيناه من الحزن) اى عمى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيئا ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كانها بيضاء من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) اى مكظوم وهو الممتلىء من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذى يردد حزنه فى جوفه ولم يقل إلا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه إلى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البنانى ووهب بن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى ايها الصديق قال يوسف ارى صورة طاهرة قال إنى رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فما ادخلك مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى اطهر الارضين وان الله قد طهرك الارض والسجن وما حوله يا اطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال ايوسف كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين قال له انه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بابائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر

(فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعاً) يعنى يوسف وبنيامين وأخاهم المقيم بمصر (إنه هو العليم) بحزنى ووجدى على فقدهم (الحكيم) فى تدبير خلقه قوله تعالى (وتولى عنهم) وذلك ان يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين تناهى حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم (وقال يا أسفا) ياحزنا (على يوسف) والأسف أشد الحزن (وابيضت عيناه من الحزن) يعنى عمى بصره قال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين (فهو كظيم) أى مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه وقال قتادة تردد حزنه فى جوفه ولم يقل إلا خيرا قال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاما لا تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض اكرم على الله من يعقوب

(قالوا) يعنى اولاد يعقوب (تالله تفتؤ تذكر يوسف) أى لا تزال تذكر يوسف لا تفتر من حبه يقال ما فتىء يفعل كذا أى ما زال يفعل ولا محذوفة من قوله تفتؤ يقال ما فتىء يفعل كذا اى ما زال كقوله امرىء القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا راسى لديك واوصالى أى لا ابرح (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس دنفا وقال مجاهد الحرض مادون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق فاسدا لا عقل لك والحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذاتبا من الهم ومعنى الاية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل واصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن والهرم او العشق او الهم يقال رجل حرض وامراة حرض ورجلان وامراتان حرض ورجال ونساء كذلك يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر وضع موضع الاسم (او تكون من الهالكين) اى من الميتين (قال) يعقوب عليه السلام عند ذلك لما راى غلظتهم (إنما اشكو بثى وحزنى إلى الله) والبث اشد الحزن سمى بذلك لان صاحبه لا يصبر عليه حتى يثبته اى يظهره قال الحسن بثى اى حاجتى وروى انه دخل على يعقوب جار له وقال يا يعقوب ما الذى غير حالك مالى اراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك قال هشمنى وافنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فاوحى الله إليه يا يعقوب اتشكونى إلى خلقى فقال يارب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى فقال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما اشكو بثى وحزنى إلى الله وروى انه قيل له يا يعقوب ما الذى اذهب بصرك وقوس ظهرك فقال اذهب بصرى بكائى على يوسف وقوس ظهرى حزنى على أخيه فاوحى الله اليه اتشكونى فوعزتى وجلالى لا اكشف ما بك حتى تدعونى فعند ذلك قال إنما اشكو بثى وحزنى إلى الله فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لاخرجتهما لك وإنما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيء وان احب خلقى إلى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما واودع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وروى أنه من كان بعد ذلك إذا تغدى امر من ينادى من اراد الغداء فليات يعقوب وإذا افطر امر من ينادى من اراد ان يفطر فليأت يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وعن وهب بن منبه قال لما اوحى الله تعالى إلى يعقوب اتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا قال لانك قد شويت عناقا وقمت على جارك واكلت ولم تطعمه وروى ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدى امه وهى تخور وقال وهب والسدى وغيرهما اتى جبريل إلى يوسف فى السجن فقال هل تعرفنى ايها الصديق قال ارى صورة طاهرة وريحا طيبة قال إنى رسول رب العالمين وانا الروح الامين قال فما ادخلك مدخل المذنبين وانت أطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله تعالى يطهر البيوت بطهر النبيين وأن الأرض التى يدخلونها هى أطهر الأراضين وان الله تعالى قد طهر بك السجن وما حوله يا طاهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من المخلصين الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين وسميت باسم الفاسقين قال جبريل لانه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك لذلك سماك الله فى الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بابائك الصالحين قال يوسف هل لك علم بيعقوب ايها الروح الامين قال نعم

الجميل فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلا. قال فما له من الاجر يا جبريل قال اجر مائة شهيد قال افترانى لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما ابالى بما لقيت إن رايته * قوله عز وجل (قالوا) يعنى إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لابيهم (تالله تفتؤ تذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر حبه يقال ما فتىء يفعل كذا اى ما زال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرىء القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى

اى لا ابرح قاعدا وقوله (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرض مادون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسدا لا عقل له والحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذاتبا من الهم واصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن او الهم ومعنى الاية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعنى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (او تكون من الهالكين) يعنى من الاموات * فان قلت كيف حلفوا على شىء لم يعلموا حقيقته قطعا * قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر اى نقوله ظنا منا ان الامر يصير إلى ذلك (قال) يعقوب عند ما راى قولهم له وغلظتهم عليه (إنما اشكو بثى وحزنى إلى الله) اصل البث إثارة الشىء وتفريقه وبث الشىء ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث اشد الحزن وذلك لان الانسان إذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث اشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى إنما اشكو حزنى العظيم وحزنى القليل إلى الله لا إليكم قال ابن الجوزى روى الحاكم ابو عبدالله فى صحيحه من حديث انس بن مالك عن رسول الله ﷺ انه قال كان ليعقوب اخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى اذهب بصرك وما الذى قوس ظهرك قال اما الذى اذهب بصرى فالبكاء على يوسف واما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك اما تستحى ان تشكوا إلى غيرى فقال إنما اشكوا بثى وحزنى إلى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكوا وقيل انه دخل على يعقوب جار له فقال له يعقوب مالى اراك قد تهشمت بالضعف وفنيت ولم تبلغ

وهب الله الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم قال فلما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما زاد له من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افترأني لاقيه قال نعم فطابت نفسه وقال ما أبالي بما لقيت ان رأيته قوله تعالى (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون روى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته هل قبضت روح ولدي في الأرواح قال لا فسكن يعقوب وطمع في رؤيته وقال واعلم ان رؤيا يوسف صادقة وأني وأنتم سنسجد له وقال السدي لما اخبره ولده بسيرة الملك أحسن نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه وروى عن عبد الله بن زيد بن أبي فروة أن يعقوب عليه السلام كتب كتابا إلى يوسف عليه السلام حين حبس بنيامين من يعقوب إسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلى فذهب به أخوته إلى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من البكاء عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت أنه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره فأظهر نفسه على ما نذكره ان شاء الله تعالى (يا بني اذهبوا فتحسسوا) تخبروا واطلبوا الخبر (من يوسف وأخيه) والتحسس بالحاء والجيم لا يبعد أحدهما من الاخر الا ان التحسس بالحاء في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس معناه التمسوا

من الس ما بلغ ابوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي فقال يارب خطيئة اخطأتها فاغفرها لي قال غفرتها لك فكان بعد ذلك إنما يقول إنما اشكو بثي وحزني إلى الله تعالى وقيل إن الله اوحى اليه وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله تعالى ثم قال أي رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي اشمها شمة قبل أن أموت ثم اصنع ما شئت فاتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك ابشر وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تعطوه منها شيئا وان احب عبادي الى الأنبياء ثم المساكين اصنع طعاما واوع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر لليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك إذا تغدى امر مناديا ينادي من أراد ان يتغدى فليات آل يعقوب وإذا أفطر ان ينادي من اراد ان يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى إلى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال يارب لا قال لانك شويت عناقا وقمت على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجل بين يدي أمه وهي تخور فلم يرحمها ٭ فان قلت هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الأنبياء ٭ قلت لا وإنما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وإنما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره إلى الله فابراهيم عليه الصلاة والسلام القي في النار فصبر ولم يشك إلى احد واسمعيل ابتلي بالذبح فصبر وفوض أمره إلى الله واسحق ابتلي بالعمى فصبر ولم يشك إلى احد ويعقوب ابتلي بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك وضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك إلى احد شيئا مما نزل به وإنما كانت شكايته إلى الله عز وجل بدليل قوله إنما اشكو بثي وحزني إلى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل في الدنيا والدرجات العلى في الاخرة مع من سلك من أبويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذما ولا عقوبة لأن ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي ﷺ بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن وما نقول إلا ما يرضي ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على أحد من الناس وقوله (واعلم من الله ما لا تعلمون) يعني أنه تعالى من حتمه واحسانه يأتي بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى أنه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الأرواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل معناه اعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق وانا وانتم سنسجد له وقال السدي لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع أقواله وأفعاله احسن نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني يعقوب (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التجسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس

(ولا تيأسوا) ولا تقنطوا (من روح الله) أى من الرحمة وقيل من فرج الله (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه) وفيه اضمار تقديره فخرجوا راجعين الى مصر حتى وصلوا اليها فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه (قالوا يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر) اى الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) اى قليلة رديئة كاسدة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجوز من البائع فيها واصل الازجاء السوق والدفع وقيل للبضاعة مزجاة لانها غير نافقة وانما تجوز على دفع من اخذها واختلفوا فيها فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبى ومقاتل كانت الحبة الخضراء. وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال (فأوف لنا الكيل) اى اعطنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافى (وتصدق علينا) اى تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردى. ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا برد اخينا الينا (ان الله يجزى) يثيب (المتصدقين) وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم يعلموا أنه مؤمن وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على احد من الانبياء سوى نبينا عليه الصلاة والسلام فقال سفيان الم تسمع قوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين يريدان الصدقة كانت حلالا لهم وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق

التمسوا قال ابن الأنبارى يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف وأخيه لأنه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبى فروة أن يعقوب كتب كتابا إلى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشددت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله بردا وسلاما واما ابى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب أولادى إلى فذهب به أخوته إلى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته إلى والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما سنذكره إن شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه (ولا تيأسوا) أى ولا تقنطوا (من روح الله) يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يعنى ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك * قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا ايها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق فى ثمن الطعام إلا بتجوز من البائع واصل الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشىء لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة إما لنقصانها أو لرداءتها او لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع العراب من الصوف والاقط وقال الكلبى ومقاتل كانت حبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان وليست مما يتسع بها وقيل إنما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها (فاوف لنا الكيل) يعنى أعطانا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى إنما تريدان تقسم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردى. (وتصدق علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردى. ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانبارى وكان الذى يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس بها واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للأنبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء قبل محمد ﷺ واستدل بهذه الاية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد تحريم الصدقة عليهم لأنهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواه واجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عاداتهم من المسامحة وإيفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغى الثواب وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبغى الثواب قل اللهم اعطنى وتفضل على وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعنى برد اخينا علينا (ان الله يجزى المتصدقين) يعنى بالثواب

وإنما يتصدق من يبغي الثواب قل اللهم أعطني أو تفضل علي (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) اختلفوا في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول قال ابن اسحق ذكر لي انهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة فارفض دمعه فباح بالذي كان يكتمه وقال الكلبي إنما قال ذلك حين حكى لاخوته ان مالك بن ذعر قال اني وجدت غلاما في بئر من حاله كيت وكيت فابتعته بكذا درهما فقالوا أيها الملك نحن بعنا ذلك الغلام فغاظ يوسف ذلك وامر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يحزن ويبكي لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف إذا اتاه قتل بنيه كلهم ثم قالوا له ان فعلت ذلك فابعث بأمتعتنا إلى أبينا (٢٥٥) فانه يمكان كذا وكذا فذلك حين رحمهم وبكى وقال ذلك القول وقيل قاله حين قرأ كتاب أبيه الذي كتب إليه فلم يتمالك البكاء فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ فرقتم بينهما وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف وقيل مذنبون وعاصون وقال الحسن إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشباب فان قيل كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه وما كان منهم إلى أخيه شيء وهم لم يسعوا في حبسه قيل قد قالوا له في الصاع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرا وقيل لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف (قالوا ائنك لأنت يوسف) قرأ ابن كثير وأبو جعفر ائنك على الخبر وقرأ الآخرون على الاستفهام قال ابن اسحق كان يوسف يتكلم من وراء ستر فلما قال يوسف هل علمتم ما فعلتم كشف عنهم الغطاء ورفع الحجاب فعرفوه وقال الضحاك عن ابن عباس لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثنايا كاللؤلؤ المنظوم فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاماً ائنك لأنت يوسف وقال عطاء عن ابن عباس ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان له في قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها شبه الشامة فعرفوه فقالوا ائنك لأنت يوسف وقيل قالوه على التوهم حتى (قال انا يوسف وهذا اخي) بنيامين (قد من الله علينا) انعم الله علينا بان جمع بيننا

الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن (قال) يعني قال يوسف لاخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا في السبب الذي من اجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي انهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته رقة على إخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل أنه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعه من مالك وفي آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا ايها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف إذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بأمتعتنا الى ابينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرحمة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه لم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم انفسكما اياهما من المكروه واعلم ان هذه الاية تصديق لقوله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقال لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا أرادوا ذلك * قلت إنهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف تغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا لما انهم باخذ الصواع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرا (إذ أنتم جاهلون) هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وهم جاهلون بما يؤول إليه امر يوسف * قوله عز وجل (قالوا ائنك لأنت يوسف) قرىء على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه فرأوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاماً ائنك لانت يوسف وقرىء على الخبر وحجته ما قال ابن عباس ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا انت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى (قال انا يوسف) قال بعض العلماء إنما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكانه قال انا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بان القيتموني في الجب ثم بعتموني بابخس الأثمان ثم صرت إلى ما ترون فكانت تحت ظهور الاسم هذا المعاني كلها ولهذا قال (وهذا اخي) وهم يعرفونه لأنه قصد به ايضاً وهذا اخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت انا وهو إلى ما ترون وهو قوله (قد من الله علينا) بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة وقيل من علينا

(انه من يتق) بأداء الفرائض واجتناب المعاصي (ويصبر) عما حرم الله عز وجل عليه قال ابن عباس يتقي الزنا ويصبر عن العزوبة وقال مجاهد يتقي المعصية ويصبر على السجن (فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا) معتذرين (تالله لقد آثرك الله علينا أي اختارك الله وفضلك علينا (وإن كنا لخاطئين) اي وما صنيعنا بك (٢٥٦) لاخطئين مذنبين يقال خطىء خطأ إذا تعمد وأخطأ إذا كان غير متعمد (قال)

بالسلامة في ديننا ودنيانا (إنه من يتق ويصبر) يعني يتقي الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتقي المعصية ويصبر على السجن وقيل يتقي الله بأداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) يعني اجر من كان هذا حاله (قالوا) يعني قال إخوة يوسف معتذرين إليه مما صدر منهم في حقه تالله (لقد آثرك الله علينا) أي اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله إيثارا أي اختارك ويستعار الأثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي اعطاه الله عز وجل له دون إخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة واورد على هذا القول بأن اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل في ذلك وأجيب عنه بأن يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لأن من جمعت له النبوة والرسالة كان افضل ممن خص بالنبوة فقط (وان كنا لخاطئين) يعني وما كنا صنيعنا بك إلا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطىء على المخطىء والفرق بينهما ان يقال خطأ إذا تعمد أخطأ إذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون أثر لفظ خاطئين على مخطئين لو افترقوا ولا الى لأن خاطئين أشبه بما قبلها (قال) يعني يوسف (لا تثريب عليكم) يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله ﷺ إذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد إقامة الحد عليها وفي محل قولان (اليوم) قولان احدهما أنه يرجع إلى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وأنا لا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ما حال أبي بعدي قالوا أذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قميصه وقال (اذهبوا بقميصي هذا) قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه وكان ذلك القميص قميص إبراهيم وذلك أنه لما جرد من ثيابه وألقي في النار عريانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وسد رأسها وجعلها في عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما ألقي يوسف في البئر عريانا أتاه جبريل وأخرج ذلك القميص وألبسه إياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فأمره أن يرسل هذا القميص إلى أبيه لأن فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف إلى إخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحي الله إليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم أن أباه قد عمي من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث إليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر تمكن معرفته من جهة العقل وقوله (وائتوني بأهلكم أجمعين) قال الكلبي كانوا نحوا من سبعين إنسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين ما بين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين إلى أرض كنعان

في قصبة وسد رأسها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في البئر عريانا جاءه جبريل (قال عليه السلام وعلى يوسف ذلك التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه إياه ففي هذا الوقت جاء جبريل عليه السلام الى يوسف عليه السلام وقال له ارسل إلى ابيك ذلك القميص فان فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى الا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص الى اخوته وقال ألقوه على وجه ابي يأت بصيرا (وائتوني بأهلكم اجمعين ولما فصلت العير) أي خرجت من عريش مصر متوجهة الى كنعان

(قال أبوهم) أى يعقوب لولده (إنى لأجد ريح يوسف) روى أن ريح الصبا استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير قال مجاهد أصاب يعقوب بريح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وحكى عن ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح الصبا فصفقت القميص فاحتملت ريح القميص إلى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم ان ليس فى الأرض من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فلذلك قال إنى لأجد ريح يوسف قبل البشير (لولا ان تفندون) تسفهونى وعن ابن عباس تجهلونى وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله وقيل تضعفونى وقال ابو عبيدة تضللونى وأصل الفند الفساد (قالوا) يعنى أولاد أولاده (تالله إنك لفى ضلالك القديم) لفى خطئك السابق من ذكرك ليوسف لا تنساه والضلال هو الذهاب عن الطريق الصواب فان عندهم ان يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره (فلما ان جاء البشير) وهو المبشر عن يوسف قال (٢٥٧) ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن عباس وهو يهوذا قال أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته ان يوسف اكله الذئب فانا اذهب اليه اليوم بالقميص فاخبره ان ولده حى فافرحه كما احزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوف اكلها حتى اتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا وقيل البشير مالك ابن ذعر (القاه على وجهه) يعنى القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) فعاد بصيرا بعدما كان أعمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (قال) يعنى يعقوب عليه السلام (ألم أقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون) من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى انه قال للبشير كيف تركت يوسف قال انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين

(قال أبوهم) يعنى قال يعقوب لولده (إنى لأجد ريح يوسف) قيل ان ريح الصبا استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل ان يأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب بريح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص إلى يعقوب فوجد يعقوب ريح الجنة فعلم انه ليس فى الأرض من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال انى لأجد ريح يوسف (لولا ان تفندون) أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأى وقال ابن الانبارى أفند الرجل إذا خرف وفند إذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعى إذا كثر كلام الرجل من خوف فهو التفنيد والفند فيكون المعنى لولا ان تفندونى أى تنسبونى إلى الخرف وقيل تسفهونى وقيل تلومونى وقيل تجهلونى وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعنى أولاد يعقوب والله واهله الذين عنده لأن أولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (تالله إنك لفى ضلالك القديم) يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لأنه كان عندهم أن يوسف قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم) يعنى من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما أن جاء البشير) وهو المبشر تخير يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنهما هو يهوذا قال السدى قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب وأخبرته ان يوسف اكله الذئب فأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حى فأفرحه كما أحزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (القاه على وجهه) يعنى فالقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعنى فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون) يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما اصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة * قوله تعالى (قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا يعنى قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف استغفر لنا اى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (إنا كنا خاطئين) يعنى فى صنيعنا (قال سوف استغفر لكم ربى) قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لأنه اشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب إلى وقت السحر قام إلى الصلاة متوجها إلى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه إلى الله تعالى وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى

(٣٣ - خازن - ك) وتركته قال على دين الإسلام قال الان تمت النعمة (قالوا ياابانا استغفر لنا إنا كنا خاطئين) مذنبين (قال سوف استغفر لكم ربى) قال اكثر المفسرين اخر الدعاء إلى السحر وهو الوقت الذى يقول الله تعالى هل داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب إلى الموعد قام إلى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لأولادى ما اتوا إلى اخيهم يوسف فأوحى الله تعالى إنى قد غفرت لك ولهم اجمعين وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما سوف استغفر لكم ربى يعنى ليلة الجمعة قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقال طاوس اخر الدعاء إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وعن الشعبى قال سوف استغفر لكم ربى قال اسأل يوسف ان عفا عنكم استغفر لكم ربى

(إنه هو الغفور الرحيم) روى ان يوسف كان قد بعث مع البشير إلى يعقوب ماتى راحلة جهازا كثيرا ليأتوا بيعقوب وأهله وأولاده فتهيأ يعقوب للخروج إلى مصر فخرجوا وهم اثنان وسبعون من بين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الذى فوقه فخرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدأ بالسلام فقال جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان وروى انهما نزلا وتعانقا وقال الثورى لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام (٢٥٨) عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بنى ولكن فارقتك وانت صغير فخشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) اى ضم اليه (ابويه) قال اكثر المفسرين هو ابوه وخالته لياو كانت أمه راحيل قد ماتت فى نفاس بنيامين وقيل هو ابوه وأمه وكانت حية وفى بعض التفاسير ان الله عز وجل احيا امه حتى جاءت مع يعقوب الى مصر (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) فان قيل فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه فكيف قال ادخلوا مصر بعد ما اخبر انهم دخلوها وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول قيل ان يوسف انما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر وفى الاية تقديم وتاخير والاستثناء يرجع الى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم ربى إن شاء الله وقيل الاستثناء يرجع إلا الامن من الجاز لأنهم كانوا لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم يقول آمنين من الجواز إن شاء الله كما قال لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقيل إن ههنا بمعنى إذ يريد اذ شاء الله كقوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذ كنتم مؤمنين (ورفع أبويه على العرش) أى على السرير أجلسهما والرفع هو النقل إلى العلو (وخروا له سجدا) يعنى يعقوب وخالته واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد به السجود وضع الجباه على الارض وانما هو الانحناء والتواضع وقيل وضعوا الجباه على الارض وكان ذلك على طرق التحية والتعظيم لا على طريق العبادة وكان ذلك جائزا فى الامم السالفة فنسخ فى هذه الشريعة وروى عن ابن

عنه واغفر لأولادى ما أتوا إلى أخيهم يوسف فأوحى الله اليه أنى قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه اخر الاستغفار لهم إلى ليلة الجمعة لأنها اشرف الأوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس اخر الاستغفار إلى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبى سوف استغفر لكم ربى قال حتى اسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفر لكم ربى (انه هو الغفور) يعنى لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج إلى الشباب اسهل منه إلى الشيوخ الا ترى إلى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم الاية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته إلى ابيه ماتى راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجميع اهله إلى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج إلى مصر فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجىء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر إلى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدأ يعقوب بالسلام فقال جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل إن يوسف قال لأبيه يا أبت بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعنى ضم اليه (أبويه) قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته لياو كانت امه قد ماتت فى نفاس بنيامين وقال الحسن هما ابوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله أحياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا الرؤياه والأول أصح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الأول فى قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعنى البلد وقيل انه أراد بالدخول الأول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثانى الاستيطان بها أى ادخلوا مصر مستوطنين فيها (إن شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد إلى الأمن لا إلى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد إلى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع إلى الاستغفار فعلى هذا يكون فى الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربى إن شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد إلا بجواز لهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم إن شاء الله فعلى هذا يكون قوله إن شاء الله للتبرك فهو كقوله ﷺ وإنا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع ابويه على العرش) يعنى على السرير الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل إلى العلو (وخروا له سجدا) يعنى يعقوب وخالته لياو اخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود

السجود من وضع الجبهة على الأرض على سبيل العبادة ۞ فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلى منصبا فى النبوة والشيخوخة ۞ قلت يحتمل ان الله تعالى امر بذلك لتحقيق رؤياه ثم فى معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثانى انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الأرض وهو مشكل لأن السجود على هذه الصورة لا ينبغى أن يكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الإشكال بأن السجود كان فى الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لأن ذلك ابلغ فى التواضع ۞ فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رايتهم لى ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع إلى اقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام ۞ قلت يحتمل أن يكون المعنى وخروا لله سجد الأجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهى ان اخوة يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا فى ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه (وقال) يعنى وقال يوسف عندما راى ذلك (يا ابت هذا تفسير رؤياى من قبل) يعنى هذا تصديق الرؤيا التى رايت فى حال الصغر (قد جعلها ربى حقا) يعنى فى اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسى وعبد الله بن شداد اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدى ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الأقوال كلها ابن الجوزى وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين القى فى الجب سبع عشرة سنة واقام فى العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله (وقد احسن بى) يعنى انعم على يقال احسن بى والى بمعنى واحد (إذ اخرجنى من السجن) انما ذكر انعام الله عليه فى إخراجه من السجن وكان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه فى إخراجه من السجن كانت اعظم من إخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله فى العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله إلى الملك وقيل ان دخوله الجب كان لحسد إخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من اعظم نعمة الله عليه (وجاء بكم من البدو) يعنى من البادية واصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى) يعنى افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول فى امر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لأن يوسف اضاف الإحسان إلى الله واضاف النزغ إلى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما فى الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان إسناد الفعل إلى الشيطان وإضافته إليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضى إضافة الفعل إلى الشيطان لا على الحقيقة لأن الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى فى الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فثبت بذلك أن الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل إلا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله إياه على ذلك (إن ربى لطيف لما يشاء) يعنى انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد فى هداياتهم وقوله ان ربى لطيف بما يشاء اى حسن

عباس أنه قال معناه خروا لله عز وجل سجدا بين يدى يوسف والأول أصح (وقال) يوسف عند ذلك (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) هو قوله إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين (وقد أحسن بى) ربى اى انعم على (إذ أخرجنى من السجن) ولم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من السجن استعمالا للكرم لكيلا يخجل اخوته بعد ما قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه فى إخراجه من السجن أعظم لأنه بعد الخروج من الجب صار إلى العبودية والرق وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك ولأن وقوعه فى البئر كان الحسد إخوته وفى السجن كان مكافأة من الله تعالى لزلة كانت منه (وجاء بكم من البدو) والبدو بسيط من الأرض يسكنه أهل المواشى بماشيتهم وكانوا أهل بادية ومواشى يقال بدا يبدو إذا صار إلى البادية (من بعد ان نزغ) افسد (الشيطان بينى وبين إخوتى) بالحسد والبغض (ان ربى لطيف) أى ذو لطف (لما يشاء

وقيل معناه لمن يشاء وحقيقة اللطيف الذى يوصل الاحسان الى غيره بالرفق

(إنه هو العليم الحكيم) قال أهل التاريخ أقام يعقوب بمصر عند يوسف أربعا وعشرين سنة في أغبط حال وأهنأ عيش ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحق ففعل يوسف ذلك ومضى به حتى دفنه بالشام ثم انصرف إلى مصر وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب عليه السلام في تابوت من ساج إلى بيت المقدس فوافق ذلك موت العيص فدفنا في قبر واحد وكانا ولدا في بطن واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله على أن نعم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال رب قد آتيتني من الملك) يعني ملك مصر والملك اتساع (٢٦٠) المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الأحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر) اي يا فاطر (السموات والارض) اي خالقهما (انت وليي) اي معيني ومتولي امري (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) يقول اقبضني اليك مسلما (والحقني بالصالحين) يريد بآبائي النبيين قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف وفي القصة لما جمع الله شمله واوصل اليه ابويه واهله اشتاق الى ربه عز وجل فقال هذه المقالة قال الحسن عاش بعد هذا سنين كثيرة وقال غيره لما قال هذا القول لم يمض عليه اسبوع حتى توفي واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن ابيه فقال الكلبي اثنتان وعشرون سنة وقيل اربعون سنة وقال الحسن التي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن ابيه ثمانين سنة وعاش بعد لقاء يعقوب ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة امراة ايوب المبتلى عليه السلام وقيل عاش يوسف بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر واختلفت الاقاويل فيه وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس فيه فطلب اهل كل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا بالقتال فراوا ان يدفنوه في النيل حيث يتفرق في الماء بمصر ليجري الماء عليه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة دفن في الجانب الأيمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان جميعا الى ان اخرجه موسى فدفنه بقرب ابائه بالشام

الاستخراج تنبيها على ما اوصل الى يوسف حيث القاه إخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بأبيه وإخوته بعد طول الفرقة وحسد إخوته له وإزالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لأن الله تعالى إذا أراد أمرا هيأ أسبابه (إنه هو العليم) يعني بمصالح عباده (الحكيم) في جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ أن يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعا وعشرين سنة في اهنا عيش وانعم بال وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه السلام بمصر فعل يوسف ما أمره به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمر هما مائة وسبع وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمه رجع إلى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بأبيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) اي يا رب (قد آتيتني من الملك) يعني من ملك مصر ومن هنا للتبعيض لأنه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الأحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير إذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وابدعه (أنت وليي) يعني معيني ومتولي أمري (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) اي اقبضني إليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة في الحال ام لا على قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت إلا يوسف قال اصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفي والقول الثاني انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن أنه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الاية توفني إذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وان نعيم الآخرة باق دائم لا نفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله ﷺ لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به فان تمني الموت عند وجود الضر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه اولى وقوله (والحقني بالصالحين) أراد به بدرجة آبائه وهم إبراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنين وولد ليوسف من امراة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة امراة ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم راوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فأخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر فنقل الى

(ذلك) الذى ذكرت (من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم) أى ما كنت يا محمد عندأولاد يعقوب (إذ أجمعوا أمرهم) أى عزموا على إلقاء يوسف فى الجب (وهم يمكرون) بيوسف (وما أكثر الناس) يا محمد (ولو حرصت بمؤمنين) على إيمانهم وروى أن اليهود وقريشا سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فلما اخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا فحزن النبى ﷺ لذلك فقيل لهم انهم لا يؤمنون وان حرصت على إيمانهم (وما تسألهم عليه) اى على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله تعالى (من اجر) جعل وجزاء (إن هو) ما هو يعنى القرآن (إلا ذكر) عظة وتذكير (للعالمين وكأين) وكم (من آية) عبرة ودلالة (فى السموات والأرض (٢٦١) يمرون عليها وهم عنها معرضون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) فكان من إيمانهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض قالوا الله وإذا قيل لهم من ينزل القطر قالوا الله ثم مع ذلك يعبدون الاصنام ويشركون وعن ابن عباس انه قال انها نزلت فى تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا فى الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم فى الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا فى الدعاء كما قال الله تعالى وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين الاية وإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون وغير ذلك من الاية (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) اى عقوبة مجللة قال مجاهد عذاب يغشاهم نظيره قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم الاية قال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعنى الصواعق والقوارع (أو تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم فى اسواقهم (قل) يا محمد (هذه) الدعوة التى ادعوا اليها والطريقة التى انا عليها (سبيلى) ستى ومنهاجى وقال مقاتل دينى نظيره قوله ادع الى ربك اى الى دينه (ادعوا الى الله على بصيرة) على يقين والبصيرة هى المعرفة التى يميز بها بين الحق والباطل (أنا ومن اتبعنى) اى ومن امن بى وصدقنى ايضا يدعو الى الله هذا قول الكلبى وابن زيد قال حق على من اتبعه ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكرون بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعو الى الله ثم استانف على بصيرة انا ومن اتبعنى يقول انى على بصيرة من ربى وكل من اتبعنى قال ابن عباس يعنى

الجانب الأيسر فاخصب وأجدب الجانب الأيمن فدفنوه فى وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى إلى ان اخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام فى الأرض المقدسة ٥ قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار إلى الملك بعد الرق (ومن أنباء الغيب) يعنى أخبار الغيب (نوحيه إليك) يعنى الذى أخبرناك به من اخبار يوسف وحى اوحيناه إليك يا محمد وفى هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد ﷺ لانه كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر إلى بلد آخر غير بلده الذى أنشأ فيه ﷺ وأنه نشأ بين امة امية مثله ثم انه ﷺ اتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وابين معان وافصح عبارة فعلم بذلك ان الذى اتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة إلى اخر الدهر ٥ وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعنى وما كنت يا محمد عندا ولاد يعقوب (إذ اجمعوا امرهم) يعنى حين عزموا على القاء يوسف ﷺ فى الجب (وهم يمكرون) يعنى بيوسف (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبى ﷺ والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على إيمانهم بمؤمنين وذلك أن اليهود وقريشا سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ما عندهم فى التوراة لم يسلموا فحزن النبى ﷺ لذلك فقيل لهم انهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم ففيه تسلية له (وما تسألهم عليه من اجر) يعنى على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله من اجر يعنى اجرا وجعلا على ذلك (ان هو) اى ما هو يعنى القرآن (إلا ذكر) يعنى عظة وتذكيرا (للعالمين وكأين من آية) يعنى وكم من آية دالة على التوحيد (فى السموات والأرض يمرون عليها) يعنى لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) اى لا يلتفتون إليها والمعنى ليس إعراضهم عن هذه الايات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى باعجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون) يعنى ان من إيمانهم انهم إذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله وإذا قيل من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الأصنام وفى رواية عن ابن عباس انهم يقرون أن الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفى رواية اخرى عنه أيضا انها نزلت فى تلبية مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا فى الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم فى الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا فى الدعاء (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) يعنى عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعنى الصواعق والقوارع (أو تأتيهم الساعة بغتة) يعنى فجأة (وهم لا يشعرون) يعنى بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم فى أسواقهم (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلى) يعنى طريقى التى (ادعوا) اليها وهى توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمى الدين سبيلا لأنه الطريق المؤدى إلى الله عز وجل والى الثواب والجنة (إلى الله) يعنى إلى توحيد الله والايمان به (على بصيرة) يعنى على يقين ومعرفة والبصيرة هى المعرفة التى تميز بها بين الحق والباطل (انا ومن اتبعنى) يعنى من امن بى وصدق بما جئت به

أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن قال عبد الله بن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قدمات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا افضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على اثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم قوله تعالى (وسبحان الله) أى وقل سبحان الله تنزيها له عما أشركوا به (وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك) يا محمد (الا رجالا) ملائكة (نوحي اليهم) قرأ أبو جعفر وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء وقرأ الاخرون بالياء وفتح الياء (من أهل القرى) يعنى من أهل الأمصار دون أهل البوادى لان أهل الأمصار أعقل من أهل البوادى لغلظهم وجفائهم (أفلم يسيروا في الارض) يعنى هؤلاء المشركين (فينظروا كيف كان عاقبة) آخر أمر (الذين من قبلهم) يعنى الامم المكذبة فيعتبروا (ولدار الاخرة خير للذين اتقوا) يقول جل ذكره هذا فعلنا باهل ولا يتناول طاعتنا أن ننجيهما عند نزول العذاب وما في الدار الاخرة خير لهم فترك ماذكرنا اكتفاء بدلالة الكلام عليه قوله ولدار الاخرة قيل معناه ولدار الحال الاخرة خير وقيل اضافة الشيء الى نفسه كقوله ان هذا لهو حق اليقين وكقولهم يوم الخميس وربيع الاخر (أفلا تعقلون) فتؤمنون (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا

أيضا يدعو إلى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به أن يدعو إلى ما دعا إليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعوا إلى الله ثم استأنف على بصيرة انا ومن اتبعني يعني انا على بصيرة ومن اتبعني أيضا على بصيرة قال ابن عباس إن محمدا ﷺ وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قدمات أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة محمد ﷺ ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم وقوله (وسبحان الله) أى وقل سبحان الله يعني تنزيها له عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والأنداد (وما انا من المشركين) يعني وقل يا محمد وما انا من المشركين الذين اشركوا بالله غيره قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا) يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد إلا رجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (نوحي إليهم) هذا جواب لأهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من إرسالنا إياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك (من أهل القرى) يعني من أهل الامصار والمدن لا من أهل البوادى لان أهل الأمصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادى قال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل إنما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم (أفلم يسيروا في الأرض) يعني هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هؤلاء بهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الاخرة خير للذين اتقوا) يعني فعلنا هذا بأوليائنا وأهل طاعتنا إذا نجيناهم عند نزول العذاب بالأمم المكذبة وما في الدار الاخرة خير لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وإنما اضاف الدار الى الاخرة وان كانت هي الاخرة لأن العرب تضيف الشيء الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (أفلا تعقلون) يعني يتفكرون ويعتبروا بهم فيؤمنون ٥ قوله عز وجل (حتى إذا استيأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فتراخى نصرهم حتى إذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائى كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى أن معناه ظن الأمم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعانى كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أى لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابو على والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير فى ظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى فى قولهم أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من مكذبى الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان اى وعدوا ان يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حتى حدثتهم بانهم لا ينصرون او رجاؤهم

جاءهم نصرنا) اختلف القراء في قوله كذبوا فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر كذبوا بالتخفيف وكانت عائشة تنكر هذه القراءة وقرأ الآخرون بالتشديد فمن شدد قال معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي أيقنوا يعني الرسل أن الأمم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعد إيمانهم وللظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم استبطاء النصر ومن قرأ بالتخفيف قال معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي ظن قومهم ان الرسل قد كذبتهم في وعيد العقاب وروى عن ابن عباس ان معناه ضعف قلوبهم يعني وظنت الرسل انهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر وكانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا انهم قد اخلفوا ثم تلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله جاءهم أي جاء الرسل نصرنا (فنجي من نشاء) قرأ العامة بنونين أي نحن ننجي من نشاء وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة مضمومة فيكون محل من رفعا على هذه القراءة وعلى القراءة الأولى يكون نصبا فنجي من نشاء عند نزول العذاب وهم المؤمنون المطيعون

كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابن الانباري أنه قال هذا غير معول عليه من جهتين إحداهما أن التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه والأخرى أن قوله جاءهم نصرنا دال على أن أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الأنبياء وتطهيرهم واجب علينا إذا وجدنا إلى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا أنهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو أن معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا يعني وأيقنوا يعني الرسل ان الأمم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده إيمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أو يصدقوهم وظنوا أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطؤا النصر أتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم وظنوا بالرسل ظن حسبان أن ربهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لا أنهم كذبوهم في كونهم رسلا وقيل أن هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لأنه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكناية في وظنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك من ربهم قلت فما هذه الآية قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب لها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال فنفيت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد الله ورسوله من شيء قط الا علم أنه كائن قبل أن يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا ان يكون معهم من قومهم من يكذبونهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة * وقوله تعالى (جاءهم نصرنا) يعني جاء نصر الله النبيين (فنجي من نشاء) من عبادنا يعني عند نزول العذاب بالكافرين فنجي المؤمنين المطيعين (ولا يرد بأسنا) يعني عذابنا (عن القوم المجرمين) يعني المشركين قوله تعالى (لقد كان في قصصهم) يعني في خبر يوسف واخوته (عبرة) أي موعظة (لأولي الألباب)

(ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) أي المشركين (لقد كان في قصصهم) أي في خبر يوسف واخوته (عبرة) عظة (لأولي الألباب

يعنى يتعظ بها أولوا الألباب والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد إلى ماليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قد قدر على إخراج يوسف من الجب بعد القائه فيه وإخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه وأخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد ﷺ وإعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال فى أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال فى آخرها لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب فدل ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثاً يفترى) يعنى ما كان هذا القرآن حديثا يفترى ويختلق لأن الذى جاء به من عند الله وهو محمد ﷺ لايصح منه أن يفتريه أو يختلقه لأنه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجزة فدل ذلك على صدقه وأنه ليس بمفتر (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه إشارة إلى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما فى التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شىء) يعنى أن فى هذا القرآن المنزل عليك تفصيل كل شىء تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والأحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد فى أمر دينهم ودنياهم (وهدى) يعنى كل خير (ورحمة) يعنى أنزلناه رحمة (لقوم يؤمنون) لأنهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

ما كان) يعنى القرآن (حديثا يفترى) أى يختلق (ولكن تصديق الذى) أى ولكن كان تصديق الذى (بين يديه) من التوراة والإنجيل (وتفصيل كل شىء) مما يحتاج العباد اليه من الحلال والحرام والأمر والنهى (وهدى ورحمة) بيانا ونعمة (لقوم يؤمنون)

(تم الجزء الثالث بعون الله من تفسير الخازن ويليه الجزء الرابع وأوله سورة الرعد)

﴿ فهرست الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم للإمام على بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفه

٢ ﴿ تفسير سورة الأنفال ﴾
١٤ فصل فى حكم الفرار عند الزحف
٤٢ فصل فى استدلال من يقدح فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والرد عليهم فى ذلك
٤٥ ﴿ تفسير سورة التوبة ﴾
٤٦ فصل فى بيان سبب ترك كتابة التسمية فى أول هذه السورة
٤٨ فصل قد يتوهم متوهم لم بعث على بن أبى طالب ببراءة أول براءة معزل أبى بكر عن الامارة و تفضيله على أبى بكر وذلك جهل الخ
٦٥ فصل فى بيان أحكام قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الخ
٧٨ ذكر سياق حديث الهجرة .
٨٢ فصل الوجوه المستنبطة من قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه الخ دالة على فضل سيدى أبى بكر الصديق رضى الله عنه
٨٤ فصل استدل بقوله تعالى عفا الله عنك الخ من يرى جواز صدور الذنوب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
٨٩ فصل فى بيان حكم قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين الخ) وفيه مسائل
١٠٧ فصل قد وقع فى هذه الاحاديث التى تضمن قصة موت عبد الله بن أبى بن سلول المنافق صورة اختلال فى الروايات الخ
١٤١ ﴿ تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴾
١٦٩ فصل فى الكلام على هذا الحديث أى قوله صلى الله عليه وسلم لما أغرق الله فرعون قال آمنت الخ لأنه فى الظاهر مشكل
١٦٩ فصل فى وجه اشكال الحديث المذكور
١٧٣ ذكر قصة قوم يونس عليه السلام
١٧٦ ﴿ تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام ﴾
١٨٦ فصل فى الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول إنى ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
١٩٢ فصل فى الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا بقوله تعالى انه عمل غير صالح الخ
٢١٢ ﴿ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴾
٢١٨ ذكر قصة ذهاب اخوة يوسف بيوسف عليه الصلاة والسلام

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء الثالث من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسن الفراء البغوى ﴾
﴿ الذى بهامش الخازن ﴾

صحيفة
٢ ﴿ سورة الأنفال ﴾
٤٥ ﴿ سورة التوبة ﴾
١٤١ سورة يونس عليه السلام
١٧٣ ذكر قصة قوم يونس عليه السلام
١٧٦ سورة هود عليه السلام
٢١٢ سورة يوسف عليه السلام

﴿ تمت ﴾

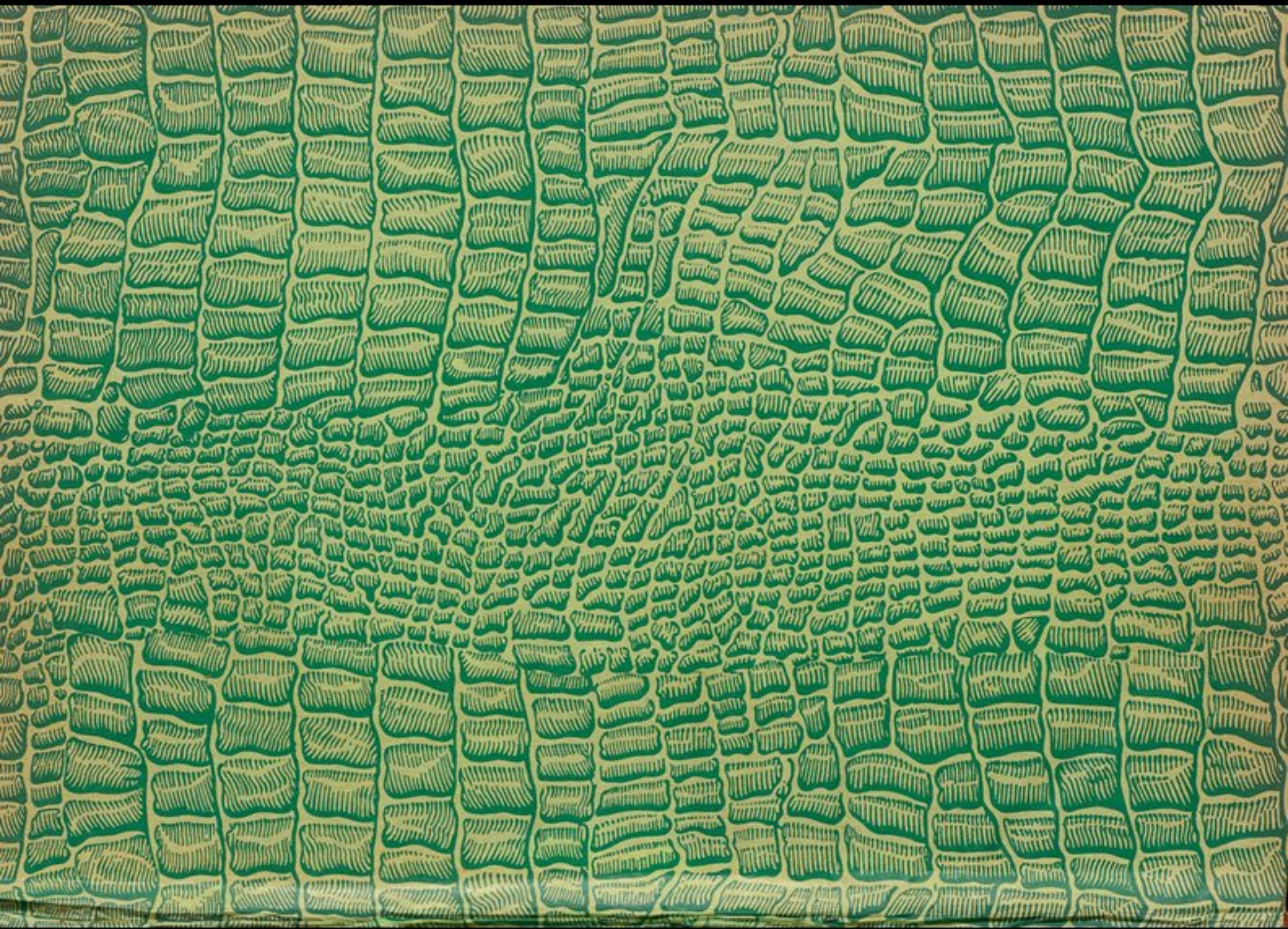

COLUMBIA UNIVERSITY
0026814846

893.7K84
DA7
v. 3

DEC 1 4 1961